



دكتورة نعات أحمد فؤاد

كتاب اليوم

في
الأمم المتحدة
اليوم
الأمم المتحدة
اليوم
الأمم المتحدة



المسئولون بالمشيخة العامة للمكتبة

دكتورة نعمات أحمد فؤاد

كتبت يومًا

في

• الأدب

• النقد

• الفكر

• الفن



المهنية المصرية المسماة للكتاب

١٩٨٨

مقدمة

كتبت هذا الكتاب من منطلق أومن به :
أن يكون الأديب مبدعا وناقدا ومفكرا وفنانا
أديب يسوى الكلمة ، كاتباً
وينفذ الى أعماقها البعيدة ، ناقداً
أديب يعيش قضايا قومه . . يطرحها ويندود عنها ، مفكراً . . .
أديب، ينتمى الى أسرة الفنون جميعاً . . متذوقاً لها ، باراً ، بها .
حياة ثرية بالمعنى عشتها وعاشتني .
سافرت فيها ، وسافرت في
حياة لا يعدلها عندي ما في دنيا الناس من مناصب وثروات وعروض
زائلة -

ويظل الكاتب بعد الله ، هو الباقي

أدب - نقد - فكر - فن :

ليس الكاتب عندي ، سطوراً ولو كانت بحورا من نور . ما أجمل
السطور حين تصدق السطور حين تعمق السطور ، حين تقول
السطور .

ومع هذا يسعد الكاتب أن يكون لأدبه أعماق أى يتصل بالجدور
تاريخاً وأسلافاً .

. . . أن يكون لأدبه ، آفاق : رؤى وأعلاماً .

الأدب الحق ، كلمة يانعة ، ورؤية رائعة ، وموقف ، وضمير .

والأديب الحق انسان بستان . . .

خلقه الله فى أحسن تقويم .

دوهيته ، نيل

وعطاؤه ، فينان

كلمة يعليها . . . ورؤية يجلوها . . . وموقف يعتنقه ، وحضور
لا يخيب .

.. خلود

روية الاحساس بهذه المعاني حين كتبت كل حرف في هذا الكتاب
... وفي كتيبي الأخرى التي تنتظم معا ، أيامى ...

أيامى نسيجها الحروف .. لحياتها وسداها .. هويتها وهواها ..
بعض الموضوعات في هذا الكتاب نشرتها ، والبعض الآخر لم ينشر
من قبل .

موضوعات ستنى وهى جميع

لقد عشنا طويلا نفصل بين الفنون .. لكل . عالمه وأصحابه .

وجديد هذا الكتاب ، الجمع بينها من خلال الكاتب .

والفنون أسرة مؤتلفة ومؤتلفة .

تختلف وسائل وتلتقى غايات

وقد نطق شوقى بهذا المعنى حين قال :

(الخالدون أربعة : شاعر سار بيته ، ووصام ضحك زينه ،

وموسيقى بكى وتره ، ومثال نطق حجره) .

مشاعر كلها تتجسد فى أجمل صورة ...

وشاعر ، الكاتب والرسام والموسيقى والمخال .

قيمة ، القلم وكنز مكنون .. زاده رفعة ومكانا أن أقسم به الله

(ن والقلم وما يسطرون) .

وحسبى أن أنتمى الى الذين يسطرون

ويرسمون

ويشكلون

وينشدون

أنتمى الى الأدب والفكر والفن ..

د . نعمات أحمد فؤاد

القاهرة ١٤٠٩

١٩٨٨

باب الأدب

فن الريادة

طلب الى الأستاذ أحمد حسن الزيات أستاذنا أن
أكتب مقدمة لكتابه (دفاع عن البلاغة) وكان هذا حدثا
أديبا .

ومقدمتي لكتاب أستاذنا أحمد حسن الزيات
لها دلالة رفيعة عندي وعند الأديباء .

هذه المقدمة التي أشرف بها ، كتبها لكتابه
(دفاع عن البلاغة) وهذا الكتاب القيم نفذ منذ بضع
سنوات . . ولهذا أثبتنا هنا احتفاء بها . . واحتفالا
دراسة للأدب . . ووفاء للأديب

أديب علامة على طريقنا . . صاحب مدرسة

وصاحب أسلوب . . وصاحب « الرسالة » . .

كتاب دفاع عن البلاغة

لعل أنسب الأوقات لصدور كتاب (دفاع عن البلاغة) هو وقتنا الحاضر الذى تتآمر فيه على البلاغة ظاهرات ثلاث : السرعة والصحافة والتطفل ، فاختلفت المقاييس وتضاربت القيم وتسابق الكم وغمط الكيف . وهذه الآفات علتها القراءة الخفيفة والحاجة الملحة ونقص القدرة وعجز الوسيلة . فلم يعد للكثرة طاقة أو صبر على التعمق أو التجويد أو التذوق المميز أو التقييم الصحيح .

ولشد ما يكابد الأدب من الدعاوى والأدعياء ! إن الأدب دون سائر الفنون يستطيع أن يدعيه من يشاء فى أى وقت يشاء حين يعجز غير متخصص عن الاقتراب من حرم الطب أو الهندسة أو حتى الفنون الأخرى كالرسم والموسيقى .

وتأتى الدعوى فى الأدب من الخطأ فى فهم ماهيته ورسالته ، فالأدب ليس معرفة الكتابة أو الاملاء ولكنه موهبة ودراسة ، موهبة تكثف وتلهم وتسدّد وتعين . ودراسة تمد الكاتب بخصيلة كبيرة من الثقافة الأدبية والثقافة الانسانية تقوى وسيلته وتشجّن أسلوبه وتشكّل اتجاهه وتكون موضوعاته ، حتى الذوق موهبة طبيعية تختلف فى الناس وفى الأجناس وتحتاج الى المران بالدرس والعادة .

وقد فصل كتاب (دفاع عن البلاغة) القول عن الفروق الدقيقة والواضحة بين الموهبة والاكساب والأصالة والهوية وبين القريحة والفن . وأخيرا بين علم البيان والبلاغة فهو يقعد الفواعل وهى تخدّمها وهو (يعين الوسائل وهى نملكها ، وهو يرشد الى ينبوع وهى تغترف منه) .

وليست البلاغة التي قام الكتاب للدفاع عنها وتصدى صاحبها
لمديتها بلاغة شكل أو مظهر أسلوب ولكنها بلاغة شخصية أو بلاغة فن، فهي
(لا تفصل بين العقل والذوق ولا بين الفكرة والكلمة ولا بين الموضوع
والشكل) .



والكتاب مدرسة لطالب البلاغة وشادى الأدب . فهو يعالج فن
الكتابة من جميع وجوهه وزواياه بالتفصيل والتحليل والتدليل من واقع
التاريخ الأدبي والواقع القولي والعلمي . والكتاب يتهج الطرق للمنادب
ويبصره بمراحل الرحلة الطويلة في الطريق الشاق ليقبل ان آنس في
طبعه استعدادا وفي نفسه ميلا أو ينتهج لنفسه سبيلا أخرى تكون أقرب
إليه وأجدي عليه .

. ناقش الكتاب رسالة البلاغة ووسائلها .

ناقش الامتاع والاقناع . . . وتحدث عن آلة البلاغة وهي (الذهن
الثاقب ، والخيال الحبيب ، والعاطفة القوية ، والأذن الموسيقية) وعلى
ضوئها أجرى استفتاء لرأى البلاغة .

ثم تحدث عن ثلاث :

اللغة : ومهمة طالب البلاغة درسها لتقويم السليقة واكتساب
الذوق .

والطبيعة : لاستماد الموضوع واستقاء المادة واثراء الخيال وتنويع
الصور .

والنفس : ليشكل شخصو القصص ويرسم شخصيات المسرحية
ويحلل أخلاق المجتمع ونزعات الناس وخلجات الشعور .

تحدث عن الذوق الذي يصدر في حكمه عن العقل والعاطفة معا .

تحدث عن جناية الدعاية على سلامة التقدير فرسانة المعلمين ودور
أسلوب تعليم اللغة في تكوين الذوق الطبيعي السليم الذي يدخل في
عداد عناصر الشخصية لا الذوق الملقق الذي يستحدثه صاحبه لنفسه
بالمسامة والمسايرة .



و الى هنا فرغ أستاذنا الزيات من الحديث العام عن البلاغة ليخلص
الى الحديث عن **الأسلوب** . والأسلوب من حيث هو فكرة وصورة أجل
بكثير من الجمال البيانية أو المجسّات البديعية .

وهنا عرض لتاريخ الأسلوب العربي والصفات القومية أو العامة التي تشكل أسلوب أدب. يعينه في جملته وتميزه بين أدب آخر حتى لا يخفى الفرق أو الفروق العامة بين اللغات الشرفية واللغات الغربية .

(وكما تؤثر صفات الأمة في طبيعة اللغة . تؤثر طبيعة اللغة في أسلوب الكاتب ، فاللغات التي اكتسبت من مدينته أهاها رقة اللفظ وأناقة العبارة ، ومن شاعريتهم جمالي الصور . وروعة الأخيلة تغني الكاتب بموسيقاها وحلاها عن كد القريحة في الابتكار المعاني واستنباط الفكر) ص ٥٨ ، وسلك في هذا النوع اللغة العربية . وهتي في رأيي ميزة وآفة معا ، فالأدب العربي في جزء كبير منه حافل بالأصوات والأجراس ولكن المخصيل الذهني منه قليل . لقد نتالت عصور وقرون لا هم لها إلا تضديد اللفظ وترصيع العبارة بل اتخامها، بضروب من المقابلات والتوريات والبديعيات المختلفة حتى غدا الأدب صناعة ، ثم نردى أكثر فانقلب شعودة حتى قر في النفوس - كما يقول الأستاذ الزيات - أن الأسلوب إنما يطلق على الجانب اللفظي من الكلام وما دروا أن الأسلوب جهد موصل لاساعة الحياة في اللفظ يثبت المعنى وتجسبه . انه عبارة عن (النظام والحركة المودعين في الأفكار) .

وعند هذا الوجه من وجوه البحث أطال الوقوف عند الأسلوب من حيث اللفظ والمعنى ووجهات النظر المختلفة في هذا الشأن في شرق وغرب . ووقفته هنا مادة للنأمل والدراسة والمقارنة والتفكير ، وبما في الوقت نفسه للدفاع عن البلاغة دفاعا علميا أولا ثم عاطفيا بما في طبعه من أناقة . وفي ذوقه من ترف ، وفي حسه من موسيقية وعذا الدفاع بالطبع ضد أولئك الذين يحاصرون (معبد الذوق) .

وقد خلص من بحثه ودفاعه معا الى صفات ثلاث جامعة لا بد من توافرها لتحقيق البلاغة : الأصالة ، والوجازة ، والنلاؤم .

فالأصالة هي الشخصية الخاصة للكاتب في الفكرة والصورة والروح ، هي الطبيعة حتى ليغدو الأثر الفني بضعة من نفس صاحبه ينبض نبضه ويتحرك حركته بما يث فيه من حياة ونفت من صدق . وفي هذا يتمثل الخلق الفني (وعلى قدر ما يتضح الخلق في الكتابة تتضح العظمة في الكاتب) ص ٨٥ .

هذه الأصالة من سماتها بل من خصائصها الدقة والقصد والتجديد والمباشرة في بساطة طبيعية لا تنافي العمق ولكنها تجافي الاغراب والجمجمة والغموض الذي يسمبه البعض رمزا . ان البساطة المقصودة هي الوضوح الفني الذي يتراءى خلال النقاب الشفاف والظلام الخفي والعمق الصافي .

أما الوجدان فهي طبيعية في اللغة العربية بكونها لغة ساهية . على
ان الوجدان تحراه أيضا أهل اللغات الأخرى وتشهد بعضهم فيه مثل
(شابران وفلوير) .

وفضل الوجدان يكمن في احترامه وقت العارى، والسامع وتجنبه
الملال والاستنقال ، ولهذا يتوفر على الكتابة فينقيها من الحشو ، ويصفيها
من الفضول ، ويخلصها من الترادف والتقريب ، ويبرئها من الاعتساف
والتكسر ، ويجعلها أقدر على الوجدان بما يترك على أطراف المعاني من ظلال
خفيفة يشتغل بها الذهن ويعمل فيها الحيال . وقد يضيف الفارى في
هذه الأثناء الى الأثر الفنى بالتفسير والتأويل والتقصي معاني ويخلع عليه
ألوانا فوق ما أراد له صاحبه ، وهذه الإضافات تشعشع القارى في الوقت
نفسه بشدة الطرب التي ينشئها فيه ، اعتقاده بأنه يخلق .

ومن هنا تأتي جناية الصحافة على الأدب أو النشر الفنى فان طبيعة
العمل فيها لا تعين على مقتضيات البلاغة بل لعل العكس هو المطلوب
لعامل السرعة والوقت المحدد والقراءة الجماهيرية التي تحتاج الى التبسيط
والتحقيق في الموضوع والأسلوب .

بقيت الصفة الثالثة وهي التلازم وهي العنصر الجمالى فى الأسلوب .
وإذا كان الانسان ولو بما بالجمال يتملاه فى الوجه ، ويسكن اليه فى
البيت ، ويتوخاه فى الطعام ، ويخلعه على الأثاث ، ويهيم به فى الطبيعة ،
ويعبر عنه فى البناء الضخم والتمثال الشامخ واللوحة الرائعة والصورة
البارعة والمدينة الجميلة والشارع الظليل والحديقة الموشاة . فلماذا كما
يقول الأستاذ الزيات (يكره أن يسمع الكلمات العذبة والفقر المنسقة
والجمل الموزونة والأصوات المُرْتَلْفَة) ص ١٠٣ .

على ألا يشوب ذلك بالطبع تكلف أو صناعة مكشوفة فان من الفن
أن يخفى الفن .

وهناك عامل معنوى وراء البلاغة ، فان قوة الأسلوب تعنى قوة
الشخصية حتى بين العامة (١) وبلاغته تعنى قوة الأداة ، وموسيقيته
تنبع من دقق العاطفة أو ارتفاع الحدث أو جلال المناسبة ، وهذا هو الأصل
فى سجع الكهان فى الجاهلية وتميز لغة التقاضى فى البادية ، فالموسقة
طبع وفطرة ، فإذا صقلت صاحبها النشأة وواتته الدراسة وأمدته العلم

(١) يقرون الأستاذ الزيات بطولات التاريخ بمساحة اصحابها فى التعبير عن انفسهم
كما يقرون عصور قوة الأمم بقوة آدابها فى ذلك الحين . والقوة هنا تعنى الازدهار والخلق
أى قوة الروح لا جلجلة الموضوع .

تأنقت ألفاظه وسنما أسلوبه وتميز . وما عدا هذا فتغطية للعجز وتبرير
لنقص الكفاية وقصور الوسيلة .

التلاؤم اذن فن الصياغة وهنا يتفاوت الناس ويقع تفاوتهم كما قال
ابن الاثير (فى تركيب الألفاظ أكثر مما يقع فى مفرداتها لأن التركيب
أعسر وأشق) .

وصعوبة فن الصياغة تأتي من ضرورة مطابقة الأسلوب لحركات
النفس وصور الذهن وسير العاطفة ودرجتها فيه من الإبطاء أو الإسراع
وهذه الحالات التى تصاحب الخلق الفنى تحدد طريق الكاتب فيخرج
الأسلوب موجزا أو مرسلًا أو مستديرا (laperiode) يمهّد أوله
لآخره ، وبين هذا وذاك يأخذ المعنى دورته .



والكتاب يفرق فى البلاغة بين الجمال المطبوع وقوامه التجانس فى
الأصوات والكلمات والفواصل ، وبين الجمال المصنوع الذى يتكلفه أصحابه
بما يحملون على المعنى من أفعال البديع والبهرج .

وفى غير موارد أعلن تأييده للازدواج والسجع باعتبارهما طبيعة فى
الأسلوب العربى وطابعا له ، على أن يجريا على القلم مجرى الطبع . وأرى
الطبيعة هنا أمرا يكاد يكون عزيزا كالموهبة . ولعل هذا السر فى نزوع
الناس الى الأسلوب الجارى ايثارا للسلامة وتحررا من التقيد وشبه
التكلف .

لا مرأ فى أن الكاتب يجب أن يرتفع أسلوبه عن أسلوب الكلام
الشائع على ألا يلتمس الجمال فى اللفظ وحده ، بل لعل الأسمى والأحق
بتقديم جمال النفس الذى ينعكس على الأسلوب من صدق صاحبه مع
نفسه وولائه لمعتقده ، وهذا المستوى من مستويات الكتابة يكسب الأسلوب
مناعة يعز معها على التقليد لأن النفوس لا تتكرر والاحساس الذى يولد
الكتابة ويعطيها شخصية معينة مرام عصى ان لم يكن محالا حين يسهل
اقتناص الألفاظ ومحاكاة التراكيب .



وفى القسم الأخير من الكتاب وقف الكاتب بالتحليل عند مذاهب
الكتابة فى تاريخ العربية حتى العصر الحديث ، كما تحدث عن نشأة
المذاهب الأدبية فى أوروبا من اتباعية Ecole Classique وابتداعية

Ecole Romantique وواقعية Ecole Realiste وما نبج منها كالطريقة
الفرناسبية Parnassienne التي كان من رد فعلها الطريقة الرمزية
Ecole Sympoliste

وانتقل الأستاذ الزيات من المذاهب الأدبية الأوروبية الى المذاهب

الأدبية العربية وميز منها دعوتين :

• الأولى : الدعوة الى العامية

• الثانية : الدعوة الى الرمزية

وعزا الأولى الى الجهل بالفصحى ، وعلى ضوء هذا التحليل أحسب
أن مفهوم العامية المقصودة محصور في ركافة الأسلوب (١) ولكن اللغة
العامية بمعنى اللغة المصرية العربية لها اعتبار آخر بما لها من جذور
ضاربة في أعماق تاريخنا الحضارى واللغوى معا ، وهى لغة ذات تراث
عزيز يتمثل في الأدب الشعبى بقصصه وملاحمه وموائيله وأغانيه وأزجاله
ولباليه وحكمه وأمثاله وصوره ورواه ، وهى فى هذا الميدان بقدرتها على
التصوير والتسجيل والنأثير ند للفصحى حتى لقد كان شوقى يخشى
على شعر العربية من زجل بيرم ، بل لعلها تفوقها فى نواح وتغلب عليها
فى نواح أخرى . وحسبى أن أشير هنا الى مجالين : الأغنية والمسرح .

واللغة العامية كأداة تعبير لغة حساسية شاعرة متطورة للاحه متغلغلة
بما فيها من قدرة التجاوب والانفعال بالحياة الجارية المتجددة أبدا . ومن
الخير أن تتعاشش اللغتان لا أن تصطرعا . الفصحى همزة الوصل بيننا
وبين المنطقة العربية التى تربطها بمصر وشائج شتى ، والعامية أى العربية
المصرية بما هى مظهر من مظاهر الشخصية المصرية وقدرتها على التكيف
والتفرد والتميز .

ومن المحال أن نوقف عملية الخلق الشعبى فى الأغنية والموال
وسواهما حتى يعم التعليم ويصبب الشعب شاعره فى محيط الفصحى .
ولو حدث أن عم التعليم فلن يكون غير العامية لغة للحياة اليومية فى شتى
المرافق وفى البيت . أن المتعلمين اليوم بل والمتقنين لا يطبقون الحوار
المسرحى بالفصحى أو الاغانى قصائد خالصة .

لقد كان بيرم من أعلم الناس بالفصحى وشواردها ولكنه آثر العامية
لغة تعبيره ومستودعا لمعطيات نفسه الخالقة . ومالى أذهب بعيدا ؟ ان

(١) أريد بالعامية ترك الاعراب واستعمال الدخيل من الالفاظ والتراكيب .

(الزيات)

استأذنا الزيات نفسه من أوائل من عرفوا بأدبنا الشعبي وكان بحنه القيم فى (ألف ليلة وليلة) فى حينه بداية فى باب الدراسات الشعبية ونقطة انطلاق . كما أنه فتح صدر مجلته (الرسالة) لبحوث فى الأدب الشعبي شنى .

بعد هذا نصل فى نهاية المطاف الى حديث الأسناذ الزيات عن الرمزية التى يرى أكثر أتباعها من كتاب لبنان وشعرائه بما فيهم من أجنبية الاتجاه العقلى الروحى الدائم الى الغرب . وعلل الولوع بالرمزية عند أصحابه باحدى اثنتين : نزعة صوفية حاولوا معها لونا من الاستعلاء (فنصروا فى الفراغ شيئاً ، ونوهوا فى الظلام نورا ، تم عبروا عن أشياء لا تدرك ، بكلمات لا تفهم) ص ١٥٩ .

وهو نعليل طريف قد يكون حقاً .

والثانية نوع من اللذة الآتية تجعل أصحابها يمعنون فى الاغراب على الناس ليتفكروا بحيرتهم وتخطبهم ، ولعله شعور بالنقص يلتمس الاشارة والاحساس بالأهمية .

ان الرمزية بقدر ، لون من الفن القولى معترف به على ألا يبالغ فيه بالاغراق والشطح . على أن الأستاذ الزيات أبدى مخاوفه من المذهب الأول وحده الذى سماه (الشيوعية الأدبية) التى منشؤها العجز والرغبة الحاقدة فى الغاء الفروق حتى فيما لا حيلة فيه . ولا قدرة عليه وأعنى المواهب والملكات . فهناك فئة تحارب الامتياز فى كل شىء حتى فى الذكاء لتدخل فى عداد الكتاتيب والتابعين وهو ما لا يكون . وغير هذا العبث بالطبع جد القادريين من فناني العامية أصحاب الآثار الباقية .



وبعد فهذه ليست مقدمة بالمعنى التقليدى للمقدمات . ان هى الا مناسخ يفضى الى كتاب (دفاع عن البلاغة) ، ومسوغها صدورها من تلميزة لأستاذها الجليل فى هذا الموضوع بالذات . انها تعبر عن تحية الجليل الجديد له وموقفه منه فى وقت رفع فيه الصراع التعبى عقيرته من جديد .

القاهرة فى يوليو سنة ١٩٦٧

الله والشعب

تاريخ النهب الاستعماري لمصر

وهو تاريخ حده مؤلفه جون مارلو . بالفترة ما بين ١٧٩٨ - ٢٨٨٢ ولكن نهب مصر وقع قبل هذا التاريخ ، وامتد بعد هذا التاريخ . انى لا أحب المتنبي ولكنى أراه صادقا فى بيته :

نامت نواطير مصر عن نعالها فقد بشمن وما تفتنى العاقيد
والذى يتطرق الى الذهن للوهلة الأولى ، أن الذى انتهب المال ولكن
المنهوب والمسلوب ، أشياء كثيرة عزيزة أعلى كثيرا من المال . فقوم
نهبوا آثارها ، وآخرون نهبوا وامتهنوا حريتها . كل من ولى امرها
اعتبرها ، ضيعة خاصة له ، فاقترن الحكم فيها بالهبات ليصب عرق
الشعب فى خزائن المتسلفين والمغامرين حتى اذا اعتصروها اعتسارا .
واعتسارا ، لجأ صاحب الهبات الى الديون ، يبدد هو ، لتدفع هى ،
وأصحابها ينظرون !!

ما الذى دهانا ؟ انه ليحزن القلب الانسانى ما سجله جون مارلو ،
وتيو دور روتشتين فى كتابه (خراب مصر) .
حين توارى الديمقراطية التراب ، ويسود القمع ، والوصولية ،
تعشعش اليوم ، وتفترس البلاد بالقوة .

كنت قبل هذا الكتاب . قرأت كتاب (الأرض والملاح) الذى تناول
فيه هؤلوه الأرض والفلاح على مسار التاريخ المصرى فاذا بالنهب واحد
وان تعددت أسماؤه . حتى حين تلوح عناية بالأرض ، يختفى وراءها ،
رغبة محمومة فى نهب المحصول ، وعن آخره .

لم يكن للشعب الحقيقى دور فى كل ما حدث فام يكن يتذكره أحد
الا فى تحصيل الضرائب . وجمع الخراج . والصرف على جهاز قطر الندى ،
وأفراح الأنحال . الخ .

تقول « لوسى دف جوردون » التى استشفيت فى مصر وأحببتها (قد
بلغ السلب والنهب بالجملة مدى يصعب تجاوزه . . اننى لمفعمة بالحزن) .
ماذا أقول أنا التى أدين لها بكل شئ ؟ عاجزة الكلمات ، كلها عن
تصوير حزنى من أجلك يا حبيبة . . عاجزة الكلمات .

ولكن عزائي أنك استوعبت الازدحام والانحلال ، والصلابة والتسيب ، والعزة والقهر ، والنصر والهزيمة عرفت مصر هذا كله ، واستقطبت مصر هذا كله ، وتخطت مصر هذا كله ولم تكف عن البناء والتشييد والعمل . يكتفيها انها حاولت اعادة بناء ذاتها ، من الرقاد ، مرات .

ومن هنا يقدر المنصف ، السفر الذى قام به القلب المصرى فى عملية الاحتفاظ بجوهره سليما على المحن . . بل وخلق الحضارة فى الوقت نفسه بما يتطلبه هذا من حس نبيل ، ورغبة حميمة فى الانتصار ، وحنين موصول ، الى النمو والارتقاء واقتحام العقبة .

ان السمو الذى سكن فى زهرة اللوتس ، سكن فى كيان الانسان المصرى الحقيقى .

ان الانسان المصرى يذكر المتأمل ، بالفيلسوف الرواقى باحتماله وتجلده .

ومع هذا فان السكينة المصرية أى بالمفهوم المصرى لها ، شىء غير الجلد الرواقى . . انها شىء أكبر **بفضل الدين** . . . الساكن فى قلب مصر المؤمنة بفضل مدد علوى هو اطمئنان وتواصل وتقبل لفيض هناءات تهون أمامها الخطوب ، وتتجدد الرؤى ، وتشرق النفس من عاياتها . عزها الجديد على معتكك الحوادث واحتدام الأمور .

انه ميلاد للنفس المصرية نخرج به من عذابها أو تعلو عليه . . . ولعل هذا يفسر الآية الكريمة (يا نار كونى بردا وسلاما) .

ان الآية الكريمة دعاء لابراهيم بالسكينة تسير معها النار نفضة نور لا لفحة سعير .

وهنا تكون السكينة غير السكون .

السكون جمود ولكن السكينة طرح القلب الانسانى عندما يصل فى نضجه الى قمة الشرف والترف .

انه شرف وترف لا يعرفه الجناة ولو جمعوا أموال الدنيا .

وكم بين خطايا الأرض ، وعطايا السماء .

وبمناسبة الحديث عن النهب الاستعمارى ، هناك لون آخر من النهب أو الاهدار ، نمارسه نحن ، هذه المرة . أليس الاسراف فى المدح والقدح ، والاسراف فى الكلام ، وفى « الأوصاف » حتى نفتن أنفسنا

بأنفسنا أليس هذا كله ، نهبا ، لكرامتنا وطاقتنا ؟ انه تبديد المذات ..
 لشخصية الانسان المصرى لأحسب له نظرا فى غيرنا من البلاد حتى حولنا
 فى المنطقة .

قال « امرسون » فى كتابه عن الرجال الأعلام أو الذين يمتلئون
 البشرية ، وهو يقابل كتاب (الأبطال) لكارلبل ، قال امرسون عن
 نابليون بكل شخصيته التاريخية ، وفتوحاته العسكرية ، انه يمتل الرجل
 العادى !! . فما وصل اليه نابليون ، فى نظر « امرسون » ليس ثمار
 عبقرية فذة أو ذكاء خارق . ولكن صنعته اعتبارات ستمى من صنع البسطة
 والعصر واللحظة المناسبة . الخ . ما علينا . الذى أريد أن أقوله لو
 كان « نابليون » هذا منا ، يسمعا .. ترى كم من الصفحات والمناشآت
 والنسبيجات والأغانى والنهليلات ونوابغ الصفا نتغنى فيها ؟

ليتنا نعرف قدسية الكلمة

ليتنا نعرف قيمة أنفسنا .

ليتنا ، مثل غيرنا ، نعرف الحجم الطبيعى للأشياء . . .

ليتنا نعرف الاقتصاد النفسى واللفظى فهذا أهم حتى من الاقتصاد
 المالى . فالذى يتكلم فليلا يعهق كثيرا .

ان قتل الطفل ولو كان جنينا حرام ، ولكن قتل انسان بسحقه أو
 تصغيره أو احباطه ، عمل غدا مألوف ، وكثيرون يفعلون بأنفسهم هذا حين
 وبالغون فى تكبير شخص رهبة أو رغبة وأثناء هذا يتقائمون انضاما .

لماذا قال القرآن الكريم (والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم
 فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون) .

لقد انتفى الصدق . مثل هذا الشعر صناعة ، ان الذى أزرى به
 القرآن الكريم ليس الشعر الرفيع المترفع الذى ينبع من مشاعر صاحبه .
 فالقرآن أعلى كتاب من الناحية الأدبية الفنية الجمالية .

انه فقط يزرى بكل ما ينزل بالنفس ولو كان شعرا .

كنوز لغة الشعب

فى اللغة المصححى روائع من لفتات الذهن وموسيقى التعبير ..
 ولكن فى لغة الشعب كنوز لا تقل قيمة .

فحين تعرف البلاغة العربية ، المصدقى بأنه مطابقة الكلام لمقتضى
 الحال على طريقة المخبرين لو صدقوا ، يعرف الشعب المصرى ، البلاغة

تعريفًا آخر ، مستهددا من شخصيته •• مستهددا من الزراعة بمعطياتها ••
ومن باكورة عطائها « الاناء » • وهو مستودع الصحة •• ولهذا يعرف
الأدب الشعبي ، الإيجاز مع وفاء المعنى بقوله : (كلمة ورد غطاهما)
دستوحيا الاناء وغطاه المحكم الذي يرد على القاعدة في تمام أنيق •

– اللقمة الهنية تكفى ميه

– لاقيني ولا تغديني •

عائلة متحابّة •• لا يقول شعب غير زارع مثل هذين المثلين ،
ولا يتولهما شعب الا اذا كان يستشعر جو الأسرة •• يستنشقه هواء
يعيش عليه •

هذا هو الشعب المصرى •• أو هذه هى طبيعة البلد ••• اناء واسع
للماء الكل يشرب منه يسقى ويسقى : الفيل •• وخوان واحد الكل يطعم
ده : الوادى •••

– يا نعيش سوا يا نموت سوا

من تعلقنا بالركب تعلقا شديدا ، قلنا هذا المل ، فالركب لا تحرك
براكب واحد •• ان ركابها جمع يلتقون فى الرحلة والمسير •• يصلون
سالمين الى الشاطئ أو يغرقون •

وانتقل المنل من المركب الى الحياة •• ففهموا معنى الوحدة وروح
الفريق • وتواصلوا وتواصلوا فاستمرت الحضارة المصرية بغير انقطاع لأن
العمل كان أمانة تربط جيلا بجيل •

شعب أسرى شعبنا •• وشعوره بالأسرية تنبع منه أخلاقياته
ونصراته ونظراته فى الحياة والناس • وينعكس هذا على آدابه وفنونه •
اذا صنع سمي أستاذ الصنعة « معلما » • والصبى يناديه (يا عمى) •
فالعمل قرابة ونسب •

كل شىء فى مصر أسرة •

وفى مصر القديمة كان الأب يقول لابنه الذى يحمل الكتاب :
(حافظ عليه •• كأنه أمك) فى ادراك عال نبيل للأم والكتابة فى آن •

وهذا الاحساس بالأسرية بعيد بعيد موغل فى القدم • ففى الصعيد
المصرى يشترك (حورس) مع (ست) قاتل أبيه فى رفع رمز الوحدة •
إشارة الى أن مصر فى عين المصريين ترتفع على العداوات والصداقات
والأشخاص •

- بمصر وحدها هي الأم والأب .
- والأسرة بمفهومها المصرى العريق بؤرة حضارية يتشرب المرء فيها شعورا قويا ومقوما . . رحيمًا ومنعما .
- يستشعر الطمأنينة والسكينة والوفاء اذ يشهد بحجة متمرة . . .
- أبوين متفاهمين .
- « الأسرية » فى مصر وعى ووعاء لقيمتها كلها
- هذه مجرد أمثلة لعمل الشخصية المصرية فى اللغات التى تتكلمها من منطلق قيمها هى ، ووراثاتها هى . .
- واحساسنا بالأسرية والوحدة يبدو فى قولنا عند المجاملة (مافيش فرق) . وعند الدم نقول (بوشين) فذو الوجهين زائف لا وحدة فى سلوكه .
- مفيش فرق . . . هذه المقولة الشعبية أدركت وحدة الوجود لا بالذهن ولكن بالروح .
- الوحدة ، أكبر من المحبة لأن المحبة فى قمتها ، أن تتوحد بمن تحب .
- ومن توفيقات اللغة الشعبية (خذ بيدى) هذه العبارة تعبير سيكلوجى دقيق . . . انه عناق بين الانسان والمقدس . . (يجهنم ويجهونه) فى عملية رفع وارتفاع . . .
- كم فى لغة ابن البلد من توفيقات . . . فلفظة تشمعلق فيها من النعلق والشعلة . أى أحب فى توهج .
- ولما كان ابن البلد فنانا بطبعه . . والفنان كاهن اليازة أى عالم أسرارها . والكهانة ادراك السر . والسر تجلوه الصنعة . والعمل الفنى صحة معنوية . لهذا كله يسمى ابن البلد ، المرض ، عيا أى عجز .
- فابن البلد من حبه فى العمل الجميل . يعبر عن رضاه عنه بقوله (الله يفتح عليك) . . (الله ينور عليك) فالعمل الفنى نور وفتوح وفيوض وولادة نفس ، وطرح قلب . انه فى هذا المستوى يكسب التقى . ان صاحبه يؤديه كأنه متدين وينتقرب به الى الله الذى يحب اذا عمل أحدنا عملا أن يتقنه . . هنا يكون العمل قربانا بطريقة عصرية . .

هل نعلم أطفالنا الأدب الشعبي ؟

ان الشاطر حسن هو الطموح البعيد وقدرة الاحتمال والاصرار ،
والأميرة رمز الأمانة • لقد جعلته الاسطورة الشعبية يعدى البحور ويركب
الاهوال ويتخطى عقبات وعقبات بنتها فى طريقه لأن الألم يجوهر الانسان •
حتى الطين عندما تصهره النار ، يصير فخارا جميلا •

وانسان بلا طموح ، بيت بلا نافذة وكأنه بيت الطاعة •

ان النقافة ليست التخصص لأنه اذا اقتسر أو اقتصر ، انغلاق أو
جمود عند نقطة واحدة ضيقة ، ولكن النقافة هي كيف الحياة فى مجموعها ••
هى انسانيتهها •• ومن هذا المنطلق فان الاحياء الشعبية بكيف الحياة فيها
هى أكثر ثقافة •• ان الفلاحة المصرية عندها ثقافة الحركة •• مشيتها
فن ، ووقفتها فن •• وهذا هو الفرق بين فلاحة القرية وفلاحة المدينة أى
العصرية المتزينة بزى فلاحة للاطراف •

• فى الغرب من التراث الشعبى ، حنين الى المنبع ، وفى البعد عنه ،
بعد عن مواطن ومواطن الجمال والحكمة ••

من مفكرتى :

الله والانسان

حين يصنع الشعب النصر :

احنفالنا بنصر أكتوبر حق • بل ان القلب المصرى يحتفل به بدون مراسم أو مهرجانات مع اطلالة كل فجر •• مع اشراقة كل صباح جديد لأنه حياة وكرامة • وكانت الأيام قبله ضياعا ممرورا وهوانا • ولكننا ننسى فى ظروفنا الصعبة أن نحتفل بعيد النصر بأعمال جديدة تخدم هذا الشعب الذى صنع النصر بدم أبنائه ، وقوت عياله ، وراحة باله ، وصبر أيامه ، ونور لياليه •

ليت كل محافظة نحتفل بنصر أكتوبر بمستشفى جديد أو مدرسة جديدة ، أو رفع عدة قرى فى زمامها الى قرى نموذجية • وهنا نكون أصلحنا فى وقت واحد الريف والقاهرة معا لأنى أو من ان أى اصلاح فى القاهرة لن يجدى ما دام الريف يغص بالتعاسة ، وكلما شقى صبره ، نزع الى القاهرة • ولو وفرنا الحياة الكريمة لأهله ، لآثروه على سواء كما يفعل أهل المناطق المتحضرة كالاسكندرية والمنصورة والمنيا •

ليتنا نحتفل بنصر أكتوبر باعادة النظافة والجمال والهدوء الى القاهرة ، ان أصحاب الفرحة فى العادة ، يأخذون فى الاعتبار اعداد بيتهم حتى أن جلوة العروس تبدأ بجلوة البيت •

ان انتصارات السلم لا تقل شأنًا عن انتصارات الحرب •

نريد ان نجعل من أكتوبر ، كل عام ، خطوة حقيقية حية الى الأمام •

إذا رأينا الصدوع الكثيرة ، وجبرنا القلوب الكسيرة ، وبرئنا من الأدواء الكبيرة كالجهل والفقر والمرض الثالث الأسود ، ساعتئذ نحتفل بأكتوبر احتفالا شامخا باذخا شأن الموفور السعيد •

- وبمناسبة أكتوبر نذكرت الشاعر المصري الذي لا يذكره أحد ،
- مصطفى السبيلى الذى تبرع بإحدى عينيه لتنقل الى جريح فقد عينيه
- الائتمين • لم نستطع دموع أمه وتوسلاتها أن تثنيه عن عزمه •
- لم يستطع الأصدقاء صرفه عن الفكرة •
- لم يستطع الأطباء رحمة به •
- كانت مصر وحبها أكبر منهم جميعا •
- لا يسمع الا صوتها هى •
- لم ير الا صورتها هى •

وهذا الشاب فقير عليل لم يكن نصيبه من مصر ضيعة أو عمارة أو
منسبا أو أى شئء ولكنه يحبها لذاتها ••• يحبها لأنها الغنى الحقيقية •
والاسم ، والانتماء ••••• يحبها هى لأنها هى مصر •

أولف أعطوها العين والروح • وأعلامها فوق سيناء مزرحة بدما ،
عشاقها وقتلى هواها • دفنوا أنفسهم فى الشراب ورفعوا علمها هى فوق
الساوية • ولو استطاعوا لرفعوه فوق السحاب •

تحسبها العين البسيطة النهر والوادي ولكنها كل يوم تزرع معانى
جديدة تنضج على نار الألم الى جوار النبات على حرارة الشمس •
كل يوم تلد البطولة والقيمة ، بلدى •
قل من أجلك يا حياة الحياة ، مهما عظم ، البداء •

يارب الحمد والنعمة لك •• لبيك :

جاءتنى من فريتنا فتاة للعمل فى منزلى • الفتاة صغيرة فى الرابعة
عشرة من عمرها • ساذجة قليلة الخبرة وأكاد أقول الذكاء ولكنها شكور
فانعه • شدنى اليها أنها تكسر من الصلاة •

يا رب هل هى تحمنى فيك من ضعفها ويتمها وهوانها على الحياة
والناس ؟

لقد تعودت المسكينة الوقوف على الأبواب فهل هديتها فطرتها الساية
أن نقف بالباب العظيم بالباب الأكبر والأكرم والأرحم •

هل هي تاتنس في غربها بقربك يارب • يارب هل هي تشكرك •
ان كانت، ففعل يا خجلتي منك • لقد أعطيتني فأرضيت وحين أقف بين
يديك ، أصلي لك لا أطبل الصلاة مثلها !!

أعطيتني البيت • وأعطيتني القلم وأعطيتني نجابة الأبناء • أعطيتني
نعمة ندوق الجمال في الكلمة وفي الطبيعة • أعطيتني الحنان في قلبي
ودنياي فأنا أناله وأعطيه حتى للأشياء • أعطيتني من المال ما يصون
وأعطيتني معه نعمة النمنع به فأنا أملكه ولا يملكني ••• أعطيتني الكثير
ومع هذا أصلي لك الفرض وتصلي لك الفتاة الصغيرة المحرومة المسحوقة
فطيل الصلاة والركوع والسجود • يا خجلتي منك وأهرب من خجلتي بقولي
واحساسى ان ما بيني وبينك أكبر من الطقوس •• أكبر من الكلمات حقا
هذا • حقا ان بيني وبينك عمارا كبيرا وأملا كبيرا وعشما كبيرا ولكن فتاة
صغيرة كسيرة تصلى لك وتطيل • أرأيت أنى أخجل مرة أخرى أن أقول
نصلي لك أكثر منى •

رب أوزمنى أن أسكر نعمتك التى أنعمت على •

لوحة العاصفة

أتعلم كثيرا من السفر فى البحر •

ولأمر ما ذكر الله البحر فى نيف وثلاثين موضعا فى القرآن الكريم •
ان البحر عالم آخر للتأمل والتعلم والتدين أيضا ، ومع هذا لم يحتفل
الأدب العربى بالبحر • لأسباب كثيرة ذكر بعضها الدكتور فخري
أبو السعود ، وذكر البعض الآخر الدكتور محمد عوض محمد •• حتى
الرحالة العرب الذين واجهوا العواصف فى البحر •• ومتى ؟ فى العصر
الوسيط حيث النجاة لم تيسر وسائلها ، تركوا لنا أوصافا مسجوعة مثل
قولهم : ركبنا البحر ، وحللنا منه بين السحر والنحر •• الخ •

لقد هبت على ابن جبير ريج بالقرب من صقلية خلال رجوعه الى
غرناطة كادت تطيح بمركبه ولكن يبدو أنها لم تنثر خياله أو حتى انفعاله
فجاء وصفه له مسجوعا أيضا واستمر فى السجع حتى المساء عندما
(فتمرت الريح ولأن متن البحر وأسفر وجه الجو) • ولو أطلق نفسه على
سجيتها فى موقف نمبلىء فيه النفس بمعانى الخوف والرجاء واليأس
والأمل والحياة ••• موقف تتطهر فيه النفس وتشرئب الى السماء بقلب
ضارع •• حتى الجاحد يفيق ويعود الى الله • لو تحرر ابن جبير من
السجع لخرج بلوحة نابضة ••• ولكن أين الشعر والنثر من (لوحة
العاصفة) التى أبدعها الفنان الأعظم فى كتابه الكريم اذ الموقف (كظلمات

في بحر لحي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها) .

انظر (لحي) وانفرادها في مكانها وترفعها على فضول السجع أو التكثر بالترادفات انفراد الشموخ التعبيري هذا يعطيها طاقة خارقة على تصوير الزخر والجيشان . ثم « يغشاه » هذه بما تتضمنه من معاني الغمر وحركة التغطية الواسعة التي تلف كل شيء في طبيعتها . . . في طبيات الموج . . . موج من فوق موج . . . حركة سريعة متدافعة في تتابع وغلبة . . . في تلاحق وجلبة . . . موج عال بلخ السحاب أو هكذا يشبه لرائيه . . . موج فوقه موج من فوقه سحب . . . لم يعد هناك فاصل . . . هنا التحام فقه عدت السماء والأرض كلا واحدا في جملة واحدة . في نصف سطر . . وهذه (الفوقية) وحدها « موج من فوقه موج من فوقه سحب » تصور حالة الغيم النفسى . . . تصور اللمهث . . . الكرب . . . زهق البصر والأنفاس حتى اذا كرب المرء الضيق ، وآده الظلام ، تحسس من القلق . . . والوهم يستبد به مع الظلمات ، يده ليراه فلا يرى . . . شيئا . . . انطمست الرؤية وغامت المرئيات .

أنا لا أفسر هنا الآية ، فأى تفسير لها مهما تسامى اليها . . . مهما حاول الارتفاع الى مستواها ، يفسد جوها الفنى الغنى بالحركة المشحون بالانفعال ، المنور بالظلال . . . القادر بالشمول .

أتعلم كثيرا من السفر فى البحر . عندما يسافر الانسان فى الفضاء فى طائرة من علمه ، أو يمتخر عباب الماء فى باخرة من صنعه ، يتيه ولو بينه وبين نفسه ويكاد يقول هاؤم اقرأوا (ابداعيه) . ولكنه اذا خرج فى الليل أحس لليل رهبة لا تبددها أضواء المدينة . . . هنا الانسان وحده والليل . . . فاذا اجتمع عليه الليل والبحر . . . أفاق من غروره وشعر أنه ضعيف أمام الطبيعة وأنه صغير صغير . . . وان الله كبير كبير . . . وأن باخرته أو طائرته لا تحفظها الا عناية الله ، وان آلاته وموتوراته لا تغنى عنه شيئا اذا احترقت الطائرة أو ارتطمت الباخرة .

فى الجو والبحر يغدو علم الانسان مجرد اجتهاد، والاختراعه وابداعه مجرد محاولة . ويبقى الله وحده « العليم » ، « العزيز » ، « الجبار » .

هذا الانسان ما أضعفه فى قوته .

ما أصغره فى كبرته .

ما أهونه اذا ملكه الغرور .

- يا رافع السماء وباسط الأرض
- يا زارع المرج وفتان الروض
- يا ميجرى السحاب وبواخر العباب
- يا نور الفجر يا روح البحر
- يا عطر الورد يا عمير الزهر
- أنت أنت القوى
- أنت أنت الله

« ابن البلد » « الذوق »

نداء القاهرة :

للقاهرة نداءات لا يملك القلب الا تلبيتها • ولشد ما يأسر القلب النداء ، حين ينبعث من ميدان القلعة أو شارع المعز •• في ميدان القلعة تطل عليك خمسة قرون • لم ير القاهرة من لم يرها من سقارة أو من القلعة حيث يتربع جامع السلطان حسن أروع ما وصل اليه الفن المصرى الاسلامى ••• وعلى امتداده الروائع الاسلامية الأخرى •

موقف للتجريد ترتفع به ، وفيه النفس ••

وتطوف •

وتبصر بعد أن كانت ترى •

أما شارع المعز فان مصر فيه تلعب بالحجر والذهب والنور ••• تشكل من الحجر روائع العمارة •• وتصوغ الذهب موشى ومرصعا ••• أما النور فينهل من سمائها الصافية الدافئة كحدقة ملؤها الحنان ••• ينهل النور من السماء أشعة ، ومن المآذن كلبات هادئة تنهدى •

ان مآذن القاهرة صحبة من المشاعر الاسلامية الرائعة ••• صحبة من البر والعطاء •••

ويترسل صوت المقرئ نديا فمصر ترنل القرآن ترنيلا وتجوده تجويدا •• فروحها مطبوعة على النغم منذ القدم فهي التي وضعت القراءات وهي التي جمعت الجديت ، وهي صاحبة الصحيفة التي نقل منها البخارى فى تفسيره كما نقل عنها ابن جرير ونقل الطبرى الشطر الأكبر من تفسيره ونقل عنها معاوية بن صالح قاضى قرطبة وساد بها جديع العلماء حتى ليقول أحمد بن حنبل فى مسنده (بمصر صحيفة فى التفسير لو رحل المرء فيها الى مصر فاصدا ، ما كان كندرا) •

ومصر هي التى أرسلت الأذان بنغمة الرصد والبياتى والحجاز •• انها تعرف بالحس الحضارى أثر الموسيقى فى النفوس ••• وفى يقينى أن ترتبل القرآن يسهم فى محو الأمية بتركيب الموسيقى القرآنية فى شعور الانسان السامع • وهنا ألمح سر جمال أسلوب مكرم عبيد ••• لقد كان يحفظه عن ظهر قلب (وهو قبضى) ••

يوم الاثنين :

يوم الاثنين من كل أسبوع يوم مكتبتى الخاصة أخلو اليها فى قراءات متنوعة متحررة من (التخصص) أو القراءة ذات الموضوع الواحد كما تقول وزارة التربية والتعليم • ومما تناولته يدي : مجموعة خطابات وأوامر خاصة بعباس باشا الأول جمعها الأمير محمد على • ومنها خطاب فى ١٣ جمادى الأولى سنة ١٢٤٧ هـ الى خورشيد آغا (بيعت له كشفا بأشياء يأمر بشرائها وارسالها من كنب علمية وفنية عسكرية ولوازم الخيم وسمع وبقباب حمام) •

زرى هل يقرن الكتاب بالقباب ؟

لقد وقع القلم من ابني الصغير على الأرض فتلت له : ارفعه وقبله انه نعمة ••• وحفظها الصغير وأصبح ينظر حنى الى القلم الرصاص نظرة كبيرة •

لسنا أمراء ولكننا أبناء ذلك الحكيم المصرى الذى كان يوصى ابنه وهو خارج الى المدرسة (امسك كتابك وحافظ عليه كأملك) فى اجلال عميق للكتاب والأمومة معا ، واحساس كريم بما بينهما •

اننا أبناء البلد الذى جعل وحده ، للكتابة الهه « سيشات » وزوجها من اله الحكمة فى وعى حضارى بالعلاقة بين الكتابة والحكمة •

ويفخر الأمير محمد على بأنه فى أيام عباس باشا لم يكن أحد بسير فى الشوارع اذا ما أذن المؤذن للصلاة فى الجامع •• وكان الناس يلزمون بيوتهم •• وكانت الطريق هادئة ساكنة طول وقت الصلاة وكان الشاويشية الأتراك الفرسان الذين كانوا وقتئذ يحافظون على الأمن يضربون (بسياطهم كل شخص يرونه سائرا فى الشوارع) •

لشد ما يذكرنى هذا بقول أستاذنا الدكتور أحمد أمين فى قاموسه « قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية » (اشتهر التركي بتدينه ولكن نديننا شكليا تنقصه روح الاسلام فهو يعنى بالأدب أمام تلاوة القرآن، وباقامته الصلاة أكثر مما يعنى بتحرى العدل ورفع المظالم وعدم الرشوة • ويعتقد انه اذا ارتكب هذه الجرائم كلها ، يرفعها عنه بناء مسجد أو سمبل أو مدرسة • ومع الأسف لقي منهم المصريون الأمرين •

ومن أمثالهم المشهورة (آخر خدمة الغز علقه) •• والغز طائفة من الأتراك) •

هذا حين يرسم الدكتور أحمد أمين في الكتاب نفسه صورة سيقية
لأبن البلد .. سماته وشاراته وعباراته وملابسه ...

وصفه اذا مشى واذا تحدث أو ضحك ... وابن البلد في العادة ،
كما يقول الدكتور أحمد أمين وكما يقول الواقع ، يكثر من التنكيت
ويستعمل في حديثه الكناية والتورية ، وعلماء البلاغة يعرفون أن التورية
فن مصرى ابتدئته مصر فيما ابتدعت من الوان البديع والبيان .

وابن البلد يعرف مواضع الكلام ، ومواقع الرضا من نفس محدثه
فلا يحرج بل يلحح لمحا حتى ليطرح مجلسه وردا .

وقد يسمى ابن البلد « الذوق » وأحيانا يسمونه « ابن الذوق » .
وقد عرف المرحوم قاسم أمين الذوق السليم بأنه الشعاع اللطيف
الذى يهدى صاحبه الى ان يقول ويفعل ما يناسب المقام ، ويجنب ما لا
يناسبه . والمصريون يعتقدون أن مصر أم الدنيا وأم الذوق أيضا ولهذا
يقولون :

دا الى عمل مصر كان فى الأصل حلوانى .

ويقولون : الذوق ما فانش باب النصر - وهو أحد أبواب
القاهرة .

ويروون فى هذا قصة طريفة يرويها بدوره الدكتور أحمد أمين .
تقول القصة أن رجلا كان اسمه « حسن الذوق » كان فى منتهى الظرف
والكياسة واللباقة . . كريما رقيق الحس والشعور . . غاضبه يوما بعض
الناس فعزم على الرحلة من مصر . فلما وصل الى « باب الفتوح » مات
هناك وما يزال قبره فى هذا المكان الى الآن . . ويعرف ضريحه « بسبى
الذوق » .

ومن أجل هذا قالوا : الذوق لم يخرج من مصر .

كان يموت فيها حيا

وقدر له ان يموت بها راحلا . . .

غلاب هوأك يا حبيبه .

ياسر القلب والروح معا .

غسلا ب .

سنقر :

فى الأحياء الشعبية يتردد كثيرا اسم (سنقر) . وفى متحف
برلين صندوق مصحف عليه اسم صانعه ، « محمد بن سنقر » . ويبدو

انه كان صانعا مشهورا ومعتادا بنفسه وبفنه .. وهنا أدركت سر تعلق الأحياء الشعبية به حتى لتطلقه الى اليوم على مواليدها .

وصندوق المصحف أحد الآثار الفنية التي طرحها اهتمام المسلمين بالمصحف بما اجتمع لهذا الصندوق من فنون الحفر والتكفيت والترصيع والتصوير ، وحامل لقراءته يشكل أحد الروائع الاسلامية . كما كان الاهتمام بالمصحف وراء فن الخط العربي والاهتمام بكتابته وتطوير هذه الكتابة .

حظوظ

حتى النبات يعرف عالمه ، الخط .
أدركت هذا عندما رأيت زهرة الكلا في البستان ورأيت الصبار ملقى على الأرض في الصحراء .. زهرة الكلا .. عمود زمرّد صاعد وظموح .. به شوق وتتوجه زهرة (ملفوفة لف) .. وفي وسطها شمعة ذهبية لا تبكي لأنها لم يمسسها نار ...
وعلى مقربة منها صبار ملقى على الأرض .. أحس أنه نفذ صبره ، بعد ان أضناه العطش .
بدون مسرح أشهد دراما الصبار .

الأرض الطيبة :

في رواية بيرل باك (الأرض الطيبة) وصف للمنحافة استوقفني تقول الكاتبة الأميركية تصف فلاحا رقيقة في الصين : (لقد رقدت على السرير .. جسمها يكاد لا يغير شكل الغطاء) ..
استوقفني التعبير لذاته .. وذكرني بيت المتنبي الذي بلغ فيه من النحول حدا لو وضع معه في سن القلم ما غير من خط الكاتب كما يقول .
وفي رواية (دكتور ابراهيم) لمؤلفها السويسري جون نيتل يصف فلاحا رقيقة في الصعيد بأنها كانت نحيلة الى درجة انها تستطيع ان تنام في ظل عمود البرق .
هل يؤيد هذا توارد الخواطر في الأدب ؟ فلا أحسب بيرل باك أو جون نيتل قرأ أحدهما المتنبي وتأثر به ولو أنه هو قرأ شعراء الغرب ونقل عنهم حتى ألقت في سرقاته الكتب ولم تجده شيئا (وساطة) الجرجاني .(١) .

(١) للجرجاني كتاب اسمه (الوساطة بين المتنبي وخصومه) .

حكمة الصين :

يحكى الأستاذ قزّاد محمد شبل في كتابه (حكمة الصين) أنه بعد وفاة كونفوشيوس ، انتشرت حبات عقد مدرسته فأخذ مريدوه السبعون يجوبون أنحاء الصين ، ينشرون آراءه . . . وتهافت عليهم الملوك والأثرياء يجتذّبونهم ويغدقون عليهم ، ويجزلون لهم العطاء حتى ان بلاط الملك « هتسوان » ملك دولة « تشى » كان يضم أكثر من ألف عالم يقيمون بغصور بوافرت فيها جميع أسباب الرفاهية لينصرف العلماء للبحث من جهة . . . وليفاخر الملك جميع ملوك العالم بهذا القدر الضخم من العلماء الذين تضمهم عاصمته من جهة أخرى .

وهنا نقول ان أصحاب السلطان والصوبجان عرفوا ان الغنى الحقيقي ، العلم والعلماء .

ونقول ضمناً آخر وهو حرص الأمم على (العلماء) واعفائهم من الحاجة ليتوفروا على البحث فى عمالية «خلوص» يعطون فيها عطاءهم كله غير مرهق بكد العيش، أو مشوب بهوم الصراع اليومي الذى يستنفد الطاقة ويهزق الأعصاب .

ترى كم من علماء الرجال ونابغى الشباب افتقدوا الراحة والتقدير والهدوء ، فالتمسوا هذا كله فى عواصم أخرى ؟ .

لينا نعمل بحكمة الصين مع أننا ننتمى الى البلد الذى سطر أقدم ما عرف الناس من ألوان الحكمة .

الرجل والحلى :

فى سورة الكهف الآية الكريمة (يجلون فيها من أساور من ذهب . ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق) .

وهنا نتذكر ان الذى أقبل على التزين فى بادىء الأمر ، الرجل لا المرأة . . . وقد لجأ الرجل الى التزين ليروق المرأة ويجتذّبها . . . وفى المجتمعات البدائية الى اليوم نجد الرجل هو الذى يصبغ بشرته ، وينشر الريش حول رأسه . فلما تقدمت المجتمعات الانسانية الشمس الرجل أسباباً أخرى لنيل الرضا . فالعباس بن الأحنف .

يود لو يمسى سقيماً لعلها — اذا سمعت منه بشكوى تراسله ويوتز له — روف فى طلب العلا لتجده يوماً عند سلمى شمائله
هنا ارتفع «الرجل» فى الشاعر ، ليفوز ب (فوز) — وكانت حبيبة العباس بن الأحنف اسمها فوز .

ماذا كان موقف المرأة من التزين ؟ وهى التى تحب الجمال ؟
كانت تعرف أن الأنوثة بما فيها خير سبيل وأقوى سلاح .. فالعيون
التى فى طرفها حور . والدلال ، والقوام ، والكلام ، والابتسام ...
وأهم من هذا كله الحنان والذكاء والوفاء .. بهذا كله مجتمعا ومتفرقا ،
طلما هزت المرأة العروش وأصحابها .

ولكن الأنثى فى المرأة ما لبثت أن عشقت الزينة وتفننت فيها
حتى تلك التى :

..... يغنيها تودد وجهها الى كل من لاقت وان لم تردد

وهنا .. عندما أصبحت المرأة طرفا فى الموضوع ، هنا فقط
تطورت صناعة الحلى وصارت لها قصة طويلة .. فى التاريخ .. والفن .

وقد رأيت فى المتحف فى حجرة (حطب حرس) والدة خوفو ،
نماذج رفيعة من تشكيل الذهب فى الحلى والآنية .. أى أن مصر منذ
عصر بناء الأهرام صاغت الذهب وشكلته تشكيلا .

يقول الدكتور عبد الرحمن زكى أن العلامة برثلوت قام ١٨٩٤
بتحليل عينة من عقلة الأميرة الفرعونية (نوب - حسب) من أميرات الأسرة
الثانية عشرة ، فوجد تركيبها كما يلي ٨٢٫٩٤٪ من الذهب ، ١٦٫٥٦
من الفضة ، و ٥٪ من النحاس .

أما الأميرة خنومويت فكم أبدعت لها الأنامل المصرية من الحلى الأخاذة
ولعل أروعها تاج من زهور زرقاء ورضعه الصانع الفنان بالعقيق الأحمر
المركب على مخرمة ذهبية .

انه الفن المصرى فن النمنمة وترصبع الذهب وتجيبب الحجارة
الكريمة .

وليس الذهب وحده .

لقد شكل الفن المصرى المرمر والاردواز والرخام الزاوى والقرنفلى
والديوريت .

الفن المصرى القادر من يومه على صنع التحف من الرقائق المتوجة
معلنة انتصاره على الصوان وسيطرته على المادة .

لقد كنت فى السطور السابقة أتكلم عن الصين فاذا بمصر تشدنى
اليها ثانية .. لأتكلم عن فنها فى الحلى .. وفى التشكيل .

صحف الدنيا لا تكفينى للحديث عنك يا أمى .

الكتابة وأصحابها :

يقول ديورانت فى (قصة الحضارة) : كان المصريون (يصرون) على ألا ينقشوا على آثارهم إلا الرموز الهيروغليفية الفاخرة الجميلة .
• ولعلها أجمل نمط من الكتابة عرف حتى الآن) .

ويتبين صدق هذا القول من المقارنة بين الكتابة المسمارية والكتابة الهيروغليفية فالكتابة المسمارية لا يبدو عليها انشراح الصدر بينما الكتابة الهيروغليفية عليها سمة الانشراح . . حروفها كائنات : أناس وحيوان ونبات .

وانشراح الصدر سر الوسامة النفسية فى الكتابة المصرية ، وفى التمثال المصرى ، وفى الروح المصرية التى نسميها خفة دم .

وانشراح الصدر سمة من سمات القلب المصرى الذى خلق الفن مبكرا دليل طمأنينه وسكينة بعد أن زرع وعرى الرعاية والشمس والماء والحيوان . . اصطلاح مع المكان وتحاب حتى عدت مصر فى عينيه جنه خالده .

وحين اصطلحوا مع الحياة ، أكسبهم « التلافى » انشراح الصدر ، وانفتاح القلب وقراره وقرته فأعطوا بسخاء من معين فياض .

ويسلمنا حديث الكتابات الى اللغات فالعربية التى تملك فى الكتابة عشرات الأنماط تملك غير فن الخط ، فن النغم فهى من موسيقيتها وألفاظها وما بينها من فروق فى وفرة وافرة تعينها على الوزن . . ان اللغة اليابانية مثلا ألفاظها كلها تقريبا تنتهى بحرف مد مما يصعب مهمة الشاعر فلا يعرف كيف يختار ولهذا لم يعرف شعرهم التفعيلة .

واللغة اللاتينية لا تجيد تكوين الكلمات المركبة . . وكم ضساق كاريشيوس وشيشرون بقرها اللفظى حتى لبعجزها بيان الفروق الدقيقة فى المعنى الواحد .

وأراد « هين » الاستعلاء على هذا فقال (لو اضطر الرومان الى تعلم اللغة اللاتينية لما وجدوا لديهم من الوقت ما يسمح لهم بفتح العالم) .

وهو تحليل يكشف أكثر مما يدارى . ويبدو أن الرومان لا يهمهم إلا القوة والنفوذ أما الغنون فلا يغبطون عليها أهلها . ان شاعرهم فرجيل فى الانباده يقول (فلتحول الشعوب الأخرى الرخام والبرونز الى سُخوص حية ولترسم مسارات النجوم .

- أما أنت يا ابن روما . فواجبك أن تحكم العالم)
- لقد هجرت « فرجيل » في هذه المقولة عرائس الشعر
- ان تشكيل الرخام أو البرونز أو أى عمل فنى رائع انما هو رؤية لأجبال مجتمعة فى رائعة فنية .
- ان العمل الفنى الرائع كلمه خضراء تسموعب روى عصر من العصور للكون بصورة مصفاة مماعة .
- الأثر الفنى عمل نحس أن صاحبه توظماً قبل أن يزاوله .
- عمل كأنه الاستجابة لدعوة امرأة فرعون .
- حقاً انه قصر من الجنة .

فن الكتابة فى الأدب العربى

حين يدور الحديث عن الاسلام تقول كتب الدين والتاريخ معا ان الهجرة من مكة الى المدينة هى نقطة التحول فى المرحلة الأولى ولكنى أقول ان نقطة التحول بادية ذى بدء هى القراءة أى العلم فالآية الكريمة (اقرأ باسم ربك الذى خلق) هى الخط المميز بين محمد الانسان ومحمد الرسول وهى مفتاح كبير من مفاتيح الحضارة الاسلامية وتأتى الآية الكريمة (ن • والقلم وما يسطرون) فتعززها •

غالية السطور قد تفوق الجواهر حين تصاغ منها الكتب المنزلة ،
والوصايا المرسله ، والحكم الخالده •

غالية الكتابه حل وعقد فحين تعتلج فى صدر الانسان مشكله ،
بعضها على السطر ، واذا يكتبها تتحدد هى ، ويتخفف هو •

وينتشر الاسلام فى الأرض وتصبّر له دولة وصوله وحضارة وفن
فاذا بالخط العربى جدول من نهر الفن الاسلامى يموج منله ويسيل
حلاوة • ان من يتأمل الحروف الهجائية العربية يجدها عبارة عن ألف
منحركة تميل وتنقوس وتستقيم •

فى الكتابة العربية تسمع موسيقى الشكل • حقسا تأثر الخط
العربى الكوفى بالصين دون أن يقلد وبهذا تحولت العطايا الصينية الى
هدايا اسلامية •

وعظم الاسلام العلم والتنسطين ونزل كتابه بيانا رائعا وفاقا ••
بأهرا وفاخرا ، فانبثق الخط العربى من هذا النبع الروحانى فجوده
أصحابه ، وقدموه اضافة حضارية الى تراث الانسان •

ولم يقتصر الخط العربى على حروف مرسومة عاطلة • أو منقولة ،
بل غدا غاية ووسيلة حتى ليقول الامام على (الخط الحسن يزيد ، الحق
وضوحا) وقد فصل القلقشندى الحديث عن هندسة الحروف العربية
فى الجزء الثانى من صبح الأعشى •

وصارت له أصول وقواعد وهيئة تتغير وتتطور ما بين تحرير
و تحرير •• ينباج على الصفحة كالنية الحسنه ، أو يغمض كالرهز ،
ويستخفى كالسر •• وهو فى الحالين يغترف من نبع صاف وراء المسلم

كانها وراسما ومسورا ، آيات قرآنه الهامات وانسراقات نضىء جوانب
نفسه وتنعم احساسه فيجود بالفن ويجيد .

ودخل الخط العربي في الفن الاسلامى حتى صار أحد معالمه وبلغ
من أمره ان قال النقاد الفنيون في مؤتمر الفن الاسلامى الذى عقد بلندن
سنة ١٩٧٦ فى سببه اجماع ، ان الفن الاسلامى على اختلاف أوطانه
منشابه . وعزوا هذا الشابه الى الخط العربي .

الفن الاسلامى بشد بعضه الى بعض رباط بلا شك . فما الذى
يربطه ؟

ان العنصر الرائع الذى يربط عطاءات الفن الاسلامى فى أوطان
عدة ، انما هو الفكر الاسلامى نم تجيء الكتابة العربية فتستوعبه .
•• وهنا أنقل بالحديث من الشكل الى الموضوع .
•• ان فن الكتابة هو فن الفكر وفن الذوق معا .

فن الفكر بما ضمنها الكاتب من معان ، وفن الذوق بما يخلع عليها
الكاتب من حلاه ورؤاه . والتقاء المعنى بالأسلوب فى الكتابة لون من
(العلاقات الفاضلة) .

وهنا تصبح الكتابة عطاء نفس ، وحكمة روح من يؤتها فقد أوتى
خيرا كثيرا . ولعل القلقشندى كان يعنى هذا حين قال : (ان الكتابة هى
الصناعة التى لا يليق بطالب العلم من المكاسب سواها) .

ان كتاب صبيح الأعشى ، جمع أطرافا من المعارف على طريقتهم فى
الصنيف والتأليف فى عصره ولكنه قام أصلا من أجل التعريف بالكتابة
والكتاب حتى استمد اسمه منها فهو (صبيح الأعشى فى صناعة الانشا) -

واعزاز قومنا بالكتابة ، عز حضارى يجب أن تلتفت التربية اليه
فى عصر يفاضل فى اصرار بين (العلمى) و (الأدبى) كأن المعرفة
الانسانية تتفاضل أو كأن علوم الوسائل الثقافية تتعارض مع علوم الفن
والنصوير والتعبير .

لقد كان من قومنا من يقول : (الكتابة أشرف مناصب الدنيا بعد
الخلافة ، اليها ينتهى الفضل ، وعندها تقف الرغبة) .

على أن الكتابة فى رأى بل رأيهم أيضا خبر وأبقى من الخلافة حتى
قالوا (كفى بالكتابة شرفا أن صاحب السيف يزاحم الكاتب فى قلمه

ولا يزاحمه الكاتب في سيفه . ومن ثم صار السلطان الذى هو رئيس الناس ومستخدم أرباب كل صناعة ومصرفهم على أغراضه ، يفتخر بأن تكون فضيلتها حاصلة له مع ترفعه عن التلبس بصناعة من الصنائع الحسنة ، وأنفه أن يقع اسم من أسمائها عليه . وأن كل ملك وسلطان يؤثر أن يكون له حظ من بلاغة العبارة وجودة الخط ، وفى ذلك ما يدل على أنها أشرف الصنائع رتبة وأعلاها درجة .

العتبى وحده هو الذى رأى ، وشايعه المأمون ، (الأئمة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضيلة ، وفى غيره نقيضه لأن الله تعالى لم يعلمه الكتابة لتمكن الانسان بها من الحيلة فى تأليف الكلام ، واستنباط المعانى فيتوسل الكفار الى أن يقولوا اقتدر بها على ما جاء به) .

يا أيها الأئمة حسبك رتبة

فى العلم أن دانت بك العلماء

والماتمل فى التاريخ الاسلامى يجد أن خلفاء الراشدين كانوا كتابا للرسول وأن مؤسس الدولة الأموية وغير واحد من خلفائه كانوا كتابا .
ووجوه الدولة العباسية وفى مقدمتهم جعفر بن يحيى بن خالد .

والأدب العربى المولع بالجدل والمفاضلات والترجيحات ، فيه صفحات فى ترجيح النثر على الشعر ، وبالطبع فى تفضيل الشعر على النثر .
ومن طرائفه أوصاف للكاتب تجعل منه (جنتلمانا) فالمهذب بن مماتي فى كتابه (قوانين الدواوين) يرى أن (يكون الكاتب أديبا ، حاد الذهن ، قوى النفس حاضر الحس ، جيد الحدس ، حلو اللسان ، له جراءة يشبت بها الأمور على حكم البديهة ، وفيه تودة يقف بها فيما لا يظهر له على حد الرؤية ، شريف الأنفة ، عظيم النزاهة ، كريم الأخلاق ، مأمون العائلة ، مؤدب الخدام) .

ويضيف محمد ابراهيم الشيبانى الى هذه الصفات ، ملاحظة الزى ، وعطر الرائحة ، ورفاهة المركب ، والوسامة والرشاقة ، وفى رأيه أن الكاتب (لا يكون فضفاض الجمة ، متفاوت الأجزاء ، طويل اللحية ، عظيم الهامة فانهم زعموا أن هذه الصفات لا يليق بصاحبها الذكاء والفتنة) !! وهى رقة حس نحسب لهم .

ولكن أعذب وصف عندى للشاعر قول شاعرهم :

ونشمل كأنما أعتصروها

من معاني سُمائل الكتاب

كان (كاتب الرسائل) أخص الخاصة عند الملوك فهو موضع المشورة وهو مستودع السر وأهم من هذا أنه (يؤامره في مشكل رأيه حتى ينتقح ، ويراجعه في مهم تعبيره حتى ينضح) .

وهذه الصفة الأخيرة حلم الصحافة في الحرية ، وحلم الشعوب في الديمقراطية .

وفي الدولة الفاطمية كان الكاتب (أول أرباب القطاعات في الكسوة والرسوم والملاطقات ولا سبيل أن يدخل إلى ديوانه أحد ، ولا يجتمع بأحد من كتابه إلا الخواص ، وله حاجب من الأمراء الشيوخ ، وله في مجلسه المرربة العظيمة والمخاد والمسند والدواة العظيمة الثمن ، ويحمل دواته أستاذ من خواص الحليفة عند حضوره إلى مجلس الخلافة) .

وحين أخذ حكام المسلمين ، بعد الخلفاء الراشدين ، سُممت الملوك ومظاهر الممالك والدول ، خلعوا على الكاتب ألقابا فهو عند الأمويين (الكاتب) كما يقول القضاعي ، وهو بدرجة وزير عند العباسيين - كم من ادباء العصر الحديث، ينتمون الآن - وهو في الدولة الفاطمية (كاتب الدست) كما يقول ابن الطوير ، وهو عند الماليك كاتب السر فإدا ساء العاهة أن يستبدلوا الميم بالباء ، فهو كاتم السر .

وهو بين هذا وذاك صاحب الديوان بل صاحب القلم .

وهذا الوصف الكريم بالطبع لمن له الحلق والكتابة .

أما ما عدا هذا فدونه بكنير .

والكاتب المبتدع في رأيي أكبر أيضا من الصورة التي رسمها ابن قتيبة وأبو هلال العسكري في «الصناعتين» . وقد يكون ابن الأثير أقرب إلى وصفه منهما .

ولكن أن يكون الكاتب موسوعيا في رأيهم خير من أن يكون الكاتب دعيا كما حدث بعد تقدم الطباعة وتعدد الصحف .

وما استرطوا علم الكاتب به ، (ما نطقت به العجم على وفق لغة العرب لعدم وجوده في لغتهم) صبح الأعشى ج ١ ص ١٥٨ . وهو اعتراف من الأسلاف بالهريب وبما في طبيعه اللغات الحية من الأخذ والعداء .
بل استرطوا علم الكاتب بما تلحن فيه العامة وتغيره عن موضعه .

وقد تكفل ابن قسيبة بلحن أهل المشرق في (أدب الكاتب) كما تكفل ابن مكي التونسي بلحن أهل المغرب في كتابه (تثقيف اللسان) .
ومن فطنتهم أن استحبوا للكاتب معرفة اللغات الأجنبية .

وقد أوجبوا ضرورة المعرفة بعلوم المعاني والبيان والبديع ووجه احتياج الكاتب الى ذلك من سلوك سبيل الفصاحة ، واقتناء سنن البلاغة وطول ترديد النظر في المنظوم والمنثور ، ورياضة القلم على الانشاء للانطباع والصقل الخ ما ذكره أبو هلال العسكري

ومن الطريف ان الشيخ بهاء الدين السبكي رأى في (شرح تلخيص المفتاح) ان أهل مصر لا يحتاجون الى هذه العلوم وأنهم يدرونها بالطبع . « بما طبعهم الله تعالى عليه من الذوق السليم ، والفهم المستقيم ، والأذهان النيرة هي أرفق من النسييم ، وألطف من ماء الحياة في الحيا الوسيم . أكسبهم النيل تارك الحلاوة ، وأسار اليهم بأصابعه فظهرت عليهم هذه الطلاوة ، فهم يدركون بطباعهم ما أفنت فيه العلماء ، فضلا على الأعمار ، ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب عن الأسرار خلف الأستار » .

والسيف مالم يلف فيه صيقل

من طبعه لم ينتفع بصقال

أقول ومصر بالحس الحضاري لها في الفنون أسلوب يمت الى أصالتها في الذوق ، ومنهج يمت الى عراقتها في المعرفة ، وقد غلب أسلوبها كشخصيتها حتى ان الفارابي عندها دخل مصر . ومع كتابه (المدينية الفاضلة) سأله المصريون أن يجعل له فصولا ويعمل على قسمة معانيه فعمل هذه الفصول بمصر . سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة .

وبمناسبة الحديث عن علوم المعاني والبيان والبديع ، يحق لنا القول ان مصر كانت لها مدرسة بلاغية أدبية تقابل مدرسة المشرق البلاغية الكلاسيكية ، ومدرسة مصر ، فضلا على المسامحة آثار في المدرسة الفلسفية بالمنساركة القوية والنوجية الخاص فقد تقدمت مصر ، نقدا عليه مسحة من التهكم ، مدرسة البلاغة الكلامية ورحالها وعلى رأسهم الرازي والتفتازاني .

كانت مصر في تصنيفها في البلاغة تستبعد بروحها الفنية . الفلسفة الكلامية ، استبعادا منه بغض لها حتى ليسى رجائنا السبكي ، هذا الاستبعاد . « تطهيرا » .

وعمل مصر في البلاغة من خلال صاحب كتاب (غروس الأفراح
أى شرح وتلخيص المفاح) يميز بنفرتها من جمود الفلسفة وجفافها
والاتجاه بها اتجاهها عمليا .

كما تتميز بالموضوعية في البحث ، والتعمق والمقارنة ، والربط ،
والتحقيق والتصحيح ، والاستنتاج ، واللمح ، والأناقة الحضارية ،
واللباقة ، والرهافة ، والذوق الشعارى وما يملك من رفيف وتفويف .
والدقة وسعة الأفق ، والبسطة والرحابة وطول النفس بلا عصر ولا تزمت
مما يغلب على كتب البلاغة الشرقية في ذلك العصر .

هذه مصر في البلاغة وهى فى (علم البديع) أبدع فقد وصل
المشاركة وعلى رأسهم السكاكى الى تسعة وعشرين نوعا من البديع ووصلت
مصر على يد ابن أبى الأصبع الى بضع وعشرين فوق المائة منها عشرون من
ابتكاراتها بشهادة النقاد فى ذلك العصر مع ما فى هذه الشهادة من غبن
المنافسة الطبيعية بين النظراء والا فلماذا لم يلتفت غيرها الى عشرات
الأنواع التى لمحتها مصر بالذكاء والتوقد والبراعة ولطف الحس ؟

وبعض ما ابتكرت مصر أو نفذت اليه مصر بالذوق الحضارى :

• النزاهة : نزاهة الهجاء عن الفحش .

• والندبيج : وهو فن التعبير عن المعانى بالألوان .

• والتصرف : وهو اللعب بالكلام فى براعة وغضارة وعندرة .

• والتهمك والتنندر : ومصر بخفة الظل لا تجارى فيه .

وطبيعى ان تهتدى مصر الى هذه الألوان بوحى من طبيعتها ، وبمدد
من ماضيها . ومنل هذا الصنيع فعلته مصر حين أذاعت فى الأدب العربى
شعره ونثره فن التورية . ولا أحسب غير مصر قادرا على التورية بكل
هذا الظرف والرقرة اللذين أشاعهما ابن نباته فى بيتيه وقد أهدى اليه
صديق تمرا ردينا :

أرسلت تمرا بل نوى فقبلته بيد الوداد فما عليك عتاب

وإذا تباعدت الجسم فودنا باق ونحن على (النوى) أحباب

لا أريد أن أسترسل فى الحديد عن دور مصر فى البلاغة
حتى لا يسرقنا من الموضوع الأصيل .

وفن الكتابة لمن وهبها تعين عليه العربية فهى كما قلت مرة ، غنية
بشاعريتها وبألفاظها وموسيقيتها وحساسيتها المفرطة فى التفريق بين

الحروف حين تعبر ، ومدھا الصوت بالألف والواو والباء حين تلتين ، وتوظيفها الهاء والسين حين تهمس ٠٠ العربية القادرة على اللعب بحروف قليلة تقدم فيها وتؤخر فيختلف المعنى اختلافا واسعا وبارعا فمن الفاء والياء ومعهما الحاء مرة والواو مرة والزاي مرة والشين مرة تستطبع اللغة العربية أن تسمي هذه الأصوات والمعاني :

حفيف الشجر

وزفيف الريح

ورفيف الورد

وشفيف النفس

ورهبف المشاعر في كل صدرة من هؤلاء •

ولكن هل الكتابة بالعربية تعد لها المدرسة أو تعين عليها الكتب •
أو يستقبلها القراء أو تحتفي بها الحياة ؟

هل العربية تغلغل في شعور أهلها وتعيش معهم أفراحهم ومسراتهم
تعبر عنهم وتعدو جزءا لا ينفصل من أيامهم •• يجنونها حبهم لأنفسهم
لأنها بضعة من النفس ؟

محرومة اللغة العربية من هذا الحنان والولاء •

وفي هذا الجو لا يجيدها متعلم ولا هو يرغب في اجادتها •• ويجد المنتصر لها عزوفا وعنتا يملؤه حسرة وحرجا فيغدو بتمسكه بها كالقابض على الجمر ، ثم لا يطول احتمالها للتضحية فيخفف من وعده الشخصي لها غير المكتوب وغبر المطلوب اذ بذله من تلقاء نفسه حسبة واحتسابا •• والحب لا يعيش على الاحسان أو الامتنان بل ينمو على الحنان الواصل ، والشوق المنجدد ، والافتناع الواثق والوثيق •

نتحدث عن فن الكتابة في الأدب العربي ، واللغة العربية اليوم
تعيش في مجتمعها في غربة نفسة ، بلقي الزهد من القريب ، والاعراض
من الحبيب ، والمنافسة من الغريب ، والمضارة من الدخيل ، والمحاربة
من العدو •• كان لها الله •

لقد قلت وكتب أكثر من مرة أن العربية العاصي لكي نصبر لغة
كتابة لا بد أن تعمل لهذا ، بمواجهة مشكلتها مواجهة أمينة وشجاعة فان
العلاج ان لم يكن جاريا ، ، قفل الجرح على نغل ، ولم على فساد ، ونم على
تفريط وتوريط الطيب •

لابد من علاج جذرى يسهل اللغة العربية ، ويبسط ، ويحيب ،
ويؤلف القلوب قبل الكتب لئلا يجد اللغة العربية من يقبل عليها ، ويقروها ،
ويتحدثها ، ويدونها ، ويفخر بها .

لن يجدى شيئاً على العربية ، الخطب المنبرية والصاقهسا بالدين
للتخوين والارهاب فاذا بالبعد يزيد بعدا وابعادا واستبعادا لأن الحب
لا يصدر به أمر من السلطان وحاشا أن يصدر به أمر ، من القرآن .

ما الحل لكى تصبح اللغة العربية لغة كتابة ؟

للعربية الفصحى ثلاث أزمات :

★ أزمته الذاتية من جراء نحوها وصرفها فى المقدمة .

★ أزمته الداخلية مع العامية (العايشة) المتجددة المتباعدة التى
تسبب عذوبة من طول ما أترعها النيل ودللها أهلها . ومن التدليل الذكر
المتصل ، والتحدث الدائم ، والتنعيم والنعيم .

★ أزمته الخارجية مع اللغات الأخرى وأصحابها . .

أصحابها من أهلها وأهلنا .

أزمته الذاتية يكفى فيها على سبيل المثال (الفعل فى النحو العربى) .
الفعل فى اللغة العربية أفعال عادية وأفعال القلوب وهذه تنقسم
الى أفعال اليقين ، وأفعال الرجحان .

وهناك أفعال التصيير والتحويل .

وهناك أفعال مستنائة من كل هذا أى جادة لا نستصرف فإله ان تعلم
من أفعال اليقين (ملازم لصيغة الأمر) .

والفعل هب من أفعال الرجحان (ملازم لصيغة الأمر) أيضا .

والفعل وهب من أفعال التصيير (ملازم لصيغة الماضى) .

وفى اللغة العربية الأفعال النواسخ وهى ثلاثة عشر فعلا : كان
واخواتها مثل : أمسى - أصبح - صار . . الخ .

وفى (صار) هذا وردت أفعال أخرى بمعناه عددها عشرة أفعال :

(آمن ، رجس ، عاد ، استحال ، قعد ، حار ، ارتد ، تحول ، عاد ؛

راح . . .) .

هذه الأفعال تصبر ناسخة اذا ورد استعمالها بمعنى الفعل - (صار) وهناك حالة استثنائية لأخت من أخوات كان أو أخ وهو الفعل (عسى) فهذا الفعل لديه القدرة على الحركة أو تزييف نسبه بالدخول فى أسرة أخرى أى أنه يمكنه أن يكون من أخوات (ان) بدلا من أخوات كان !!

كيف كان ذلك ؟

بسيطة ٠٠ اذا اتصلت به ياء المتكلم أو كاف الخطاب ، أو هاء الغائب ، فى هذه الساعة ، ينصب الفعل (عسى) الاسم الأول ويرفع الثانى !!

أى نصب ؟!

وهناك أفعال ناسخة ناقصة تمانل كان وأخواتها ٠ وناقصة يقصدها بالتحويون انها لا تكفى بالاسم المرفوع بعدها ٠ ويخص خبرها بطريقة متفردة يأتى عليها وهى ان يكون جملة فعلية ، فعلها مضارع ، رافعا لضمير الاسم السابق ، مقترنا بأن أو مجردا منها ٠

وهناك طبعا أفعال المقاربة ، وأفعال الرجاء ، وأفعال الشروع وأسماء الأفعال والأفعال الماضيه التى نهجى على صورة الأمر فى أسماؤها (التعجب) ٠ والفعل فى النحو العربى له تقسيمات أو متاهات أخرى :

فهو أولا صحيح ومعتل ٠

والصحيح ينقسم بدوره الى ٠

سالم - مهموز - مضعف

والمعتل شرحة

منال - أجوف - ناقص

والفعل المنال حين يسند ، يعمل ، فالنحويون يسمون أن تحذف واوه من الأمر والمضارع المكسور العين وان تبقى واوه مع الأمر والمضارع المفتوح العين، والمضوم العين ٠

أما الأجوف منه فيحذف حرف العلة مع ضمائر الرفع المتحركة ويبقى حرف العلة مع ضمائر الرفع الساكنة !

ثانى للناقص : يحذف حرف العلة مع واو الجعاعة وياء المخاطبة ويبقى حرف العلة مع ألف الأثنين ونون النسوة ٠

وليسست الأفعال وحدها التي تتمتع في اللغة العربية بهذه المتاهات ،
ان الميم والألف أي (ما) لا يخطر في بال جن أن (ما) في اللغة العربية
لها هذه التخريجات والتفنيئات .

فهى : اسم موصول واسم استفهام واسم شرط ونكرة موصوفة
و (ما) للتعجب ، و (ما) للنعي .

و (ما) هذه تكون : كافة ، وتكون زائدة ، وتكون مصدرية ظرفية
وتكون مصدرية غير ظرفية ، وتكون مهيئة أى تدخل على كلمة غير شرطية
فتجعلها شرطية !!

و (ما) تكون مغيرة أى العكس فتدخل على أداة شرطية فتجعلها
غير شرطية !!

و (ما) تقع صفة للتحقير أو التفضيم أو النوعية !!

أما حين نسطحب الميم ، الكاف فتلك فزورة أخرى . ففي اللغة
العربية (كم) تكون مرة عديدة ومرة استفهامية ومرة خبرية ونعرب مرة
مبتدأ مبنية على السكون في محل رفع ؛ ومرة خبرا ان كانت استفهامية . .

وتميزها مرة ظرف زمان منصوب ومرة (في الخبرية) مفرد
أو جمع مجرور .

حتى الحرف المفرد لديه القدرة على اللعب بنا ا فالنون مرة تكون
نون النسوة ومرة تكون نون التوكيد . ونون التوكيد بدورها مرة تكون
نقبلة . . ومرة تكون خفيفة . . ربما بعد ان خفت عقول كثيرين بسببها
. . والله أعلم . .

وهذا جزء بسيط من مادة (الفعل) في النحو العربي . .

أما أزمة اللغة العربية الداخلية مع العامية التي استأثرت دونها
بالبيت والحديقة والمصنع والمنجر والسوق والمسرح والسينما فظلت
سرى بالمفردات الجديدة والعبارات الطبيعية والاصطلاحات الطريفية
والمصاحات الذكية والابنسامات والضحكات . . فهى سباب على طول .

حتى حين تنكلم العامية بالعربية فهى تفعل هذا باختيار حين
تختار من ألفاظها ما يعجبها فيكون الاعجاب علامة في الوقت نفسه على
الاعراض عن المتروك والمهمل . بل تفصح العامية عن الرأى حين تمسح
الفصيح ب (الحلمنتيشى) وتقحم القافات في خبث والظاءات في نهرها
الجارى في كاريكاتيرية ، مداعبة أو ملاعبة .

وكان مصر حين عرب الحليفة عبد الملك بن مروان الدواوين
سنة ٨٧ هـ تبسم وتفول بناقص الدواوين :

واصطنعت لنفسها لغة تمنحها مع القلب ، المنزل والمجلس ، والسوق
والنهار والليل ، ومضى الشعب يسجل عواطفه وتجاربه وأيامه بلغته
العامة ٠٠ بلغته الشعبيه تجمعت له في الأربعة عشر قرنا نروه تنضم
الى نرواته السابقة في فن القول ٠٠ والفصحى تنظر وتتململ في قيودها
التي أنقلوها بها وهم يحسبونها حلي لها يحسبونها عليها ميزة وامتيازا
فاذا بها أغلال تعوقها عن مسايرة الزمن فلا تروق ولا تشوق في العصر
التركي ، ولا نسعف ولا تطرف في عصر التكنولوجيا ٠ فلم يك بد من
نفض ما عليها وما علاها لتنتقل في التعبير وتستوعب الجديد وتجد في
الترجمة ، وتنقل بادىء الأمر ثم نبتكر وتسهم في حضارة العصر بالتعبير
والتسجيل والتحصيل أيضا فبعض الكليات العلمية تتخذها وسيلة
للتعليم الى جانب لغات العلم والحضارة ٠

وحين حصرت العامة ، الفصحى في الرسمية وحاصرته فلم
تتغلغل في حياة كل يوم ، حرمتها النماء والتفتح والازدهار والطواعية
والتفاعل والتجاوب ، حرمتها أن تكون سجلا ورباطا ومستودعا للحياة
المصرية خلال بضعة عشر قرنا ٠٠ وكأنها أيام ضائعة منها وضائعة عليها ٠

تعيش العامة على سجيتها في الأخذ والعطاء ٠ من اللغات الأخرى
وعزيز، الناس على الحياة بما تسعفهم به من مسمياتها وعلى وجه السرعة
(عايشة) ٠٠

ان اللغة كائن حي ، يموت اذا توقف عن النمو والحركة ونفوس
الهواء الخارجى وتمثل الغذاء الخارجى فان لم يفعل ، عاش سقيما وهزيبا
لا يقوى على منازلة الخصوم ، أو رد الهجوم أو تسيد موقف ٠

وسببه بهذه الحال ، العربية حين رهق بالقيود وتصاب بالجمود ،
وتوقف عن النماء بعزلتها عن لغات الحياة ناسين أن كنايتها الأكبر وذخريها
الأكبر استعمل كلمات مثل (استنبوي) وهي لفظة فارسية !!

وبعد فأين الحل :

نراجع العربية في عملية تنقية - وتحلية - في محاولة تجديد
شبابها باستبعاد البالي من صيغها وجمليده الصخر ايها ٠٠ ثم اصطفاها
الرائق الجميل من صورها وعباراتها وما أكثره ٠

ونحاول التقريب بينها وبين العامية فليست العامية لغة أخرى
أو أجنبية •• انها العربية المصرية •

فما خف وشف ، مع الصحة اللغوية ، في اللغتين نأخذ به ونشبعه
في الكتابة والحديث حتى تسهل مهمة المدرسة ومهمة الفصحى فلا ينظر
اليها النشء على انها علم مدرسى للامتحان ولكن على أنها لغة حياتهم في
البيت والمدرسة على السواء •

تسهيل اللغة بقصر النحو على ما يصحح به التعبير دون الدخول
بالطلاب في متاهات القواعد واستثناءاتها وتسهيل اللغة بقصر المتن على
السائغ الشائع •• وتخفيفها من المترادفات • وتعدد الأسماء للسيف
والأسد وغيرها • فهذا البحر من الكلام لا يخدم غير أصحاب البحور
• وحروف الروى •

عدم فصل النحو بل تعليده مع النص الجميل كجزء منه يضبط
إيقاعه في محاولة اساعة الاعراب • فاذا أخطأ الطالب بعد هذا فلا تكبر
من خطئه الاعرابي أو نعلن صعوبة النحو بل نحاول الاتيان بشييه من
اللغات الأخرى التي تدرس في محاولة اقتناع بأن اللغات كلها لها نحوها
الذي يضبط الكتابة والنطق •• نضيف الى هذا في عملية تحبيب ان
كل جهه مبذول طبيعة تعلم الجديد ونمن الوصول الى مرتبة الخاصة
الذين يعرفون الصواب اذا تكلموا أو كتبوا •

الترفق في تعليم الاعراب والافتتصار بادىء الأمر على الحركات
الأساسية والأصلية مع التبسيط وتنحية التفريعات والتخريجات
والاستثناءات حتى لا نشوش الطلاب ولا ننقلهم ونثقل عليهم •

تعميم الضبط حتى يتعود القارئ القراءة الصحيحة بطول المران
وطول المدة •

غرابة التراث مع احاطة مبسرة بالظروف الاجتماعية والسياسية
والعلمية التي أحاطت بأصحابه وأثرت فيهم وبالتالي شكلت من خلالهم
هذا التراث •

غرابة التراث مع تقدير واع لفروق الذوق النفسى والاجتماعى بين
الأمس واليوم •• فروق العادة والحلقيات والحلقيات المؤثرة • فليس بلازم
أو لازب ان نوهم على كل رأى • وليس بلازم أو لازب أيضا أن نعارض
لافعال المعاصرة أو ادعاء التجديد • فهناك أشياء كثيرة يلتقى عندها

الإنسان في كل زمان ومكان .. وأشباه كبيرة تتأثر باختلاف الأوضاع
والإبسات . لكي تنطلق الفصحى أو ينطلق محبوبها والصادقون في
إصلاحها . يجب أن نفرص بين أن القرآن الكريم نزل بها فهي في فدهسه
مبسطة لا نمس وبين أن الذين يكلمون بها بعد القرآن من بلاد مختلفة
ومشارب مختلفة ومستويات حضارية مختلفة واللغة على ألسنتهم نبع
هذا كله فهي هنا بعيدا عن القرآن وسيلة حياة كسائر الوسائل لا أكثر
نخضع للتطوير والتغير والتطوير ويخضع هذا بدوره للصواب والخطأ ..
وهذا طبيعي فلا داعي لأن يتصايح قوم وينور آخرون حفاظا على القرآن ..
ان الله نزل الذكر وانه له لحافظ . فليهدأ الأصدقاء والأعداء على السواء .

القرآن بعيد بعيد .. عال عال .. رفيع رفيع .. ولكن اللغة لغة
الناس ، يجب أن تطوع نفسها للناس أو يطوعها الناس لمقتضيات حياتهم
في غير حرج أو خوف .. اذا أريد لها الإصلاح والتطوير ثم التمسوا
والازدهار .

في كل عصر يحس القائلون على اللغة والقائلون بتعليمها ، حاجة
أبناء جيلهم الى بحث جديد في اللغة ، أحس هذه الحاجة المرصفي بل أحسها
الشيخ حمزة فتح الله وهو الذي يتحدث الفصحى مع رجل الشارع ..
أحس هذه الحاجة حفني ناصف وأحسها لطفى السيد كما أحسها في
الأربعينات الخولى ثم أحسها محمود تيمور ويحيى حقى .. كل من
زاوية وكل من منطلق خاص ولكنهم على اختلاف (وسائلهم) ومصادرهم
يلتقون في القلق واحساس الصعوبة المعوقة .

وقد أضاف الأستاذ أحمد حسن الزيات الى أسباب التنكر للبلاغة
العربية . السرعة ، الصحافة ، والتطفل ، وأنا أشير هنا الى كتابه القيم
(دفاع عن البلاغة) الذي عالج فن الكتابة من جميع وجوهه وزواياه
بالتفصيل والتحليل والتدليل من واقع التاريخ الأدبي والواقع القولي
والعلمي .

تحدث بعامية عن الامتاع والاقناع واللغة والطبيعة والنفس والذوق ،
وتحدث بخاصة عن الأسلوب من حيث هو فكرة وصورة أجل بكنبر من
الجمال البيانية أو المحسنات البديعية .

وهنا عرض لتاريخ الأسلوب العربي والصفات القومية أو العامة
التي تشكل أسلوب أدب بعينه في جملته وتميزه عن أدب آخر حتى لا يخفى
الفرق أو الفروق العامة بين اللغات الشرقية واللغات الغربية .

ومن رأى الأستاذ الزيات أن صفات الأمة كما تؤثر في طبيعة اللغة ، تؤثر طبيعة اللغة في أسلوب الكاتب (فاللغاب الذي اكتسبت من مدنية أهلها رفة اللفظ ، وأناقة العبارة ، ومن شاعرينهم جمال الصور وروعة الأخيصة تغنى الكاتب بموسيقاها وحلاها عن كد القريحة في ابتكار المعاني واستنباط الفكر) ص ٥٨ . وسلك في هذا النوع اللغة العربية . وهى في رأى ، كما قلت في مقدمتى لهذا الكتاب الجليل الذى أشرف بكتابتها له ، مميزة وآفة معا ، فالأدب العربى فى جزء كبير منه حافل بالأصوات والأجراس ولكن المحصل الذهنى منه قليل . لقد تنالت عصور وقرون لاهم لها الا تنضيد اللفظ ، ونرصيع العبارة ، بل اسخامها بضروب من المقابلات والتوريثات والبديعيات المختلفة حتى غدا الأدب صناعة ، ثم تردى أكثر فانقلب شعوذة حتى قر فى النفوس كما يعول الأستاذ الزيات أن الأسلوب انما يطلق على الجانب اللفظى من الكلام ، وما دروا أن الأسلوب جهد موصول لاشاعة الحياة فى اللفظ ببث المعنى وتجسيمة ، انه عبارة عن (النظام والحركة المودعين فى الأفكار) .

وفن الكتابة فى عصرنا أو فن البلاغة لا يتحقق فى رأيه الا من خلال صفات ثلاث جامعة هى :

• الأسالة والوجازة والتلاؤم .

. الأصالة سمة الشخصية

والايجاز طبع وطبيعة الشخصية العربية

والتلاؤم فن الصياغة

وصعوبة فن الصياغة تاتى من ضرورة مطابقة الأسلوب لحركات النفس وصور الذهن وسير العاطفة ودرجتها فيه من الإبطاء أو الاسراع وهذه الحالات التى تصاحب الخلق الفنى تحدد طريق الكاتب فيخبرج الأسلوب موجزا أو مرسلا أو مستديرا يمهده أوله لآخره ، وبين هذا وذاك يأخذ المعنى دورته .

هذه لمحة من دور فن الكتابة فى الأدب العربى من القديم الى الحديث هى على تشعب الآراء ، طواف وليست نهاية مطاف حتى يأتى اليوم الذى تصبح فيه العربية ، لجيلنا ، لغة كتابة أو للأجيال القادمة ، ألوانا من فنون العرض والأداء ، والتشويق والنفاد ، فتصبر كتابتها فنا ، ويغدو فنها علما له أصول جديدة وقواعد يثرى بها حديث الكتابين .

فى عيادة الطبيب

رأيت الله

رأيت فى عيادة الطبيب حيب يتحمل الناس الألم والقلق والانتظار
٠٠ ساعين فى لهفة وراء صحة الجسم أو النفس ٠٠ باذلين الوقت
وما ملكوا لعلاج جزء فحسب من كيان كامل خلقته فى أحسن تقويم
هنا رأيت الله ٠٠ رأيت أفضاله وآلاءه ٠٠ بلا مقابل ، تهب يا وهاب
البصر والسمع والشم ، والذوق ، واللمس ٠

بلا مقابل تهب يا وهاب : العقل والنفس والقلب والروح ومواهب
العقل والنفس والقلب والروح فبخترق ذكاء الانسان غوامض الأشياء ،
فتتكشف ، وتلمس نفسه المعانى والمشاعر فرق وتندق وتسمو ٠٠٠
وينبض قلبه فيشرى الحياة والأحياء ٠٠ وتتوهج روحه فتمضى دنياه
ودنيا الآخرين ٠

من نعمتك الضياء ٠٠ ضياء البصيرة والبصر

ومن نعمتك الخلود والصفاء ٠٠ صفاء النفس وبقاء الاثر

وهن نعمتك الحسب : فى الانسان ، ذكاء فى الشعور والعمل ٠٠
وفى الطبيعة ، ايناعا فى الزرع والنمو ٠٠ حتى حب الناس ، نعمة منك
يحظى بها السعيد الذى برأت نفسه من شرورها ، وقويها على ضعفها ،
وطهرتها من صغارها فغدت سوية نفية رضية يرضى عنها الناس لأنك
عنها راض ٠

كل ما يحسبه الساذج ، من الناس ، انما هو منك أنت ٠

كل علوم الانسان منك يا وهاب العقل المفكر والبصيرة النافذة ٠

كل فنون الانسان منك يا واهب الاحساس المرفه ، والذوق
 المتترف ، والخيال المجنح والقلب الشفاف ، والروح العاشق الرفاف .
 كل فنون الانسان منك يا بديع الحياة والحي . . فمن بدائعك
 في السماء والسحاب والنجوم يستوحى الشاعر الفصيد .
 ومن روائعك في الأرض والبحر والطبيعة يستلهم الفنان : رساما
 ومسالا ومصورا وموسيقيًا اللون والحركة والصورة والنشيد .
 كل فنون الانسان منك يا مانح الموهبة كلمة معبرة أو ريشة
 مصورة ، أو أزميلا مشكلا - فلسفات الانسان كلها منك يا داعيا الى تدبر
 خلقك في السموات والأرض .

ليس كفاء لفدركتك سوى رحمتك
 رحيم تسع رحمتك كل شيء . . كل شيء
 حلیم يسع عفوك المذنب والمسيء والعاصي
 . . حين تشاء
 كريم كرما لا يحد .

قد يعطى الانسان للزهو أو الفخر أو اصطناعا للغير ، أو اجتلابا
 أو اجتذابا للمدح والأضواء ولكنك تعطى للعباء لا تريد جزاء ولا
 شكورا . على أن الشكر لك ، انما هو استزادة لعطائك .
 قد يعطى الانسان ، فائقا ، حين يلمحك فيقلد الطيب صنعتك
 فيشكل ضرسا من الأضراس ولكن بلا عصب وقد يرتق فتقا أو يرأب
 صدعا في الجسم الضعيف ، ولو تشدق ، في الصحة ، الانسان . . .
 وقصارى الطبيب في احكام صنعته وأداء رسالته ، تحية لقدرك
 تنطق بها اجادته وعجزه على السواء .

ومن غرائب طبع الانسان أنه قد يفى للطبيب أو لصاحب معروف
 ثم يغفل عن ذكرك أنت الذي أعطيت بلا حدود . . بلا ثمن . . وأحيانا
 بلا مجهود منه بلا سعى .

أنا لا أريد أن أهون من عمل الطبيب ولكني أصلي للحكيم الأكبر
 فداء، وهبتنى الحياة بنفائسها كلها ثم عدت فضاعفت عطائك حين وهبتنى
 البنات والبنين فأنا أدرك بقوة لأنى أنظر اليك بعيون كتيرة . . وأحسك
 بعمق لأنك تحل منى فى نفوس عديدة . . وأحبك فى صدق أستمدته
 من سلاح الروح وطمأنينة النفس وإيمان القلب . . وأستمدته من نفا،
 الطفولة حولي . . أحبائى ، أحياء الله .

في المحراب

أنت أنت الله

كل يوم نتأكد نعمتك علي ولست بغافلة .. وأجل عطايك بعد
الدين والعقل ، نجابة الأبناء .

وقد وهبتني البنات ووهبتني البنين .

حبيبتان حياتهما نهر حنان وظل فينان . زهرتان شبا بهما ، بستان
- وشفيق .. شفيق وصديق لأختبه .. لأبيه .. لي .. واحد يفوق
العدد الكبير بمواهب العقل فيه ، ومواهب القلب معا .

جمع في فرد حبيبي الصغير الكبير .

فيوض منك يا ربي تفوق كنوز الأرض من المال .. وقد أغنيتني .

دافق من سخائك لا أستطيع شكره حتى صلاتي ونسكي لا يؤديان
بعض حقلك عندي .. فالصلاة أنت غني عنها ونوابها لي رضا وهدي
واعزازي بفضلك عن سواك ، واستشعاري قربك الدائم في علاك .

وتطلعت اليك أقول بغير حروف : هذا كله لي ؟ كيف السبيل
الي شكرك ؟ دليلي احترار . لعل حيرتي هذه ، اقرار .

صالحات الأيام وسامحت أولئك الذين نالتي جراحاتهم وعذاباتهم
وسهامهم وخرجت من هذه المحن كلها أعمق ايماناً ، وأقوى ثقة ، وأصلب
عوداً .

وهنا أقول : أعطيتني الايمان وهو أقوى سلاح ، وأنجع ضمانة
للجراح . وعيت الآن قول عالمنا الجليل ابن نمية : (ماذا يستطيع
أعدائي أن يفعلوا بي ؟ ان سجنوني فسجني خلوة . وان نفوني فنفسني ،
سياحة . وان قتلوني فقتلي شهادة . ماذا يستطيع أعدائي أن يفعلوا
بي (...) .

ماذا أخذ أعدائي مني الي جانب نعمك يا وهاب ؟

كل يوم لك عطاء جديد . أعطيتني الفلم قرأيت الحرف وهو ينبت
والمعنى يولد في أعطاف النفس ، فيحتلج الكيان .

واسعت أمومنى حين عرفت روعة الميلاد مرات : أبنائى من
دمى . . وأبنائى من عقلى . . كتبى والسطور .

حيوات كبيرة يحفل بها عالمى الخاص فأعشش عمري بالطول
والعرض . ويطرح الأبناء كما يزهر الروض . . وتضرب جذورى فى
أعماق الأرض التى أنتمى إليها فيغدو حبيبا ، وجدا وتصوفا من وثاقة
الرباط .

أعطيتنى العش آمينا وآمنا . . رضيا حفيا مؤمنا .

أعطيتنى الصر والبصيرة فملكك النظر والرؤية . . وليس بالقليل
هذا . . سئلت « هيلين كيلر » عن أفصى وأقسى شئ فى الوجود وتوقعوا
منها فى مثل ظروفها أن تقول : كف البصر أو البكم أو الصمم ولكنها
قالت : أن يكون الانسان له عينان ولا يرى .

بسلامة الفطرة وعمق التجربة نفذت الى الحقيسة . . والقرآن
الكريم يقول :

(لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها) (١٧١ ك
الأعراف) .

(وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) (١٩٨ ك الأعراف ٧) .

اذن الابصار غير البصر . والمظر غير البصيرة . . انها مرتبة
عليا وعطاء . . انها فقه المشاهدة ونفاذها .

كيف السبيل الى شكرك يا وهاب .

أعطيتنى ما هو أعلى من البصر والبصيرة معا . . أعطيتنى مصر
والنيل . لبس «مرنتاج» الملك وحده ، الذى يزدهيه وجودهما . . كلنا .
جيلا بعد . . ل نقول معا . (أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من
تحتى أفلا تبصرون) .

وبعد هذا يسلكنا المحدثون فى عنجهية لا نخجل ، من ترقيم
الشعوب حتى العريقة منها . يسلكنا رومان العصر الحديث فى (العالم
الثالث) !! ولو بادلوى كل ما عندهم ، بلمحة من وجه مصر ، لأبيت .

انها بمعاناتها . . بظروفها . . بآلامها . . بأوصابها . . حتى
بسلبياتها التى هى ذنبنا وحدنا ، فمصر فى ذاتها كالجبات بلا عيوب .

انها بهذا كله الذى أكابده ، الأروع والأجل والأكرم .
فما بال المقارنه اذا أخذت فى ميراتها أمجاد التاريخ ومراقى
الخلود ؟

أدعوها الجنة وما أسديت .. وأعطيتها العمر وما أضفبت ، فهو
منها ميلادا وانتسابا واكتسابا . لقد وصفها الله بالجنات لا واحدة :
(كم تركوا من جناب وهيان * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها
فأكهين) .

والنيل فى القرآن الكريم « أنهار » لا نهر واحد .

ولم يذكر فى القرآن الكريم من أنهار الدنيا ، غيره .. ولم يذكر
بلد هذا العدد من الذكر الجميل النبيل كما ذكرت مصر والنييل .

ماذا أقول ؟ بأى لسان أسبح لك .. وبأى وجدان أصلى لك ..
بأية دموع أبتهل لك .. يا واهب البلد والمولد والسند يا الهى .

من احساسى بك لا يبهرنى غيرك وأنت فوق الروى والنهى ولكنى
أراك فى كونك الرحيب الذى أبدعت .. أراك فى فنون الخفى الذى
أترعت .. أراك فى كل ورقة شجر .. أراك فى دقة النملة الموضعة
وعظمة البحر الجبار .. أراك فى سمم الجبال ورحابة السهول ..
أراك فى رقرقة النبع وفيضان النهر .. أراك فى الشمس وضحاها
والقمر اذا تلاها ، والنهار اذا جلاها ، والليل اذا يغشاها .

أراك فى متوع الضحى .. وأراك فى ربوع القارات التى تنقلت
بينها فى السماء وعلى الأرض .

أراك فى سطوع الموهبة وأراك فى خضوع الانسان حين برده
الغرور اليك تاجرا يتوسل . أراك فى « الخلية » التى عجز الانسان
حتى اليوم ، على زهوه بصعود القمر وارتياح الكواكب أن يخلقها . جسمى
كفى به ملائكة الخلايا لم يستطع غيرك الى يومنا هذا أن يخلق خلية
واحدة .. ما أفدرك .. وما أروعك .

يفتر الانسان بعرض زائل من منصب أو مال .. ويدرك المؤمن
بك . أن الكل ، ضعيف والقوة لك - عاجز والقدرة لك - فقير والملك لك
.. ملك الدارين فأنب رب العالمين وأنت مالك يوم الدين وهو حلال
تنفرد به وحدك يا واحد باذا الجلال والاكرام تقديست أسماؤك
وتنزهت صفاتك . لبس كمتلك شئ وليس لك كفوا أحد .

مسجلة أقول هذا اليوم .

ومصرية قلت هذا بالأمس من خلال رجلين من رجال العمارة في
عهد المنحطب الثالث مما هو مسجل مشهود في متحف لندن ورأيت
رأى العين في زيارتي للمدينة الكبيرة • يقولان :

انك موجود دون أن توجد

مصور دون أن تصور

هادى الملايين الى السبيل

سبحانك رب البشرية

سبحانك •• سبحانك

ومتى كان هذا ؟

قبل ميلاد المسيح بأربعة عشر قرنا

هكذا آمننا بك قدامى ومحدثين •

صلوات في رأس الحكمة

أنت أنت الله

أنت أنت الله .. يحسها الانسان المغرور اذا عاد الى صدر الطبيعة الأم فرآك في بحرك وأرضك وسمائك وصحراوانك ومخلوقاتك حينئذ تملؤه الرهبة ، وينملكه الجلال فيبتسم من اخضاعاته التي غرته بوجهك الكريم .

كم هي صغيرة مخترعانه على ضسختامتها .. انها في صميمها وجوهرها تقليد لك .

الطائرة مقتبسة من طيورك

الباخرة مثلها على هيئة ذات القوادم والجناحين .

اذا أحسنا فصنيعنا لمحة منك ، وصوابنا نفحة من هداك .. وجودنا نفسه من وجودك ، وخيرنا من جودك .. فاذا وقعنا في الشر فقد ظلمنا أنفسنا لا محالة لأنك هديتنا النجدين .. ولأنك ربنا أردت بنا رشدا .

تخلق الملايين في كل جيل لا يعجزك التعدد والاختلاف وفي كل منهم ملايين الخلايا نم يجوب الانسان الفضاء ويصعد الى القمر ولكنه يعجز عن خلق خلية واحدة ويدارى عجره أو يعلنه بحكاية طفل الأنابيب .. حكاية لم يأت فيها بشيء من عنده .. النطفة من صنعتك ، ومحيطها الحيوى عطبتك ليس له فى الموضوع الا الأنبوبة ...

أنا لا أنكر محاولته وتفكيره فأنت دعوته الى التفكير والاجتهاد وأنبته عليه . وقد حنا رسولك الكريم على الخطأ الذى هو محاولة التجريب حين قال : من عمل فأخطأ فله أجر ، ومن أصاب فله أجران .

أنا لا أنكر علم العالم فالعلماء أحب عبادك اليك بل ان العالم أفضل عندك من المجاهد .. وكم بين من يحبى الميت ومن يميم الحى .

أنا لا أنكر علمه ولكنى أنكر غروره وصلفه .

• أنكر طمعه وجشعه .

يستكر من المال والأعوان •• وينمر باليمين وبالشمال ويبنى
القصور أبراجا مشيدة ناسيا قولك الكريم : « أينما تكونوا يدرككم
الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » •• ومناسبا حكمك يا عدل الحاكمين
على النرف والتلف والسرف : « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان
الشیطان لربه كفورا » ••

• أنت وحدك الحق

• اس كمثلك شيء •• سبحانك سبحانك

• وهذا الانسان المتجبر يصح في المجهيل أو السجاء ،

• قطرة من بحرك

• ذرة من رملك

• بسبط والعظمة لك

• ضعيف والقدرة لك

• عاجز والحول والطول لك

• تخلق العين باعجازها ويقدم المنظار •••

• ترسم ريشتك الفريدة ، الصورة الباذخة الغني ، الغنية التفاصيل ،
ويصنع هو ، الاطار •• شعرا وموسيقى •• أنه اطار مرصع ولكنه
اطار فحسب ••

• والكون كله منك ولك

• تبدع اللون ويأخذ الانسان الصبغة من ألوانك

• تنسب الورق والزهر والتبر •• العطر والنكهة والطعم فبوضا من

• احسانك

• ونهر الانسان روعتك •••

• وبشتد به البهر فبحاكي صنعتك

• دادته الشسع واللدائن والقماش

• فلا يضارعك لأنك أعظم •

• ويتضاءل ما صنع وقلد ، الى جانب روائعك •

• لأنك وحدك المتفرد على غير مثال •

• لأنك وحدك الأجل المتعال •

• انت انت الله •••

اهتدينا اليك قبل التاريخ وقبل الأديان لأننا رأينا آيتك في جنتك

• قبل أن يلحقها جور أو شرور •

•• كانت بحق جنتك وليس هذا الوصف لأنها وطني ••

أنت قلت فيها أكثر

• شرفتها بالذكر •• ذكر ما فيها من « جنات وعيون * وزروع

• ومقام كريم » •

• ووصفتها بأنها « ربوة ذات قرار ومعين » آويت اليها ، وأعليت

• فيها وبها الدعوات والرسالات •

• فحين أتغنى بها فباسمك ناديت

• ولك وحدك سبحت وصليت •

• بما دلت هي عليك •

• ووجهت اليك •

• أنا في كل حين أقول لها بعدك •

يا كثيرة الأسماء •• يا كثيرة الآلاء

• حين أبتعد عن دنيا الناس باهتماماتها الصغيرة حجما ونوعا وغاية ،

• لأحج إليك وأطوف •• بقلب مشوف •• بشوق ملهوف •• أحس نفسي

• أنقى لأن نقاءك يمتد منك الى يا ذات المحاريب •• وكل محراب به يطاف ••

• بخطو ، الحب فيه ينداف ••

• حين أبتعد عن دنيا الناس لألقاك وحدك •• لأرى وجهك في السهل

• والجبل •• في النهر والبحر •• في الصحراء والوادي •• وفي كل منها

• لك جبال خاص •• لك عطر خاص •• لك مذاق خاص •

جميلة أنت
وعظيمة كنت
وكريمة مازلت

البوم أطلع وجهك من على رهبة تطل على البحر والأزرق فيه ألوان
تشغل العين والهوى والفؤاد .. على القرب حيث يصير اللون والرمال
البيضاء حوله في صفاء الزمرد .

وعلى البعد حيث تلتقى السماء بالبحر في غلالة فضية .. ويعمق
الأزرق ويصير مكثفا يسمونه الغريق وأسميه العميق الزاخر بالأسرار .
محبط لا نهاية له

السماء فوقى
البحر أمامى
الرمال حولى

محيط لا نهاية له

طبيعتك كطبعك
صبرك كصبرك
خيرك كفيضك

ياهب الوصف وراك وتظلين أكبر من الكلمات .

ولكنى . أهديها

كما يهدى السحاب ، العباب

قطرات لا فضل له فيها

لأنها من مائه .

أمى يا خالدة

من شاطئ رأس الحكمة أرفع اليك هذه السبجات فاليك وحدك ،
يرقرق قلدى ذوب القلب فى كلمات لتظلى أنت فوق الكلمات .. كل
الكلمات يا أم النيل والهرم . يا أمى . يا مصر ..

١ - رسائل مصرية

١ - عزيزتى مصر

- أكثر من عزيزة أنت
- أنت حبيبة وقدس .. أنت الروح والنفس
- أنت العرض والأرض ...
- أنت السماء والانتماء
- أنت البيت والأهل والنعمة والرزق
- أنت العمر كله ... أنت الماضى والحاضر والمستقبل
- أنت أبى وولدى
- أنت السلف والخلف
- أنت المجد والشرف
- أنت أغلى القيم وأعلى القمم
- ياكل الأحباب

قالوا : اكتبى اليها رسائل تحت عنوان (عزيزتى مصر) • والرسائل بينى وبينك متصله قبل هذا العنوان وبعده •

رسائل بالكلمات ، ورسائل بالخطقات ، ورسائل سكبت فيها روحى عليك سكباً •

كم من رسائل بينى وبينك بدون حروف لأنك أكبر كثيراً من الكلمات • كل الكلمات • ان القلب الانسانى أكبر من اللغة وأنت القلب والعقل والنفس جميعاً •

أرأيت أنك عندى بلا حدود ، لأنك فوق النهى ، لأنك أغلى ما فى الوجود •

حين تخرجت من الجامعة وتطلعت الى الدراسات العليا وجهت الرسائل حولى تدور على الجاهليين والأمويين والعباسيين • الخ ، ولا عجب

في هذا .. ولكنى اخترتك أنت ، وكتبت رسائلي عنك لأن حبك في
ددي ، واليك وحدك أننمي .. وما عندك لقناه تلقينا بغير مفهومه على
الضحج والتمحيص .

وعد الناس بحنى الطوبل عن (السيل في الأدب المصري) رسالتي
في الدكتوراه ، عمرا مبدولا ، ولكنها عندي ، رسالتي اليك يا أم النيل
يا مساحبة الجميل يا أمي يا مصر .

حين تحفيفك المظالم ، يزلزل الطلم الواقع عليك ، كياني فأرفضه
ونكون كامة (لا) ، رساله اليك .

وحين يبيع تجار الولاء ، السنب الرخيص ، اصون حبي لك وحدك .
لك وحدك الولاء .. ولك وحدك الوفاء .. ولك وحدك القداء ، ولك
وحدهك الحب العالي المنزه على الغرض والمرض والهوى .

انها رساله .. ألبس كذلك يا حبيبة ؟

وحين يزورك الغرباء ، أشعر بالمسئولية وأخذ سمت المضيف ..
وأرحب بزوارك ، ونصبح داري ، دارك ، ويهتليء كياني بوجودك ..
واقدم ما عندي من جودك .. لأن ضميمك ضميوفى يا حبيبة .

هذا لون من رسائلي اليك .

وحين تمس آثارك بالاستباحة أو الهدر أو الإهداء وهو اعتداء ،
فالذين يهدون لا يماكون كنوزك . الآثار ملكك وحدك بكل أجيالك .

حين تهدي منك قطعة فكانما اقتطع من جسمي بضعة . ويشتعل
تلمي غيرة عليك ، وذيادة عنك .. وأخوض من أجلك المعارك ، وأحتل
من أحلك المكاره ، لأنك نفسى وعرضى .. لأنك تراب أبي .. وميراث
ولدى .. لأنك أعز الدنيا عندي .

ومن أجل هذا أحس الله الى جانبي حين أقف الى جانبك .. وهو مع
الصادقين المخلصين . واذا ينصرني الله ، أشرب دموعي وأسعد بك ولك .
انها رساله مبللة بالدموع ولكنها كعطرك تضوع .

انها باسمك كتبت ، ومنك نبتت ، واليك تداف مع الشغاف
يا رساله الخير .. ياملاذ الرسالات .. يا حمى الأديان ، يا حضارة
الانسان .. يا أمي يا مصر .

أعلى الأسماء

٢ - عزيزتى يا مصر

كانت رسالتى الأولى قبلة على جبينك الذى لا يروى حبى له غمر
من القبل .

وبعد السلام أخلو اليك . . أتحدث معك وأتحدث عنك ويدور حوار
ويطول السرار . . ويسعد القلب وهو يشرب النغم .

أنحدث اليوم عن اسمك يا أحلى الأسماء يا أعلى الأسماء لا يستثنى
آباء . . . أو أبناء .

حين فتن أوائلنا بك سموك (كيمه) أى السمراء و (تاكيما)
أى الخمرية و (ناوى) أى الأرضين و (ايدبوى) أى الضفتين . ولم
يكفوا بهذا كله بل أضفوا عليك . من ولعهم بك ، صفات شاعرية كما يدلل
المرموق المعشوق فقالوا (ايره رع) أى عين الشمس أو عين رب الشمس .
وقالوا (وجاه نرو) أى عين رب الأرباب . و (انرنى) أى ذات المحرابين
و (بافة) أى الزينونة فأنت خضراء دائما .

أما جيرانك من كنعانيين وأشسوريين وفينيقين وبابليين فكانوا
يسمونك مصرى ومسرى ومصرم ومصريين وأنت فى التوراة مصرايم .
وختم القرآن الكريم هذا بلفظة مصر التى تردت فى القرآن كما لم يتردد
اسم بلد آخر .

يا كثيرة الأسماء . . يا صاحبة الآلاء . . يا كيمه يا سمراء . .
يا مصر يا ذات المحرابين يا ذات الضفتين . وأكسر من هذا اسمك
ووعناك يا مصر .

ورأى يقول ان اسمك مركب من كلمات ثلاث بمعنى (بلد أبناء
الشمس) . والكلمات الثلاث هى (ما) بمعنى موضع ، و (سى) بمعنى
ابن ، و (رى) أو (را) بمعنى الشمس . ومنها « راع » الذى ينسب
اليه بعض الفراعنة . ويسند الى هذا محققون يطلقون اسم (مسرى)
على شهر الفيضان أو شهر النيل . ويربطون كما فعل العلامة « ماسبرو »
بين اسم النهر واسم البلاد .

شغل الناس الشاغل أنت فى القديم والحديث

لقد ازدهى ملكك النخر بك كما جاء فى القرآن الكريم (اليس لى منك
مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون) ؟

وفى قوله « يا قوم » دهشة لاتخفى •

أنت فى القرآن الكريم أمنية المتمنى وجواب السائلين

• اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم)

أنت الوادى المقدس طوى

وأنت فى القرآن الكريم الجسات والعيون والزروع والمقام الكريم
والنعمة حتى ليقول الكندى عنك (ووصفها بما لم يصف به مشرقا ولا مغربا
ولا سهلا ولا جبلا ولا برا ولا بحرا) •

يا قبلة الأنبياء

يا منار العلماء

يا حلم المتصوفة يا ملاذ الحيارى والمجهودين ومن أدمى أقدامهم
وعناء الطريق •

حتى آدم (ص) الذى فتح عينه على الجنة بهر بك والعهد على
السيوطى • فقد عقد فصلا فى كتابه الكبير (حسن المحاضرة) يروى فيه
أن آدم عليه السلام عندما رأى مصر وقع من سحرها فى بحران من
الدهشة السكرى يتمتم :

(لا خلتنك يا مصر بركة • وما زال بك حفظ • • وما زال منك ملك
وعز • • يا أرض فيك الخباء والكنوز • • ولك البر والثروة • • سأل
نهرك عسلا • • كثر الله زرعك ، ودرضرعك ، وزكى نباتك وعظمت بركتك) •

وكان كعب الأخبار يقول ان الرسول عليه السلام كان يدعو لك
بشوق عنك (مصر كنانة الله فى أرضه من أرادها بسوء أكبه الله على
وجهه) • • باركبها يا سما ، وتقبل الدعاء • فانها وطن الخير ووطنى • •

من الأدب المصرى :

غالية الكلمات حين ترتفع الكلمات

كان المصريون أول من كتب الأدب لذاته . أقدم رفعا « امحتب » الى مصاف الآلهة لا بوصفه مهندسا طبيبا ولكن بوصفه أدبيا . وكان على الكاتب المصرى القديم . كل كاتب عندما يشرع فى الكتابة أن ينزل من واهمه نغمتين من المدد قربانا لأمنحوتب .

ومن الطريف أننا الى اليوم ، نفعل هذا لاشعوريا . انها حية القلب المصرى ووفائه الذى لا يغبض لسدنة الحكمة وفرسان البيان . تخية للخلق والابداع . . . للفنون . . . لامحبت .

كان المصريون يعبرون « الكتاب » أخلد للذكرى من البنين ، ومن المعابد والاهرامات والممال . تقول احدى برديات الأسرة التاسعة عشرة عن أصحاب القلم (انهم خلقوا لأنفسهم القبور والاهرامات فى قلوب من يذكر أسماءهم . وان اسما تتداوله أفواه الناس لتافع فى الآخرة . ان الانسان فان وجاهه هباء ، وجمع معاصريه يتدون ترابا ، ولكن الكتاب هو ذكراه الذى يبقى من فم الى فم . انه لأنفع من بيت مشيد ، ومن قبر فى الغرب ، ومن قصر مدمم ، ومن نصب فى معبد) .

لقد كان لعرب الكاتبة أعظم الألقاب بلا استثناء عند المصريين من عاق اجلالهم للكتابة . لقد كان الواحد منهم يحرص على تلقيب نفسه به ، ويسجل هذا لنفسه فى مقبرته . قد يكون أميرا أو شريفا أو وزيرا أو نائدا للجيش . . . ولكنه يحرص الحرس كله على أن باقم نفسه بالكاتب . . . وكان ألقاب التشريف الأخرى لا تغنى عنه شيئا .

لقد كان حور محب قائدا لجيش مصر وملكها لمصر ولكنه فى تسناله اتخذ هيئة الكاتب المصرى وجلسته .

هذا هو الشرف الحقيقى والباقى فى عين مصر المتحضرة .

- ان اللقب عندهم (الكاتب) •• ثم يأتي بعد هذا سائر الألقاب •
- ولو كانت الامارة والوزارة • والملك نفسه •
- انه وعى مصر بالجواهر •
- انه نفاذ مصر الى النفيس والكريم من القيم والمعاني •
- وسبق مصر فى الكتاب يؤيد اقتباس أمثال سليمان من حكمتها ،
- كما يؤيد نهل بتراميز داود من مسيحات اجتنان وتراثيمه •
- وتأثر الزبور بقصة الحكيم والشاعر المصرى أبوور وموقفه من
- مليكه الشيخ •• ذلك الموقف الذى ترسمته قصة ناتان مع داود •
- وقد قام بالمقارنة والمقابلة علماء الآثار الغربيون ممن لا يحمل قولهم
- على عاطفة وطنية أو زهو قومى •
- وقصة (الأخوين) تقف وراء قصة يوسف •
- كما تأثرت بقصة (الأخوين) آداب الهند والحبشة وآسنى الصغرى ،
- وروسيا والمجر وإيطاليا وألمانيا وفرنسا وغيرها •
- ومن الأدب المصرى استمد الأدب الاغريقى والرومانى بل استمد
- أدب العالم كله من حكمة بتاح حطب •
- يقول ألن جاردنر :
- (ان الأدب اليونانى لم يقفز الى الوجود مكتملا كما خرجت فينوس
- من الأمواج ولا كذلك الفن اليونانى •• اننا لن نعرفهما الا اذا عرفنا
- الطريق الذى سلكه النفوذ المصرى على التوراة وعلى الأدب اليونانى
- فمما لا شك فيه أن هذا أو ذاك لم يكن ليوجد بالصورة التى كان عليها
- لولا أثر مصر فيه) •
- و الى مصر يعزو أساتذة المصريات ما جاء فى أدب « شارلس مورجان »
- و « فرجيل » و « سبنسر » من أعلام الغرب •
- لقد بلغت مصر أعلى مراحل التعبير حين عرفت التجريد فى اللغة
- وأطلقت الاسم (معات) على معانى الحق والعدل والخير •
- و (معات) أقدم اسم معنى ذو معان متعددة فى تاريخ بنى
- الانسان •
- ووضعت مصر أسلوب الحوار ومساره قبل محاورات أفلاطون ••

من الادب المصرى :

حين يصدق الأدب

- ويمتاز أدب مصر بالدقة والوضوح والصدق والبساطة والعدوية ،
وحبه للتوقيع والترجييع فى تماثل يحكى الطبيعة المصرية •
 - النيل له ضفتان
 - ومن يمين وشمال ، سهلان
 - يكتنفهما من شرق وغرب ، صحراوان
 - والنيل نفسه فى تصور المصرى ، نيلان :
- نيل فى السماء (المطر) للأجانب والصحراء ، والنيل الحقيقى
لمصر •
 - والوادى وجهان الوجه القبلى والوجه البحرى •
 - وتاج مصر يجمع الرمزىن معا
 - طبيعة مقطرة معطرة
 - طبيعة منظومة من بحر النيل
 - قصيدة كلماتها خضراء
 - وحروفها مذهبة
- وأمرى هذا التلاقى على مصر ، أسلوب التماثل فى البناء والفن ،
والتناغم والترجييع والتوقيع فى الأدب •
 - المعبد المصرى فيه المقاصير صعيان مفاصير الشمال ومقاصير الجنوب •
 - والآلهة نوعان أرباب وربات •• أزواج وزوجات

- حتى الروح لها قرينة
- وعند المصري ، العالم عالمان : مصر : عالمه ودينه ، والعالم الآخر
- أى السداوى
- والمصريون فى التسمية عندهم :
- الاسم اسمان فلكل شخص اسم حقيقى والاسم الجميل أى اسم
- التليل
- ولكل شخص حياتان : حياة فى الدنيا والحياة الأخرى فى إيمان
- البعب والنشور
- والكتابة الهيروغليفية صفوف صفوف • وأنهر متوازية •
- فلا غرو أن يجيء الأدب المصرى بعد هذا عبارات متشابهات فى تقسيم
- يبلغ بالجمال حد « التقاسيم »
- ان الطباق فى الأدب العربى ، لفظ وضده •• ولكن المقابلة فى
- لأدب المصرى نظير ونظير يتناغيان •
- وهناك رأى يقول (ان الانسجام فى الطبيعة المترية قد طبع الفنان
- المصرى على التقسيم والتوزيع المنسجم) •
- ولعل هذا هو السر فى أن المصريين عندما تشرّبوا حب اللغة
- العربية ، طربوا للقرآن الكريم •
- وأخذت مصر دورا كبيرا فى علم القراءات ونعمت مصر الأذان
- كما رأينا •
- بل انى لاحظت ان اللغة ترق وتترقرق كلما قربت من النيل ،
- وتجف ألقاها وينضب ماؤها كلما بعدت عن النيل ، والدليل لهجة القاهرة
- الجميلة ، ولهجة الصحراء • عند أطراف البحيرة •
- وبدخول اليونان ثم الرومان كانت الديموطيقية وهى اللغة الشعبية
- من الهيروغليفية هى السائدة •
- وبظهور المسيحية ومحاربة الرومان لها ، دافعت مصر عنها ، لونا ، من
- المغايرة واتبات الوحود حتى غدت المسيحية فيها دون سائر البلاد
- « قبطية » •
- لهذه الاعترافات ، وبها ، صارت الديموطيقية بدورها ، قبطية ،
- بعد أن خلصت الحياة المصرية من اللغة اليونانية التى كانت لغة الحكام

بل ان المصريين ألفوا بها . ولهم كتب كثيرة فى العلم والأدب يحسبها بعض الناس يونانية بل يحسب مؤلفها يونانيين لا مصريين بما فى أسمائهم من معاطع يونانية أسهرها الواو والسين فى نهايات الأسماء .

· على أن العالم فى ذلك الوقت كان موجات وموجات ، تبعاً للمد السياسى والحربى .

فعندما غاب اليونان عسكرياً ، سادت معهم اللغة اليونانية وأصبحت لغة عالمية فى ذلك العصر .

وكذلك الرومان

وكذلك العرب . اذ انتشرت اللغة العربية فى العراق والشام ومصر والمغرب بل عبرت البحر الى الأندلس مع طارق بن زياد .

ولم يكن الانتشار بالطبع دفعة واحدة أو طفرة بل كان يتفاوت سرعة وبطؤاً حسب شخصية كل بلد وظروفه .

ولم يكن عند مصر المسيحية فى غمرة موقعة الشهداء وقت للأدب أو الفن كما كان أدب مصر وفنها فى عصور الفراعين بشموخها ، فاقترصر الأدب القبطى على أقوال الآباء وسير القديسين والاصلاح الاجتماعى والآداب الكنسية وشيء من قصص .

وأوضح عمل أدبى لمصر فى ذلك العهد ترجمة الكتاب المقدس .

بل تجاوز دور مصر ، الترجمة ، الى الكتابة نفسها فقد جاء المسيح مصر ومن مصر دعى (من مصر قد ناديت ابنى) هوشع ١١ : ١ متى ٣ : ١٥ .

وجاء مصر الحواري مرقس وكتب فيها انجيله . وهو أصح الأناجيل وأوفرها حكمة .

وأشهر كاتب وفيلسوف فى ذلك الوقت كان أوريجانوس الذى لم تعرف المسيحية فى مصر وفى العالم المسيحى كله فيلسوفاً مثله . وكم تخرج على يده من أساقفة وبطاركة . ويقال أن كتبه بلغ عددها ستة آلاف وأقل تقدير وقف بها عند الألف .

وحتى هذا لا يجوز فى منطق العقل وان كان يدخل فى باب الأساطير التى تستعذبها الشعوب فى عملية تأكيد الذات وخاصة حين تنوش هذه الذات . الآلام والأحداث والمحن .

انها مصر

انها بلد التاريخ قبل التاريخ . قد يكون المصرى فقيرا معذرا في رأى العين الظاهرة لكنه يملك سفارة وهضبة الأهرام ومساجد القاهرة ومتاحفها و (الباقى) من نفائسها . . يملك اسمها . . يملك الانتماء الى مصر .

وقد لعبت الهضبة دورا كبيرا فى الفن المصرى الذى يبدو للعين الظاهرة ، فنا بسيطا وهو أبعد ما يكون عن البساطة المتعارف عليها . بساطته « تماسك » و « وحدة الكتلة » و « قرار النغم » .

وأحب المصرى الطبيعة المصرية حوله فتعلم من الحجر الصلابة والصدود ، ومن النور البهجة ، ومن السماء الرحمة والسعة ، ومن النبات العطاء والدعة ، ونعلم من النيل الوفاء والعذوبة .

ان الشمس المصرية لها فضل فى حسم الأسطح فى الفن . ان الفنان المصرى الذى سلك تمثال (أبو الهول) كان يدرك جيدا أن تمثاله سيرتفع فى نور جهير فعمل على أن يكون كل شىء قويا حاسما ينبت أمام المواجهة فى طلعة شامخة وصحوة فائقة . ثبات يعرفه المصرى فى الشدائد فتزول ويظل هو الباقى .

ويمتد عطاء مصر لا يختلف ولكن يتجدد ، لا يتناقض ولكن يتعدد فتبنى مصر المساجد على طريقتها فى بناء المعابد فالصحن فى المسجد يقابل بهو الأعمدة فى المعبد ، والميضة فى المسجد تقابل البحيرة فى المعبد .

• اغتسال وتطهر

• وضوء ووضوءة

• ان جامع السلطان حسن هرم اسلامى

ومسجده الصالح طلائع ، فيه من مسجد ابن طولون الصحن والأعمدة المحيطة +

• ومسجد قايتباى فيه من السلطان حسن الصحن والايوانات

• انه قلب مصر بأسراره وعطاياه وهداياه

- شخصية مصر فيها من خصب أرضها ، ولوع بالولادة والتوليد
- ونزوع الى الرائع والجميل

قصة :

دار حوار بين فيلسوفى أمريكا «ماكدونالد» صاحب نظرية الفلسفة الاستبطانية ، و « واطسون » صاحب الفلسفة السلوكية الذى كان يقول
أعطني طفلا ، أعطه لك كما تشاء : نابليون أو ٠٠ أو ٠٠ حسب السلوك .

قال واطسون لزميله :

- — ان فلسفتك فلسفة ال Easychair الكرسى المريح
- فرد عليه على الفور :

• — ان فلسفتك ينقصها « الكرسى المريح »

- وأراه على حق • فان الاسترخاء وقتنا ، رخاء للأعصاب •• رحمة •
- يقول سنيكا (sinika) عندما نسنلقي على ظهرك فى غابة ، وترى السماء والأشجار ، يتسلل الى كيانك ، الاحساس بوجود الله •

الحال نفسها لو تأملت كهفا وسط جبل مملوء بالتجاعيد مجوف
بفعل عوامل الطبيعة ، سرى الى عقلك الاحساس بالدين •

لو أصغيت الى حديث عذب من منابع النيل أزهر فى نفسك ايمان
عميق بالخالق •

- كم يوحى التأمل •• ان التأمل هنا عمل لا كرسى مريح •
- ودعنا من الكراسى وأصحابها •• وقل لى أليس غريبا أن سنيكا كان معلم نيرون ؟

هل فشل نيرون فى التلقى :

أم فشل الأستاذ فى التوصيل ؟

العبقرية والزعامة السياسية :

هذا الكتاب يهز قارئه هزا عنيفا لأنه يفيق من صفحاته على حقائق بعيدة الأعماق عن الشعوب والحكومات والثورات والاستعمار وبواطن التاريخ •

فمن طبيعة الشعوب أنها سريعة التأثر من ناحية ، ومن ناحية أخرى دقيقة الحساب .

وانها اذا صدمت استشعرت الخيبة واليأس

وانها حريصة على نقى سلوك حكامها . وهنا يقول المؤلف المذكور محمد على الغتيت : ان الشعب المصرى أشد حرصا بصفة خاصة على ذلك لما أصابه فى تاريخه من عسف الحاكمين واهدارهم للقيم الكريمة .

ومن طبيعة الثورات القضاء على فساد الآخرين للافساد من جديد بطريقتها الخاصة : لقد حرصت الثورة الفرنسية على معالجة الفساد بالتشريعات المتتالية فظهر التشريع الخاص بالاعلان عن الثروات (من أين لك هذا ؟) لأول مرة فى التاريخ . وفى هذا قال المائر *couthon* (نعم فلنعلن للشعب ماذا كنا قبل الثورة وحالنا الآن ، وبأى الوسائل زادت هذه الثروة ، ليعرف الشعب من الذى زادت أمواله ، ومن الذى زادت فضائله) .

ولكن تلك التشريعات مع كثرتها لم يكن لها كما يقول المؤلف ، أى أثر ولم توضع موضع التنفيذ . وأصبح الشعب الفرنسى أمام صورة من الاستهتار والفضوى والفساد لم تخطر ببال أولئك الذين مهدوا للثورة ووضعوا لها المبادئ والمنل ، ويعجب المرء اذا عرف أن تلك الأسماء التى تذكرها الدعاية الفرنسية كأعلام من أعلام الثورة الفرنسية ، أمثال : دانتون - مرابو - Barres - باريس - وغيرهم ، لم يكونوا سوى أقبح الأمثلة للرشوة واستغلال النفوذ .

وشاهد الشعب الفرنسى التجمعات (الشلل) التى تحولت الى عصابات تتنازع النفوذ والسلطان ، ولم تجرؤ واحدة منها على مساءلة الأخرى .

ويرى الرأى العام ويعرف فينفر ثم يسنسلم ولكنه يعوض استسلامه بالشهيدى بم بعدم الاكراب وهى سلبية لا تدوم طويلا مبتقض الشعب من الداخل أو ينتقض عدوه عليه من الخارج . ويعزو المؤلف هزيمة ألمانيا الى تفهيد هاتلر شخصية الشعب الألمانى وتجاهله أن الأمة هى دائما مصدر السلطات وأنها صاحبة الكلمة العليا فى كل قرار حاسم فى تاريخها . تجاهل هاتلر هذه الحقوق فتحول من رمز للأمة ، وتعبير حى لأمانبها الى طاغية مستبد .

يقول المؤلف (لقد نجح هتلر بلا شك في صنع شعبية له بين طبقات الشعب الألماني . وفي أول أيامه في « فيينا » كان يندهد قائلا « آه » لو استطعت أن أرتدى القمصان الحريرية والأحذية ذات الشهرة) .

ولكنه كان يحرص على اصطناع البساطة والتشدد بالماضي المناوئ . والحقيقة ان الشعب الألماني صدم صدمة كبيرة عندما عرف أن هتلر (لم يكن زاهدا أو متفشفا بل عاش في أعلى مستوى من البذخ والفخامة وكانت السيارات والطائرات تحت تصرفه في كل وقت) .

يقول الكتاب ص ٣٨٤ (لقد توفرت له الجراءة على أن يعارض للجماهير بأنه فقير ليس له حسابات في البنوك ، ولكنه كان كاذبا لأن « مؤسسة ايهر » للنشر وحدها دفعت له عشرات من الملايين ثمنا لحقوف نشر مؤلفه) .

لقد بلغ « هتلر » كما يقول الدكتور على الغتيت القمة في اجادة فن التمثيل . كانت سيطرته التامة على أعصابه واتقانه الكامل لتمثيل دوره مدعاة لفسسل أكبر علماء النفس خبرة في التعرف على حقيقة شخصيته ونفسيته .

في هذا الكتاب الصورة الحقيقية لأوروبا وللسياسة الأوروبية بعامة والاستعمارية بخاصة . صورة فيها المحركات والدوافع سافرة . وفيه أيضا أمراض السياسة الشرقية ذات الطابع الفردي .

ان علاقة الغرب بالشرق تجرى وفق مخططات مدروسة منذ لويس التاسع سجين المنصورة . فقد وضع لويس في بيت ابن لقمان الخطوط الرئيسية لسياسة أوروبا ازاء الشرق ومنها استبدال الحملات العسكرية بحملات أخرى تستعمل سلاح الدس والخديعة وبث الخلافات واستغلال هذه الخلافات والعمل على بقاء نارها متأججة حتى يتم تفتيت الكتلة العربية وكذلك العمل على الوقيعة بين الاقليات والأغلبية في الشرق العربي واستغلال هذه الخلافات لخدمة أغراض الاستعمار . وأخيرا أوصى لويس التاسع بالعمل على انشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق العربي يتخذها الغرب نقطة ارتكاز ومركزا لقواته الحربية ولدعوته العنصرية والسياسية ومنها يمكن حصار العرب والوثوب على بلادهم كلما اتبعت الفرصة لمهاجمتها . وقد حدد لويس التاسع لانشاء هذه القاعدة الأراضي الممتدة على ساحل البحر الأبيض من غزه جنوبا حتى الاسكندرونة شمالا وتشمل فلسطين والاردن ولبنان وقبرص .

الكتاب دراسة يجب أن نتدبر ولا أقول نقراً لأن القراءة سهلة ولكن تدبر المضمون وتعمفه هو الصعب والنادر .

حتى تأميم البترول الايراني على يد « مصدق » ليس موضوعاً اقتصادياً سياسياً بل مادة للاتهام بالتعصب الاسلامي في نظر الاستعمار !

وعندما احتلت انجلترا مصر عام ١٨٨٢ عمدت كما يقول المؤلف في كتابه (الشرق والغرب من الحروب الصليبية الى حرب السويس) الى تعبئة صحافتها في حملة تلويح بخطر التعصب الاسلامي وبعث القومية العربية وما يترتب عليها من يقظة تهدد مصالح الغرب في محاولة تبرير لاعتدائها . وان كان هذا لم يمنع الشرفاء بين الانجليز أنفسهم من الاحتجاج على حكومتهم بسبب هذا العدوان .

ولكنها مصر .

لقد امتصت المحنة ومضت الى غايتها . . . وكأنها تصغي الى صوت قادم من بعيد يقول لها هبي انك مصر . . . لقد كتب نابليون في مذكراته بمنفاه يقول :

استيقظي يا مصر من سباتك . قاومي زحف الرمال عليك . فالبجر الابيض في حاجة اليك . والعالم في حاجة الى الاسلام ورسائله لرفع شأن الشعوب وتحقيق الألفة بينها .

ما أجمل مصر . لو أتيح لها حكم صالح يحقق لها الاستقرار والرخاء ، فان الخيال ليسبح معي في مشهد ساحر اذ أرى أمة عظيمة كأمة سيزوستريس والبطالسة فتنشر على هذه الأرض وبكفها الأيمن تستند الى أوروبا . ولو كان مصر الشعوب يتحدد بالوضع الجغرافي فالقاهرة والاسكندرية أفضل من روما وباريس ولندن وامستردام والقسطنطينة وتصبح على رأس العالم بأسره .

انها مصر . . .

تفالييد جامعية

(ليس بهرا بأمریکا فلم أنس لحظة واحدة
أنى أنتهى الى أغنى بلاد الدنيا حضاريا وأزها
على الانسان والأديان)

الجمعة ١٣ يونيه ١٩٨٦ :

حصاد العمر ..

يوم واحد أنظره العمر كله .. لملنه نمها ساهرة ، وفجره كان
فجر الفجر ، كل شئ فيه كان جديدا حتى صلاى كانت أعمق تبتلا وأشد
خسوعا .

طفلى بالأمس صار رجلا اليوم .. صار مهندسا صنعنه مصر على
عينها فى هندسة القاهرة تم أوفدته الى الغرب ليحصل علوم الآخرين .
وهذا اليوم موعد حصوله على الماجستير فى ادارة الأعمال .

منذ الصباح الباكر ، كنت مع والده على الطريق الى الجامعة ، جامعة
ولاية أوهايو .. عن يمينى ويسارى رءوس جملها المشيب من أجناس
شتى ... انهم الآباء والأمهات جاءوا مثلنا يشهدون حفل التخرج .

الجميع الى ساحة الاحتفال يوفدون .. سرنا نحمل السنين والصبر
والخوف والأمل والعرق وكل ما حفلت به الأيام فى مسيرة السنين ..
لم نعد نذكر الا اليوم بنوره وشبابه .

اساد الجامعة حيث أقيم الحفل .. فيه جنود وبنود وحشود ووزع
علينا كتاب الحفل مطبوعا أيضا مصورا .. فيه أسماء الخريجين وفه
خريطة الحفل .. كل شئ مرسوم بحساب دقيق .. مكان مخصص
للصحافة لا تتجاوزه .. مكان للمصورين .. مكان للتليفزيون .. مكان
لكل كلية .. وبدأ الحفل ..

وقف عميد الطلبة Dean of Student Like على المنصة يفتتح
الاحتفال . وعزفت الموسيقى وهل موكب الخريجين من بابين متقابلين :
الدكتوراه أقصى اليسار ... الماجستير فى الوسط ... البكالوريوس
فى اليمين .

غدت جوارحي احداقا ٠٠ وتجمع كيانى كله فى عينى ٠٠٠ صارت
عينى مشوقة مشوفة ملهوفة ٠٠٠ وصرت أحدق فى الصفوف حتى مر
أحمد فى روبه الجامعى وغطاء الرأس التقليدى وانهلث دموعى .

الساعة فى الاستاد تطابق المواعيد المكتوبة فى كتاب التخرج .
قرأنا فى الكتاب أن موكب الطلبة يبلغ نهايته فى العاشرة ، لبدأ الأسانذة .
ونظرت الى الساعة تشير : ٩ر٥٩ دقيقة ثم تشير الى العاشرة . وعندما
يلتقى عقربا الساعة ببدأ موكب الأسانذة . وردد الخريجون : « أوهايو »
اسم جامعتهم فى هتاف يهز القلوب .

كانوا يرددون فى مجموعتين .

دخل موكب الأسانذة من الباب الآخر فى صفوف أيضا ٠٠ يتقدم
كف صف ، ضابط برتبة كبيرة . ويبدأ الموكب يتقدمه رئيس الجامعة .
ومن تقاليد رئيس الجامعة أنه كل أسبوع يتناول غداءه مع واحد
من قسم من الأقسام يتعرف منه الى مشاكل القسم بحيث لا ينقضى العام
حتى يكون قد تقابل مع سائر الأقسام .

هذا الواحد قد يكون « مدرسا » وقد يكون « أستاذا » وقد يكون
موظفا اداريا .

وتقدم رئيس الجامعة الى المنصة فحياء طلابه . ثم قدم رئيس
الجامعة ، رجل الدين ليقرأ صلاة يبارك ، الخريجين .

ثم عزف السلام الجمهورى الأمريكى بعد نياية الصلاة .

ومن جديد تقدم رئيس الجامعة الى المنصة يقول كلمته متحدثا عن
ممثلى الأقسام ثم الأسانذة فيقفون فى أماكنهم لحظة التحدث عنهم .

أثناء حديث رئيس الجامعة ، لفت نظرى ، سيدة قترجم حديثه
بالإشارة لمن هموا نعمة السمع .

وانقطع التيار أثناء القاء رئيس الجامعة كلمته فلم يحدث هرج
ومرج ٠٠٠ فى هدوء شديد استندار الى فرقة الموسيقى . وأعطاهما إشارة
خفيفة فأخذت تعزف حتى عاد النور فتقدم الى المنصة واستأنف حديثه .

وقدم رئيس الجامعة فى كلمته ، ضيف الشرف الذى قررت الجامعة
أن تمنحه الدكتوراه الفخرية . وهو خريج الجامعة سنة ١٩٥٩ وأصبح
الآن صاحب ورئيس مجلس إدارة أكبر شركة أمريكية لبيع ملابس السيدات

لها ما يربو على ٢٤٠٠ فرع ومبيعاتها بلغت ٢٤٢ مليوناً (بالباء) سنة ١٩٨٥ .

وقص الرجل قصة حياته كيف التحق بكلية الحقوق بعد أن تخرج في كلية التجارة وكيف فشل في كلية الحقوق وتركها رغماً عنه ، بعد عامين ٠٠٠ وزج في كلمته بالطبع اشادة بالموسوية واليهودية ثم انتقل الى رحلته في الحياة بعد التخرج .

وقد تبرع لجامعته في الخريف الماضي بعشرة ملايين وهو أكبر عرض أهدى الى الجامعة لاقامة مركز للفنون يحمل اسم والده الراحل تخليداً له ٠٠٠ فاستحق عن جدارة ، من الجامعة ، الدكتوراه الفخرية في العلوم الانسانية .

ونذكرت أصحاب الملايين عندنا الذين لم ييذلوا يوماً لجامعة او مستشفى سنكرا على النزوة الواسعة بعد البداية المتواضعة ٠٠ ان مصر التي اعنصروها عصرا ، وكلفوها من أمرها عسرا ، بعيدة عن وجدانهم بقدر بعدهم عن وجدانها ٠٠٠ وعندما يمضون ويمضى المال ، سوف لا يذكرونهم تاريخ أو يحفل بهم ذكر .

وزعت الدكتوراه الفخرية على مستحقيها ممن تشرف بهم لأعمال جليلة أدوها ثم ميداليات لمن تفاعلوا في خدمة الجامعة . ووقف أربعة من الأساتذة لتقليد وشاح الدكتوراه للحاصلين عليها الذين يتقدمون الى رئيس الجامعة ليقدّم اليهم شهادة حقيقية مع تهنئة بالاسم .

وأول اسم نودى عليه ، كان صاحبه معوقاً ٠٠

رؤيتي ، للظاهرة ، أنه خليق أن يتصدر التكريم لدلالة الاصرار والاستعلاء على المحنة ٠٠٠ ولكن الرؤية الأمريكية ، وقد عرفت هذا فيما بعد : ألا يخل بايقاع الحركة المنتظمة لأصحاب الشهادات !! هذا هو الغرض المقصود لا أكثر !

وبعد نودى على الجميع بالترتيب الأبجدي .

ومن النماذج الكبيرة التي رأيتها ، صيني يكاد لا يرى فبركب عمدة كبيرة على نظارته ، حصل على الدكتوراه الى جانب تمثيله لولاية صينية . ولشركة صينية في أمريكا .

كان الذي يقرأ الأسماء ، عميد الدراسات العليا ، أما الذين يابسون الطلاب أو شحتهم فكانوا رؤساء الأقسام .

ونودى على الكليات فاذا بكل كلية تطلق البالونات الى عنان السماء .

رئيس الجامعة يقول فى كلمته ان المتفوقين فى البكالوريوس أخذوها مع مرتبة الشرف ولكن الحاصلين على الماجستير ، لا تقرر شهاداتهم برتبة لأنها وحدها ، شرف .

أن تواصل الدراسة بعد البكالوريوس ، شرف وحده . .

طلب رئيس الجامعة أن يقف الآباء والأمهات ليصفق لهم الطلاب ، الأبناء .

وفسر هذا مرة أخرى بأنه امتنان . . غرس للجميل . . للوفاء . . اكبار للعطاء . . تقليد جميل . . وربسة . . ثم عرفت فيما بعد أن المقصود الأمريكى أن التحية باعتبار أنهم دفعوا المصاريف للجامعة أى عنصر دخل !! وحمدت الله أنى مصرية ورائى ألوف السنين الحضارية بتقاليدها وقيمهها وشمالها تعاني مصر من المحن ، ما تعاني ونعنصر اقتصاديا ولكنى مع المحنة والعذاب أشرف بها وأشمخ بالانتماء اليها .
وكم بين الانتماء اليها ، والانتماء الآخر الى الدولار محور التفكير والتصرف فى أمريكا .

ومن البارقات فى هذا اليوم ، لفتة الخريجين . فقد جمع خريجوا سنة ١٩٨٦ نقودا وقدموها الى رئيس الجامعة ليترجمها منحا لمن يأتى بعدهم من الطلاب عام ١٩٨٧ .

أتراه نأير الشرفيين من الطلاب وهم (كسر) كما تقول صاحبة شاعرنا العربى « أبى فراس الحمدانى » ؟

طلب رئيس الجامعة أن يقف الجميع ليغنوا نشيد الولاية . ان الأناشيد لا ترتفع الا لمعنى كبير ترتفع به .

بعد تقديم شهادات الدكتوراه ، أخذ كل عميد ووكيل كليته يذهب الى الصندوق الخاص بشهادات كليته فى الماجستير ليستقبل طلابه مهنتا مسلما الشهادات العالية لأصحابها .

أحد المعداء سلم ابنه ، شهادتها ، فى دورها ، فما أن استلمتها حتى احتضنها وبكى . . ان الأب فيه ، أكبر من المنصب الجليل .
انه الانسان فى كل مكان .

جراج الجامعة رسمه دولاران ونصف ولكنه في يوم التخرج ، ألقى
الرسم تحية للخريجين .. لفتة .. أخشى أن يزيد رسمه بعدها على سبيل
التعويض التجاري ، بالمقاييس الأمريكية .

ليس سوء ظن ولكنه الانطباع الذي خرجت به .
أعود الى أحمد ..

حين كنت في عمر ولدى أخذت الماجستير وفرحت يومها فرحا عظيما
ثم نلت شهادة الدكتوراه وفرحت فرحا عظيما ولكنى اليوم ، وجاءته
تحتفل به معنا وتسلمه M.B.A. كان فرحى مضاعفا . كان أروع وأعنى
تجربة وأحلى مذاقا .. كان أهنا وأعلى ... أنه هديتى الى مصر .

وما أعلى الهدية والمهدى إليها .
حدقتان فى وجهى .
نوران على طريقى .

ويصلى قلبى فى استغراق مبهتلا أن يبارك لأحمد فى دهر وأن يبارك
لمصر فى أحمد وفى جبله كله .. فالشباب أمل واعد .. وامتلئ مأمول .
لقد ردد شباب أربعين دولة فى احتفال جامعة ولاية أوهايو ، نشيد
الولاية الذى يقول :

بينما قلوبنا نحيط بك
بهجة لا يحوها الموت
حر الصيف وبرد الشتاء
الفصول تمر والأعوام نكر
الزمن والتغير يكشفان بلا سنك
مضى تعلقنا بك ، يا أوهايو .

فلنردد نحن نشيد الجامعة .. جامعتنا :

يا شباب النيل يا عماد النيل
هذه مصر تنادىكم فلبسوا دعوة الداعى الى القصد النيل
شبهوا المجده على العلم وهبوا ثم سيروا كل جمع فى سبيل
سيروا يبارككم الله ويحدوكم النيل ..

حديث في الثقافة :

حين تكون القراءة واحة •• وراحة

قد يستقى المرء الثقافة من قراءة الكتب أو من قراءة الأحداث أو من أسلوب التفكير على مستوى الأمم والأفراد • في دوامة الأحداث •• ما يجري حولنا •• ما نقرؤه •• ما نسمعه •• ما نشاهده •• هذا اللامعقول الذي نعيشه ابتلاء •• ونشكوه داء ، وننجرعه غصة •• ومع هذا نسمع أصواتنا لها فحيح تكذب على نفسها وعلينا •• نسمى الأشياء بغير أسمائها ، وتنتظم في حلقات ذكر غير أنه لا يذكر فيها اسم الله •• وتطلع الأعمدة الكاذبة والمجسلات الببغاوية تتكثر ولا تقول ، فترخص الكلمات ويسقط مدلولها •

في مثل هذه الزيوف التي تنقل على نفس الحر ، يلوذ بالقراءة لعله يجد فيها روحا واسترواحا • وغالبا ما يبحث عن المناليات من شدة افتقاده لها في واقع زمانه •• وهكذا وجدتني أقرأ عن عمر بن الخطاب •• قرأت بالطبع عبقرية عمر للأستاذ العقاد وقرأت « الشيخان » للدكتور طه حسين • ووقفت عند حديث الدكتور طه حسين عن لقب « أمير المؤمنين » • يقول الدكتور طه :

(كان عمر أول من دعى أمير المؤمنين وما أكثر الذين دعوا بهذا الاسم ، فاستحقه أقلهم ، وحمله سائرهم غصبا له ، واستبدادا به ، دون أن يكون له أهلا ، فأمرة المسلمين ليست شيئا هيئا يستطيع كل من قام بأمر المسلمين أن يتلقب بها ، وإنما هي تصور الأعباء الثقال ، والعناء المتصل ، والجهد الذي لبس فوقه جهد في إقرار العدل ، ورفع الظلم ، وانصاف الضعفاء من الأقوياء ، وتحقيق المساواة بين الناس ، والعناية بأمر القريب والبعيد ، والرفق بالمسلمين ، وأهل الذمة في أوقات اليسر والعسر ، والقيام فيهم بالحزم كل الحزم ، حتى لا يطمع منهم طامع فيما ليس له حق ، ولا يطمح منهم طامع إلى ما لا ينبغي له أن يبلغه ، وانصاف

الناس بعد هذا كله ، وقبل هذا كله ، وفوق هذا كله من نفسه كإنصافه بعضهم على بعض .

وقد كان عمر ، رحمه الله ، جديرا بأمره المؤمنين ، حق جدير ، وما أقل الذين شاركوه في الجدارة بأمره المؤمنين من الخلفاء وأشسباه الخلفاء) ص ١٥٦ .

كان عمر نخيرا ويمنا على الإسلام . أسلم ففرق الله به بين الحق والباطل . وأعلن إسلامه فجاءه المسلمون بدينهم وكانوا يكتمونهم ، وولى أمر المسلمين ففتح الله عليهم البلاد وأفاض عليهم الرزق والغنى . ولكن أنهار المال المتدفقة من البلاد المفتوحة ، لم تغير عمر العظيم نفسه ، ولم تمتد يده الى مال بل زادت به مسئوليته حتى كان في عام الرمادة يحمل الطعام على ظهره ويسعى به الى الأعراب المخيمين حول المدينة .

ورآه الناس يكف فكفوا . . . وسنظل كلمة جوده له يوم فتح فارس كبيرة الدلالة والجلالة . . . وأنا هنا أشير الى ما حدث غداة الفتح العظيم الشامل ، وقد جاءه المسلمون الفاتحون ببساط كسرى المرصع بالجواهر فنظر اليه ثم قال : (والله ان قوما يؤدون مثل هذا لذو أمانة) . . . وهنا ردوا عليه صادقين :

— عفت يا أمير المؤمنين فعفت الرعية ولو رتعت رتعا .

أخلاق وآفاق :

ومن الثقافة السياسية أن تعرف البلاد المتحضرة قدوة العلماء وتستهدى بهم .

في الحرب العالمية الثانية واجهت إنجلترا صعابا في كل ناحية من نواحي الحياة . وضرب عليها حصار مطبق ، وانقطع عنها ما كان يتدفق عليها من المستعمرات وخاصة في مجال الغذاء . فالتمست إنجلترا الحل في انشاء وزارة الطعام ، أسندتها الى وزير من ألمع وزرائها .

وكان أول تصرف للوزير أن سأل :

أين مستشاري العلمى ؟

كان هذا السؤال مؤشرا الى معان كثيرة .

فالتعام وهو مسئولية من مسئوليات الحكومة ، يعتمد في البلاد المتحضرة على العلم وعلى خبراء الزراعة والتغذية . . . حتى الطعام . . .

المعنى الناننى ان الحكم فى البلاد المتحضرة يرجع الى العلماء وأهل الاحصاص . . لابد من استشارة أهل الرأى .

ولو كان فى بلاط حكام الشرق هيئة علمية وأخرى قانونية ، كوزير الطعام فى انجلترا ، يرجعون اليهما ، ويصدرون عمهما ، لتجنب شعوبنا كثيرا من الكوارث التى تحيق بالأمم التى يسود فيها الجهل ، ويتسلط البغى ، وتنوارى القيم الحقيقية ، ياسا أو تقيه .

ومن الثقافة العلمية أن يعرف العلماء قدر الريادات الأولى فى ميادين أبحاثهم .

فالعالم اسحق نيوتن الذى يقترن اسمه بالفانون العام للجاذبية وصاحب كتاب (المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية) الذى يعتبرونه كشفا فى تاريخ العلم .

اسحق نيوتن العالم العظيم ، صاحب الفنوحات الباقية ، كان أعظم فى قوله : (لو انى استطعت أن أمضى قدما ، فذلك بفضل اعتمادى على أعمال العمالقة) .

يستطيع المرء أن يكون عالما عظيما أو فنانا عظيما ولكن أكبر من هذا أن يكون انسانا عظيما .

ونيوتن الذى يعرف فضل العمالقة ، عملاق وانسان عظيم .

ومن الثقافة الانسانية ، الدين والفن .

لقد كان أفلاطون يقول ان الموسيقى منطق الخلق حين يتسقى مع الخالق . وهذا هو معنى الفن .

ويقول « يونج » (ان النفس كل متكامل . وان من الواجب العناية بنواحيها كلها والاقتل الجزء الحشن ، الأجزاء المصقولة) . ومن هنا نفهم أزمة الانسان المعاصر ، فهذا الانسان عنبت التربة بذهنه دون وحدانه فعجز عن ايجاد المعادل المعنوى للتقدم العلمى . . وعصرنا امتساز فى (الوسائل) ومنها الأسلحة ولكنه يفتقد « القيمة » التى تتركز فى الدين والفن والفضيلة . ومن هنا اشتعلت الحروب واندلعت الفتن .

جاء فى كتاب (مع الانسان فى الحرب والسلام) للأستاذ فتحى رضوان . . يقول المفكر « برتراند رسل » فى كتابه (هل يستطيع الانسان أن يحيا) :

(ان العالم الذى نعيش فيه قد انتهى الى ما انتهى اليه الآن ،
بسبب ستة آلاف من الحروب النظامية) •

وفى موضع آخر ، فى معرض الحديث عن تطور أسلحة الدمار :
(ان العالم ينفق على خلق هذه الحالة من الخطر المصحوبة بالتوجس
والترقب والخوف ٦٦٦ ألف جنيه كل دقيقة لو أنفقت على انتاج الغذاء
منلا لسدت حاجة الملايين الذين يعيشون دون الحد الأدنى للتغذية
الصحية) !!

(كل هذا لأن أصحاب الحكم فى العالم ليسوا هم أصحاب القيم
•• ليسوا أهل العلم أو الفن أو الدين • ان قنبلنى هروشيما ونجازاكي
فجرهما رغبة محمومة فى الانتقام ، لأن ترومان وأمثاله ، كانوا أصغر من
أن يقاوموا هذه الرغبة البدائية الجافية) •

ولكن يظل الانسان بعد هذا هو الأقوى والأبقى • فكل ما يفرض
عليه بالقوة دون أن يكون نابعا من نفسه هو مآله الزوال والعدم •

لا يبقى الا ما ينبع من الايمان •• الايمان بعقيدة أو فكرة أو مبدأ
•• أما شطحات القوة ونزوات التحكم فهى تصرفات عارضة كالمرض
أو الوباء فى حياة الانسانية •

وتبقى القيم الحقيقية ومنها الثقافة مختلفة ألوانها : ثقافة العقل
وثقافة القلب وثقافة الروح لترهف المشاعر ويشف الاحساس • لقد
بكت نابولى حزنا على موت شجرة صنوبر عجوز •

والشجرة التى تبكيها ايطاليا ميتة ، كانت ترمز بها حية الى مدينة
نابولى فكانت تصدر على جمبع الصور الزيتية والفوتوغرافية لمدينة نابولى •

وهذا البكاء مظهر من مظاهر الثقافة •

بكاء فى نابولى على شجرة واحدة •

وصمت مطبق فى القاهرة أمام (٨٠٠) ثمانمائة شجرة نادرة كانت
تضمها حديقة الأزبكية التى خربت ليقام عليها بناء من الطوب لبوليس
النجدة ومنشآت أخرى •

وصمت مطبق فى القاهرة أمام قصور تاريخية لن يجود بمثلها
الزمان سويت بالأرض بما فيها من إنجازات الفن وروائعه حتى تلك التى
وقفها أصحابها على الشعب ، امتدت اليها يد الاثم والجهل والهمجية •

- صمت مطبق فى القاهرة أمام الجواهر النادرة ، والتحف التمينه
التي نهيت •
- صمت مطبق فى القاهرة أمام آثار لا تقدر بثمن ، وهبت •
- هل هو الصمت ؟ لعله الدهول ••
- لقد طحن الانسان المصرى فهل يبكى على طحن الأشجار ؟
- تعودنا أن نلومه وننسى أن المحن المنوالية التي يعيشها أكبر من
طاقته لأنها أكبر من طاقة البشر •
- ولو يكينا على ما يستحق البكاء مما ضاع ، لأغرق الأرض سيل من
الدموع •• طوفان ••
- ولكن غدا تشرق الشمس •
- وفى مثل نصوعها وسطوعها سيشرق وجه مصر التي تشقى ولكن
تشقى •
- تمرض ولكن لا تموت •

حين تتوارى الفروق ويتوهج الشوق

خرجنا صبيحة الجمعة الماضية الى الصحراء •• في زيارة جماعية
لوادى النطرون • وعند الظهيرة دخلنا مسجده لنؤدى صلاة الجمعة •
ولشد ما راعنى ان أرى الفتيان والفتيات يؤمون المسجد الصبية مع الرجال
والفتيات الصغيرات فى القاعة الخاصة بالسيدات • وهلل قلبى من
الغبطة ، ان الدين فى مصر نيل آخر يروى وجدانها والروح ••

•• انها وادى النيل وادى الدين ••

وأحسست بالمسجد يترفق بكيان المصلى ويللم شتاته ويشعره
السلام النفسى •• وتوارت الفروق حين انتظمت الصفوف حسب الوصول
فجلس فى الصفوف الأولى البسطاء الطيبون من أهل الصحراء وجلس
خلفهم كبراء وعلماء من القادمين لزيارتهم •• وتدبرت الآيات كما لم
أتدبرها من قبل فى المدينة ••

• (والضحى والليل اذا سجدى) الكون فى القرآن الكريم صور رائعة •
الضحى صورة والليل صورة حتى الكلمة الطيبة صورة فهى كشجرة
طيبة •

• صور أقسم بها القرآن الكريم اشارة اليها واشادة بها واعلاء لها ،
ودعوة الى اجتلائها فى سجدة قلبية هى هدف الاسلام من السجود •

السجود الحقيقى فى الاسلام ايمان القلب بالقدرة وشهادة للخالق
بالتفرد حين ينهز الانسان المحدود بالكون الشامل فيقول بالحركة
(ربنا ما خلقت هذا باطلا نسبحانك) •

• (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) •

• والاحساس فى الاسلام هو التجويد لا الشحاذة •

النجويد فى القرآن •

والتجويد فى الكتابة الذى ولد فن الخط العربى •

والتجويد فى العمل (ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يعنه) ••

والتفتت الى بعد الصلاة طملة لا تعرفنى تقول : حرما •• وكدت أقول لها : أنت بالفعل فى الحرم يا صغيرتى ان وطنك حرم آخر للدين وحرم لكل معنى جليل • فلم يعط بلد الأديان جمعا ما أعطاه وطنك الذى ولد المعانى والبطولات حتى صحراء وطنك التى تعيشين فيها ، لم تكن عبنا فما أكثر ما علمت الصحراء المصرية روح الانسان المصرى من معانى التجرد والتأمل والصمت •• هذه الصحراء يا صغيرتى ابتدعت الرهبانية فى المسيحية ، ووضعت أسس التصوف فى الاسلام •• ففي الصحراء تعبد ذو النون فى برابا اخميم •• أما صحراء سيناء فقد أمر الأنبياء بأن يخلعوا نعالهم قبل ان تسير عليها خطاهم وتسرى فيها دعواهم •• انه الوادى المقدس طوى •

فى صحراء أخرى انبثق الاسلام كالنبع يحيى الموات ويجمع الشتات ويصنع من القبائل أمة ودونة وحضارة •• و •

فى صحراء أخرى أعاد الاسلام بناء الانسان يتمثل فى النفاة التى حدثت لأبى ذر الغفارى الذى تحول من الجور والعدوان الى العدل والاحسان •

ومن الطريف ان الذى قال خطبة الجمعة شيخ صغير •• وأشهد أنه طوف بمعان جميلة فى أسلوب جميل ولكنى كنت أتمنى أن يكون خفيض الصوت هادىء النبرات ليكون تأثيره كاملا وعميقا •

ان الكلمة الطيبة الخضراء نسمة تنعش الروح أو حمام بيض تشيع معانى السلام • فلماذا يصر بعض الخطباء ولعل الشيخ الصغير فى وادى النظرون يترسم بحسن نية ، خطاهم ، لماذا يصر بعض الخطباء على أن يؤدوا الخطبة بصوت عاصف • لماذا يصر بعض الخطباء على تهديد تارك الصلاة والذين يسمعونهم انما جاءوا ليصلوا ؟

وكان فى برنامج الرحلة زيارة أحد الأديرة وان لم نتمكن من زيارته • و الى مصر ينسب نظام الحياة الديرية فى الرهبنة المسيحية كما ينسب اليها نظام التوحيد فيها وهما من عمل باخهبوس وانطونيوس مما أعانت عليه صحراء مصر من تهيئة الخلوة للتأمل والخلود الى القوة التى أبدعت السماء والضياء والصفاء •

ويقول (هرناك) المؤرخ الألماني فيما رواه عنه الدكتور مراد كامل :
 (ان النساك المصريين كانوا يعتبرون في جميع العصور - حتى في نظر
 الغرب - آباء ونماذج الحياة المسيحية الحقيقية) .

وعن الآباء المصريين صنفت البحوث والمؤلفات التي ترجمت الى
 اللغات الأوروبية الحديثة مع تراجم حياتهم وتسجيل أقوالهم ومن كتاب
 هذا الميدان : بلاديوس وكاسيان وجيروم وغيرهم .

وان كتاب (حياة انطونيوس) وحده الذي وضعه الانبا انناسيوس
 استجاب له لطلب روما المتوالى فد شعل روح الرهبنة والسك في
 بلاد الغرب .

واننا لنعجب لمصر كيف كانت في القرون الأولى للمسيحية تابعة
 للرومان ثم تستطيع أن تتبع الآخرين لها ومن بينهم روما . فمصر لا روما
 ولا انينا هي التي كانت مصدر التشريع الكنسي للعالم المسيحي .

وفي طريق العودة رأيت معزة في الصحراء تلتهم صحيفة بفمها
 لا يعنىها بالطبع . . . وسرحت : هل هذا حظ الذئب وسابابهم ؟ ارافوا
 أيامهم على الورق وسكبوا أعمارهم مع المعاني ليصلوا الى الانسان ولكن
 الذي حدث في الصحراء امامي هو بعينه ما حدث في درب المهابيل
 مما رواه أدينا نجيب محفوظ فالتاس في الدرب تشابكوا طويلا واحتدمت
 بينهم المعركة حول النهود في الوقت الذي كانت معزة أخرى تلتهم أوراق
 البنكنوت لما نلتهم هذه المعزة تروة الفكر . . . ما أشقى الانسان .

لامر ما لان يتمل ادينا المازني بحكمة التوراة « باطل الأباطيل
 الكل باطل » ويقول (استنفذ العناء مجهودي كما ننفذ السحابة أراقت
 ماءها على الأرض . وكل بما عنده وجود . . . زرعت حصى في أرض صفوان
 وهذا حصادي ، وبسبب الريح من دل عبي نحت الشمس وهاندا
 أؤديها الى القارىء وأطلقها عليه كما تلقيتها لو كان يقنع الطالب المدل . . .
 وقد خرجت كما سيخرج القارىء وكما سنخرج جميعا من هذه الدنيا
 وليس في يدي شيء) . . . ولكن أدينا المازني في يديه أو في أيدينا منه
 اشياء غايبه تهر بنسبه البلايين من رواد ادب العربي الحديث .

عندما مات الاسكندر بعد أن فتح بلاد العالم القديم أخرجوا ذراعيه
 من التابوت ليرى الناس أنه بعد هذه الفتوحات كلها خرج من الدنيا صفر
 اليدين كأي مغمور فقير سواء بسواء . . .

ولكنهم لم يفعلوا هذا مع سقراط أو أرسطو .

معرض الفنان بيكار

فى معرض الفنان بيكار لمعت العيون عيون المشاهدين من البهر ،
وعيون الصور من بدع الفن واقتدار الفنان • كان لكل صورة قصة
ترويها الألوان والأضواء والظلال والخطوط الناعمة السهلة من براعة
وضلاعة واحساس •

ان فن البورتريه عنده الكنير ليقوله فهو صاحب رأى فى السياسة
حين يقول باحترام الانسان ويعتز بالفرد ويحتفل بالوجه وينفذ من
خلالها الى أغوار الشخصية •

ان فن البورتريه يرد بغير حروف على العقلية الحشدية التى تحشر
الفرد فى جماعات ومذاهب وتسوسه سياسة القطيع تحت مختلف الأسماء •

ان فن البورتريه يمسح سناء الانسان المعاصر المطحون بالدعوات
والادعاءات والماديات • انه وقفة طويلة أمام المعانى والقيم والخلجات
والنبضات يلتقط فيها الانسان أنفاسه ، ويتلمس احساسه ، ويتعرف
الى ذاته التى فقدتها فى الزحام وفى الرغام •

ان فن البورتريه انتصار للأصالة وسط فون الاعلان والتسليية
والضجيج •

الانسان المصرى

يتردد الكلام كثيرا فى تحديد النسل : وسائله وأسبابه ولم يقل
القائلون برفع مادية الانسان المصرى لترتفع معنوياته فينعطف الى التربية
والتعليم والاهتمامات الغالية فلا يصبح الانجاب ملهاة أو مسلاة •• و •
حين تصبح للانسان المصرى اهتمامات معنوية ورفيعة ينتفس طموحه
فلا يرضى فى قنساءة قاصرة وقاسرة باللقمة حتى ليقول المثل الشعبى
المنبثق من واقع متواضع (من عنده العيش وبله ، عنده الهنا كله) !
لا •• أبدا ليس بالخبز وحده يحيا الانسان •

عندما يعرف الانسان المصرى ألوانا متعددة من العطاء •• عندما
يعطيه وطنه العلم ، وفرصة تحقيق الذات بالعمل المحبب اليه ، والحرية ،
وارادة الاختيار فى كل شئ ، سوف لا يتكسر بالانجاب ولا يستعرض
بعدد الأولاد •• وهذا يفسر المقولة (الانسان كلما ترهف قل نسله) •

ان المرأة •• (مرآة القاعدة العريضة لا القلة المنقفة •• المرأة محرومة
من الاحترام الكامل •• محرومة من المشاركة الفعلية الحقيقية •• شئ

واحد تملكه : الأمومة .. تحقيقا للذات وإثباتا وتثبيتا للوجود انها في نظرها رزق .. عطية الله .. فحين أعطى الله الآخرين الجاه والمال والتعليم والمراكز فانه يعطيها هي الأطفال .. أما تحديده النسل (أهو كلام) في نظرها و الا فماذا يعنى لها ؟

سر المشكلة اليهودية

قرأت (قصة الحضارة) فاذا ب «ول ديورانت» في الجزء الثاني من كتابه يقول (لما كانت الجنة لا وجود لها في الديانة اليهودية القديمة ، فقد كان من الواجب المحتم أن ننال الفضيلة نوابها في هذا العالم ، و الا لم يكن لها ثواب على الاطلاق) .

وهنا أدركت سر ما اتسم به اليهود من حب للمادة ومن حزن على فواتها .. ليس في نفوسهم (مينا) ترسو عليها آمالهم وآلامهم .. ليس لهم غير دنيا واحدة .

كل مشكلة عند اليهود سببها وحلها : الفلوس . حتى أيوب حين تفلسف وتساءل عن الخير والشر والحكمة والعدل والظلم جاءه الجواب ، هبة من الرب مقدارها (أربعة عشر ألفا من الغنم ، وستة آلاف من الابل ، وألف من الثيران وألف أتان ، وسبعة بنين وثلاث بنات) .

وهي كما يقول ول ديورانت ، خاتمة سعيدة ولكنها عرجاء لأن أيوب تحصل على كل شيء الا جواب أسئلته .. وتظل المشكلة قائمة عند اليهود .. حتى سفر الجامعة لم يحلها بل كانت رؤيته لها متشائمة حين قال : (ان الهناءة والشقاء في هذا العالم لا شأن لهما بالفضيلة والرذيلة) .

على أن هذه الظاهرة تهدأ عند طائفة (الآسين) وهي من أقوى الطوائف اليهودية أو هي تزيد عليها في القوة والأثر و ان كانت أقل عددا . ويرجع الأستاذ العقاد انها نشأت بالاسكندرية في القرن الثاني قبل الميلاد واقتسمت من مدارس الاسكندرية كثيرا من أنظمة العبادات السرية وبعض المذاهب الفلسفية ، كمذهب فيثاغورس الذي يحرم ذبح الحيوان ويدعو الى التقشف والقناعة بالقليل فكانت لا تقدم القرابين من غير النبات .

.. الأم

كان الشاعر الفارسي الكبير العطار يقول عن أمه التي عمرت طويلا

حتى وهن العظم منها (ان هذه السيدة النى كانت فى ضعف العنكبوت
كانت لى حصنا) •

وكان تولستوى يقول (عند تكرارى الصلوات التى تعلمت فى
طفولتى ترددها متلعتما وراء أمى المحبوبة ، كان حبى لهما وحبى لله
يتحدان معا فى شعور واحد وبصورة عجيبة) •

أما الأم فى الاسلام وفى كتابه الأكبر فلها من الرعاية والتقدير
ما تقف عنده الدراسات الموسعة ولا يكتفى فيها بقول مأثور أو اقتباس
مجزوء •

ان عيد الأم هو عيد الوفاء لمن قرن الله طاعتها بطاعته ، وجعل
الحديث عند قدميها جنته ••

كان يونج عندما يصف عبقرية عقل يقول (عقل أنثوى) أى قادر
على الاستقبال والعطاء والتوليد •

وعطاء الأمومة ليس اللبن ولكنه تجسيد الرحمة وامتزاج الكيان
بالكيان •

لقد سمى الرحم من الرحمة • واللغة الشعبية تسميه (بيت الولد)
فى احساس موروث براحة البيت ودفئه وحنانه •

ان الأمومة قمة القيمة لأنها نبع القيم وربها الصافى الضافى الرءوم •

من التبع يحلو الرشيف

الشعوب الغرقى ، أمنيتها الكبرى ، فى محنتها ، مرفأ ترسو عليه
آلامها ومخاوفها ٠٠ وهنا تتجه الى الله ، الى الدين ٠٠ الى المنبع ، واذا
كان الشعب دينيا بطبعه كشعبنا منذ فجر الانسانية ٠٠ حضارنه دينية
نفذت بالحس الحضارى الى فكرة التوحيد حتى قبل مبعث الرسل
ومهبط الرسالات ٠

اذا كان الشعب دينيا بتاريخه وطبيعته ، كان انجاهه الى الله ،
أقوى وأعمق ٠٠ ولا أقصد بهذا الاتجاه السلوك الروحاني فحسب بل
أقصد به الكيان الشامل أى العقل والقلب معا ٠ فمن مناحى العقل ،
اتجاه القانون وهو معيار السلوك ، والاقتصاد وهو عصب المجتمع ، الى
الدين فى هذه المرحلة من حياتنا ٠ أمامى كتابان مختلفان أحدهما يسمى
(منهج الصحوة الاسلامية) يثير فيه مؤلفه الدكتور أحمد النجار
قضيتين :

● الاقتصاد الاسلامى

● قضية بنوك الادخار المحلية ٠

أى قانون فى الدنيا يستمد قوته من الرقابة التى تضمن له التنفيذ ٠
وهنا يتفوق الدين ، لأن الانسان قد يفلت من رقابة القانون الوضعى ،
وكثيرا ما يستطيع ، فينجو من العقاب ٠ ولكنه مع الدين يخضع لسلطان
الضمير القابع فى داخله فلا مفر ٠ وهو اعتبار كبير وأساسى ٠

أما الاعتبار الآخر فهو أن أى بعد فى الحياة عن الدين ، هو فى واقع
الأمر ، بعد عن مهوى النفس الشعبية ٠ والنتيجة سوف تكون كما يقول
المؤلف ، وهو من رجال الاقتصاد المتخصصين (احجام شعورى
أو لا شعورى بدرجات متفاوتة عن التفاعل وعن العطاء وعن الاندماج فى

ذلك الاطار المفروض) • وهو أمر يجب أن يكون مطروحا أمام واضعي الحلول الاقتصادية بحيب لا تناقض في الشكل أو في المحتوى ، صراحة ، أو ضمنا ، مع أكبر القيم قداسة وهو الدين •

أما الكتاب الآخر فهو (نظام التجريم والعقاب في الاسلام) الذى يقارن فيه الأستاذ على منصور بين النظام الاسلامى وبين القوانين الوضعية •

قد أكون بحكم دراستى الأدبية ، بعيدة عن الكتابين •• ولكن حين يكون المضمون موضوعا شاغلا لبلدى فأنا جزء منه أو هو جزء منى • والرأى العام عندنا يؤرقه الاقنصاد فى ناحية ، ويطرح عليه تطبيق الشريعة الاسلامية فى ناحية أخرى •• انهما موضوعا الساعة •

والذى يلتقى فيه الكتابان أو الاتجاهان أن الاستعمار الغربى وراء ابعادنا عن قيمنا الروحية لزلزلتنا معنويا •• وهو مطلب يستهدفه جنبا الى جنب فى وجود الاستعمار العسكرى أو بعد انحساره •

وحين نجنح الى القوانين الوضعية فى محاولة تبويب وتنظيم ، تيسيرا للقضاء أو (تشبها بأوربا) كما يقول محمد على ، فلا يعنى هذا ، العزوف عن الشريعة الاسلامية بما فيها من كمال وتمازج التشريع يوم نظم الاسلام العلاقة بين الفرد والفرد ، وبين الدولة والدولة ، وبين الحاكم والمحكوم ، وبين الدنيا والآخرة • فالخلافة بيعة أى انتخاب حر ، والأمر شورى أى دستورى ديمقراطى ، والناس سواسية أى منعادلون فى الحقوق والواجبات ، بل ان الدكتور سليمان مرقص ، وهو من أساتذة القانون المدنى ، يقول : (فى الكتاب والسنة وهما أهم مصادر الشريعة الاسلامية ، الكثير من القواعد القانونية المتعلقة بالزواج والطلاق والنسب والميراث والوقف والوصية والتجارة ، والبيع ، ومختلف العقود ، والحدود الجنائية ، وغيرها من القواعد الجنائية • ولقد تناول فقهاء الاسلام هذه الأحكام بالشرح والتفصيل ، وفرعوا عليها الكثير من الحلول ، حتى غدت الشريعة الاسلامية نظاما قانونيا كاملا يعدل أرقى الشرائع ، بل ان بعض نظمها يفضل ما يقابله من نظم فى أحدث الشرائع العصرية) •

على انه لم ينص فى أى قانون أو لائحة صدرت فى مصر فى عهد أسرة محمد على و الى الآن على عدم العمل بأحكام الشريعة الاسلامية ، فلا نجد لهذا النص كما يقول الأستاذ على منصور ، أثرا فى (مجموعة قوانين المحاكم المختلطة ولا فى مجموعة قوانين المحاكم الأهلية ولا فى

لائحة كل منهما ، ولا فى تشريعات النظام النيابى الذى أنشئ بمصر فى سنة ١٨٨٢ ، ولا فى قوانين الجمعية التشريعية •

ان اتجاه الانسان الى الله يشد الانسان الى سلطة أخرى غير سلطان الدنيا • وبدون مسئولية الفرد أمام الله ، تصبح الأخلاق أموراً تواضعية •• قوانين تقبل التحايل •

والآن أترك التفاسيل الدقيقة للكتابين الاقتصادى ، والقانونى •• وأنفذ الى الدلالة •

والدلالة عدى أننا ننتجه اتجاهها صحيحاً الى مواجهة المشكلة • وهى إعادة بناء الانسان المصرى الذى تمزق مرات • وطحن طحناً •• الانسان الذى خلقه الله فسواه فعده ••

والانسان السوى المعدل (يعدل المائل) كلما استطاع وأنى استطاع • أما الانسان المكسور فى داخله ، المحطم أو المطحون ، يجنح ولو لا ارادياً الى النحطيم أو التخريب لأن نفسه غير عامرة وغير معمورة بالرضا والأمان الذى يضيفه النجاح والطمأنينة ، وهذا يفسر اللامبالاة وشهوة التخريب والنشويه التى تنتاب الناس فى عصور اليأس والظلام •

ان أوروبا تمر بأزمة غياب الحل أى انسانية الرؤية • أوروبا حياتها وسائل برافة ولكن بريها لا يسهوى وجدان الانسان الغربى نفسه لأنه اعتدى عليه يوم أسقطه من حسابه ، واستعز بالآلة دونه • لسنا ضد العمل الصناعى الآلى ولكننا ضد النمطية التى تجافى رغبة الخلق فى داخل الانسان ، والنمى نميزه عن غيره فيحقق ذاته • ان الاسلوب سمة انسانية ، ورؤية شخصية وقيمة • عملية الخلق فى العمل وحرية التعبير والاختيار تنزف بكيان الانسان وتللم شتاته فإذا بدوافعه ونوازه المختلفة ، تهدا بممارسه « الخلق » فيما يعمل ، وكأنها أضت الى قرار • هنا يسشعر السلام النفسى وغبطة الرضا •

لقد استمد الغرب فكره من الفلسفة الاغريقية •• ثم جاء الرومان فافلس الفكر الأوربى فلم ينقذه الا المسيحية الى أن دخل فى عصر الآلة وتقديس الذهن وحده فشقى مرة أخرى بدليل تقاثل أوروبا فى حربين على مدى ربع قرن • وان رد الفعل الذى ظهر فى أوروبا ضد العقل ، وانجهاها مع الوجدان ، انما هو تمرد على الحدود التى وضعها الذهن الجبار الطاغية •

يقول يونج : (ان الذهن يمتهر الروح حين يحاول أن يملك ميراثها وهو غير مؤهل لذلك بأية حال لأن الروح نىء أغلى من العفل) .

- انها تتضمنه فهو جزء منها
- بل هى تتضمن الوجدان كذلك . .

وأحست الريادات والقيادات الفكرية فى العالم الغربى ، بشقائه ودقوا ناقوس الخطر • ومن هؤلاء برناردنسو فى كتابه (دليل المرأة الذكية) و « ديوى » فى كتابه عن الفردية القديمة والحديثة الذى أشار فيه الى التشفق فى النفس الأمريكية ، و « أليكس كاريل » الفرنسى فى كتابه (الانسان ذلك المجهول) .

لا توجد حضارة بلا ديانة • وعندما يوجد الشك ، والتشكيك فهو دليل الانحلال • وفى الانحلال تشتد من جديد الحاجة الى الدين • وليس مصادفة أن يتبنا أندريه مالرو Malraux وزير الثقافة الفرنسى السابق ، أن موضوع القرن الحادى والعشرين سيكون : الدين •

وهنا أقول ان العودة الى الدين لن تكون شكلية فليس القرآن الكريم للتبرك ولكنه روح الثقافة الاسلامية وروح الحضارة الاسلامية وروح المجتمع الاسلامى •

- لقد صنع القرآن ١٤ قرنا بما فيها من اجتماعيات وسياسات
- أعاد بناء الانسان على أرض الجزيرة وما حولها أيضا
- كتاب فجر كتبها بل مكتبات
- وينجد القلب فتتجدد فيه المعانى

وتنمزق الأمة الاسلامية من الفرقه والتشتت والهوى والخطأ والخطايا أحيانا ثم لا تموت لأن هناك شيئا خفيا وقويا يربطها فلا تضيع • ويمسكها فلا تنهوى • • هذا الرباط الخفى القوى هو القرآن • • وقد لا يعرف الناس هذا ولكنه واقعهم وحظهم الكبير فى الوقت نفسه • وهذا الرباط لا يستنى منه غير المسلمين ممن يعيشون معهم ويلتقون بهم فى جنسية الوطن وعلى أرضه •

ومن النبع هذه الرشفة

زرت المتحف الاسلامى • يخيل الى أنه مسجد او محراب • • وأوقوف به صلاة ، ومشاهدة آثاره وصل ووصال • • وصل بالتراث

وهو خبرات مقطرة •• ووصال لقلوب أصحابه وهي رؤى معطرة • فليس الماضي (للتشوين) كما يحدث عندنا ، أو حتى التفاخر ولكنه للدرس له ، والوعي به ، والاستمداد منه في محاولة ربط الماضي بالحاضر تحضيرا للمستقبل ، ومنطلقا اليه •

في المتحف الاسلامى وقفت طويلا أمام مشكاوات جامع السلطان حسن التي نقلت اليه •

كانت مصر الاسلامبة تسمى القناديل (قرايات) في وصل بين النور والعلم •

القناديل عيون أو قلوب • فالقناديل حمى للمصباح من عبث الهواء ، والقلب حمى للمعاني من عبث الأهواء •

والأساطير الشعبية حين ترمز الى الظلام والشر ، تجعل العفريت يطفىء اللبنة ، فالشر دائما يرتع في الظلام •

وكنا في القرون الأولى من الفتح نتبادل (قناديل) الكنائس وجامع عمرو عند الاحتفالات الدينية •

كم احتفلت مصر بالقناديل وشكلتها تشكيلا ، وجملتها تجميلا • فلما جاء العصر التركى جمع سليم الأول الصناع والفنانين ورحلهم الى القسطنطينية عاصمة ملكه •

ولما أفاق سليم من بهره بفن مصر ، وهو الغازى المنتصر ، نقل ما راعه من عمل مصر فى التكفيت والترصيع ، الى السيف ، لعبتهم المفضلة ، فعرفت السيوف التركية ، كما يقول الفنان عبد الرؤوف فى كتابه ، القاهرة ، هذه الفنون الجميلة حين عطلت منها المشكاوات فى العصر التركى •• مع ان المقريزى يحكى لنا عن ازدهار التكفيت فى أيامه - أى قبل دخول سليم - حتى انه لم يخل منه جهاز عروس فقد كان تقليدا ، ان يضم طبقا من النحاس المكفت •

لقد كان شاعرنا شوقى يفخر بانتصارات العثمانيين ولكنه ما لبث أن أحس ما فى المدح الجربى من خواء معنوى وقبمى ، فهتف بهم : (بادولة السيف كوني دولة القلم) •

فالسيف بهدم فجرا ما بنى سحرا وكل بنيان علم غير منهدم

لقد بقى الفنان صانع المشكاة ، ببقائها لا يلبغا حامل السيف •

- ومن الطريف أن (يل) فى التركية معناها = أصفر، و (بغا) معناها = ثور .
• وهما معا (يلبغا) الثور الأصفر .

هذه لمحة واحدة فحسب . فكم فى متاحفنا التى لا نذكرها ، من عطر
السنين وعطاء الموهوبين .

- ان ما رأيته فى المتحف القبطى وفى المتحف المصرى يملا أسفارا .
فألزخرفة المصرية كما تقول Pavla Fortová Šamalova فى كتابها
Egyptian Ornament (لم تكن تنبع فقط من رغبة بسيطة فى
التزيين ولكن من فزع المصرى بحيويته الداوقة من « الفراغ » . . . تنبع من
رغبة حميمة فى التعبير عن الايقاعات العميقة للحياة فى أسلوب منظور)
وأقول كما تعكس هذه الآثار احساس مصر باللون ، واحساسها بالكون ،
وقدرتها على الخلق والتشكيل والتنويع .

رسائل من مصر

- رسائل كتبها ليدى دف جوردون ما بين سنة ١٨٦٢ وسنة ١٨٦٩
وترجمها الى العربية الدكتور على الراعى .

وفى هذه الأيام أصدر الدكتور الأستاذ أحمد خاكي كتابا عن حياة
المؤلفة تخلله بالطبع بعض هذه الرسائل . وقيمة هذه الرسائل أنها
كتبت بحب وفن . . . ومن الحب والفن ، الانصاف . فالحب برقته
الرقيقة ، والفن بدقته الدقيقة عدل وتقنين يعكس على النفس . الحب
بلطافته والفن برهافته ، انصاف واحساس يصعب معه الظلم . انه
« فوقية » تعلق على الاسفاف .

- كلمة مفتاح لفهم الكاتبة ليدى دف جوردون التى أحبت مصر حبا
جما أملى عليها رسائلها .

ولشد ما تذكرنى هذه الرسائل بمن كتبوا عن مصر قبل ليدى دف
جوردون وبعدها . فمصر منذ كانت وأفئدة من الناس تهوى اليها . بعض
هؤلاء فى كتابه « مصر » الذى يقول فيه « ان زائر مصر يكتشفها لنفسه
ويكتنز معرفته بها ذخرا ، وكتاب بانوراما مصر والنوبة Panorama
d'Egypte et de Nubie الذى ألفه Hector Horeau فى منتصف القرن
التاسع عشر (١٨٤١) وهو كتاب يواكب كتاب « وصف مصر » فى مادته
العلمية والفنية وكتب أخرى كثيرة يطول عرضها ، غير انى عنيت بالاشارة
الى الكتب التى تناولت الإنسان المصرى والمجتمع المصرى بعيدا عن السياسة
والحكام .

لقد سمعت ليدى دف جوردون نداء هذا المكان نداء يرد على رجاء الزمان ليشفيه من داء العصر وهو جذب الروح •

لم تر السيدة ، الانسان المصرى البسيط متخلفا بل أدركت أنه ابن وراثة غريضة وانه معطاء لو وجد مناخا صحيا وهو درس لنا لعلنا نعيه فبدلا من التفكير فى التهجير الى البلاد الأجنبية أو التصدير الى البلاد العربية ، نرفع كفاءته ونرفع قبيل هذا معنويته وانسانيته فيصير العدد عدة لا شدة واثمارا واستثمارا لا انفجارا كما يسمونه •

لقد استشفيت السيدة من سلوك البسطاء حولها أن النفس المصرية قادرة على الاستعلاء على الألم مهما جثم وجسم • كالشمعة تقلبها فتسقط منها دمعة ولكن الشعلة تتجه الى أعلى •• فى تماسك وتمسك بالوهج ••

• انها روح مصر فى المحنة •

لقد لمست السيدة دف جوردون فى رسائلها علوبة الروح المصرية ••• وكثيرون يعجبون بفكاهة مصر ويعجبون لها وما دروا أن همس النبات فى نشأته الأولى وما يبثه حوله من أمان كان له أثره على الانسان المصرى فالحنو والتراحم فى النفس المصرية يتبدى فى الحديث رقة ، ويتهدى فى الشعر المصرى القديم ، دماثة وسلاسة ، وفى النمنمة الاسلامية ، دقة حين بنت مصر المساجد ورفعت المآذن وتفشت القباب •• والمحاريب •

عاشت ليدى دف جوردون فى الأقصر •• فى طيبة الطيبة الأصيلة •••• وهناك فى مدينة التاريخ أقامت فى بيت يطلق عليه اسم « بيت فرنسا » • لقد غير هذا البيت الجغرافيا ففيه عاش الذين نقلوا المسلة الى ميدان الكونكورد ، والذين نقلوا قاعدتى تمثالى ممنون الى المتحف البريطانى ولكن بيت فرنسا هذا لم يستطع أن يغير التاريخ لأن المسلة فى باريس تقول بسمتها وصمتها وشموخها وأسلوب بنائها : أنا مصرية وكأنها ترد على نفرتيتى فى برلين •

عاشت السيدة بيننا فى الصعيد سبعة أعوام فاستطاعت مع الأيام ان تنفذ بالروح البيضاء لا الجلد الأبيض الى حقيقة الدين فى مصر ومن أقوالها ذات القيمة (لا يختلف المسلمون والأقباط فى معتقداتهم الا فى قليل من المذاهب ولكن الخلاف الحقيقى هو بين أهل الشرق وأهل الغرب) ••

وفى الحقيقة أن التماثل بين المسلمين والأقباط لم يستطع أن ينكره حتى كتاب الاستعمار أمثال جون بورنج فى القرن التاسع عشر وادوارد واكين فى الستينات من القرن العشرين فى كتابه (أقلية متوحدة) حتى كرومر لم يستطع انكار التماثل بيننا فى كتابه (مصر الحديثة) "Modern Egypt" الذى جاء فى الفصل السادس والثلاثين منه ، وأنا هنا أترجم حرفيا ، (القبطى من قمة رأسه الى أخمص قدميه فى السلوك واللغة والروح ، مسلم وان لم يدر كيف ٠٠٠ الخ) ولولا النعصب لدرى بسهولة أن القبطى والمسلم انسان واحد هو فى النهاية ، الانسان المصرى ، قبل الأدبان . ثم اعتنق بعضنا المسيحية ، واعتنق آخرون الاسلام حين اسنكى والى مصر الى عمر بن عبد العزيز تناقص الجزية المستمر . فقال : (ان الله بعث محمدا هاديا ولم يبعنه جابيا) ولخير لى أن يدخل المصريون فى دين الله أفواجا من القناطر المقنطرة من الذهب والفضة . انه عمر بن عبد العزيز الذى نربى فى مدينتنا (حلوان) . فمسته من مصر حضارتها وسماحتها وعذوبتها . ان اخاءنا على هذه الأرض عمره من عمرها ٠٠ فرق بين الدين والجنسية .

ليس الاقباط بالمسيحية فلسطينيين بل مصريون اعتنقوا
المسيحية .

وليس المسلمون بالاسلام من الجزيرة العربية بل مصريون اعتنقوا
الاسلام .

ان (رسائل من مصر) نهر من الاشواق عرف نارها المقدسة قلب غريب لم ينقطع له ما عاش وجنب حتى لتقول صاحبتة فى احدى رسائلها نصف سماء أسوان (كانت النجوم تشع من الضوء بمقدار ما يشعه القمر فى أوروبا) .

ليست نجوم مصر وحدها المضيئة يا سيدتى ، أشد توهجا منها
روح مصر ٠٠

منه • • تعلمت بعد الجامعة

انه انسان مصرى بسيط

يعمل عملا متواضعا

- خصائصه كلها متواضعة •• الا نفسه المنرفعة ذات الكبرياء •
- رأيته فى قبرص التركية •

استقبلنى مصرية من مصر •• وكأنى أخته أو أمه أو ابنته • لعلى فى نظره ، كنتهن جمبعا • فهد حدننى طويلا •• نفض نفسه عندى •• كان يقول وأسمع بل أعطيته كامل صغوى •

جاء مع النيل من الجنوب الذى اعتبرناه ، منذ عرفناه واهب الماء والتمرات ، قبلة ومرقى صلاة •

• كان يحمل لون الصعيد وطبته وأصالته •

• كان يتردد على سمعه ، مثلنا ، أن مصر أم الدنيا •

• وحين وجد نفسه مخنا بالجراح ومن أسرته •• لأنه اتخذ لنفسه وجهة وقبلة هو مولياها ••

• تاق الى مصر واشتاق الى حنانها هى •

• كان يحسب مصر امرأة على غير منال ولدت المصريين جميعا ••• أليست أم الدنيا ؟

• وضع نفسه فى القطار لي طرح عليها قضيته ويثها شكواه ، لتصفه من ظالميه •• انها أم الدنيا •

• فلما نزل من القطار ، وجد مصر مدينة عظيمة جليلة اسمها القاهرة • أم المدائن نعم ولكنها ليست سيدة من النساء •• لم تلد الولادة التى ألفناها ولكنها أم الوالدات وأم البنين •

• وسار فى الزحام •

• وصار نقطة فى محيط •

• وكابد كثيرا وصهرته التجربة وراء التجربة •• غدا فيلسوفا فعاد من جديد يقول : مصر أم الدنيا •• سالم بطبعه ، وحارب بذراعه • فقد

كتبت يوما - ٩٧

- انتظم فى سلك الجنود الذين ذهبوا الى اليمن . . ثم حارب فى سنة
١٩٦٧ وعبر فى سنة ١٩٧٣ .
- واهتز وجدانه كما اهتزت الأرض تحته حين دوى صوته ورفاقه
فى هتفة واحدة : « الله أكبر » .
- قالها المسلمون والمسيحيون أيضا .
- قالوها معا . انها مصر التى تتوحد كلمتها كقلبها عند الشدائد .
صنع النهار مع أبنائنا الأبطال .
- ورأى الحياة والموت . . وعرف الرجال وسواهم .
- رأى العدو والتحم معه فما ارتاع ، بل راع العدو ، انسانا مصريا
أقوى من الصبر ، وأمضى من السلاح .
- بطولات كثيرة رواها عن رفاقه وعن كفاحه .
- بطولات ، تاريخنا ، على مداره ، حافل بها . . . على مساره ،
يرونها .
- كنت أسمع أنغاما لا كلاما . . حتى ما كنت أعرفه من كثرة القصص
كنت لا أقاطعه بل أدعه يرويها وأسمع كأنها جديدة على وأنا نسيج عمرى
من تاريخنا بأفراحه وأتراحه . . ولكنى لم أشعره أنى أعرف .
- سمعت جديده والتقديم فلم يفتر شوقى من الاعادة والترديد .
- انها سيناء .
- وانها أيامنا
- ليس حفنة من تراب
- ولكنها دم الشباب الذى رواها وأقدار الرجال البواسل ، وصبر
أمة وراهم احتملت فوق طاقة البشر .
- سأله سائل وهو يحكى موقفا من مواقف شجاعة الذهن :
- ألا تخاف ؟
- قال : مادام الماء والهواء والشمس هبة من عند الله بلا ثمن لا يملكها
أحد غيره فقيم الخوف ؟
- وصلى قلبى لله ايماننا ، على ايمانه .

جاءه صديق يجار بالشكوى من أن الطبيب تقاضى منه سبعة عشر جنيها مقابل خمس دقائق اكسجين عندما احتاج تنفسا صناعيا • فابتسم الفيلسوف وسأله بدوره :

– كم مليون (خمس دقائق) فى عمرك ؟ لم يتقاض عنها شيئا ،
الله واهب الحياة والصحة فاشكره كثيرا وسبحه بكرة وأصيلا •

عاش عمره يشتهى بيتا صغيرا يزيد على حجرته الضيقة التى يعيش فيها مع زوجته وأطفاله يتداخل بعضهم فى بعض •• وكان قد تزوج فى صمت • قال كأنه يرف الى خبرا كبيرا : ان المحافظة ستسلمه شقة فى ديسمبر سنة ١٩٨٣ بعد انتظار طويل •• ثم قال : انى لا أنسى وقفة زوجتى معى فى الأيام العصبية •• لا أنسى فى بداية حياتنا حين اعتذرت لها عن عدم اقامة احتفال بالزواج وكيف هونت على الأمر •• لهذا أعتزم بمشيئة الله عندما أنتقل الى الشقة الموعودة ، أن احتفل بها عروسا تزف الى بيتها الجديد •

• وفرحت الأنثى فى داخلى بوفاء نقى تغالى به المرأة •

قلت له : عروسا وأطفالكم الأربعة ؟

قال فى فكاهة مصرية :

– يحملون لها الطرحة •

ان المحارب الشجاع ، شاعر أيضا •

أذكركم أنه انسان مصرى بسيط ••• بسيط جدا ولكن المصرى وراه آلاف السنين •

• وكلم مصر من قصص مع السنين •

كم أبدعت وأمرعت

• كم أترعت وأمتعت •

• ما أحفل السنين •• أبدا لن تضيع آلاف السنين والا لما قال هذا الانسان البسيط ما رويته عنه •

ان الثقافة لبست الشهادات أو المكتبات وحدها

• الثقافة موقف •

• والثقافة ارتفاع سلوك ، وامتناع نفس ، وذكاء احساس •

• الثقافة بطولة قلب أو عقل أو ضمير •

ظواهرات في حياتنا تعيرني

من عز الحضارة المصرية أن مصر هي البلد الوحيد في العالم القديم الذي جعل للكتابة الالهة « سشات » وزوجها من اله الحكمة في احساس حضارى بما بينهما .

كان المعبد المصرى يةصر دخول قدس الاقداس على الملك بعد ان يتطهر ويتعطر والكتابة في نظرى قدس الأقداس والكاتب الحقيقى ملك ، . . فان القلقشمدى يحكى في (صبح الأعشى) أنه كان من قومنا من يدوا ، (الكتابة أشرف مناصب الدنيا بعد الخلافة ، اليها ينتهى الفضل ، وعندها تقف الرغبة) .

على أن الكتابة في رأى بل ورأيهم أيضا أبقي من الخلافة ومن الملك حتى قالوا : (كفى بالكتابة شرفا أن صاحب السيف يزاحم الكاتب في قلمه ولا يزاحمه الكاتب في سيفه . ومن ثم صار السلطان الذى هو رئيس الناس ومستخدم أرباب كل صناعة ومصرفهم على أغراضه ، يفتخر بأن تكون فضيلتها حاصلة مع ترفعه عن التلبس بصناعة من الصنائع الحسنة ، وأنفته أن يقع اسم من اسمائها عليه . وأن كل ملك وسلطان يؤثر أن يكون له حظ من بلاغة العبارة وجودة الخط ، وفي ذلك ما يدل على أنها أشرف الصنائع رتبة وأعلاها درجة) .

فاعتزاز قومنا بالكتابة عز حضارى يجب أن تلتفت التربية اليه .

ان فن الكتابة هو فن الفكر وفن الذوق معا . فن الفكر بما يضمنها الكاتب من معان ، وفن الذوق بما يخلع عليها الكاتب من حلاه ورؤاه . والتقاء المعنى بالأسلوب فى الكتابة لون من (العلاقات الفاضلة) .

أقول هذا بمناسبة كثرة (الكاتيين) الذين نقرأ لهم ممن يتزاحمون على قدس الأقداس دون أن يتطهروا أو يتعطروا وقل هذا كله دون أن تسعدهم الموهبة أو تسعفهم الوسيلة حتى غدت كل معزة في (ماهوش) تقول شعرا كما يقول الأستاذ فريد أبو حديد .

فريد أبو حديد الذى جعل (جحا) الحكيم - فى كتابه « آلام جحا » - يثور عندما تبين رغبة ولده فى أن يكون أدبيا وحاول جحا صرفه الى حرفة محدودة معروفة لها قيود وفيها أسرار تمنعها عن الدخيل وتحجبها

من الدعى (ولكن لا يبلغن به السفه أن يدخل برجليه الى تلك الرملة
الخوانة التي يسمونها صناعة الأدب) •

سنة ١٩٧١ ترجمت من الانجليزية كتاب (رسائل الى ولدى) فى
هذا الكتاب حديث عن الكاتب الشبح أو الذى يسمونه فى الانجليزية
Ghost Writer يقول فيه مؤلفه ان هناك كتبا يؤلفها عظماء ولكن
مؤلفها الحقيقي (شبح) مختف من الاشباح وان حملت اسم رجل هو
بدوره شبح من الانسباح ، لانه لا نافة له فى تأليفها ولا جمل ، ويحدث
أحيانا أن اشباه الكتاب ، كما يقول داجربرب روبونز (بيرزون بفضل
اساليب الدعاية ليس الا ، وكل ما يعوزهم لكى يضعوا أنفسهم على القمة ،
هو قليل من الاساليب الذكية ، وان خلت من كل معنى ٠٠٠ ومع أنهم
لا يخلفون شيئا للمستقبل ، ولا يجزلون للحاضر شيئا ، فانهم يفتصبون
الانتباه والتصفيق والجزاء المادى الذى يستحقه المبدعون الاصلاء
الصادقون) •

لا ضير ٠٠٠ فمع الزمن يفنى التزيين والتصفيق وتبقى الكتابة
الحقيقية التى هى عطاء نفس وحكمة روح ٠٠ كتابة الموهبة ومن يؤتها
فقد أوتى خيرا كثيرا ٠٠٠

القريحة القاهرية

وبمناسبة الحديث عن الأدب أذكر أن عطاء مصر فى الأدب الفصيح
هو الذى سجل وضمنه أصحابه بطون الكتب • ولكن القريحة القاهرية
خلقت وأبدعت ، وعلى الفور ، نيلا من الأدب الفاهرى الشعبى •

الرجل العادى فى الحرفة البسيطة فيه لماحية وخفة روح تجعل
الحلاق ، يكتب على (دكانه) « نحن نقص » والساعاتى يشير الى بضاعته
بالآية (ان الساعة آتية لا ريب فيها) ٠٠٠ ووكيل المحطة الذى علق
على مكتبه لافتة بالآية (هو الحق الوكيل) •

وليس هذا بالسهل فى باب لطف المشاعر أو ظرف الروح • فقد
روى الشيخ على الليسى عن الخديو اسماعيل أنه رأى يوما لافتة وكيل
المحطة (هو الحق الوكيل) فزر ما بين حاجبيه ثم صاح : هو الحق
(بكسر الألف) الوكيل ٠٠ نم استدرك فقال هوا (بفتح الهاء والواو)
٠٠ لحق الوكيل ولم ينفذ الى الآية العربية أو اللمحة المصرية •

ان الدعابة المصرية فيها رقة وصفاء من أثر التاريخ الطويل فى
الحضارة •

الحمامة

حين أتناول طعامي قطعة من اللحم أنسى مصدرها ولا أذكر الا أنها بروتين • ولكن الحمامة حين تكون في طبقى يدوى فى داخلى صراع صامت ••• انها هى •• رقبته ••• رأسها الصغير •• جناحها اللذان طالما رفرقا ودفدفا ••• كيائها الصغير الرقيق •• كيف ينشب انسان أسنانه فى •• الحمامة ! ياللقسوة •

هذه الحمامة الوديدة الطروب ••• يا للانسان يتخذها رمزا للسلام تم يذبحها بالسكين !

هذه الحمامة اتخذتها المسيحية رمزا ، وظلت مصر تضعها شعاعا على أوراق الدواوين بعد الفتح العربى حتى العصر الفاطمى أى حتى بعد تعريب الدواوين •

هذه الحمامة ألهمت الشعراء واستوقفت شاعر المعرة خاصة فتساءل ساخرا فى مرارة :

أبكت تلكمو الحمامة أم غنت على فرع غصنها المياد لعله أحس الخوف الفار فى داخلها من الصياد ومن الصقر ••• كلاهما يجرحها ويسيل الدم •

وجاء شوقى واستشعر احساس رهين المحبين بها وجزم بأن هديها حنين ، وشجوها أنين ، وترنيمها بكاء •••

يا حماما ترنمت مسعدات وبها حاجة الى اسعاد ضاق عن ثكلها البكا فنخت رب شجو سمعته من شساد

نحن والنبات :

ان النبات أستاذ النفس المصرية فمنه تعلمت صفات العطاء والصبر وتجديد الذات والاستعلاء على المحنة والتسامح فان النبات اذا قطعت منه جزءا لم يتوقف ولم ينتقم بل ينمو من جديد •• الشيء الذى لانعه كما يجب من النبات ، هو الهدوء •

أقول هذا بمناسبة الصخب السائد فى حبيبتنا « القاهرة »

مصر والمرأة ••

أراد ألدز هكسلي أن يصف العصر الفيكتوري بسيادة الرجل فقال ان البيت الانجليزى كان يضم دائما كرسيًا واحدًا ذا مسندين •• وهذا الكرسي طبعًا للأب •

نظرة واحدة الى حجرة (حنّب حرس) أم خوفو نجد سريرا فخما ضخما به مكان لراحة وراحة قدميها • وفى الحجرة كرسي ضخم ذو مسندين لها اذا جلست ، ومحفة تضاهيه وتزيد عليه فى طول المقعد لتجلس وتسترخى اذا أرادت الانتقال من مكان الى مكان •••

ان حنّب حرس كانت تتمتع بما لم يحلم به رجل العصر الفيكتوري، الذى يحسده بدوره ، رجال العصر الحاضر •

• حنّب حرس هى المرأة المصرية التى ينتقل من خلالها العرش •

وليسأت لأنها الملكة • فان المتحف المصرى يضم عائلة القزم المتواضع (سنّب) حيث نرى حنان زوجته عليه كحنان الملكة على زوجها (من كاو رع) لا منقرع كما نقول •

حنان المرأة فى الحالين ليس سنادة بل سنّدا • انها فكرة المرأة فى نظر مصر •• انها رؤية مصر للمرأة كشعاع من الرحمة وحفظ لتمام معنى الانسان مهما بلغ ولو كان ملكا له ملك مصر والأنهار تجرى من تحته •

انها (تمام) يكتمل به كل من الرجل والمرأة على السواء ، لقد أكرمت حضارة مصر المرأة ولعل هذا سر الحضارة المصرية وتواصلها من دون الحضارات •

لم تكرم حضارة فى الدنيا المرأة كما كرمتها مصر حين جعلت :

• سشات ربة للانشاء الهندسى والقلم والسجلات •

• ومعات ربة للعدل وللحق •

• وحانحور ربة للفن والرحمة أى الجمال والحنان •

• وايزيس المثل الأعلى للأمومة والوفاء •

• وفى المسيحية ركزت مصر على الأم لا الصلب •

وفى الاسلام تعلقت مصر بالسيدات الكريمتين زينب ونفيسة وضمّت اليهما السيدتين سكينه وفاطمة النبوية •

وهي بعد هذا كله ربة البيت الذي هو أصل الحضارة ثم هو غايتها بمعناه الواسع ومعناها الرفيع .

فإذا حققت المرأة هذه الصفات النوابع بذاتها لذاتها ارتباطا بتاريخها وانطلاقا من ماضيها فقد استنوت غايتها من المساواة المنشودة بل تجاوزتها الى أفق أعلى من الفن والعدل والحق والبر والأمانة والقداسة .

إذا حققت المرأة هذه الصفات النوابع ارفعت على المفهوم الضيق المحصور في المتعبية والجنس الى معنى الايناس والمودة والسكن والسند والواحة الخضراء في الففر . . . ارتفعت من أسفل الجسم الى أعلاه الآسر بالهدوء الجميل والجليل في رأس (موت) زوجة أمون

إذا بدأت المرأة من هذا المنطلق الذي أنرتها به وشرفتها مصر حلبت بالخلق والخلق ، وغنيت عن التقليد و (الظلية) . بما في التبعية من مسخ ونسخ .

أن يبتكر الانسان ويعطى بلا ضريب ، ارتفاع وندية لأعلى ماهو ممكن فلا حاجة به الى طلب مساواة التي يحمل طلبها في طياته وقراراته ربح (الدونية) بل يعترف به .

أن يعطى الانسان من ذاته ، مستوى من الاشعاع يعز بالقدرة ، ويعز على التبعية فلا تعود هناك حاجة الى طلب مساواة لأنها أصلا محققة وموثقة ما دام النضج وصل بصاحبه الى قمة .

أى مساواة تطلبها المرأة من الرجل وهي التي تعده منبذ مولده لرحلة العمر . . هي التي تشكله وتعطيه ما تريد من قيم وأساليب سلوك . . فإذا استطاعت أن تمنحه ذخرا حقيقيا باقيا معه ، فإنها تظل في عينه وقلبه وضميره الأصل والمنبع والمعلم والأم والسند والهادي وما يعنى هذا من اقرار (الفوقية) ولو بغير حروف .

بيتها ظل ، وظلها راحة ، وقلبها واحة ، وحجرها مربى ، وعملها منزل ، وشخصها أمل . وهي لو أدركت وأدرك مجتمعها ، صانعة الفجر الجديد . . فأية مساواة تريد ؟

أقول هذا بمناسبة قضية المرأة .

يجب على المرأة أن تنقل المعركة داخلها بأن تعيد بناء فكرتها عن نفسها . ان فكرة المرأة عن المرأة مؤلمة . . على الأم ألا تطلب من ابنتها

ان تخدم أخاها لأنه (راجل) أى افضل ثم تصرخ من (الراجل) وهي التي ركبت ووطن فيه عفة العظمة والأفضلية .

وكما جاء الاسلام مؤيدا لمعتقدات مصر في فكرة البعث والحساب والثواب والعقاب ، والميزان ، وضع القرآن الكريم كتاب الاسلام ، الرجل والمرأة في اطار واحد . فكلاهما انسان بكل ما هو منوط بالانسان من صفات الخير والعقل والمسئولية والنواب والعقاب فحين قال : (فاستجاب لهم ربهم أنى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنسى بعضكم من بعض ٠٠٠٠) . فصد بالخطاب الرجل والمرأة على سواء يؤيد هذا التفصيل بعد الاجمال فى قوله (منكم من ذكر أو أنسى) .

فليس ضمير جمع المذكور فى الآيات دليل تخصيص وانما هو من باب تغليب الخطاب أى أسلوب تعبير لا تشريع ٠٠ فصد الجزء لم يفضل الله أو يفاضل ما دام العمل الطيب واحدا ٠٠ وهو درس لأصحاب الأعمال ورؤساء الوظائف .

(بعضكم من بعض) هنا مساواة فى الأصالة .

ويقول الله تعالى (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون . هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون) .

ساوى فى الجلسة والمكان ٠٠٠

وحين يفضل القرآن الكريم الآيات فى معانى ومجالى المسئولية والحساب والتبعة والكليف ، يعبر (بالنفس) .

(كل نفس بما كسبت رهينة)

(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) .

(يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) .

(اذا السماء انفطرت . واذا الكواكب انتثرت . واذا البحار

فجرت . واذا القبور بعثرت . علمت نفس ما قدمت وأخرت) .

والتعبير بالنفس هنا أوسع من التعبير بالرجل أو المرأة ، انه

يشملهما فكلاهما نفس .

كلاهما مكلف مسئول مسئول الارادة والتصرف حتى يكون خليقا

بالنواب ، أو حقيقا بالعقاب .

وفى مواضع الاصطفاء لم يقصره على الرجل دون المرأة • فكما
(اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) اصطفى
مريم على نساء العالمين •

وقد تقبل الله المرأة فيما يتصل بشئون العبادة والقيام بخدمة
أماكنها المقدسة كما يتقبل الرجل •• فتقبل من امرأة عمران ابنتها مريم
(بقبول حسن وأنبثها نبانا حسنا) • سورة آل عمران •

واختص الله المرأة بكلمته حين بشر مريم بعيسى •

والأمومة امتياز للمرأة لم يمنحه رجل في الخليقة • أن تحتوى طفلا
ولده وترضعه ويخفق قلبا كما معا ، نعمة لا توصف ولا تقدر بمال
أو جاه أو مناصب مما يحوزه ويحرزه حتى أعظم الرجال •

أنا لا أنتصر للمرأة ، وهل الرجل الا الأب والأخ والزوج والابن كما
أن المرأة هي الأم والأخت والزوجة والبنت والحبيبة فى جميع هذه
الحالات ؟ •

انى فقط أتشرف بمكان المرأة فى القرآن الكريم ومكانتها عنده ••
أكرم به من انتماء •

قصة الحياة

صارت ابنتى أما

- فطرحت أمومتى وتجددت أشواقها
- رأيت آلام المخاض جديدة وأنا أعرفها
- أحسستها بعينى هذه المرة
- حين يتألم أطفالى ، أتمنى أن أحمل الألم دونهم .. ليصحوا هم
- ولكنى هذه المرة كان احساسى مختلفا .. انها الآلام المقدسة ..
- انه الألم المبارك أو لعبة الصبر كما يطلق عليها طبيبها الأب
- الانسان الدكتور صلاح عيسى
- عرش الأمومة ينتظر حبيبتي
- ليشرف بها وتشرف به
- ومر أمامى شريط من سنين
- حين كانت هى جنينا يخفق له قلبى ، وبهفو اليه روحى
- نذكرت كل نبضة .. كل خففة .. كل حركة ..
- عالم حافل من الديبب والوجيب
- ويلون خيالى الأحلام من ذوب القلب ، وورد الروض
- وأتعاطف مع الطفولة من كل نوع حتى طفولة الأشياء
- فكل صغير ، حبيب من أجل جنينى الذى هو طفلى أو طفلتى
- وأستعرض ألفاظ العربية بموسيقاها وحلاها لأختار اسما لابنتى
- .. لأن كل طفل ، اسمه « أحمد » أما البنات فهنا يحار الاختيار
- ويحار أكثر لجمال الأسماء فى العربية ذات الشراء واللألاء
- وجاءت ساعة المولد كنتلك الساعة التى تمر بها .. هى ، أمامى
- كان ذلك يوم ٢٩ أغسطس من عام مولدها
- وفى ذلك العام قررت مصر الاحتفال بفيضان النيل فى ٢٩
- أغسطس .. كنا نعرف له حق الوفاء الذى نسيناه

وذهبت الى المستشفى فى تمام النائية بعد الظهر ولكن طبيبى كان
يبدل أقصى ما فى علمه لسوفير جهودى أو توفير راحتى للحظة الحاسمة .
حتى اذا كانت الساعة الثامنة والرابع مساءً انقل بي الى حجرة الولادة .
وفى الساعة الثامنة والنصف أهلت على الدنيا ، حبيبتى الصغيرة
حين كانت طلقات المدافع نهز المكان والكيان ، احتفالاً بوفاء النيل .

• وكنت من سعدى فى فرحين

• وكنت من فرحتى فى حبين

النيل أبى

وفينان ابنتى

• ومنذ ذلك اليوم أنعم بالنهرين : النيل ونبعة منه هى بضعة منى .
• وينابيعه أنهار .

ألم يطلق عليه الله لفظة أنهار فى أكرم كتاب !

وقلت من اعتزازى ما قاله مليونا الذى ازدهاه ، النيل !

(أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون ؟)
• اعذروه .

• منذ ذلك اليوم ، الأنهار ، تجرى فى قلبى .

• شريط من سنين

• طفولتها الحافلة بالطرائف وعذب الكلمات والاشارات

• دراستها الحافلة بالنبوغ

• صباها فى الجامعة وتألقتها فى البحث ، وتأنقها فى الاسلوب

• ثم رأيتها عروسا فى النوب الأبيض والطرحه .
• وزغردت عيناي
• ضحكت لى الدنيا .

• آراها الآن تخطو فى طريق الأمومة فأدعو الله .
• وأحتمى من خوفى
• بالقرآن أتلوهُ وهو محفوظ بصدري .

• وكانت بلسما ، الآيات ، فبذكر الله تطمئن القلوب .

• وينقلها طبيبها من حجرة الولادة الى حجرة العمليات

• ويحس قلبى ويرى ، كعيني ، شبح « القيصرية » -

• ورفعت وجهى الى الله وقلت : يا رب

• بكل ايمانى بك قلت : يا رب

- بكل عذاب عمرى قلت : يارب
بكل الصلة التى بينى وبينك ناديتك يا رب
ثم انخرطت فى البكاء
وغدت الدقائق ، ساعات •
واستقطب أيام عدى ، لحظات مشحونة ، كأنها دهر كامل •
ورفعت رأسى على هتفة الطبيب : الحمد لله مبروك
وصارت ابنتى أما للمرة الأولى
وصرت أمين ، أو أما ، مرتين
- ترى كم مرة صارت مصر العظيمة أما ، على مسار ألوف السنين ••
أم الحضارة •• وأم البطولات •• وأم النيلى •• وأم القيم ••
وأم كل رائع وتبيل وجميل •
- ولدت البشر •• والفنون •• والعلوم •• والأفكار •• والمواقف •
وكان طرحها فى كل ، رائعاً وبتاعاً •• مبدعاً وممتعاً ••
- ما أكرمك وطنا فى علاك
وما أعزك ، أما ، ما أغلاك
يا أم الأمهات •
ويتهدى الى سمعى صوت واهن ، ولكنه حبيب أثير :
أمى : بماذا تسمين ابنتى ؟
وسميتها « نوران »
ابنتى وحقيدى
- واستوحيت الآية الكريمة : « •• نور على نور يهدى الله لنوره من
يشاء » (٣٥ م النور ٢٤)
- كم لك عندى يا رب من آلاء •
يا رب الخير
منك الخير
وأنت على كل شىء قدير
• وبالحمد جدير •

• وأسرتى العامة أعطتني اسم الشرف : مصرية من مصر •

• أسرتى الخاصة أعطتني العمر المحدود •

وأسرتى العامة أعطتني زمانا بلا حدود هو عمر مصر • ومصر ولدت
قبل الزمان بزمان •• أى قبل أن تضع للدينا التقويم الشمسى الذى
تسير عليه الى اليوم •

أسرتى الخاصة أعطتني مبادئ الأخلاق : الصواب والخطأ وما يليق
وما لا يليق ••

وأسرتى العامة أعطتني قمة القيمة أى « معات » ومعناها العدل
والخير والحق أى « الضمير » •

فى الأسرة يستشعر الانسان الطمأنينة والسكينة والجنة ، اذ يشهد
تجربة متمرة : أبوين متفاهمين •• وفى مثل هذه الأسرة يولد الشعور
بالالتزام نحو المجتمع الكبير •

ان الأم أول شعور بالانتماء فى حياة الانسان •• وتظل السنوات
الأولى من العمر هى الوطن بما تعطيه من حماية ورعاية وأمان ورى
وغذاء • ومن هذا الاحساس بالانتماء ينبثق كل احساس الانتماء لدرجة
أن علماء النفس يسمون الاحساس القوى بشيء عندما يشب الأبناء : (الأم
البديلة) كالانتماء الوطنى أو اعتناق مبدأ معين •

الأم مدرسة لتوسيع حدود الذات ، واكتشاف شقى الوجود •
يكتشفه كل من الأب والأم فى الجانب الآخر •• ويكتشفه أيضا الأولاد
الذين تظنهم أطفالا ••

وأسرتى العامة أعطتني القيم والمعاني والأشياء الجميلة وعلامات
الطريق •• أعطتني معالى التاريخ ومجالى الأدب ••

كل هذا يصعد من الأعماق الى الشفتين فى عيد الأم لأنها أصل
الأسرة •• مدرسة اذا نبهت ، تخرج فيها شعب نابه كريم •

وسألتني المديعة : ما أحلى ذكرى عندك لأمك ؟

ولم تدر أنى من الذكريات الحلوة فى فيض ذائق كيف اختار ؟
ذكرت واحدة من كثير غامر •• ذكرت كيف كانت أمى كل ليلة تمسح
على رأسى ونقرأ لى آية الكرسي قراءة ملحونة ولكنها مقبولة عند الله رب
القلوب التى فى الصدور •• استمر هذا حتى بعد أن تخرجت من
الجامعة •• بل حتى قبل زواجى بيوم واحد •• اذا سهرت للقراءة تسهر

حتى أنام وتقرأ لى آية الكرسي . . . وانطبع فى وجدانى الآيتان : آية
القرآن ، الكريمة ، وآية الأمانة الحانية الرؤوم . فلما صرت أما كنت
أعلق لطفلى الوليد ، آية الكرسي . . . وأقرأ له كل ليلة آية الكرسي . . .
أفعل هذا مثلها حتى بعد أن دخل أولادى الجامعة . . . كل ليلة أسرى الى
حجرتهم وأجلس على طرف سرير كل منهم وأقرأ له آية الكرسي وكان
كيانى كله ؛ حدقة عين شغوف أو شغاف قلب رءوف . . . فى هذه اللحظة
يغدو الجسم ومادته من لحم ودم ، نهرا من حنان . . . أقرأ الآية صحيحة ولكن
قراءتها هى بأخطاء الشكل ، أطيب وأعذب .

كل سنة وأنت طيبة يا أمى بالميلاد

وكل سنة وأنت طيبة يا أمى يا أم الدنيا يا خير البلاد

يا أم الأم .

يا أم ابنتى وولدى بعدى .

يا أم أبى وأمى قبلى .

يا أم الأبناء والآباء .

يا أم المجد والكبرياء

يا أم الخير كله يا أم العطاء .

كم أعطيت وكم هديت يا مؤمنة .

أعرفت لماذا نحبك بلا حدود ؟

لأن حبك فوق النهى فوق الوجود

حبا لا يحيط به وصف

لأنه أكبر من اللغة . . . من الكلمات . . . أكبر حتى من الأمهات . . .

أكبر كثيرا يا أمى .

يا مصر .

يا كل الأحباب يا صفوة الصحاب

يا عز الأسرة

يا دفء الحب وحببة القلب

يا فرحة الزرع يا زهرة الروض

يا نوار القطن يا ذهب الحصاد

يا أم النيل والهرم يا كنوز الأثار

يا مولد الفجر يا معاني الأشعار

يا سحر الليل ٠٠٠ يا ليالى السمار
يا روعة الميلاد يا تراب الأجداد
يا ضحكة الوليد يا هتفة الشهيد
يا موئل الأديان يا انتصارات الانسان
يا مهد الحضارة يا أخت الزمان
يا أم البطولة يا حكمة الكهان
يا بركة السماء يا حلم المتصوفة
يا قبلة الأنبياء يا ملاذ العلماء
يا أمى ٠٠ يا مصر

بك نحميا ، وعليك نعيش ، واليك نعود كما بدأنا ٠٠ ذرة من ترابك
تنضم الى النرى من جديد فيخصب الثرى وينشق عن نبتة طالعة ٠٠
للحياة ٠٠ للتجديد ٠ وتنحدر فى النيل قطرة مترعة ٠٠ ليفيض بالخير ٠٠
ليجود ويحيه ٠٠

ويجرى النيل وتتواكب الأجيال ٠٠ جيل يخلفه جيل وتعيشين أنت
أبدا ٠٠ شبابك أخضر ٠٠ وعودك أنضر ٠٠ وتخفق قلوبنا بحبك حتى
من تحت التراب ٠ فحين صارت البه ٠٠ غدت مرة أخرى ٠٠ بصورة أخرى
٠٠ جزءا منك يا أمى يا مصر ٠٠
كل سنة وأنت طيبة ٤



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
المنظمة العامة لأكاديمية الإسكندرية

وحى من (وحى الرسالة)

صور تركية فى الأدب المصرى

بمناسبة عودة صاحب الرسالة أستاذنا أحمد حسن الزيات من رحلة النور أعكف هذه الأيام على كتابه الكبير الجليل (وحى الرسالة) أدرسه وأتدارسه أفيد منه للمرة الـ ٠٠٠ كم ؟ لست أدرى ٠٠ وأستخرج الصور والاتجاهات والملامح الفنية وطبقات المجتمع وقطاعاته المختلفة وضروب النقد الاجتماعى والسياسى والأدبى وكل ما يعنى الدراسة الأدبية ، لرجل الأدب الكبير تحبة ووفاء .

ودراستى عن صاحب الرسالة طويلة ستنتصل فصولها ولكنى على هامشها أسوق هذا الحديث الطريف .

من الظاهرات التى تلفت العين فى معرض (وحى الرسالة) بلوحاته وصوره ، وفنونه (الركن التركى) فلقد كتب أستاذنا الزيات كثيرا عن الأتراك - مستعمرين - وعنجهيتهم وغطرستهم الغبية وغباثهم المتغطرس الذى عانى منه قومنا قديما .

كلنا نعرف من وحى الرسالة كيف عاش الزيات فى آلام القرية المصرية ومشاكلها ٠٠ كيف شخيص واستقصى الأسباب والتمس الطباق وندد بمستغلبها وممتصى دماثها ، ورسم للقرية من الصور الزاهية والكابية ما يملأ معرضا للتصوير فالزيات يملك من وسائل الفن (كاميرا) وريشة وقلما فهو حينما يصور المنظر كما يبدو ، وآتا يلونه كما يحلو ، وتارة يرسله موقعا مرجعا وآونة يسطره مقوفا موشى فيجمع بين المنظر واللون والصوت والحركة ثم تجيء لمسة الفنان فتخلع على هذا كله طابعه وتمهره بانضائه ولو كان غير منظور ٠٠

ولنرجى حديث القرية المصرية فى أدب الزيات قليلا لنتحدث اليوم

(١) كل مستعمر له وجهان فالانجليز فى بلادهم كما يقول الاسناذ حافظ عغبى ، لهم مزايا عديدة ولكنهم ، مستعمرين ، مرفوضون ٠٠٠ والأتراك فى بلادهم شرسين مندبن ولوع بالنظافة ولكنهم ، مستعمرين ، صورة مختلفة .

عن ظاهرة أخرى عنده ولو أنها تابعة للظاهرة الكبرى في أدبه (القرية والفلاحين) •

والظاهرة التابعة التي جاءت في تاريخه للقرية ، حدينه الضاحك الباكي عن « الأتراك » ••• ومن صورهم في (وحي الرسالة) أو من صورهم هذه الصورة لتركيا القديمة وان كنت أنا شخصيا أعتقد أن ما جاء بها من صفات وسمات لم يتغير لأنها (خصائص قومية) يتوارثونها خالفا عن سالف وهي تلازمهم في كل مكان يذهبون اليه وعلى أية حالة يكونون عليها •• من الغنى أو الفقر •• وكلنا في مصر نتفكك صادقين بالمثل السائر (حسنة لسيدك محمد أغا) • أو نتذكر ممرورين (آخر خدمة الغز علقه) • وللمنلدين في مرويواتنا الشعبية قصص كالأساطير لعل بعضه الذي رواه الأستاذ الجليل الدكتور أحمد أمين في كتابه (قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية) •

والآن نسمع معا الأستاذ الزيات :

(تركيا القديمة - غفر الله لها - كانت في دول الأرض معنى من معانى الارهاب حروف لفظه السم واليم والسجن والسيوف والسوط جمعت في يدها القوية أطراف الشرق والغرب ، ثم أدارت حول تاجها الرهيب هالة من خلافة الرسول فعنت لها الوجوه وخشعت لسلطانها الأفتدة ، ولكنها لم تستطع أن تثبت ملكا بقوة الروح وبراعة الذهن وعبقريّة البيان كما فعل العرب فظلت واقفة أمام شعوبها التائرة عابسة الوجه معقودة العنق منشورة الشارب مشهورة السيوف • فحرمها ذلك الموقف من نصيبها من طمأنينة السلم ، ومدنية العلم ونعمة الثقافة • وكان ولايتها على الأمصار الخاضعة يحكمون الناس بهذه العقلية الجهول ، فيظهرون الأبهة ، وينشرون الرهبة ، ويحصدون الأموال والأنفس بالضرائب والرشى والمصادرة والقتل ، فاذا طالت الولاية واكتظ الوالى ورضى (المابين) وأراد الباشا ان يفكر فى الدين أو فى العلم أو فى الاصلاح •• دل على فهم بليد وغفلة عجيبة) (١) •

وهنا ساق الأستاذ الزيات الشاهد من قصة الوالى التركى على العراق فى أيام شاعره الزهاوى فليرجع إليها من أراد • أما أنا فأسوق الشاهد والمتل من عند الزيات أيضا ولكن مما يتصل بمصر التي ما يزال محفورا فى ذاكرتها الأحوال التركية البغيضة التي تاب الله على جيلنا منها اذا استثنينا بقايا بلايا من مخلفاتهم ولكن جيل الزيات عنده الكثير ليرويه • ولنبدأ الآن بقصة « المأمور التركى » •

(١) وحي الرسالة ج ٢ ص ٨١ ••••

(كان لفظ « المأمور » معناه الموت الذى لا عاصم منه ولا مهرب .
 وذلك أنه كان يخرج كل يوم على جواده الى الحقول ، شاكى السلاح ،
 كائس الوجه منفوخ اللغاديد ، مفتول الشارب ، متوقد النظر ، كأنه تمثال
 الرعب أو صورة الهولة ، ثم يسيير متلفتنا ذات اليمين وذات الشمال
 لا ليتفقد العمال ويتعهد الزروع ، ولكن ليبحث عن انسان يعذبه ، أو
 حيوان يضربه . والناس قد تعودوا منه ذلك فهم لا ينفكون طول النهار
 يرقبون ناحيته ويرصدون طريقه ، حتى اذا أبصروه من بعد غابوا فى
 مخابئ الأرض كأنهم لم يكونوا فإذا عاد من طوافه خائب السوط جلس
 أمام الدوار وأمر أن ترش الأرض وأن يلقى فى وحلها من جاءه فى طلب
 حاحه أو زرع مظلمة ، ثم يصبح بالجلاد أن ينهال عليه بالكرباج ، وهو
 فى خلال ذلك يمد من الغضب ويبرور من الغيظ حتى تهدأ ثورته وترضى
 كرباؤه بعد لاي ، وكان الحمد والمشايخ منوطبن به ، فلا يسمعون الأهر
 والنهى الا منه ، ولا يرفعون مشكلات القرى وقضاياها الا اليه . لذلك
 ظل أهلها يجهلون أن لهم خديو غير شريف ، و (نظارا) غير نظار
 الزراعة و (مأمورا) غير مأمور التفتيش . وكان هذا (الحاكم) كسائر بني
 جنسه مغلق الذهن مطبق الجهالة ، يجهل الزراعة ولكنه يأمر ، ولا يعلم
 القضية ولكنه يحكم ، والجانى المحكوم عليه هو الذى يجروا على أن يعقب
 أو يعارض . وكان سادته لا يفوقونه فى الذكاء ولا فى الرحمة ، فكانوا
 اذا زاروا هذه القرى - وقليل ما كانوا يزورون - تنكبوا بنادقهم وخرجوا
 يقتلون الوز فى البرك ، والحمام فى الأجران ، والكلاب على التلول ،
 والغربان على الشجر ، ويراهم الناس فيرنون اليهم دهشين من طرابيشهم
 الئتم على وجوههم البيض ويظنون أن وراء هذا الرواء جمال القلب
 وكرم النفس ، فاذا دنوا منهم يسألونهم الاحسان والعدل زموا بأنوفهم
 وحضوا مستكبرين لا ينظرون ولا يجيبون) (١) .

وكم لهذا المأمور بيننا الآن ، من رواسبهم ، أشباه . . بيض الوجوه
 سود النفوس ، والكنبرون منا يظنون أو لغفلتهم أن وراء هذا الرواء جمال
 القلب وكرم النفس فاذا النفس خواء ، وإذا العقل « بلاء » وإذا القلب
 منحوب أجوف لم تعمره عاطفة ولم تدخله رحمة ولم تخصصه المزايا الكبيرة
 التى يختص الله بها شعوب الحضارة . . المزايا التى تعطى الحياة الانسانية
 الفن والعلم والأدب والحكمة والفلسفة وروائع الفكر .

ويكمل صورة « المأمور » ويعمق (خلفيتها) الصورة البشعة التى
 رسمها القلم القادر (للأغوات) ولعذاب المصريين منهم :

(٠٠٠) وأصبح الصباح فجلس المأمور والمعاونون والنظار ، ورشت الأرض ، وطرح الجناني ، وتعاقبت على جسده المعرى عذبات الكرايبيج ، والناس من حوله يضحون بالبكاء ، ويضرعون بالرجاء و (الأغوات) يتلذذون برؤية الدماء المنزوفة ، والدموع المذروفة ، ويطربون لسماع الأناث الضارعة والصرخات المتصلة ، حتى كلت يد الضارب وخفت صوت المضروب فحملوه الى السجن . وسُفح العمدة لأهله أن يأخذوه ، فلما دخلوا عليه لم يجدوا وا أسفاه الا حشاشنة نفس لفظها على صدر حبيبه أثناء الطريق) (١) .

ولهذا المأمور أبناء عمومة كان لهم مع الفلاح المصرى تاريخ أسود :

(كان الفلاح فى القرن الماضى يكابد صنفا من الخلق صورهم الله على مثال عجيب من خفة الصقور وفتكة النمرور وهيئة الناس لبيكونوا مذكرين بجبروته ومنذرين بعذابه كانوا من الأرنؤد أو الجركس ، وكان عملهم جباية الضرائب على كل شىء ، ومن كل شخص وفى كل وقت ، وبكل صورة ، أو اقتحام الدور للبحث عن المحظور أو المحكور من الملح والصابون اذا اقتنهما أحد من غير طريق الحكومة . وكان سبيلهم الى ذلك سبيل الارهاب والعنف ، فمتى دخل أحدهم قرية من القرى دخلها الفزع والروع فلا يملك السائر ان يتقدم ولا الواقف ان يتكلم ولا الداخلى ان يخرج . ثم تخشع فى القرية الحباة فلا تسمع حسا ولا حركة الا هرب الكلاب وقوأة الدجاج وصراخ الصبية فاذا خرج منها (الجندى) كما كانوا يسمونه انطلقت من ورائه ضجة شديدة فى البلد من بكاء المضروب وصراخ المنهوب ودعاء المضطرب) (٢) .

هذه بعض الصور التى رسمها أسناناذا الزيات لو تأملناها سهل علينا تفسير التاريخ .

لقد اتمنا تاريخ تركيا بالطفاة حين حفل تاريخ مصر بفتوحات العكر والأمجاد العلمية والفنية والعقائدية والحضارية وكم بين تركيا ومصر فى ضمير الانسان وفى حضارة الانسان

لقد أعطت مصر ما أعطت للناس حين أفزعهم (هولوكو) وروعهم (سليم) الذى قضى فى مصر وحدها على ٥٠ حرفة (٣) يوم انقض على الصناع والفنانين فحملهم كرها الى استانبول .

(١) وحى الرسالة ج ٢ ص ٧٢ .

(٢) وحى الرسالة ج ٢ ص ٦٩ .

(٣) افرا كتاب (الصناعات النسيجية فى مصر) للأستاذ سعد الحادم

لقد اشتهر الأتراك في الحروب وتباهوا بالشجاعة ولكنها شجاعة
 عامة لا يخلد بها تاريخ ولا يشرف بها (انسان) • ولعل (شوقى)
 وهو أكثر شعرائنا دفاعاً عنهم ، لمح هذا المغزى حين قال (يا دولة السيف
 كوني دولة القلم) ولكن القلم موهبة ونعمة يحظى بها السعيد من
 الأمم والأفراد • القلم يوهب ، ولا « يكون » •

ليس في تاريخ تركيا ، كما في تاريخ العرب ، نبى كمحمد بن
 عبد الله ، وليس في تاريخ تركيا كما في تاريخ مصر مفكر كاخناتون العظيم •

وان [مجموعة خطابات وأوامر (عباس باشا الأول)] التي جمعها

وطبعها (الأمير محمد علي) ولي العهد (ليعلم العالم شيئاً عن تاريخ هذا
 الطبل العظيم) كما يقول ، لتصور العقلية التركية •

فمن أوامر عباس باشا إلى خوجينيد أغا أمر بشراء (قبقاب حمام)
 وأمر بشراء مخالي للتبن (١) ودهن النعام من عند كائن من كان (٢) وحجر
 البلاط ، و (البطاطة) (٣) وطاحونة وطاسة لأن (البن الذي يصرف في
 الدائرة كان يجرى تحميصه **واططانه**) هكذا (في الخارج قد ظهر غش
 في المطحون) (٤) •

وأمر بتعيين سماسرة أمناء (ليشترون) (هكذا) المقادير المطلوبة •
 يا له من تركي عبقرى ••• في التفاهة ••• لعل التركي من دون
 سائر خلق الله المقصود بالمنزل العربى (تمخض الجبل فولد فأرا) ••
 ومفخرة المفاخر عند محمد علي - صاحب المجموعة - هذه (الحكاية)
 التي يصدر بها كتابه في زهو كأنها مما يزهى به •

(•••) قال لى الشيخ أحمد أبو السعود الذي كان أستاذاً في تلاوة
 القرآن الكريم انه في أيام عباس باشا لم يكن أحد يسير في الشوارع
 اذا ما أذن المؤذن للصلاة في الجامع وكان الناس يلزمون بيوتهم وكانت
 الطرفى هادئة ساكنة طول وقت الصلاة وكان **الشياوشمية الأتراك الفرسان**
الذين كانوا وقتئذ يحافظون على الأمن يضربون ••• (بسياطهم) كل
شخص يرونه سائراً في الشوارع) (٥) •

(١) ص ٧ ، ٨ من كتاب (مجموعة خطابات وأوامر « عباس باشا الأول ») •

(٢) ص ٢٦ •

(٣) ص ٣٤ •

(٤) ص ١٠٦ •

(٥) (مجموعة خطابات وأوامر عباس باشا الأول) ص ٦ •

هكذا يفهم الأتراك (التقوى) ! لشد ما يذكرنى هذا بقول أستاذنا أحمد أمين فى قاموسه (واشتهر التركى بتدينه ، ولكن تدينا شكليا تنقصه روح الاسلام فهو يعنى بالأدب أمام تلاوة القرآن وبقامته الصلاة أكبر مما يعنى بتحرى العدل ورفع المظالم وعدم الرشوة ويعتقد أنه اذا ارتكب هذه الجرائم كلها ، يرفعها عنه بناء مسجد أو سبيل أو مدرسة . ومع الأسف لقي منهم المصريون الأمرين) (١) .

ومن العقوبات العادية التى كانت تصدر بها الأوامر فى سهولة وبساطة (قطع اللسان) والاعدام (٢) والطرح فى البحر (٣) ، وهذا خاص بالنساء اللاتى يتأفن أعين أبنائهن هربا من التجنيد . . (٤) .
ويعلق محمد على (الأمير) على هذه (العبقريّة الادارية) بقوله :
(هذا يظهر كيفية الأوامر الجدد) (٥) .

وبمناسبة التجنيد نذكر أن هناك أمرا طريفا (بأن يكون فرز المجندين هنا بواسطة شورى الأطباء وسيقبل منهم الشبان الأصحاء البنية ولو يكون بهم قرع أو نقص سنة واحدة أو على عينه الشمال نقطة) .
ومن طرائف الأوامر أو العقوبات لست أدرى هذا الأمر بعد أن اكتشف ولى النعم جهل التلاميذ .

ازادة لمدير المدارس :

(.) يحق لى ان ألغى ديوان المدارس الذى اتخذناه أساسا
للتعليم وأطرد الأساتذة والمهندسين المرمى اليهم والبالغ عددهم
خمسة عشر شخصا حيث انهم لا يعرفون شيئا خلاف تخريب الأقاليم
وقد طردتهم من الخدمة أبديا وكتبت لمدير الأقاليم الوسطى أن ينزع
نيأسيينهم ويوصلها الى الديوان ويجب ان يستخدموا بعد ذلك فى الحكومة

(١) قاموس العادات والتقاليد والتعاير المصرية (للأستاذ الدكتور أحمد أمين

ص ٢٣ .

(٢) ص ١٣ ، نفس المرجع السابق .

(٣) ص ٤٥ ، ٦٩ ، نفس المرجع السابق .

(٤) ص ٤٥ ، ٦٩ .

(٥) ص ٣٧ ، نفس المرجع السابق .

(٥) ١٩ ، ٢١ .

(٦) ص ١٩ ، نفس المرجع السابق .

بمعرفة ديوان المدارس واذا استخدمهم أحد على غير ارادتي فسأنزع
نماشينته وأطرده حالا وحيث انه لا يكفي لكل من مراكز بنى سويف
والقشن والفيوم وبنى مزار والمنيا مهندس ماهر مقتدر فيلزم ان تعنوا
باننتخاب خمسة مهندسين وافقين على العلوم والأعمال الهندسية والحساب
وارسالهم الى المديرية المذكورة واعلموا أنى بعد عودتى من وجه قبلى
سأمتحنهم وأجربهم فاذا تبين انهم مثل المهندسين المطرودين فسأضطر . .
لظردهم أيضا والغاء ديوان المدارس كلية ولللمعلومية تحرر لكم هذا
لاتباعه (١) .

وارادة أخرى شبيهة لحكمدار السودان :

ففى (غرضون هذه السنة (١٢٦٦ هـ) أمر الولى عباس باشا
بامتحان مهندسى الأرياف ومعلمى المدارس لأن الكثير منهم ليسوا على شىء
وجعل كلا من اليوزباشية على مبارك أفندى وعلى ابراهيم أفندى وحماد
أفندى من أرباب الامتحان وشرط عليهم ألا يتكلموا الا بالصدق ولو على
أنفسهم واذا علم أن احدهم منهم كذب فى شىء فجزأؤه سلب نعمته
وإيأسه لبدة الفلاحين وسلكه فى سلكتهم . . (٢) .

كان الفلاحين ليسوا أولياء نعمته . . كأنهم ليسوا ساداته الحقيقين
فى حساب التاريخ . . ولكنه عباس .

وأمر بسلب حصان فى أدب :

الى مير لواء حسن بك

(وكيلنا حسين أغا قد حضر عندكم ورأى حصانكم جيدا يوافق
لطبعنا وحضرتكم - ولعله يقصد (وحظرتكم) بالطاء - قد رضيت بأن تتكرم
علينا اعطائهم فبناء عليه قد أرسلنا الى طرفكم ناظر اصطبلسنا على أغا
لاستلام الحصان بعد تجربة سيره وركوبه وأحواله كلها) . . (٣) .

وأمر حيوانى (وكان عباس باشا يرأف بالحيوانات) كما يقول قريبه
محمد على : (وقد علم لنا من الجواب الوارد من يوسف بك أن الكلاب
المأخوذة من النبراكى . . بواسطة أخيها حليم بك كانوا فى الجنينة وباب
المياه كان مفتوحا فوقعوا فى الماء وتيار سبيل المياه أخذهم . حسى من

(١) ص ٧٧ .

(٢) ص ٧٩ .

(٣) ص ١١٤ .

شدة ضرب أمواج المياه فيهم مزقوا جلود البعض ولأجل هذه المسألة يوسف بك ضرب الجبائني مانسى سوط حسب افادته فى الجواب مع ذلك ان الاهمال كان من يوسف بك لا من الجبائني الذى ضرب ظلما وعدوانا .

فانى آمركم أن تضربوا يوسف بك - طريفة بضربوا يوسف بك - ثلاثمائة سوط تاديبا له . وتأخذوا من صدره النشان وعنونه معاونا للاصطبل تحقرا له وان لم تنفذوا أمرنا هذا كما هو واجب فاني أحلف لكم بدينى سأضربكم أنب سوط - هكذا - فليكن لكم معلوما فالأمل منكم أن تنفذوا أوامرى كلها كما أمرتكم وتعالجوا جروح الكلاب كل يوم حتى تطيب جروحهم وتخبرونى عن تحسين حالتهم (١) .

وكم من جراح غائرة أثنى بها الغباء التركى الغاشم والاسبيداد المرمى المتحجر ، جسم مصر والعرب فيبينما يقول الدكتور جمال حمدان فى كتابه (الاستعمار والنحرير فى العالم العربى) . . (فيبينما لم يترك الأتراك أى أثر حضارى بناء فى العالم العربى كانوا عائلة على ترات العرب - ابداء من العمال حتى شكل الكتابة ومن الصناعة حتى النقافة .

وبعامة فقد كانت (الاستعارة) التركية نهبا حضاريا وابتزازا مخططا للموارد يقوم على مبدأ (Skim the cream) . . (٢) .

وبعد فليس النثر أو (أدب المقالة) ممثلا فى الزياد هو وحده الذى صور الأتراك فى واقع التاريخ المصرى والمفهوم المصرى فان المسرح المصرى قد أسهم فى هذا التصوير بنصيب كبير . فبديح خيرى من وراء مسرح الريحاني فى رواية (الخمسة) وبناننا الكبير توفيق الحكيم فى مسرحينه (الأيدى الناعمة) و (باكبير) فى مسرحيته (جلفدان هانم) على سبيل المثال ، فتحوا مجالا لنماذج تركية وللسخرية المصرية منهم فى وقت واحد . (جلفدان هانم) بكبرياتها الغاشمة وتسلفها الأرعن ، وجبها للسيطرة والتحكم فى الآخرين . . التحكم فى عقولهم فينلقى طالب العلم ما لا يريدونه وما لا يغنيه ، والتحكم فى عواطفهم فتفصل بين الابنة وزوجها الذى تحبه ، والرغبة الآثمة فى اساعة الرعب منها بالتهديد والوعيد والبطش . . . (جلفدان هانم) هذه بصورتها البغيضة وعقليتها المريضة ، رمز لسياسة تركيا اذا تمكنت من الآخرين ولست ببالغة وصفها أو مبالغة فيه ، مصرية خالصة المصرية ، فقد سبقنى إليه شاعر مصرى يمت اليهم بسبب هو

(١) مجموعة الخطابات ، ص ١١٩ .

(٢) ص ١٦ من كتاب (الاستعمار والنحرير فى العالم العربى) .

« ولى الدين يكن » ففي قصيدته التي ناقض بها قصيدة شوقي المشهورة التي قالها في خلع (عبد الحميد) سنة ١٩٠٩ ومطلعها :

سل يلدزا ذات القصور	هل جاءها نبأ البذور
وصف ولى الدين يكن وهو من أرومة تركية في نقيضه الحاكم	(التركي) بالبطش ، والجهل والغرور والنهب والفتك والتخريب :
هاجتك خالية القصور	وشجتك آفلة البذور
وذكرت سكان الحمى	ونسيت سكان القبور
وبكيت بالدمع الغزي	سر لباعث الدمع الغزير
ولواهب المال الكندي	سر وناهب المال الكندي
يا مسغب الاجناد قد	أشبعت ساغبة النسور
لله أجساد نوت	بين الجنادل والصخور
كم خلفها من صبيبة	يتمت ومن شيخ كبير
ان البلائين اليتى	مرت بنا مر العصور
وهبتك تجربة الأمو	ر فعشت في جهل الأمور
لو أن الأيام السـ	نة لصاحت بالثبور
هى غارة لكنها	دارت على رأس المغير
من عاش يستحل الشرو	ر يموت من تلك الشرور(١)
ان الزمان يغر ثـ	يذيق عاقبة الغرور

على أن «شوقي» نفسه لم يستطع مقاومة الورائة المصرية فيه فسخر السخرية المصرية التقليدية من الأتراك فى مسرحية (الست هدى) أما النديم فقد استخدم (المسامير) فى ايلامهم جزاء وفاقا بما جرعتنا أيديهم من غصص العذاب .

وأحدث الصور التركية فى الأدب المصرى صورة (العروس) التى رسمها أديبنا نوفيق الحكيم فى كتابه الجديد (سجن العمر) . العروس التركية الشمطاء التى كانت فى الخمسين من عمرها وتريد أن تسير الى بيت (العريس) فى زفة تتقدمها الموسيقى الميرى ، ولنترك الحكيم يروى :

(١) دنوان ولى الدين يكن ص ٣٠ - ٣٢ ويلاحظ أى رتبت الأبيان على السبق الذى يجمع المعانى فى غير اطالة أو تكرار أو شنيت فلم الزم ترتيب القصيدة مادام (البيت) هو « الوحلة » عند الشاعر .

(٠٠ وصلنا الى شبين الكوم بالسلامة ٠٠ وهما قامت القيامة ٠٠ سمعت صياحا وصخباً وزعيقاً يملأ الجو في المحطة ٠٠ انها العروس بسلامتها ما كادت تنظر حولها وهي نازلة من القطار حتى صاحت : أين الموسيقى ٠٠ الميرى ٠٠ ؟ ورفضت رفضاً باتاً ان ننقل قدماً من المحطة الا اذا سارت الموسيقى الميرى أمام عربة العروس « الكوبيل » بخيولها المزوقة بالورد ٠٠ ولم يكن أحد قد فكر في ذلك ولا عمل له الترتيب ، لأن العروس لم تكن صغيرة السن ولا كان هذا أول عرس لها ، فقد سبق لها الزواج أكبر من مرة ٠٠ ولكن معنها التركي ابي الا ان تزف في شوارع المدينة بالموسيقى الميرى ٠٠٠ لم أفهم الا فيما بعد سبب هذا الضجيج والزعيق ٠٠ وآكب الجميع على يد العروس يلتمونها متوسلين متضرعين أن تغفر لهم هذه الزلة وأن نركب العربة الكوبيل وتمضى في هدوء الى بيت الفرح ، منعا للفضيحة ٠٠٠ وتجمع المارة وأهل الفضول ٠٠ وأخيراً ركبت وسارت معهم وهي تشتمهم باللغة التركية وهم يشتمونها في سرهم باللغة العربية ٠٠٠) (١) .

وبعد ٠٠٠٠ فهذه (الصور) التي ساقها الينا أو ساقنا اليها كتاب الرسالة (تكفى اليوم لتكون صفحة من الدراسة التي أعدها عن الكتاب الكبير وان كانت لمحة ، فحسب ، من التحية التي أزيجها الى الأستاذ الجليل ٠٠٠ صاحب الرسالة .

(١) ص ٩٥ - ٩٦ من كتاب (سجن العمر) للأستاذ توفيق الحكيم .

رسالة الى محافظ القاهرة

الاحتفال بوفاء النيل

الزمن : ١٨٠٠ م

الحاكم : مينو

عن جريدة الحملة الفرنسية (كوربيه دي ليجييت)
(أجرى فتح الخليج هذا العام في ٢٩ ترميدور ٠٠ وكان ارتفاع النيل في عمود القياس ١٦ ذراعا وهذا يجاوز ارتفاع الفيضان في السنة الماضية في ٢ فاندميير . ويضمن هذا الفيضان الخصب السعيد لأرض مصر .

عند غروب الشمس في الليلة الماضية دوت مدافع القلعة وجميع الحصون في القاهرة معلنة كسر السد . وفي الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي ، توجه القائد مينو ومع أعضاء أركان حربه ورجال الادارات العسكرية والمدنية الى المكان الذي كان قد أقيم عليه « الكشك » الذي هدم في أثناء حصار القاهرة . وكان جنود الحامية والفرق العسكرية خارج المدينة قد احلوا أماكنهم حول مكان الاحتفال الذي تجمع فيه حشد كبير من الأهالي وأفراد الشعب بشبابهم المزركشة المختلفة الألوان .

وعندما كان القائد العام وكبار ضباطه ينشرون الآلاف من قطع النقود

كان الأغا والى وصحبه يفتحون الحواجز ، فتدفقت المباء كالسيل المنهمر في مجرى القناة .

وقد نشرنا في عددنا رقم ٥٠ من السنة الماضية الوثيقة العامة والقانونية التي تحرر في مثل هذه المناسبة) .

فعلت هذا الحملة الفرنسية في القرن الثامن عشر !! كما فعله من جاءوا قبلها من حاكمين . والشعر العربي في مصر مملوء بقصائد كسر الخليج .

وفى النثر العربى « سجلات البشائر » مما لم يحظ به نهر آخر
فى الدولة الاسلامية .

فعل هذا الدخلاء فى كل عصر وتحت كل اسم بما فيهم الحملة
الفرنسية .

ومنع الاحتفال مصر المستقلة فى النصف الثانى من القرن
العشرين ! كان النيل من العهد « البائد » !!

وهو أقرب الاحتفالات الى قلب الشعب وأمساها به ، وأقدمها عنده
حتى لفت نظر كل غريب عرف مصر وسجله .

سجله ادوار لبن فى كتابه (المصريون المحدثون وعاداتهم
وتقاليدهم) كما سجله المؤرخون الاسلاميون الذين كانوا يؤرخون للنيل
فى نهاية كل سنة من حيث الزيادة أو النقصان كحدث جليل من الأحداث
الهامة الكبرى ولم يظفر بهذا فى التاريخ الاسلامى نهر غيره .

ان مظاهر الاحتفاء بالنيل ، والاحتفال بفيضاته ملأت خمسة
مجلدات أنفق فيها ، عمره ، أمين سامى باشا .

حتى الأديان أقامت من أجل زيادته ، الصلوات . ففي الكنيسة
أوشبة المياه ، وفى المسجد ابتهاجات ، وعلى الضفاف التقينا معا فى صلاة
الاستسقاء سنة ٧٧٥ هـ ، ٨٢٣ هـ ، ٨٣٢ هـ ، ٨٥٤ هـ ، ٨٦٦ هـ ،
٨٧١ هـ ، ٩٢٢ هـ .

وما المقياس القائم فى الروضة الا صلاة استسقاء معمارية .

وعقدت للنيل المؤتمرات مما جمعه المجمع المصرى للنقافة العلمية
فى كتاب باسمه سنة ١٩٥٢ . بل احتفل بوفاء النيل الأدب الانجليزى
فى ثلاث قصائد من طراز المقطعات القصيرة Sonnet نظمها
(كيتس) و (شلى) و (لى هنت) بل احتفل بوفاء النيل الشعاع
الرومانى (تيبولوس) وشاعر الرومان (فرجيل) .

حين كتبت رسالتى عن النيل ، سعيت الى دار الافتاء لأقف على
أقدم حجة وفاء للنيل فكان أقصى ما وصلت اليه ، حجة وفاء النيل سنة
١٩١٥ فى دار المحكمة العليا الشرعية . وقد سجلتها ، كما صورت حجة
وفاء النيل سنة ١٩٥٦ عن مضبطة الشهادات ، وآخر حجة وفاء كتبت
له سنة ١٩٥٨ وبعد هذا غاب الوفاء وفاؤنا للنيل ووفاء الاحتفال به .

وإذا كان السد قد امتص اللفظة على الزيادة ، والقلق من النقصان،
فالسد صنيعة النيل إذا عالجنا الآثار الجانبية له بما ينجم عنها .

• بكل المقاييس يحق للنيل الاحتفال بوفائه •

وبكل المقاييس يحق للشعب المصرى أن ترد عليه الحكومة حقا له
يتعلق بحباته وتاريخه • وليس أعمق فى وجدان الشعب المصرى من
ائنين : **الدين •• والنيل •**

وفى العام الماضى خاطبت السيد محافظ القاهرة فى شأن الاحتفال
بوفاء النيل •• ودار هذا الحديث فى أغسطس فوعد أن يعد لهذا
الاحتفال اعدادا كبيرا بعد غيبة طويلة لم نحتفل فيها بالنيل • ولهذا
أكتب اليه فى يولييه لأن الحديث قبل هذا قد تغطى عليه الأحداث
والحديث بعدها قد يكون متأخرا حيث أغسطس وسبتمبر
الموعد التقليدى للاحتفال بوفاء النيل وهو الاحتفال الوحيد القومى النابع
من وجداننا وما عداه مرسوم •

فهل تحبى تقلبدا جمبلا لم يفرط فيه حتى الغزاة !؟

أنتظر ، مصرية ، مع شعب النيل :

اعلان المحافظة موعده الاحتفال بوفاء النيل

ولبكن هذا العيد يوما تلتقى عنده دول حوض النيل التسع
بالاتصال بها والتنسيق معها ، ليكتسب الوفاء صفة افريقية ودولية •

باب النقد

أزمة النقد

ليس هناك أزمة نقد ونقاد فيما أرى . إنما المشكلة تنحصر في الانتاج في « الخلق الفني » فالفنان أولا يخلق عملا فنيا كبيرا ثم يأتي بعده الناقد الذي يتخذ موضوعه العمل الفني الذي تم خلقه فيحلله ويدرسه ويستخلص منه ويشير اليه .

الانتاج هو الذى يخلق النقد فاذا كان الانتاج قويا ، احتشد له النقاد وتوفروا عليه ليصدر رأيهم في مثل قوته وعمقه . أما اذا كان الانتاج هزيلا فان النقد تبعا له يكون هزيلا مثله انه حينئذ لا يكلف نفسه عناء البحث والدرس

مرة أخرى أقول : الموهبة أولا . ان نقاد العالم لا يخلقون قصصيا ممتازا أو شاعرا مطبوعا ولو اجتمعوا له . . حتى الجامعة بكل هيئتها لا تستطيع أن تخلق فنانا ان استطاعت أن تخلق باحثا .

الفنان من روح الله لا من صنع الوسائل والامكانيات . وهذا يفسر خروج أدباء كبار من بين المهندسين والأطباء كالدكتور كامل حسين والدكتور يوسف ادريس . . . وشعراء كالدكتور ابراهيم ناجي والمهندس على محمود طه .

حتى الأدباء الأعلام الذين نشأوا في رحاب كلية الآداب ، لم تخلقهم من فراغ ، كلية الآداب ، والا فقد تخرج فيها الى جانبهم ، ألوف وان كان دورها كبيرا في الصقل والانماء .

الفنان يولد فنانا ثم تعمل الدراسة عملها في صقل الموهبة وجلاء الفطرة . . . وبعد هذا يأتي دور النقد تاليا لبحث بالنعمة أو يلمح نقصا في سبيل الكمال الممكن .

اننا في مرحلة بناء تدفع الانتاج ، في حركة متدافعة ، على اختلاف في المجال والتنوعية والأثر

والانتاج الأدبي في هذا التيار الجارف ، يقدم كل يوم جديدا حتى لكأنه في سباق ومن شأن العجلة ، وخاصة فيما شأنه الثأني ، والاختمار ، والنضوج ، أن تؤدي الى الفجاجة والسطحية . . . وتكون النتيجة الحتمية أننا من بين كل مائة كتاب لا نكاد نظفر ببضعة كتب جيدة فهل يلام النقد وحده ؟

وتستطيع أن تقول مثل هذا الكلام عن السينما . . عن المسرح . . عن الموسيقى . . عن سائر الألوان ، الفنية فى حياتنا ، التى يعالجها أصحابها اتفاقا أو اجتهادا بلا رصيد من موهبة أو تحصيل ، فتولد مبتوره أو شوهاء أو متخلفة عن نظائرها . . . تفنقد عين الفاحص فيها « الأصالة » التى لا يستحق العمل ، بغيرها ، أن يسمى عملا فنيا .

النقد الأدبى يحلو للبعض ان يحيطه بجديه صارمة ويجعل منه علما له رهبة العلم وجفاف النظريات والقواعد . والحقيقة أن الأمر أبسط من هذا بكثير . فلو سلمنا بأن النقد الأدبى بعد كل الدراسات التى دارت حوله وكتبت فيه علم ، فهو علم فنى - لو جاز لنا هذا التعبير - أقصد انه علم قائم على الفن ممزوج به . والفن هنا انما هو فن الأدب . فن الكلمة الفنية الموحية ذات الأضواء والظلال ، الأدب فى فن النقد الأدبى من أيضا . . الأدب ذوق ورهافة شعور ولطافة روح ولسات تعبير . والنقد مثله ذوق فى التمييز وذوق فى التعبير وذوق فى التساؤل والمعالجة . فليس من النقد التجريح وليس من النقد غمط الجهد الفنى . وليس من النقد . الكلمة الحادة والعبارة الجافية . ان الدين نقد للحياة العقائدية الضالة ، ولكنه اتخذ وسيلته الكلمة الحانية والدعوة المترفة ولأمر ما كثر ترديد لفظة (يا قومى) فى القرآن الكريم ليعطف قلوبهم . ووصف الله ، الرسول الداعى بأنه على خلق عظيم (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) . فالنقد خلق وخلق وضوء كشاف . واذا كان الأدب تعاطفا مع الطبيعة . . مع روح الكون فالنقد تعاطف مع الفنان المفتن . . مع روح الانسان . والنقد الكبير قد يضىء من نفسه على الأثر الفنى ما ليس منه أو ما لم يقصد اليه صاحبه .

والانسان معبر بطبيعته فالأدب لصيق بنفسه . . والانسان ناقد بطبيعته أيضا فالنقد فطرة فيه **والخضارة الانسانية** فى مراحلها المختلفة مظاهر نقد الانسان لواقعه واستعلائه عليه . وكل محاولات التفوق والامتياز يكمن فيها معنى النقد لمستوى أدنى والنزوع الى مستوى أعلى .

ولو تأملنا قليلا نجد ان النقد طابع الحياة اليومية كما ان الأدب (رادارها) فنحن نأكل نكاد نبصر شيئا حتى نقول ولو فى صمت هذا حسن أو هذا غير جميل أعنى انه تتولد فى نفوسنا عاطفة ما نحو المراثيات . وتقوى هذه العاطفة كلما قوى الاحساس عنده صاحبها فتصل الى مصادقة الأشياء والامتزاج بها عند الشعراء والمتنصوفة وهو الذى يسمونه « وحدة الكون » تلك الوحدة التى كان يعنىها الحلاج بقوله (ما فى الجبة الا الله) .

أى أن الانسان بل الزهرة وكل ما فى الطبيعة من ناطق وصامت انما هو لمحة منه وشعاع من نوره .

وتشتد الرغبة فى النقد فى نواح بعينها كما هى الحال فى مجال الكلام وفى مجال السلوك فهذه كلمة تسر وهذه كلمة تسوء وهذه كلمة قيمة وهذه كلمة نازلة وهذا فعل مهذب وهذا فعل لا يحمد عند الناس .
 وهذان اللونان من النقد الجارى اذا بلغ بهما صاحبهما مرتبة التعبير ، دخل الأول فى باب النقد الأدبى ودخل الثانى فى باب النقد الاجتماعى .
 وأنا أرمى من وراء هذه المقدمة الى ان النقد شئ طبيعى فى حياة الانسان .

والمرأة خاصة ولوع بالنقد فعينها لقاطعة قادرة على التفاصيل .
 ولعل السر فى هذا أنها بطبيعتها مزودة بأدوات الناقد المثالى من رهافة الحس وقوة الملاحظة وحب الجمال وتمييزه . ويتجلى هذا فى اختيارها لألوان ثيابها وزينتها .

وهكذا نرى ان النقد فى الأدب نشأ مبكرا وعاصر الأدب منذ طفولته ولعل أول ناقد وجد عقب أول شاعر سواء أكان سلبيا، يتذوق فى صمت أم ايجابيا يفصح عنه انفعاله . ولكن أقدم صورة للنقد تتمثل فى نقد الأديب لما ينتجه ، فلا ينظم شاعر أو ينثر كاتب دون ان يتبع بعض القواعد أو المبادئ ، يعتمد عليها فى بناء قصيدته أو قصته . فهو فى خلقه الأدبى دائب على المراجعة والتهديب والصقل ، سواء كان من أدباء البديهة أم من رجال الصنعة والأناة . وهو فى عمله هذا يبذل جهد الناقد (١) .

والانسان منذ بدأ يتفنن ، وظاهرة الابداع الفنى تثير انتباهه وتدفعه الى محاولة تمييزها والكشف عن طبيعتها وبواعثها . وقد رفع الانسان البدائى أصحابها الى مقام الأرباب أو المتصلين بالأرباب اتصالا مباشرا وأسبغ عليهم من القدرات ما يتجاوز الجهد الفنى فى ذاته الى التوصلت على عناصر الطبيعة أو الاستئثار بالعلم أو الابانة عن الغيب المحجوب .

ومن هنا كان (الابداع الفنى) فى نظر الانسان ، نبتة الخلق الالهى ، وقد ذكرت أساطير اليونان (ربات الشعر) Mures فى مواضع كثيرة وجعلتهن موكلات بالفتون بعامة والنشيد والغناء بخاصة (٢) .

(١) كتاب (المدخل الى النقد الأدبى) للدكتور محمد شمسي هلال

(٢) من كتاب الأسس الفنية للنقد الأدبى ، د. عبد الحميد يونس

وذكرت العرب شياطين الشعر وأفاضوا في ذكر أخبارهم بل زعموا أن بعض شعرائهم مجرد رواة لهؤلاء الشياطين أو الجن الذين أسكنوهم وادى عبقر وأطلقوا نسبة اليه لفظة (العبقرية) على الامتياز والابداع .
وتتلاقى اللغات عند هذه التسمية فجنى و (جنى) فى العربية وفى اللاتينية وفى الفرنسية وفى الانجليزية كل فى مكانها من لغتها تدل على العبقرية .

وقد بدأ النقد العربى بملاحظات فى الجاهلية أخذت تتضح وتوسع مع ظهور الشعراء الفحول كزهير والنابغة ممن كانت لهم سمات فنية تميزهم .

ولما أصبح الاسلام ملكا بعد عصر الخلفاء الراشدين قوى فبنا الغزل والهجاء فقد أيقظت السياسة التى جرت عليها الدولة الأموية العصبية بين القبائل فنشأت النقائض ٠٠٠ كما أعانت الدولة على شيوع الترف فى الحجاز بنى شباب الهاتسمين فأعدت المال وسكنت عن اللهو فكثر الغزل والغزليون .

وفى القرن الثانى ظهرت شخصية الفرس الذين عملوا على اسقاط الدولة الأموية بقيادة أبى مسلم الخراسانى وساعدوا على قيام الدولة العباسية التى حفظت لهم صنيعهم ابان نشأتها فأسندت اليهم الوزارة والحجابه والكتابة وقيادة الجيوش فقوى نفوذهم وأم الشعراء بابهم وافتخر منهم المنتمون الى الفرس بأصلهم الفارسى وظهرت الشعوبية كما صحب الدولة العباسية قيام نهضة علمية أعان عليها استقرار الدولة وغناها وطموحها .

وصحبه هذه النهضة العلمية نهضة فنية كان الأدب أبرز معالمها فأخذت علومه تتبلور وتستقل ، كما استلزم ترف الذوق تأصيل النقد الذى يقوم على الفهم والتقدير والموازنة والذوق المهذب المصفى الذى هو مزاج من العقل والعاطفة والخيال وثمره لمواهب فنية ودراسات قوية وساهم فى النقد ، سواء فى بلاط الخليفة أو خارجه ، اللغويون كالمبرد .
والأدباء كابن المعتز . والعلماء كابن قتيبة .

أما القرن الثالث فقد كان خصبا حقا بالرجال والأفكار كما يقول الأستاذ محمد خلف الله (١) فقد اشتدت حركة الترجمة من اليونانية الى العربية ومن الفارسية الى العربية وأهم الكتب التى ظهرت فى هذه الفترة (الكامل) للمبرد و (رسالة البديع) لابن المعتز و (الشعر

(١) كتاب (من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب ونقده) ص ٩٢ - للأستاذ محمد خلف الله .

والشعراء) لابن قتيبة و (البيان والتبيين) للجاحظ و (نقد الشعر)
و (نقد النثر) لقدامة .

ونشطت حركة النقد في القرن الرابع الهجري وألفت الكتب في
نقد الشعراء أو المقارنة بينهم فظهرت عدة مؤلفات أهمها (الموازنة بين
الطائيين للآمدى) و (أخبار أبي تمام) للصولي و (الوساطة بين المتنبي
وخصومه) للجرجاني ، وفي التراجم الأدبية (الأغاني) للأصفهاني ورسالة
الصاحب بن عباد في الكشف عن مساوي المتنبي ورسالة الخاتمي فيما
توارد من المعاني عند المتنبي وأرسطو والبحوث القائمة على الذوق الأدبي
في كتاب (الصناعتين) لأبي هلال العسكري الذي ألف أيضا (ديوان
المعاني في دراسة الشعر ونقده) « ت ٤٠٣ هـ » كما يمثل دراسة
خصائص الأسلوب القرآني (اعجاز القرآن) للباقلاني .

واستمر النقد على ضوء ما رسمه هؤلاء قرونا حتى اذا تدهور الأدب
والنقد معا ، قامت النهضة الحديثة وصاحبها النقد ولكنه هنا تأثر بالثقافتين
العربية والغربية .

ونحن اذا تأملنا النقد العربي وجدناه ينمط في خطين متناقضين ،
هما الموازنة والسرقات ونفاذهم الى المصدر الأول للمعنى وتنويرهم به
يدل على حرمة الابداع الفني عندهم وحرصهم عليه من التخطف والادعاء .
وفي هذه القدسية التي للأثر الفني تستوى الأهم جميعا فاننا نلاحظ أن
الأوربيين قد اتفقوا على اصطلاح مشابه هو (Plagiarism) وهو
مأخوذ من الأصل اللاتيني (Plagiarius) ومعناها السارق أو
الناهب أو المغتصب . ولكن السرقات في الأدب العربي كما يقول الدكتور
عبد الحميد يونس كانت أظهر وأخطر للاعتماد على الذاكرة في حفظ
النصوص وروايتها . وكثيرا ما يكون الرواة من الشعراء أنفسهم وهذا
يستتبع بطبيعة الحال ، دخول الصور والمعاني والألفاظ بفعل التداعي
في الانشاء . فاذا أضفنا الى ذلك ظهور طائفة من الناس تخصصت في
الرواية أو احترفتها ، ادركنا مدى الخطر الذي يحدق بالابداع الفني . . .
وهنا ظهر الانتماء تبعاً لأهواء الرواة وتزييفهم للنصوص حسب اشتداد
الطلب عليها .

وحركة النقد الأدبي التي اشتدت في الدولة العباسية من العوامل
التي أوجدت علما آخر هو البلاغة ، فان ملاحظات النقاد وآراءهم استحوطت
فيما بعد الى قوانين علمية ترشد الكتاب والشعراء الى ما يجب اتباعه
اذا أنشأوا أو نظموا . . . هذه الأسس والقواعد هي قوانين البلاغة وأبواب
المعاني والبيان والبديع في علوم اللغة العربية .

وقد عاش النقد والبلاغة متداخلين طويلا كما يتضح هذا من (الصناعتين) للعسكري و (البيان والتبيين) للجاحظ فلم ينفصلا الا بمشقة وفي نحو القرن الهجرى الخامس حين أقام الأستاذ عبد القاهر الجرجاني أسس البلاغة واضحة ثابتة الدعائم متميزة الصفات فى كتابيه الخطيرين دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة .

وهذان الكتابان من أهمات الكتب العربية التى قامت النهضة المصرية الحاضرة على احيائها ودراستها .

أما دلائل الاعجاز فهو بحث فى أسلوب الكلام وطريقة صياغته وفن هذه الصياغة من تقديم وتأخير وذكر وحذف وفصل ووصل وقصر واختصاص مفضلا فى هذا كله المعنى على اللفظ . و (أسرار البلاغة) يبحث فى صياغة المعانى وما تحدثه من أثر عند السامع والقارىء ولهذا اعتبر نأثر النص الأدبى فى نفس متذوقه من أهم مقاييس الجودة الأدبية (١) .

النقد بين العلم والفن :

هل يمكن للنقد أن يكون علما يقنن أى له قوانينه وقواعده جريا على سنة العلم من تبويب وتنظيم ؟ الجواب لا . . . فهناك فروق بين طبيعة العلم وبين ما يشاهده فى النقد الأدبى . ان النقد الأدبى يعتمد على الذوق والذوق كما يقولون شئ لس فى الكتب وهو يختلف بين النقاد حتى النابهين منهم كما يختلف من عصر الى عصر ومن شعب الى شعب . . . ومقاييسه قليلة عامة مرنة فيها من كل شئ وهى تدور حول ما يحقق الجمال ، والقوة ، والوضوح حتى يكون الأدب مثالا لأكمل الفنون وأبعدها أثرا فى الحياة .

فاذا نظرنا بعين الاعتبار الى الأدب وجدنا ميدانه عريضا وفنونه كثيرة وخواصه البيانية والأسلوبية تتعدد بتعدد كاتبيه مما يتعذر معه الاحصاء والتقييم ووضع القواعد الثابتة . والأدب ينبع من نفس صاحبه فهو يعبر عن شخصيته مما يجعل مهمة النقد عسيرة حين يدون ذلك بطريقة علمية . يقول سينتسبرى *Saintsbury* ان للأدب والفن ذاتية تقوم على الفطرة

(١) راجع كتاب (من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب ونقده) للأستاذ محمد خلف الله ص ٧٢ - ١١٥ .

والمزاج الخاص وهي بذلك تتأني طبيعة العلم . ولعل الدليل على هذا ان
قدامة حين حاول اخضاع النقد العربي لأصول علمية ، فشل .

ولكن النقد الأدبي على الرغم من هذا له أصول عامة ثابتة يمكن
ادخالها تحت مقاييس عامة أيضا . انه في حقيقته يقف موقفا وسطا بين
العلم والفن بمعناها الدقيق ، أو هو فن منظم ودراسته وسط بين جمال
الفن ودقة العلم . . .

وظيفة النقد الأدبي :

يبادل بعض الأدباء ، النقد ، هجوما بهجوم فوليام وردزورث يرى
المقدرة على النقد أقل من المقدرة على الانشاء . . . ولكن النقد مهما قيل
فيه ظاهرة اجتماعية لا غنى عنها مطلقا فلولاها لتفشيت الأخطاء بلا ضابط
انه النقد الذي يشمخ الأفكار والآراء ويثير المنافسة الشريفة بين الأدباء
ويعرف الأديب مكانه الصحيح ويرسم للناس طرق القراءة ويساعدهم
على الاختيار ويعرفهم بمواطن الجمال والنقص . وهو حين يكون بناء خالقا
مخلصا مبرءا من الهوى ينهض بالأدب ويكثر من أنصاره . وانا لتساءل :
أليس من حق القراء أن يعبروا عن آرائهم ؟ أليس الأدب نفسه نقدا
للحياة ؟ ان النقد الأصيل فن من فنون الأدب . . . انه منه ، وفصول النقد
الفني لا تقل أحيانا عن الأدب الخالص .

الذاتية والموضوعية في تدوق الفن والأدب (١) :

الذاتية والموضوعية اصطلاحان عربيان وهما ترجمة للفظي :
subjective و objective شاعا في الدراسات الأوروبية وصار لهما شبه
وجود عالمي بين رجال العلم في أوروبا وأمريكا ثم سلكا طريقهما إلينا .
ومن معاني كلمة الذاتية : subjective الذات أو الشخص أو العقل
باعتباره قوة مفكرة .

ومن معاني الموضوعية : objective الشيء أو الموضوع الذي يقع
عليه ادراك العقل وتفكيره .

ومن الاسمين اشتقت النسبتان subjective و objective
ونسبة الى المعنيين .

وقد انتهت الدراسات النفسية والجمالية الى أن الناس ازاء الشيء
الجميل ينقسمون فيه طوائف أربعة على الأقل :

(١) راجع : من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده للاستاذ محمد خلف الله
ص ٣٥ - ٤٥ .
(*) الاستاذ احمد الشايب في كتابه (اصول النقد الأدبي) .

١ - فقوم يحبون - أو يكرهون لونا أو صورة ما ، أو قطعة موسيقية ، لا على أساس خصائص موضوعية في هذه الأشياء . ولكن على أساس ما تثيره في عقولهم من طريق تداعى المعانى من ذكريات وأشجان فواحد يفضل مثلا اللون الأخضر فى صغره لأنه يذكره بأوراق الشجر فى الخريف وآخر يكره اللون الأحمر لأنه يذكره لون الدم وهكذا .

فاذا انتقلنا الى الفن الصناعى أو الصناعات الفنية وجدناها تنير عند هذا الفريق أفكارا تدور حول فائدة الشيء والغرض منه . ويظهر ان هذا النوع الربطى (associative type) أغلب بين النساء والأطفال وان كان لا يندر بين الرجال ولهذا ذهب بعض العلماء الى القول بأن حاسة الجمال فىنا لا تنبعث الا من مثل هذه الروابط والملابسات . ناسين جوانب أخرى مهمة من الالاماع الفنى ، ولكننا لا نستطيع ان ننكر أن كثيرا من النجاح الذى يحرزه الفنان فى اثارته ذكريات قرائه . سره فى اللفظ الموحى المشع ذى الظلال والألوان .

٢ - وغير بعيد من هؤلاء الربطيين فريق يبنون تفضيهم للأسياء على أساس تأثير نفسانى خاص تحسده عندهم ، فالأشياء تنير فيهم انفعالات ورغبات وجدانية . وفن الاعلان التجارى يستغل هذه الخاصة فيستخدم الألوان والرسوم والمراثيات للحصول على الأثر المطلوب .

وقد بنى بعض الباحثين على أساس هذا التنبيه النفسانى نظرية أخرى حديثة ، تقول ان الفن ليس مرتبطا بالجمال ، وانما هو مرتبط بالتعبير عن الانفعالات . ويمثل هذا فى الأدب القصص والمسرحيات ، فالرواية تشهدنا اليها بقدر ما يثير فىنا أبطالها من احساسيس انسانية وانفعالات .

٣ - وهناك فئة تعطى كل شيء شخصية حتى ليحس وينتجرك فى نظرها فاون دافىء وابتسامة ودود وعبون ضاحكة وهؤلاء قلة تنطبق عليهم نظرية (الاتحاد الفنى Empathy) ومعناها ان المرء يحس نفسه والشيء الذى يراه ويتعاطف معه شيئا واحدا .

٤ - فريق يتخذ نحو الأعمال الفنية موقفا ذهنيا نقديا ، أكثر منه نفسيا انفعاليا . فهم يققون أمام الشيء الجميل صناعتين من اعجاب فاذا حكموا عليه فذلك على أساس خاصته المعلومة ولا شأن لهم بما يعننه من روابط أو يثيره من انفعالات أو يخلفه من آثار . فهم اذا نقدوا الأدب فنقدهم يتعلق بنظام العمل وتأليفه ومدى الانسجام فيه ومن هذا الطراز (عبد القاهر الجرجانى) فى (دلائل الاعجاز) .

وجوه الخلاف هذه فى جملتها وتفصيلها تؤيد ما ذهبنا اليه من

أن أحكام النقد يغلب عليها العنصر الذاتي وهي تتأثر بذواتنا تأثراً لا شعورياً مما يجعل كثيرين من أهل الأدب وعلماء النفس يرون أن الجمل ذاتي محض وأن النقد في جوهره ذوق يختلف باختلاف الأفراد والأجناس والعصور والبيئات والحالات النفسية والتربية . كل شيء في الفن نسبي .

والاتفاق على وجود ذاتية الناقد لا ينال من قيمة نقده فليس الناقد في هذا بدعا وحده . . ان الفيلسوف تتدخل ذاتيته في فلسفته (وهل فلسفته سوى تفسير للحقيقة كما يراها مدعمة بالحجج والأسانيد التي نفذ اليها بفكره ؟) (١) .

حسب النقد ضمنا لصحة أحكامه هذا المبدأ وهو : (ان كل أديب بضيف شيئا الى نراث أهله ، وان أدب كل أمة جزء من الأدب العالمي) . فالآثار الأدبية العالمية تؤلف وحدة عانة يجب ان يقاس الانتاج الأدبي الحديث بنسبته لها . وتاريخ الآداب العالمية يثبت ان عصور الانحطاط فيها هي العصور التي انطوت فيها الآداب القومية على نفسها ، فلاكت معانيها واجترتها حتى بليت وسمجت فملها قراؤها وكتابها معا (٢) .

وهذا يفضى الى النقد عند اليونان الذي أدى الى حديث أرسطو عن الشعر أى عن (الأدب شعره ونثره) وهو عمدة الدارسين الى اليوم .

والنهضة الأدبية الحديثة نسيج ريادات متعددة في مجالات عدة . ومن العجيب اننا نفتقد اليوم الريادة والرواد على الرغم من تعدد الوسائل وتقدم الأجهزة وطبيعة العصر الحافل بالتغيرات والمشاكل والسيارات المختلفة . كان أدبنا الكبير المازنى يقول : (قضى الحظ أن يكون عصرنا عصر تهديد ، وأن يشتغل أبنائنا بقطع هذه الجبال التي تسد الطريق ، وبتسوية الأرض لمن يأتون من بعدهم . ومن الذى يذكر العمال الذين سواوا الأرض ومهدوها ورصفوها ؟ ومن الذى يعنى بالبحث عن أسماء المجاهيد الذين أدهوا أيديهم فى هذه الجلاميد ؟) .

ومع هذا نبغوا وأعطوا عطاءهم كاملا وكانوا علامات طريق . يقف وراء هذا ، الموهبة الكبيرة ، والمثاقفة الواسعة الغنية المتفتحة المتجددة المحددة ، واتقان لغتين لغتهم ولغة أخرى ، انقانا ينفذ الى اللباب ولا يتكسر بالقشور أى ألفاظ معدودة يلوكلها صاحبها للتعالم أو التعالى . يرفد هذا ويمد له مواهب الطبع من جدية وصبر وعمل دؤوب وموصول .

(١) المدخل الى النقد الأدبي ، للدكتور غنيمي ملال

(٢) المدخل الى النقد الأدبي ، للدكتور غنيمي ملال

ولكننا مع هذا كله ، يغيب عنا عنصر هام أهلى لهم وهو **الصحافة** .
 الصحافة الأدبية والصحافة السياسية على السواء . لقد عرف الفارسي ،
 العربي لطفى السيد من (الجريدة) و عرف الدكتور هيكل والدكتور طه
 حسين من (السياسة الاسبوعية) و (الوادى) و عرف الأستاذ العقاد
 والمازنى من (الدستور) و (البيان) و (عكاظ) و عرف الأستاذ الزيات
 من (الرسالة) التي كانت مربي ومرقى أدبيا للكثيرين من الأعلام . هذا
 غير مجلات الهلال والمقتطف والكتاب والثقافة وغيرها .

وكانت دور هذه الصحف والمجلات منتدى للكتاب ومريديهم فكان
 يلتقى فى البيان الأسبوعية د . هيكل ومحمد السباعى والصادق حسين
 وعباس حافظ وطه وعبد الرحمن شكرى والعقاد والمازنى . فى الأمسيات .

وكانت الصحف الكبيرة كالأهرام تفرّد كل يوم للادب صفحة .
 وكانت الملاحق الأدبية والمدارس الأدبية كمدرسة الديوان وأبولو والمهجر .
 وكانت المدارس المفاهيمية كالمدرسة الانجليزية والمدرسة الفرنسية . وكانت
 التيارات الأدبية والمناظرات والمحاولات مما أذكى الحياة الأدبية وزكاهها .
 فتبارت الأقلام عن علم ، وتنافست الآراء عن ضلعة وبراعة واقتدار .

ولو أن الصحافة كما أعطت الأدب الانتشار والذيع والشهرة فى
 ناحية ، جنت عليه فى ناحية أخرى حين أغرت بعض الأدباء بالسهولة
 والسرعة مرضاة للقارئ ومجاراة للطابع الصحفى ، وتلبية لحاجة الجريدة
 التي تجرى فى سباق يومى لاهث .

ولعل من حظ الأدب فى مطلع النهضة أن الصحافة لم يكن لها
 اغراؤها اليوم . فلم تشغل الرواد عن انتاج الأعمال الأدبية الجدية .

ثم تقدم العصر وتخلف الأدب على كثرة الصحف . عندنا صحف
 ومجلات ولكن ليس عندنا صفحة أدبية يومية وحتى الاسبوعية تزحم
 الأدب فيها الاعلانات أو المواد الأخرى . وغدونا نتطلع الى المدارس الرائدة
 أو الأقلام الناقدة أو الاعلام القمم الذين يستار الناشء سرتهم أو يشتر
 الشباب جناتهم .

من أجل أن يكون لنا أدب ونقد لا بد أن تكون هناك قضية يشرها
 الاديب ويناقشها الناقد . فمثلا حين أثار س . اليوت سنة ١٩٤٩ قضية
 حربه الكاتب فيما يفول ولو كان غامضا اذ العبقرية فى رأيه ليس من
 شأنها البساطة والوضوح ، فجر ردودا شتى حول الوضوح والغموض ،
 وماهية الأدب .

قد يتخذ الكاتب من فكرة عظيمة كالحرية أو الحق موضوعا له كما يقول الن برايس جونز ، ولكن هذا أيضا لا يضاهاى تيار الحياة المتدفقة وتفاعل الكاتب معه نفاعلا يجعل له تجربة خاصة مميزة ذات مذاق .

ولعل هذا سر استهواء كاتبة مثل جين أوسنن لعصرها وفيه من فيه من فحول الكتاب .

ويعزو النقاد الغربيون حال القصة المعاصرة الى انقضاء اسستقرار القيم - وهو تحليل ينسحب على الأدب بعامة . والى أن سبتقر وتؤصل عندنا القيم ومن أعزها قداسة الكلمة واحترام الانسان سنظل مفتوحى العين نتطلع ولا نجد . ونستشرف ولا ننال

النقد والابداع الفنى

حسنا تخيرت أكاديمية الفنون موضوع النقد والابداع الفنى
فى سلسلة موضوعات يوبيلها الفضى ٠٠ وذلك لاعتبارين :

• **الأول** : أن النقد متصل بدراسة الأدب والفن

الثانى : أن النقد منطلق اشعاع فكرى هو رسالة الجامعة ودورها
فى الحياة الأدبية والفنية وخاصة فى هذه الأيام أى فى محنة الأدب ومحنة
النقد الأدبى .

دور الجامعة خلق صلح بين الانسان والطبيعة والبيئة والمجتمع
والعصر وسيلتها العلم والفن . . .

الفن يتعامل مع القيم

حين يتعامل العلم مع الأسباب

هنا هو دور الجامعة المحتم وخاصة فى المحنة التى يعيشها الأدب
والنقد الأدبى .

ولا يتعاطم أحد أن أقول ان الأدب وبالتالى النقد فى محنة . لقد
كانت الحياة الأدبية فى النصف الأول من القرن العشرين يكملها ويغذيها
الريادات الأدبية والندوات الأدبية والمجالات ذات القيمة والمساجلات
والتيارات والصفحات الكاملة فى الصحف . كانت الحياة الفنية تنبض
بالرأى والفكر والمعارضة . وتجول الأقلام الكبيرة ، ويتبارى الأعلام
الرؤوس ، وتصعد القيم الشوامخ فى الارتفاع ، وتمد فى الاقناع . . .
وقد تصول المعارك وتحتدم المناقشات ولكن الشباب يتعلم والأجيال
تنربى ، والصف يواكب الصف . . .

كل هذا مع ضعف الوسائل وسيادة المستعمر وضغط الأحداث
وتفشى الأمية حتى ليقول المازنى كما أسلفت (قضى الحظ أن يكون عصرنا
عصر تمهيد ، وأن يشتغل أبنائه بقطع هذه الجبال التى تسد الطريق ،
ويتسوية الأرض لمن يأتون بعدهم . ومن الذى يذكر العمال الذين سواوا
الأرض ومهدوها ورصفوها ؟ ومن الذى يعنى بالبحث عن أسماء المجاهيد
الذين أدموا أيديهم فى هذه الجلاميد ؟) .

ويقول المازنى (وبعد أن تمهد الأرض وينتظم الطريق يأتى نفر من
بعدها ويسيروا الى آخره ويقىمون على جانبيه القصور شاهقة باذخة

• ويذكرون بقصورهم - كان متفائلا - ونسى نحن الذين أتاحوا لهم أن يرفعوها سامقة رائعة والذين شغلوا بالتمهيد عن التشييد ؟) •

اننا اليوم وغدا سنذكر المازني والرواد من جيله ليس وفاء فحسب بل من باب الافتقاد والاحساس بالفراغ ولم نشيد بعدهم (قصورا شاهقة باذخة) ولا أكواخا - اذا استثنينا أدب الرواية ولكننا نجتز ماكتبوه • • هذا في أحسن الأحوال لأن بيننا من يحملون أقلاما ولم يكلفوا أنفسهم قبل الكتابة أن يدرسوا ما كتبه المازني والعقاد والرعييل الأول من الأفاض الموهوبين والقادرين والجادين والأحرار •

فلا يمشى الأدب في الزفة فأنا أكبر الأدب على التبعية بديلا عن الفوقية • • أنى أتمنى للأدب الارتفاع على الشعارات والامتناع على المواكب •

• أتمنى للأدب حرية التعبير فان الحرية نضج وكرامة وثقة •

• والحرية ارتفاع وابداع ومسئولية •

• والحرية خلاقه ألاقه معطاء •

• والحرية في الأدب خصب وعطاء ونماء وعزة •

• والحرية في الأدب رأى سديد ، وأسلوب جديد ، وحركة دائبة ، وحيوية مجددة ، وفكرة رائدة وآفاق •

• نريد أدب الرأى وأدب الفكرة وأدب العصر •

• وهذا يسلمنا الى ظاهرة أخرى هي محنة النقد الأدبي •

• واضح انه لم يعد عندنا نقد أدبي •

• فهل عندنا ، قبلا ، انتاج أدبي ؟ واضح أيضا أن الجواب (لا) •

• الشرارات التي تبرق من بين الرماد كتاب قصة ومسرح لا نقاد •

• الأساتذة هاجروا الى البلاد العربية أو هجروا وهم في مصر •

• والنقد لا يدور في فراغ • • لكى يمارس النقد رسالته لا بد أن

• يكون هناك أدب وأدباء ومدارس وتيارات ومذاهب وآراء •

• لا بد أن تكون الجامعة مركز اشعاع كما كانت لا مجمع موظفين

• تسائر المرافق •

• فى النصف الأول من القرن العشرين كانت عندنا من الأسماء

• الرائدة العقاد وطه حسين وأحمد أمين والمازني وزكى مبارك والزيات

وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور ومحمد حسين هيكل والحولى وعزام وعنود
وزكى نجيب محمود .

كانوا كتابا وكانوا نقادا معا وكانوا حركة أدبية وفكرية ٠٠٠ والى
جانبيهم كانت مجلات الرسالة والثقافة والهلال والكتاب والكتاب المصرى .
وكانت الصحف تفرد للأدب صفحة يوميا ، وملحقا أسبوعيا .

وصال النقد وجمال وانبثقت عنه المدارس الأدبية كمدرسة الديوان
التي تزعمها عبد الرحمن شكرى والعقاد والمازنى وهم يمثلون المدرسة
الانجليزية فى الثقافة حين كان طه وهيكى يمثلون المدرسة الفرنسية .
كانت هناك مدرسة أبولو والمهجر .

حتى الاساليب كانت مدارس ، الجريدة وعلى رأسها لطفى السيد
وتمثل السهولة والبساطة والفكرة ، ومدرسة الرسالة وعلى رأسها الزيات
وتمثل الجزالة والدسامة .

وظهرت التراجم والعقريات الاسلامية للعقاد وطه حسين ومحمد
حسين هيكل .

وظهرت الدراسات الموسوعية لأحمد أمين فجر الاسلام وضحاها
والظهر . ويوم الاسلام .

بل ترجمت أمهات الكتب العالمية كقصة الأدب وتاريخ الحضارة .
وتستطيع مطمئنا أن تحسب هؤلاء لثورة ١٩ التي قيل فيها أنها
أخفقت سياسيا إذ لم تحقق الاستقلال التام ولكنها بنا أعقبتها من قيام
البرلمان والأحزاب والمعارضة البرلمانية والصحفية وحرية الرأى ، مكنت
الفكر من الانطلاق ، وأمنت الكلمة فى التعبير . وهنا حفلت الكتب
والصحف بالدعوات الجريئة والمصاولات الأدبية والفكرية . وكتاب
(مستقبل الثقافة فى مصر) للدكتور طه حسين ، وكتاب فى أصول الحكم
للأستاذ على عبد الرازق شاهدان من أمثلة كثيرة .

حتى خطباء البرلمان تحتفظ مضابط الجلسات لهم بقطع يعتز بها
الأدب المصرى والضمير الوطنى .

وجاءت ثورة ١٩٥٢ . وغيّرت كثيرا من الواقع السياسى والاجتماعى
والاقتصادى وهذا يستلزم فى منطق الثورات ، الحسم ، فأصيب الفكر
بالذهول والصمت وهو المطلوب . وتبعه الأدب الذى يعيش على الحرية
ويزدهر فى وجودها .

وحين انطلق الأدب الحقيقى ، طفا على السطح أدب الزفة . والطبل
دائما أجهر الأشياء صوتا وأعظمها جثة وأفرغها من المضمون والقيمة حتى

مناهج التعليم جرفها النيار فحشرت الكتب الدراسية بالخطب السياسية
كـمـاـذـج رـفـيـعـة للتعبير والتفكير !!

ومع هذا يوجد بيننا من يتحسر على مستوى الفكر والأدب والنقد
مع أن هذه النتيجة طبيعية .

• لا فكر الا بالحرية .

• ولا حرية الا بالديموقراطية الحقيقية .

• وهنا تكمن أزمة النقد وافلاسه .

أراد الملك فؤاد أن يعدل الدستور فهدده العقاد في مجلس الشيوخ
بـسـحـق الرأـس .

وهزمت مصر سنة ١٩٦٧ . فاستقبلت الهزيمة في مجلس نك
الوقت بالرقص .

وهنا يكمن الفرق بين النقد في النصف الأول من القرن العشرين
وبين النصف الثاني .

• النقد رأى ورؤية .

وقد عرضت لجانب رأى في رسالة النقد . أما جانب الرؤية فيفرد
له الحديث .

فن الرؤية

ان النقد تبصير وبصيرة • رأى ورؤية • تعودنا حين نعدد الفنون
أن نقول أنها فن الأدب والرسم ، والنحت ، والتصوير ، والموسيقى ••

ونسى فن الرؤية •• فن التلقى ••• فن البصرة •

• أسهل شيء النظر

• وأصعب شيء ، الرؤية •

الرؤية اخلاص وخلوص •• انفتاح وفتوح •• كشف و نفاذ •

• نجسيح النفس والملمة شئاتها •

الرؤية نافذة على جديد رائع حتى فى القديم اذا كان أصيلا •

وأهلنا فى الريف يقولون فى الدعاء : الله يفتح عليك • ويقولون

عند الانبهار : فتوح من الله • لأن البصر نظر ولكن الرؤية فتح •• ثراء

• لا حيلة له •

ومن فن الرؤية : النقد وخاصة حين يترفى بكيان الانسان الكاتب

ويزكيه •• فنى ساحة الفن بكل ألوانه ليس الهدف التذوق أو حتى

التقدير ، ولكن المنشود هو استماع قلبى صاف هو أبلغ من الكلمات •

هنا يكون النقد تزكية نفس صاحب العمل الفنى ورائيه معا • وقد أفلح

من زكاهما • وحين يتم اللقاء بين المتلقى والعمل الفنى ••• هنا نسقط

الجواجز وتنسكب سيالات النفس فى كأس الرائي الفنان فتشرق الصورة

• ويستعلن المضمهر •

التذوق بهذا المعنى ذوق وشوق وتوق لا يكفى فيه التقدير الخارجى

بل لا بد أن يزكى النفس ، يضيف اليها ويرتفع بها • هل يكفى فى

الطعام تذوقه ؟ تمثيله هو الذى يبنى الجسم وكذلك الفن : التلقى •

التلقى الذى يستنبط ويستنبت القراءة وهنا يكون النقد نبئا

جديدا • ويكون التذوق حوارا خلاقا ألقا بين الكاتب والقارئ •

والتذوق العميق يعطى نفسه للأبر النفسى • ان فوم الأثر استماع

طروب للفنان • فالعمل الفنى الرائع كلمة خضراء تستوعب رؤى عصر

من العصور للكون بصورة مصفاة مضيئة •

الفن الحقيقى عمل تحس أن صاحبه توضحاً قبل أن يزاوله • والمتلقى

الحقيقى فنان حين يقبل على العمل الفنى بنفس مغسولة نقية وكأنه توضحاً

قبل أن يقترب من الرائعة الفنية شعرا أو موسيقى أو رسما أو سائر
الفنون الأخرى فى ساحة الحلود .

وأنا هنا ألمح قول شاعرنا شوقى :

الخالدون أربعة :

شاعر سار بيته أو مصور أضاء زيته أو موسيقى بكى وتره أو دنال
ضحك حجره .

وارتباطنا بالأعمال الفنية كسب لقلوب أصحابها . والانسان كآلة
الموسيقية يبعث منها ، حتى الهواء العابر ، الأنغام .

ان المتلقى الصادق للعمل الفنى يقول مع ابن الفارض (زدنى
بفرط الحب فيك تحيرا) .

ان الكاتب أخطأ أم أصاب جزء من كل . والانسان الرحب يحس
الغبطة أمام العمل الصادق . يفرح بأنه انسان ويأسف للعمل السبىء
لأن الذى عمله أيضا انسان .

ومن هنا يعتز الناقد ، كما رأيتم ، بالكاتب لأنه ، هو .

الناقد الفنان رؤية جديدة للعمل الفنى . . كشف للحقيقة فى
الداخل والخارج . . الناقد الفنان عنده القدرة على الحب أو التعاطف
. . المشاركة الوجدانية . . السكن فى وجود الآخرين . . الخروج من
الجلد ، والامتزاج بجوهر الناس والأشياء هو الحب .

واجب النقد ورسالته أن يكون ترشييدا وتبصيرا ولكن فى تعاطف مع
العمل الفنى . وألدزهكسلى فى روايته دنيا جديدة Brave new world .
بنعى اختفاء الحس الانسانى فى الفن المعاصر فيخرج مشوها كاطفال
أنابيب الاختبار الذين يحلم بهم العلم الحديث حيث يرى الأمومة التى
هى قمة الحب وكماله ، من أعظم الحقائق التى تمس القلب البشرى . والنقد
الأدبى المثالى أمومة للعمل الفنى .

ما هى الأحجار الكريمة ؟

ان الذى يكرم الأحجار ، معالجتها . فالأحجار الكريمة فى خاناتها
الأولى لا تجذب ولكنه الصقل والتهذيب ، وقبل هذا ، العين الخبيرة التى
تعرف « القيمة » فالجواهر هى القيمة النفيسة المسكنة فى الأحجار ،
وهى البحار . والصياغة هى التى تجلوها .

والنقد هو جلوة المعانى المستكنة فى ثنايا وطوايا العمل الفنى وفى
• ضمائر الأشياء

فإذا نفذت الرؤىة البصيرة الى أعماق الأعماق وطالعت معانيها ،
• انفتح الطريق الى النور والجلوة

يقول أمرسون (ليس فى الوجود مادة خسيصة اذا وقع عليها
• الضوء)

• وتذوق الفن بهذا المعنى ليس تفسيره

• ان الفن كالمعجزة ، التفسير ينهيها

ولا يسعد الانسان كالانطباعة بنشوتها وبيكارتها • انها حينئذ
رافعة وجدانية ترفع متلقى الفن الى أعلى وهنا يكون عمل الفن ، تحقيق
حياة المشاهد وترشيدها ، واضاءة ضميره واكتشاف حكمة لا توجد فى
• الكتب

ان البصيرة فقه و نفاذ • حين يكون البصر ابصارا فحسب ومن هنا
نفهم (والله ولى التوفيق) أى يعطى الاستفادة والنماء مما تحصله الحواس
• فتسمع العين وترى الأذن

وبهذا يبني النقد ، الذوق ••• حين يأخذ ويستخلص القيمة المودعة
• فى العمل الفنى

• والأخذ الرشيد عطاء كامل

• كالنحل يأخذ رحيقاً ويعطى شهداً

محنة الأدب

الأدب مدلول واسع يدخل فيه عطاء الأديب ، وعطاء المتذوق الذي يخلص الاستماع الى الأثر الفنى ، وعطاء الناقد الذي يجلو الجمال ويهدى العيوب فى أمانة المنصف وموضوعية العالم .

منذ عرف الانسان الكلمة المرنمة التى انتظمت مع الزمن قصائد سماها شعرا ، والكلمة البليغة التى تساوقت مع حياته فمضت تصورها تصويرا سماه ننرا فنبا ، والأدب مستودع سره ، ومجلى روحه ، يبثه مكنون نفسه وخفقات قلبه وممضات حبه ، واشراقات الهامه . والأدب للانسان بمثابة مرآة صافية يرى فى صقالها نفسه الظاهرة والباطنة لا يضخم المحاسن رياء ، ولا يحجب العيوب زيوف . بل هو الحقيقة فى واقعها سافرة سفور الشمس ، واضحة وضوح الحق ، ثابتة ثبات اليقين .

فالأدب كعرض الرسام يرى فيه المشاهد لوحات ناطقة للانسان ، الانسان عندما يحنو ويقسو ، ويرق ويحفو ، ويحن ويهفو ، الانسان حين يتأسى ، وحين يصادق وحين يصانع وحين يجارى وحين يدارى ، الانسان فى زهو النصر ، والانسان فى كمد الهزيمة ، والانسان فى اشراق الأمل ، والانسان فى قتام اليأس ، والانسان فى لنة العمل ، والانسان حين اليأس ، والانسان فى محراب الصلاة ، والانسان فى نشوة الكأس ، والانسان حين يطمع ، والانسان حين يفزع ، والانسان حين يتعفف لأنه لا يجد ، وحين يعف وهو ينال . الانسان فى شموخ الطغيان والانسان فى تواضع العظمة . والانسان فى قوة الصحة والانسان فى ضعف المرض ، والانسان فى هزة الشوق ، والانسان فى أريحية الكرم ، الانسان فى كل مجال وفى كل آن .

والأدب الخالد هو الذى يدور فى فلك هذه المشاعر الانسانية فيستمد خلوده من خلودها اذ هى باقية على الزمن وكل جدوى الحضارات والثقافات أن تصقلها أو تعدل مدلولها فيتسع أو يضيق ولكن الحسب والألم واليأس والأمل وسائر عواطف القلب وخوارج النفس هى فى كل جيل وكل قبيل . . . ولهذا ترانا نقرأ وننأثر بادباء بيننا وبينهم الحقب الطوال ، وبين حياتنا وحياتهم ومدنيتنا ومدنيتهم الفروق الواسعة التى تفصل بيننا وبينهم فى كل شئ الا الأدب ، لأنه ظل نفوسهم التى صبغت نفوسنا على شاكلتها فى كل شئ ومن ثم نقبل على آثارهم فيه لأننا نرى فيها وجوه أعمالنا وهوى قلوبنا ومنازع نفوسنا

٠٠٠ والخالدون وصلوا من هذا الطريق ٠٠ فعمر الخيام خلد لأنه سجل الحيرة الانسانية في كنه القضاء وجدوى الحياة والموت ، والمعرى خلد لأنه استبطن نفسه وسجل ذبذباتها بين الشك واليقين ، وشكسبير وروسو وهوجو ، وفي العصر الحديث الشاعر أحمد شوقي في مصر ، وبشير التيجاني والطيب المجذوب في السودان والزهاوى والرصافي في العراق ، ورفيق المهدي والشارف في ليبيا ، على سبيل المثال لا الحصر ٠٠ كل هؤلاء تقروا منازع النفس الانسانية وصاغوها آيات فن كل على طريقته وفي أسلوبه .

وحين يثبت أدب النفس ، أدب الشخصية ، حين يثبت مثل هذا الأدب الخافق للزمن ، يتخلف أدب القوالب والألفاظ لأن الصناعة والتعمل اذا شابت الفن أفن وبطل سحره .

ولا ننكر أن الأدب اللفظي كان ملحوظا في وقت ما حين اقتضت حركة البعث في طلائع النهضة الحديثة أن يشيع روادها الالفاظ الفصيحة لينتفش أسلوب التعبير الذي كان قد ركذ ووهن في العصر التركي ككل شيء ٠٠٠ فكان طبيعيا أن يضع المرحوم الأستاذ فارس الشدياق كتابه (الساق على الساق) الذي جمع فيه وفيرا من الالفاظ الدارسة بقصد احياؤها ، وأن يضع المرحوم اليازجي كتابه (نجعة الرائد) في نفس الاتجاه ٠٠ وأن يشيع السجع في الكتابة بالوانها ، بل تجاوز موضوعات الكتابة الى أسماء الكتب والمقالات حتى الصحفية منها ٠٠٠ فاما تخطئ أدبنا هذا الطور عول على الروح يقبس منها شعلة حياته ، ويستمد منها دواعي البقاء .

لم بعد أدب الخليين بل أدب شعوب أرقها هدف كبير هو الاستقلال بنوازعه ومطامحه ووسائله وغاياته ٠٠٠ شعوب نزعتم الى الحرية والديمقراطية وانفسحت أمامها سبل التعبير وتعددت وجوهه ٠٠٠ واستشرفت الطلائع من أبنائها الى الغرب ونقلت عنه في البداية فاشتدت حركة الترجمة كما اشتدت حركة الصحافة مع الرغبة الحميمة والمحسومة الى الاستقلال . واشتدت حركة الكتابة مم قيام البرلمانات والمجالس الشعبية وتمثيل المعارضة ٠٠ وكل هذا من طبعه وطبيعته ، السرعة في التعبير لأن المطبعة لا تنتظر والمصاولة تتوقف على مقارعة الحججة بالحجة فسرعة ونفاذ بتنساقهم مع السجم الا اذا جاء طبيعيا عفوه البديهة وفي حياتنا الأدبية طرائف كثيرة في هذا الباب .

وواكب هذا اهتمامنا بالأدب المسرحي والقصصي والترجمة الذاتية

••• كما أملي له الدعوة الى الديمقراطية فلم يعد الأدب من تحف القصور
ولم يعد الأديب ظل حاكم أو نديم شراب أو سمير مجلس • ونزل الأدب
الى الحياة اليومية واحتفل باهتمامات البسطاء وسجل أيامهم فعنر على
معين لا ينضب ومدد لا يفيض •

• ولكن الآن ؟

ماذا عندنا من هذه الهبات جميعا ؟

أين الريادات الأدبية ؟

أين الجامعة والمفروض أنها مركز اشعاع ؟

أين الأستاذ ؟

أين النقد ؟

أين المدارس والتيارات الأدبية ؟

أين أدب الشباب ؟

أين الجديد ؟

• ضاع البريق •

وإذا كنا نفنقد هذا كله جملة وتفصيلا فالافتقاد ظاهرة بل محنة
لها أسباب ككل علة ، وعلاج ككل داء •

كتب الأستاذ الزيات سنة ١٩٤٧ يسمى أدب الأربعينات ، أدب
السندوتش ، ويصفه بأنه نتفات من الكتب ، وخطفات من الأحاديث ،
ومطالعات من القهوة أو النزام أو فى السرير يلقط الكلم فيها المنظر
الخاطف كما يلقط الحب الطائر الفزع !

فماذا عساه يسمى ما يسمى أدب اليوم ؟

كان الأدب فى مطلع القرن العشرين موهبة وهواية وحرفة ، فأصبح
الأدب اليوم ، ان وجد ، وظيفة فى الجامعة أو فى الصحافة •

الأدب فى رأىى اما كتاب رأى له هزة أو كتاب دراسة وتقييم له
أبعاد وأعماق • فمن كتب رأىى التى أحدثت دويا فى وقتها ، كتاب
(فى أصول الحكم) للأستاذ على عبد الرازق أو كتاب (مستقبل الثقافة
فى مصر) للدكتور طه حسين أو (الديوان) للعقاد والمازنى • ومن
كتب الدراسة العميقة الواسعة الغنية كتب الدكتور أحمد أمين (فجر
الاسلام) ، (ضحى الاسلام) ، (ظهر الاسلام) • فهل أعطت السبعينيات
هذه الآفاق ••• هذه المستويات ؟

• هناك سبب بلا شك

الأدب موهبة ودراسة • ندع المواهب الآن وطريقة اكتشافها ثم رعايتها فهذا معنى لم تدرك بعده الحقيقي بعد • بل لعلنا نميت الموهبة الأدبية حين نفاضل ولو بغير حروف ونحن نقول (بالعلمى والأدبى) وأبناؤنا على أبواب التخصص فى الثانوية العامة مع أن العلم والأدب والفن مهمتهما جميعا واحدة •• خلق •• صلح بين الانسان والطبيعة والبيئة والمجتمع والعصر •• غير أن الفن يتعامل مع القيم حين يتعامل العلم مع الأسباب ••

العلم والأدب والفن كلها تعمل معا لترقية الحياة ووحدها هى الحكمة •• واحكام الجمع بينها هو فن السلام •

نتحدث الآن فى الشق الثانى من الموضوع :

ان أسلوب التعليم عندنا هو أس الداء • وأرانى بحاجة الى وقفة أخرى عند صاحب مجلة الرسالة • فرأيه (أن المدارس العربية تعلم اللغة على منهاج غير واضح ، وأن الجامعات العربية تبنى الأدب على أساس غير صالح ، وأن الجامعة الأزهرية لا تزال تنفض التراب عن كتب ملتانة التعبير من مخلفات العجمة ، وان صلحت لشيء فلن تصلح لتعليم البلاغة) •

• وقد فصلت الكتابة عن منهاج التعليم فى كتاب آخر (١) •

(١) كتاب (ارمه الشباب وهموم مصرية) للدكتورة نعام أحمد فؤاد •

١ - الإخراج والأدب

ان العمل السينمائي على اختلاف فنونه اساسه القصة وهى لون من ألوان الأدب • وبقدر النفاذ الى جوهر الاشياء المطروحة فى القصة، يكون الإخراج كبيرا وراقيا وباقيا •• ومن هنا تأتي ضرورة الأدب للمشتغل بفن الإخراج ضرورة حجر الاساس فى البناء العالى المتعدد الطوابق والحجرات •

ان فن الإخراج يجمع فنونا كثيرة اذ لابد للمخرج أن يتعامل مع فن التصوير وفن الديكور وفن الموسيقى وبالطبع مع فن الأدب أساسا • كما يتعامل فن الإخراج مع فن آخر غير مرئى ولكنه المنبع ذلك هو فن الحياة •• فالمخرج هنا يشبه الكاتب اذ يتحتم عليه ان يقبس منها •• من الحياة ويلون بها صوره وأحداثه • قد يتخذ المخرج كالكاتب من فكرة عظيمة كالحق أو الحرية موضوعا له كما يقول الن برايس جونز ولكن حتى هذا الشيء (يختلف كل الاختلاف عن تسلم الحياة التى تحيط بنا ، لنصنع منها شيئا خالدا ، لأن اتخاذ فكرة ذات أهمية عظيمة لا تؤدى الا الى الوعظ بها والتسبيح بحمدها • وقد تتغير العصور ، ويتبدل الحكام وربما كان هذا مما لا مفر منه • ولكن الوقت الذى نلتم فيه موضوع الكتابة ، يكون صالحا لتناول الحقائق الخالدة بدلا من انتاج شىء جديد لا لشيء الا لأنه جديد) •

وحين يتحدث (جويس كارى) عن وظيفة القاص وهى تنطبق تماما على وظيفة المخرج لأنه يتبنى القصة أى يعيد كتابتها بالصورة والحركة واللون والصوت • حين يتحدث جويس كارى عن وظيفة القاص يطلب منه أن يضم فى عمله شتات الحياة أو مملكة العالم الانسانى ويقربها الى الذهن والشعور كما يفعل تولستوى فى (الحرب والسلام) التى تعد من أعظم الانجازات الفنية بهذه الخاصية ، فالناس على اختلاف مشاربهم يعيشون على الفن سواء أرادوه للمتعة أو التمسوا فيه المهرب من شقاء دنياهم أو استعلوا به على الهبوط والاحباط أو استعزوا به لذاته ••

وهنا نستطيع أن نعلل نجاح كاتبة مثل جين أوستن حتى ان كتبها كانت تقرأ أكثر من أى كاتب فى عصرها • وكان نفوذها الأدبى هائلا

ويعزو جويس كارى هذا الى أنه (لم ينبع من الحدة بل من فكرتها المتزنة عن الحياة وقوتها التكنيكية التى بواسطتها تمكنت من عرضها أن عالمها كان محدودا فى شطحه ، عميقا فى محتواه ، وقد امتازت بانسجامها الفكرى بحيث تعدت - فى هذا الصدد كلا من تولستوى وروسو ، فأذابت جليد التصور ليس بهجوم عاصف ، بل بسلسلة من الهجمات الحقيقية) .

التحليل :

ان اسلوبها وفكاهتها هما اللذان تغلغلا فى النفوس * ثم فهمها لعملها وادراكها لطبيعة الفن ومجال الفنان * . وليس مجالا أكبر من النفس الانسانية بنوازعها المختلفة واعتبار حسنها وأخطائها على السواء تجارب ذات قيمة * .

فى قلب كل قصة انسان كما يقول روبرت جورهام دافيز وفى قلب كل قصة من القيم او هكذا يجب أن يكون * . وخاصة حين يفترق المجتمع القيم * .

والملاحظة الدقيقة مهمة فى القصة لأن القيم (تأملات باطنية) كما يقول نيتشه * . القاص يجب أن يكون من دقة الملاحظة ورهافتها بحيث تلتقط عينه فتات الحياة الذى يمر به الكنيرون دون أن يلحظه * .

ومن القصص التى توفرت لها القيم قصة جراهام جرين (نهاية المسألة) وقصة همنجواى (الشمس تشرق أيضا) فالأولى تدعو الى العودة الى الدين والسانية تستمد عنوانها من سفر (الحكمة) أى من الكتاب المقدس * . وهى تصوير الضياع الذى يحس به جيل ما بعد الحرب العالمية الأولى ، ومع هذا فقد وفر لها الكاتب الأمريكى قيما كثيرة وأبطالها مع ما يحسون به من شقاء يدركون الحياة وينفذون الى أعماقها * . لم تستطع المرارة أن تحجب عنهم باريس وجمالها ، أو اسبانيا ومباهجها لقد نفذوا حتى الى المعانى المجردة من ذكاء وشجاعة وغيرها * .

وقد نشأت القصة مع نسوء الديمقراطية فى القرن التاسع عشر * .

أن يصير القاص حياة الآخرين ويسبر أغوارها ويحس مشاعرهم وآلامهم ويطب لها وآمالهم ويبشر بها ، رؤية ذات قيمة * .

الواقعية :

على أن أشخاص القصة ليس معناهم الواقع حرفياً ومجردا بل هم أوسع مجالا من الحياة وأكثر واقعية من الواقع كما قال هاردي ٠٠ لأن القاص يضيف اليهم بعدا جديدا هو تفكيره ورؤيته الخاصة لهم التي فيها من ذات نفسه حتى ليقول فلوبير (أنا بوفاري) هذه صناعة الفن ولا فن بلا صنعة (ولكن الصنعة في الفن هي أيضا فن ، وأن قشور الصنعة قد تنال بالتعليم أما روحها فهي روح الفنان ذاته) ٠

ان القصة عالم انساني شامل بنماذجها وأشخاصها ونوازعها أو نوازعهم ٠ وكلما تعددت النماذج والنوازع ازدادت القصة شمولاً ٠

الصراع :

المخرج والصدق :

للمخرج الفنان والمتقف مهام كثيرة فمنها أنه يجب أن يعرض الصدق تحت أضواء مختلفة فالحقيقة نرى من أكثر من زاوية ٠ وخاصة حين تتعلق الحقيقة بالشعب أو بالحياة اليومية له ٠ هنا تتعدد وجهات النظر الى حد التضارب والتناقض أحيانا وتبرق أثناء هذا جوانب من النفس وتختفي أخرى ٠ ويضيء (الإنسان) في أنماط من السلوك ، ويعتم في أنماط أخرى ٠ وعلى المخرج أن يمسك كل هذه الخيوط بمهارة شديدة وذكاء أسد حتى لا ترتبك أو تنقطع ، دون ان يفقد صبره على الخطأ ان لم يكن عطفه عليه ٠

حين يلتقى على أرض الملعب اثنان وعشرون لاعبا ويبدأ الكر والفر والمحاورة والمداورة والصراع ، يشتعل حماس المشاهدين ٠ على المخرج أن ينقل مدل هذه الحيوية والحركة الى ساحة الفيلم باعتباره مساحة الحياة أو مصغرا لها على الأقل ٠ وعلى المخرج أن ينقل الحوار من القدم الى العين والعقل والقلب جميعا فالفيلم الناجح شحنة من الشعور والأفكار ٠ والمخرج في هذا عليه أن يجيد الاستعانة بما عنده من عناصر بشرية ورسائل تقنية ٠ عليه ان يستعين بما عنده هو من ثقافة وتجارب ومشاهد ورؤى وسياحات في المكان والزمان غير غافل عن التغييرات السريعة التي تحدث للنفس البشرية من يوم الى آخر حتى لا يحس

المشاهد أنه يتحدث اليه من بطن الماضي السحيق أو حتى على الأقل من وراء الجدران •

• وعلى المخرج أن يتحرى الواقع •

وعلى المخرج ان يفوف الواقعية بالخيال لاثراء التجربة بالمنل الأعلى واسعادها بالأمل ، وحفزها الى السعى الموصول لبلوغه أو على الأقل ، الحلم ، منل سدومرست موم بمدينة الله •

هنا يرتفع الفيلم على عامل التسلية أو تزجية الفراغ الى لقاء مشوق بين الانسان ونفسه ، وجد ممتع من وراء الفن ورؤاه •

٢ - الإخراج والأدب

الإخراج رؤية جديدة وشاملة • يقول سومرست موم محدثنا أو متحدنا عن نفسه باعتباره كاتباً : (ان مواهبى الأصيلة ليست ذات شأن ولكنى املك قوة شخصية ساعدتني على الاستعاضة عن قصورى لأن فى حوزتى شعورا عاما • كنيرون من الناس لا يرون شيئا ، ولكنى أبصر بما هو فى مناول انفى بكل وضوح وجلاء ، أما أعظم الكتاب فيسعهم أن ينظروا الى ما خلف الجدران القرميدية غير ان بصرى ليس حديدا نفاذا الى هذا الحد) •

مرة أخرى يلنقى المخرج مع الكاتب • ان ما وصف به موم نفسه يستطيع المخرج وهو مطمئن ان يصف به نفسه - فليس مطلوباً منه أكثر من هذا • • ليس مطلوباً منه الا أن يرى الذى امامه بوضوح وجلاء وليس هذا بالهين فما أحوجنا الى فلسفة كبيرة لنلاحظ ما نراه كل يوم • والفن كما يقول « موم » ، شئ شخصى فريد • وهنا لا يسعنا احلال كاتب محل الآخر حتى بمن يقاربه •

ويرى النقاد أن القضية الفنية الصحيحة تختار بطلها رجلاً عادياً ممن أهملتهم صحائف التاريخ ووثائقه اذ ليست القصة بحاجة الى الرجوع الى الماضى لانتقاء أبطالها من بين أبطال التاريخ وأولى بها أن تقصد الى تصوير هؤلاء الناس الذين نعيش بينهم • أضف الى ذلك أن معرفة الدقائق التى أحاطت بحياة البطل التاريخى متعذرة أو مستحيلة •

ويشترط نقاد القصة أن تكون (وحدة فنية) فيبرز الكاتب الفكرة الاساسية بروزا كاملاً ، كما يطالبونه أن يكون لبقاً مع قارئه فيفصح له مرة ويستسر عليه أخرى فى غير ابهام حتى يستثير شوقه ليتعرف بنفسه على الخافى ويستعلن المضمير وهذا هو ما يسمونه **عنصر التشويق** • وحذار أن ينصب من نفسه خطيب منبر يعظ ويعد • ان الرمز واللمس الناعم أبعث للنفس على التأسى من الغمز الصريح والأمر الجهرى •

كما أن بناء القصة يشترط فيه أن يكون **وحدة** فان نسجها كذلك يتحتم عليه هذا الشرط بحيث يصور كالبناء ، حدثاً متكاملًا له وحدة مستعينا بما فيه من لغة ووصف وحوار وسرد فى خدمة هذا الحديث وتطويره بحيث يصبح كالكائن الحي له شخصية مستقلة يمكن التعرف

عليها ، والنقاد يسمون هذه النقطة (لحظة التنوير) أى عندها يكتسب الحدث معناه المحدد الذى يريد الكاتب الابانة عنه اذن يجب أن يتوفر للقصة :

- الوحدة الفنية
- الواقعية
- التشويق
- تطور الشخصيات
- التحليل
- أن يكون البطل رجلا عاديا
- الصراع

الصراع :

الواقع أن جوهر الرواية الجيدة هو (الصراع) وقد استنطاع الكتاب الشعبيون فى انجلترا أن يشبهوا أن الجنس والحب ليسا هما الصورة الوحيدة من صور الصراع التى تتخذ مادة للقصة بل ثمة فى المجتمع من عوامل الصراع ودواعيه ما يمكن الكاتب من انشاء قصة •
المخرج بين الحرية والالتزام :

فى تناولنا المنتج كفنان نواجه السؤال النقايدى : هل ، يلتزم ، فانا بقضايا مجتمعه ؟ أم التزامه لفنه فقط فاذا بلغ الاجادة فيه لم يعد مطالبا بشئ •

فالفنون بعامة فيها من القيم ما يفوق كل ما تعلمه المدرسة بين جدرانها من فلسفات وليس المقصود بهذا الناحية التعليمية للفنون •
فالفنون ليست دروسا تلقن كما أنها لذة وممتعة ، كما أنها ليست كما يقول هو: برت سبتسر للتنفير •

التزام الفنان :

تتصارع حوله ككل شئ ، الآراء بين مؤيد ومعارض • فرأى يعطى الفن حرية مطلقة فى التعبير عن نفسه دون قيود أو حدود •
ورأى يحتم التزام الفنان بقضايا المجتمع الذى يعيش فيه وغالبا ما يقصد هؤلاء القضايا السياسية وبين هذين يدعو قوم الى موقف وسط •

فالفن بدون شروط من طبيعته اسعاد الناس وتحرييرهم من مرارة الواقع الى سموات الابداع الفنى وما فى هذا من تعزيز ثقتهم بأنفسهم بما يؤكد من قدرة الانسان على العطاء .

الفن بطبيعته بما فيه من تقنين ودقة ورقة عدل وانصاف فهو يأبى الظلم ويحرر المظلومين .

لايد للمخرج أن ينتقى ما يخرجها فانه شريك فيما ينجم عن الرواية من أضرار اذا كانت سقيمة فجحة كما أنه له دور محسوب اذا كانت الرواية ذات قيمة فنية واجتماعية .

ان الأفلام السينمائية بما يحتشد فيها من فنون ووسائل تأثير ، لها رد فعل عميق فى التكييف العقلى لجمهور المشاهدين .

ومع هذا فليس للمجتمع أن يملى على الفنان رأيا بعينه أو موقعا بعينه . ان الفنان يملك رؤية سابقة ، ورهافة احساس تجعله أكثر تقديرا وأصدق حسا وأعمق وعيا بما يحتاجه مجتمعه . وفى حسابه دائما أن القيم تتغير ويتغير النظر اليها بتغير المجتمع . . وهنا يكون الفنان أصدق حكما وأبعد نظرا . . .

كثيرا ما تكون الفنون ارهاصا للمستقبل . وكم أدت الفنون ببصيرتها للانسان والحضارات . . على الفنون يقع عبء المواجهة فالمجتمعات عادة تعفى نفسها من التعبير اللازم لها بالهروب من المشكلة أو الصمت عليها . . انها تفصل (جنة المغفلين) كما يقولون .

وهنا نفهم السر فى مهاجمة (ابسن) على روايته (الأشباح) انها تعادى الرذيلة لا تعرضها فحسب .

ان برنارد شو فى مسرحينه المشهورة (مهنة مسز وارين) كان يحارب البغاء .

كما قال فلوبيير وبلزاك وجيمس ويلز وغيرهم .

ليس للمجتمع أن يلزم الفنان بشئ ولكن ليس للفنان أن يعتزل

- المجتمع فى يرجه العاجى فهو قلبه الخافق ووتره الحساس وهو المنارة
فى ظلام المحيط وهو من تلقاء نفسه محاميه فى قضاياها العادلة .
- الفنان المقصود هنا هو الكاتب وهو المخرج باعتبارهما أقرب
الفنانين الى المجتمع والى التأثير عليه .
- وعلى المجتمع العربى فى شتى أقطاره أن يعى هذا جيدا فلا يحجر
على الفنان ولا يلزمه بشيء . عليه أن يفهم عنه جيدا ما يقول فهو ينطق
بلسانه ويعبر عن ضميره .

من أدبنا الحديث

القصة عند الدكتور يوسف ادريس (*)

أظهر ما فيها « الأعماق » التي نفذ اليها الكاتب .. « التغلغل » النفاذ .. لقد تغلغل الكاتب في قصته (العيب) في عالم الرجال .. في عالم النساء .. في عالم المصالح الحكومية كما تغلغل في قصته (الحرام) في الريف .. وبحكم هذا التغلغل حلل كليهما يعينه ما بين يديه من حشد التفاصيل .. فمثلا قصة (العيب) تجلو ثلاثة قطاعات كبيرة جلاء يكشف عن حقيقتها كشفا سافرا بلا زيف (ولا رتوش) فعالم الرجال تختلف فيه المقاييس وفقا لضروب المنافع .. عالم تحكمه مبادئ مختلفة .. ومن الغريب أنها متناقضة .. ولا بأس من هذا التناقض في نظرهم فكل مبدأ دوسه .. الرجل عنده (الشرف في بيته غير الشرف في عمله والحرام في الليل غير الحرام في النهار .. والفضيلة ماتمنعش الرذيلة كله موجود مع بعض في حالة تعايش سلمى) (١) .

وكان المؤلف يتوقع من يستنكر هذا الرأي منه فمضى يضرب الأمثال وكأنه يعزز رأيه فالوزير الذي يقبل الدعوة ليلا وهو يعرف أنها ثمن توقيع غداة الوليمة يخدع نفسه بما يستحدثه من مبررات تسوغ موافقته بل تحتها لأفضلية صاحبها على الآخرين وأحقية بها .

ويمضي المؤلف في سخريته من أفضلية الرجال المزعومة الى أقصى مداه وأقصى المدى أيضا حين يقارن بينهم وبين المرأة (النساء أو الستات شخصياتهن متماسكة مترابطة ككتلة واحدة تضم قيمهن جميعا ، وكلها قيم متحدة واحدة الحرام فيها حرام تحت مختلف الظروف والأحوال ، والخلال أيضا واحد ، والعيب في العمل مثله العيب في الشرف ، وما يعيب

(*) أكتب الآن دراسة جامعة عن أدبنا نجيب محفوظ في الجزء الثاني من كتابي

(قسم أدبية) .

(١) ص ٨٢ .

فى البيت يعيب أيضا فى المصلحة كتلة مترابطة واحدة فرق كبير بينها وبين قيم الرجال الموزعة على أدراج دوسيهات بحيث يحيا الرجل صادقا بأكثر من مقياس وأكسر من شرف وأكثر من حلال أو حرام ، ويستدعى اذا اضطرتة الحاجة المقياس الذى يناسبها ٠٠ أبدا ليس مثل الرجل الذى باستطاعته ان يفقد احدى قيمه دون أن يؤثر هذا على غيرها من القيم • باستطاعته أن يكون زير نساء ولكنه فى نفس الوقت نجده صادقا وشجاعا وأمينا بل ربما تجده شاعرا (١) أى سخريه ٠٠

ولهذا علمت الأيام والتجارب ، « عبادة بك » « صائد الذم » ، أن المرأة أشد حفاظا من الرجل وأقوى منه استمساكا بالمبادئ ٠٠ أن المرأة عصية على الشراء ٠٠ بل ان المرة الوحيدة التى باءت مساعيه الملتوية بالفشل كانت أمام احدى الوظائف الكبيرة •

ومن خلال صورة (الجندى) بشخصيته المنحلة ونزواته الطائشة وثوراته النزقة ، وصف الكاتب الرجال بأنهم أجراً اقتحاما وأشد حدة وأكسر قدرة على التحطيم والتخريب ٠٠ انهم أفسى ضراوة ٠٠ وأعنف ثورة ٠٠

وبعد تحليل مستقصى لنفسية الرجل ونفسية المرأة ومقارنة طويلة بينهما أعلن الكاتب ، الحكم ففى مجلس ضم بضع فتيات مثقات وموظفات ودار الحدين حول الرجال وسرعان ما صدرت الأحكام بالادانة ناقمة على حقيقتهم المتشكلة ومبادئهم المتذبذبة المطاطة التى تختل معها المفايس وتضل القيم ٠٠ والتقت آراؤهن عند كلمة واحدة ٠٠ (هؤلاء الرجال وان كانوا أكثر منهن خبرة وقدرة الا أنهم أكثر منهن قذارة أيضا وأنهن بعالمهن قد يكن أكثر تخلفا وضيق أفق الا أنهن أكثر نظافة) ص ٨٣ •

أما عالم النساء فقد بدأ الكاتب تصويره منذ البداية ٠٠ الشباب الأخضر أو العمر الأبيض الذى تلون دنياه أحلام السذاجة الأولى ٠٠ أحلام كتلك التى تملأ رأس سناء •

أحلام تستكثر من الملابس الأنيقة الجميلة وتغدق المال بلا حساب ٠٠ أحلام تكييفها حاجة صاحبتهما الحاضرة فاذا كان الجوانتى ضرورة بالنهار استقرت الرغبة الملحة فى العقل الباطن حتى تاوى صاحبتهما الى فراشها فتطفو وتأخذ شكل الحلم الوردى الذى يلعب فيه خاتم علاء الدين دورا كبيرا فيجوس محال الأزياء ويصطفى ويختار ثم يضع بين يديها ما تشتهى ويقف منتظرا صدور أوامر أخرى ٠٠ وأحلام العذارى دائما

طبيعة ذكية تحقق الرغبات في اسنسلام عبد نلك الأساطير الذى يردد
دائما : سببك لبيك عبدك بين يديك .

وعالم البنات هذا الغرير لا يخلو من هنات تنزل أحيانا الى درك
الأخطاء تمتلئ سناء ذات الوجه المصرى الأسمر الجذاب القسماات لاتخلو
حياتها رغم أدبها الظاهر من (تجارب) تخوضها فى حذر وتكتم وكيانها
يضج بالنوازع والرغبات واللهفة العارمة .

ويمضى الكاتب مع البطلة فى عملية تعرية لتجمل الفتيات فسناء رغم
نوبات القشعريرة التى تعلوها كلما تذكرت غريمها ، لاتنكر ولا تستطيع ،
ان شيئا فيها قد استجاب ووافق وارتعش لتلك التجربة الأولى « وأدهى
من هذا أنها فى داخلها تحس احساسا خفيا مزعجا . . انها تتمنى ان
تعود التجربة كما هى تماما بشرط ان يتغير البطل وأن تكون التجربة
الجديدة عنوة أيضا واغتصابا أى بغير ارادة منها فى الظاهر وان كانت
مقبلة مقدما .

وان كنت أرى فى هذه التعرية ، بقية من التزام . . فاعمل أو
الشعور على غريزته ما زال يستمسك بالحياء الذى يتمنى معه أن يحدث
(عنوة واغتصابا) لتنجو من حساب الضمير .

المرة الوحيدة التى قسا فيها المؤلف على المرأة . . هوى على رأسها
فجأة بالبطلة كانت فى الصفحة الأخيرة . . فى السطور الأخيرة حين ألقى
بسناء فى قرار الهاوية ، وقسوته ناتى من أنه يتسدرج بها فى طريق
الرديلة . . لم يحطها بسطوة الاغراء والاجترار من الغير ليجعل لها بعض
العذر . . لم يجعل العرض والاجتذاب من جانب الرجل بل جعلها هى -
أشد ما يكون قسوة - التى تعرض نفسها كالمحترقة حتى على من تنفر
منه . . حقا انه مهد لهذا بتحليله لنفسية المرأة التى لا تعرف الا أمرا واحدا
أما الحلال وإما الحرام ، وفتحه ثغرة كبيرة بقبولها الرشوة ولكنه أجهز
عليها بسرعة لعلها هى التى جعلتنى أتهيب قراءة الصفحات الأخيرة
عندما وصلت اليها فى قراءة القصة .

ولعل هذه النتيجة تفسر « صعوبة » بيع النساء ذمهن . . لأن
الخطأ هنا لايتوقف عند هذا الحد بل يتجاوزه الى ما هو أخطر . . ان
الدمار سيشمل ذاتها ووجودها المعنوى كله اذ الحرام عندها كما يقول
المؤلف حرام تحت مختلف الظروف والأحوال . . والعيب فى العمل مثله
مثل العيب فى الشرف . . فمن تقبل الدنية فى عملها ما أيسر أن تزل
بها القدم وان كانت قبلا عسيرة على الغواية والزلل . .

ومؤلف قصة (العيب) ناقده اجتماعي فقد نقد التربية المتسلطة المستبدة حين جعل (الجندى) ثمرة لها ذلك المخلوق الذي كان (طوال عمره ومنذ أن كف أبوه عن ضربه وعقابه وصب الأوامر والنصائح كالزيت المغلي فوق رأسه مذ مات كأنما عاهد نفسه بعدها ألا يستمع لنصيحة أحد سواء أكان مخطئا أم مصيبا وسواء آكانت النصيحة من عاقل أم أحمق ، بل لقد جعل شعاره بوعى منه وبغير وعى ان يخالف كل ما يقال له من نصائح وهو ايتسه الكبرى ان يعصى القوانين . ان القانون يظل عدوه اللدود الى ان ينجح فى خرقه ، والتعليمات تظل عبئا لا يطاق الى ان ينجح فى العثور على وسيلة يستطيع ان يتحايل بها عليها . وليست فقط القوانين واللوائح المكتوبة ، أكثر من هذا وأبعد ، كل ما يأخذ شكل القانون اذا تصادف ووجد الرخام أو القيشانى فى أية دورة مياه يدخلها لامعا نظيفا أنيقا لا يستريح الا اذا أخرج قلمه الكوبيا وخطط وشخبط حتى يشوه من المنظر ، اذا جلس على مقعد عربة الأتوبيس سرعان ما يخرج سلسلة مفاتيحه وبها المطواة الصغيرة ذات السلاح الحاد الذى يفتحه ويعمله فى جلد الكرسى وفى تخف شديد ، يقطعه حتى يطل القطن ، وفى بوية الجوانب حتى يظهر معدنها . واذا أردته أن يكرهك كره العمى أنصححه نصيحة أو أنقذه نقدا (١) .

والكاتب يسخر ، وهو الطبيب ذو النزعة العملية بالطبع من أطباء النفس . . « فسناء » حين يطبق عليها زوج خالتها بذراعيه لم تتكون لها عادة فقد سارت بها الحياة سيرا طبيعيا فلا هى تخاف الرجال ولا هى تتهافت عليهم كما يحتم علماء النفس أحد النقيضين فى مثل هذه الحالة ناسين أو متناسين عاملا هاما له خطره وهو « الزمن » .

وسخريته غير الفكاهة وغير التندر . . انها سخرية جادة قد يضحك القارئ من لفظة أو لفظة أو معنى ولكن المؤلف لا يضحك . ان وراء سخريته رغبة فى عملية كبيرة . . عملية هن المجتمع أو النواحي الراكدة فيه مادية كانت أو عقلية . .

وقد وقف الدكتور يوسف ادريس عند النظرة القديمة الى المرأة . . وقف عند عالم الحرير . . الذى كان ينظر اليه الرجل نظرتة الى مقتنياتة الخاصة . . نظرة السيد الى المسود والمتبوع الى التابع . . عالم المرأة فيه متعة ، عالم تعيش فيه المرأة بجسمها حتى اذا عجز هذا الجسم عن قضاء

الأوطار ضمت صاحبته الى قائمة المخلفات وحلت أخرى محلها . . . بالجسم أيضا فلا الأولى ولا الأخيرة تشارك في رأى أو تقضى فى أمر أو تحمل مسئولية . . . وهذه السلبية أزرت بها وهونت من شأنها . . . فأصبحت بالنسبة الى الرجل (ثانية) لاتساوى معه وبالطبع لاتتقدم عليه . . . هو المتقدم دائما . . . له كل الاحترام . . . وله كل الحقوق وله كل شئ وهى بعض هذا الكل الذى استولى عليه . . .

ومن هنا أصبح عمل المرأة له خطره فالمصلحة أو العمل هى (الأرض المحايدة - حيث لاتسرى قوانين البيت والمجتمع ، حيث لاتسرى قوانين الأخلاق ، حيث القانون الواحد المطاع هو قانون العمل حيث الخطيئة الكبرى لمن لا يعمل) .

وهنا استوقفنى هذه العبارة :

- اهو احنا دلوقتى لا احنا ستات على ناحية ولا رجاله على ناحية
زى مانكون عملنا جنس ثالث (١) .

تسمية كنت أبحث عنها فى نفسى . . . ليست للمرأة العاملة النظرة الكاملة التى للرجل والتى اكتسبها على الزمن باعتباره كاسبا أو كما يقول الدكتور يوسف ادريس باعتبار الرجال أصحاب عالم المسئولية وأكل العيش العالم الذى أقاموه واحتكروه واحتفظوا بمفاتيح أسرارهم . العالم الذى تكفل بصيهم فى قوالبه وتكوين أمزجتهم وصنع هياكل شخصياتهم وقبمهم (٢) . وأنا أضيف : وصنع هيلمانهم . ليس للمرأة العاملة هذه النظرة الكاملة وليست لها راحة المرأة العاطلة . . . امرأة البيت أو ست البيت ، جنس ثالث كما يقول . . . ولكن الى حين . . .

والمؤلف يؤمن بالانسان الذى قد يختفى وراء حيوانية ظاهرة كما رأينا الجندى . . . ولكن هذا الجندى نفسه تيقظ الانسان الغائب فيه وان كان كامنا فى أعماقه ، وكاد يستجيب لقيم الخير والطهر المتمثلة فى سناء الى ما قبل ترديها . . .

والدكتور يوسف ادريس من أقدر قصاصينا على (شد) القارىء اليه ، على جذبه ، فالخييط فى يده كالزمام يتحكم فيه قادر مسيطر . . . هذا الخييط ، الذى كثيرا ما يفلت من أيد كثيرة أو يتميع ، متماسك طول الوقت . . . مطرد فى يد يوسف ادريس . . . هنا الحكبة التى يتحدث

عنها النقاد ويشترطونها ، يوفرها يوسف ادريس بلا تعمل أو صنعة ..
انها عنده احدى مواهب الطبع والخلق ..

وهو يخلع أهمية على الحدث ينظمه مع أحداث أخرى • فكي تحس
خطورة تعيين البطلة فى المصلحة يقرنه لك الكاتب بأحداث عامة ..
أى لا تنسى ..

(ثلاث مرات فى تاريخ المصلحة ازدحمت مثل هذا الازدحام ، يوم
توفى سعد زغول ونعاه الناعى ، ويوم طرد الملك ، واليوم الذى عينت
فيه سناء ..) •

وإذا كنا عند الحديث عن فن الصورة عند الأستاذ يحيى حقى ،
قد أشرنا الى تخديمه المطابقة بالصورة لرسم الشخصية المراد رسمها
فاننا هنا نذكر أن الدكتور يوسف ادريس ، المفارقات عنده غير مقصودة
فسناء البطلة عاش بها فترات بيضاء طاهرة كشعاع من نور يحيط به الظلام
من كل ناحية فيزيد تألقه ألقا ، ويزيد تعلق الأمل به تشبنا ويزيد العزاء
فيه رضا وتعويضا .. ولكن المفارقة هنا طبيعية .. هكذا الناس فى
الحياة يتفاوتون .. ليست مفارقة متقابلة صريحة كما هو الحال عند الأستاذ
يحيى حقى الذى يرسم صورة لبائسة فيجمعها تحت سقف واحد مع ثرية
واسعة النراء ويجعل الشقية تقف حين تجلس الغنية متكئة فى كرسى
وثير لا جالسة فقط .. الخ المتوازيات عند يحيى حقى ..

والدكتور يوسف ادريس يركز أحيانا على القسّمات المادية وأحيانا
على القسّمات المعنوية للشخصية المرسومة وكثيرا ما يخدم أحد الجانبين ،
الآخر ، ويؤصل له .. وللمؤلف فى هذا المجال ألفاظ خاصة كأنها ولدت
لساعتها فى اللغة وأخرى مقصودة فالسيدة العاطلة التافهة التى تلبد
الشحم فى مواضع كثيرة من مساحة جسمها الواسعة يجعلها تغطى عقمها
العقلي والمعنوى بكلام تلوكه فى نصاعة وهى تجلس واضعة (فنحنذا فوق
فنحنذا) •

وأعتقد أن المؤلف يقصد هذا التعبير مكان ، مثلا ، (رجلا على رجل)
حيث التعبير الأول فيه شحم ولحم وبدائية حتى يمهّد (تخن الجسم
لتخن العقل الذى أراده المؤلف بصاحبة هذه الصورة .. وهى على كل
حال من الصور الاجتماعية أعنى أنها تعيش فى مجتمعنا لا بين النساء
فحسب بل بين الرجال أيضا .. بينما من تجلس واضعة فنحنذا على فنحنذا
تتحدث عن كل ما هو « عيب » بانطلاق زائد وكأنما هى العالم المتبحر
يطرق موضوعه المفضل ، نجد السيدة الغريبة التى استنكرت حين سألتها

ان كانت تشتغل مجرد السؤال باعتبار أن العمل « عيب » لا يليق بالسيدة الفاضلة أن تترك بيتها لأجل أن تزاوله ، السيدة التي نفخر بأنها « ربة البيت » وتلتفت موافق العيب لتخوض فيها وتتوسع معتقدة انهن ما دمن يرنكن العيب الأكبر ويعملن فلم يمانعن في مزاوله العيوب الصغرى مثل الحديث عن العيب والنكات والقنشات العيب (١) .

وتقابل هذه الصورة صور لألوان من العائلات عند المؤلف . .

والدكتور يوسف ادريس بارع في اعطاء المعاني ذات الدلالات الخطيرة في عرض الحديث وكأنه لا يعنيه الا الأذكياء وحدهم (الحدقين) . . فقد يعطيك تحديد ماركة السبارة مضامين كثيرة . . مثلا . .

والآن ننتقل الى الاسلوب ولست أدري لماذا تحضرني في وصف أسلوب الرجل صفة (الطزاجة) . . أسلوب الدكتور يوسف ادريس أسلوب « طازج » . . اسلوب برىء براءة تامة من الكليشيات المحفوظة في الأدب العربي . . فهو من هذه الناحية في مثل نظافة الصيني والكريستال على حد تعبير المؤلف . . وهذه الطزاجة تشمل عنده كل شيء الألفاظ والتشبيهات والنظرة الى الناس والقيم والأشياء . . ولأسلوبه بمقوماته كلها خاصة الانارة واللفت (ولم تكن استحالة التصور تحيزا ضد المرأة ولكنها استحالة أن يعتقد احدهم أو يهضم أن تستطيع فتاة أو سيدة ما ، في الوجود أن تجد لها داخل هذه المؤسسة الرجالية الخالصة تماما مكانا كما لاتستطيع أن تنصور أن توجد فتاة أو سيدة في جناح الملابس الداخلية الخاصة بالرجال مثلا ، فهنا مكان رجالي مزدحم لا يحكم اللوائح ولكن يحكم الكتلة ونوع الكتلة وكتلة الكتلة تماما كما لاتستطيع أن تنصور وجود لوزة سوداء مع لوز الفطن الأبيض أو وجود رجل أى رجل فى مكان خاص بالسيدات مهما كان السبب فى تجمعهن وحتى لو كان سببا لا يمت الى الجنسين بصلة) (٢) .

والخطوط عنده محددة كالحفر . . ومن أوصافه مثلا (سيخى النظرات) ومن قوله (مس مرآه هكذا شعور سناء مسا سريرا حاسما داميا كقطع المشرط) (٣) وهنا تغلب عليه مهنته الأولى مهنة الطبيب الذى يعرف عمل المشرط .

(٢) ص ٦

(١) ص ٧٨

(٣) ص ٩٠

ومن تعبيراته العميقة (أيام لا تستطيع حصرها ، لا لكثرتها أو لقلتها ولكن لأنها كانت مجرد يوم واحد متصل طويل) (١) .

وقريب من هذا وصفه للبطل في محنة الضمير : (قد يكون ألف خاطر وخاطر قد دار في عقل سناء ، وقد يكون الأمر وكأن خاطرا واحدا لم يدر فالدوران السريع يبدو كالشبات المقيم) (٢) لغة محددة حازمة . .
ومن طرائفه في التعبير قوله (ليلة الوظيفة) على وزن (ليلة الدخلة) وهذا التداخل اللفظي من عندي صدى للتداخل المعنوي عند الكاتب عندما دق قلب البطل (وكأنها ستزف الى العمل متلا) (٣) .

أو قوله (الصديقات اللودات) (٤) .

أو قوله (ضحك في فشله التام للتعبير عن المرح تكاد تضحك عليه) (٥) .

أو قوله (« غسل منح ») (٦) .

ومن ألفاظه الخاصة الجديدة « جهاز رادارها الانتوى » ، « الدموع الداخلية » ، « عقل بناتي » ، « تمكثت » ولعل الأفضل أن أسجل الجمل كاملة حتى تتبين اللفظة على النحو الذي أراده لها الكاتب :

(لم يكن جهاز رادارها الانتوى ينقل إليها أية نوايا ذكرية خافية » (٧) .

تعبير محكم عن طبيعة حساسية المرأة .

(الدموع الداخلية غير المرئية التي لاتنى عن سكبها في المصلحة

والدموع الظاهرة التي تتفجر بارادتها في البيت) (٨) .

(عقلها الذي كان لا يزال بناتيا حالما في آرائه) (٩) .

تعبير لطيف ربما لأنه يذكرنا بالعنب البناتي أو الزبيب البناتي .

(وهجم الثلاثة داخلين في كتلة مندفعة ذات ثلاثة أحجام مختلفة

ماأبنت ان انقسمت وتمكثت . .) (١٠) .

• (٢) ص ١١٦

• (٤) ص ٧٦

• (٦) ص ١٢٠

• (٨) ص ٢٤

• (١٠) ص ١٨

• (١) ص ٧٢

• (٣) ص ٩

• (٥) ص ٧٦

• (٧) ص ٢٥

• (٩) ص ٢٥

والدكتور يوسف ادريس يخدم « التكرار » فى الابانة والتعبير ٠٠ ويخدم العدد (كان الزمن على عكس عاداته ، يمضى بسرعة خارقة فما أسرع ما أصبحت الساعة العاشرة والنصف مضت ألف وثمانمائة ثانية دون ان يجد جديد ٠٠) (١) هنا ترسم عملية تفتيت الدقائق ببطء الوقت وثقله .

وهو يخدم شيئاً آخر ، الخطوط (سناء من بين الخمس فتيات اللاتى عين كدفعة أولى وخطان تحت أولى هذه ٠٠) (٢) .

و « العامية » عند الدكتور يوسف ادريس تأخذ مكانها الطبيعي فى الجملة فى راحة تامة بلا افتعال أو اقحام فمثلا يقول (ألقى السؤال سائقا العبط على الهبالة) (٣) أو قبل ذلك حين يقول (الضجة لم تحدث الا حين ذهبوا الى عملهم ذات يوم كالمعتاد لا بهم ولا عليهم فوجدوا فى أكثر من حجرة من حجرات المصلحة فتيات) (٤) .

وأحيانا يأتى بمرادفين فصيحين كدفاع مقنع عن استعماله العامية . انه استعمال القدرة لا العجز ٠٠ تجد عنده مثلا (طال أمد انصماته واصغائه) (٥) وفى نفس الصفحة يقول (الصصح) فى مكان الصواب .

ان المسألة أكبر من أن تكون مسألة ألفاظ أمام كاتب فنان يرسم صورا للمجتمع الذى يعيش فيه ٠٠ صورا تحمل معنى الدعوة الى الاصلاح دون أن تلقى خطبة منبرية ، كاتب يكتب فى ثقة ٠٠ ثقة كبيرة تسهم فى عمليات خلق كبيرة أسهمت من قبل مع شجاعة باهرة و ارادة قادرة وايمان بالفن راسخ فى الفرار الكبير وهو تضحية الطب على جلال خطره ، من أجل الأدب الذى تفرغ له خالصا الدكتور يوسف ادريس منتقلا من مقعد الطبيب الى مقعد الأديب .

(٢) ص ٧ .

(٤) ص ٦ .

(١) ص ٩١ .

(٣) ص ٥٥ .

(٥) ص ١٠٣ .

كتاب (اكتشاف قارة)

الكتاب ألفه الدكتور يوسف ادريس ٠٠ والقارة التي يعينها الكاتب هي قارة آسيا التي تشرق فيها الشمس قبل شروقها في القاهرة بربع يوم على الأقل ويسكنها أكثر من نصف عدد سكان الكرة الأرضية .

والكاتب في رحلته كان باطنه يعبش في مأزق الانسان المصري ٠٠ وفي مثل هذه المآزق التي يضعنا فيها التاريخ كما يقول (يستحسن ان ننفتح على العالم كى نطفو وننجو ٠٠ ننفخ لكي نرى غيرنا ويرانا الغير . ننفتح لكي نتعلم ، وما أروع أن نتعلم من أرقى مثل ٠٠ وفي طوافي ببلاد الناس لم أجد خيرا من الانسان الآسيوى زميلا فى المآزق ، نتطلع اليه ونقترب منه ، ونتعلم ٠٠) .

والمؤلف يرى أن مشاكل العالم كلها لن تحدد الا فى آسيا ٠٠ بل حتى قضية كفضية فلسطين ووجود كالوجود الاسرائيلى اذا كان اليوم أمره مرهون بارادة أمريكا وما بينها وبين الاتحاد السوفيتى من صراع حوله ، واذا كان السد والجذب بيننا وبين اسرائيل هنا ، فان الحل النهائي للفضية أيضا هناك فى آسيا .

ويرى المؤلف أن الحضارة الأوربية انتهت بالحرب العالمية النائية وتجمدت ، لقد توقفت لتبدأ حضارة أمريكا ٠٠ ليست حضارة فلسفات هذه المرة أو مبادئ أو عقائد أو أديان ، ليست ثورة على حضارة أوروبا حتما ، انما هي فى الحقيقة أغرب حضارة فى التاريخ ٠٠ حضارة تكاد تكون مضحكة ، حلفاؤها الرجعية فى كل شئ وفى كل ميدان : فى الاقتصاد ، فى الدين ، فى الخلق ، فى الفن ، فى كافة أوجه الحياة ٠٠ أما وسيلتها فهي التكنولوجيا أو بالضبط علم أوروبا مسخرا لا لمصلحة البشرية وانما لخلق جيش آلى منظم ودقيق ومطيع يعمل ضد الحياة وضد الانسان ٠٠ جيش هائل الضخامة أما أوروبا فبعد اعتزالها كرسى العرش تحولت الى مزرعة لتربية العلماء والمتخصصين الذين يشتريهم بعد هذا ، سادة أمريكا كما كان يشتري المماليك والعبيد ٠٠ باندكاء والعلم البشرى يمتص من أوروبا وأفلاك توابعها ٠٠ يجمع ٠٠ ويجمع ويركز لاستغلاله وضمان السيطرة عليه واستقطار كل ذرة قدرة على الخلق والتفكير والابداع ، لديه نظام عبقرى الذكاء بحيث يضمن سادة أمريكا فى قبضتهم جيشا من العلماء المماليك بمثابة مصنع التكنولوجيا النقيض ، اذ بوساطته تنتج الآلات ، وبوساطته تتطور ليتحقق شيئا فشيئا ذلك

الحام الدموي الذى يراود سادة أمريكا القياصرة الجدد ، حام أن يملكو العالم ويحكموه بعلم مجرم سفاح لا يكلف ادارته وتسييره الا مجرد ضغطة على زر بأصبع .

ومع هذا كله لم تنصر أمريكا فى فيتنام لأنها تواجه فى الحقيقة حضارة أرقى ، ولأنها الأرقى فهى الأقرى ، وهى التى سيكتب لها النصر . المعركة فى فيتنام وغيرها معركة حضارية ، ولا علاقة بين الحضارة والثياب التى ترتديها ، فان تكن الامريكية ترندى أفخر السياب والآسيوية أحقرها فليس معنى هذا أن الحضارة الأمريكية هى الأرقى . فالانسان الفيتنامى هو الأقرى لأنه الأكثر تحضرا ولأن حضارته من نوع غريب لم تعرفه أمريكا ولا عرفه عالمنا ، حضارة جديدة لأنها قديمة جدا ، وخطيرة لأنها عريقة تأصلت جذورها فى الانسان من قديم الزمان .

وفى الكتاب حديث ممتع عن الدين والفن والكتابة والكتاب ، وفى دور الكتب آلاف الكتب ، كم رهيب من الكلمات . . . غابات الكلمات . . . رمال الكلمات وصخورها . . . معظمها نشر وذاع وانتهى دون أن يخلف أثرا أو يغير شيئا فى الانسان . . . ان الذى غير فعلا . . . الذى حول مجرى حياة البشر ليس سوى عدد محدود جدا من الكتب كمجموعة قليلة من الكائنات الانسانية التائهة فى غابات الكلمات وأحراشها . . .

وفى الكتاب دروس من اليابان دروس وعاما الكاتب ودروس للقارى . . . للتأمل والاهتداء والاقتداء ، . ان الصدفة والتلقائية لا تلعب أى دور فى حياة الفرد اليابانى . صحيح قد تضيق كل نديبرانه نتيجة امر لادخل له فيه ولكنه هو عليه أن يدبر .

والدرس الآخر « نفاسة الوقت » . سائق التاكسى هناك يضع الساعة امامه فوف (تاباود العربية . . . المليفزيون ، خاصة فى الصباح يكتب لك الوقت بالناية فى زاوية شاشة العرض حتى لاتنسى نفسك وأنت تنفرج . . . ان المحافظة على الزمن هى المحافظة على نروه لا تراها العين)

وقد لاحظ الكاتب أن آخر من يستهلك الصناعات اليابانية هم اليابانيون أنفسهم . . . ان عدد من يملكون سيارات أقل من مثيله فى أى بلد آخر ، كذلك الكاميرات والريكوردارات . . .

ان الفرق بيننا وبينهم كما يقول الدكتور يوسف ادريس أنهم ناس طموحهم الأكبر أن ينجحوا السيارة من لاشيء لا أن يمتلكوها بينما نحن

طموحنا الأول أن نمتلك السيارة وبالذات حيناً لو كانت من اثنا عشر عاماً .

والصناعة أولاً وأخيراً إنسان

والإنسان أولاً وأخيراً موقف من الحياة

- وموقف الإنسان الآسيوي - بشكل عام - من الحياة موقف جاد .
- وكارثتنا الحقيقية أن موقف إنساننا من الحياة موقف هازل .

وفى الكتاب قصة منيرة ، ففى لندن ، ذات يوم ، ناقش الدكتور يوسف ادريس اختصاصياً كبيراً فى اختبارات الذكاء بمستشفى (هامر سميث) حيث كان طفل مصرى يفحص من اصابة ، وحين أجريت عليه اختبارات الذكاء كانت نسبة درجاته أعلى بكثير من المعتاد فى هذه السن وحسب الطفل نابغة أو فلتة ففوجيء بالاخصائى يقول أن هذا ليس أول طفل من بلادكم أجرى له الاختبار ٠٠٠ هذا فى الواقع هو الطفل العاشر ، وهو ليس أول الحاصلين على هذه النسبة ٠٠ انه السابع ٠٠٠ واعتماداً على خبرتى أستطيع أن أقول ان هذه ربما أعلى نسبة للذكاء بين أطفال العالم .

وأحسست كالمؤلف بفرحة حقيقية لولا أن الاخصائى مضى يقول : (ولكن الغريب أن أطفالكم يظنون كذلك الى حوالى الخامسة ثم تبدأ نسبة ذكائهم فى الهبوط بينما تأخذ نسبة قرنائهم الانجليز أو غيرهم فى الارتفاع بحيث يتفوقون عليهم بمراحل ٠٠

- وكالمؤلف أيضاً تراجعتم فرحتى واحترت .

السبب أنه حتى هذه السن يكون ذكاء الطفل مستمداً من مخزونه الوراثى من الذكاء ، ولكنه بعدها يعتمد ذكاؤه على مدى تفاعل ذكائه الموروث مع بيئته وعلى مدى أثر البيئة فى تنمية الذكاء ، تماماً كأي عضلة تولد بقوة معينة ولكن قوتها تبدأ تعتمد على التدريب والتمارين التى تزاولها .

والحل أن أطفالنا الذين يولدون عباقرة بالقياس الى أطفال العالم يجب أن يتلقاهم نظام حياة ينمى هذا الذكاء الفردى ويربيه ويدربه على تكوين مجتمع ذكى يعمل طول الوقت ويطور نفسه بحيث يستطيع باستمرار أن يستوعب ذكاء أفراده وبذكائهم الجماعى يحيا ويتقدم ويخترع وينتج ، ولكن ، لأن عكس هذا ربما هو الذى يحدث ، بحيث يجد الفرد الذكى نفسه فى حالة صدام مع مجتمع قاصر عن استيعاب ذكائه ، حيث يتحول بذكائه لخدمة ذاته أو بالأصح الدفاع عن ذاته وهكذا .

ويقف الكاتب عند هذه النقطة طويلا لأنها ممكن من مكامن الداء عندنا خاصة ونحن كما يقول لم نعد في عصر الفلتات الفردية . نحن في عصر المجتمعات والمجموعات الذكية . . . وكما بدأ العالم ينقسم الى أغنياء وفقراء فكذاك بدأ ينقسم الى مجتمعات أذكى ومجتمعات أقل ذكاء أو أغبياء والهوة بينها أيضا تتسع فالذكاء نروة والثروة ذكاء . . . حتى القوة الفصيل فيها هو الذكاء . . . والجيش الأقوى اليوم هو الجيش الأذكى . . . بل ان التعليم ذاته لا يحل المشكلة .

والمؤلف الطبيب يشخص عيوبنا مرة أخرى ويقول في وثوق :
(هنا في بلادنا تستطيع أن تضع يدك على الداء بسهولة . . . في قرانا نحن نكون المجتمعات الصغرى هذه وننشأ منها وبها فنشئ المجتمع الأكبر . . . كذلك كانت مدننا في العصور الوسطى مكونة من أزفة وحواري تكون أحياء تكون مدينة والمدن تكون دولة . في العصر الحديث وحين حدثت الهجرة الهائلة من القرية الى المدينة . . . ومن الزراعة والتجارة الى الصناعة فقد انساننا القادم قدرته على تكوين المجتمعات الأصغر . . . امتلات مدننا بآلاف العائلات أو حتى الأفراد الذين لا يربطهم رابط ولا يسألون أمام مجموعة ولا يحسون بالانتماء . . . ومن السهل أن يبدأ الانسان يفقد كثيرا من خصائصه الأصلية حين ينفرط عقده ويصبح وحده يفكر ، ووحده يسنهدف ، ووحده يصنع لنفسه القيم التي بلائمه . . . ان من يفقد الانتماء يفقد الأصالة ، والفرد حين يفقد خصائص مجتمعه الأصغر يفقد تماما خصائص المجتمع الأكبر .

والنتيجة أن الكتلة بدلا من أن تكون بناء قويا تتفتت وتتسطح ويصبح في مكان البناء سطح من الرمال الصغيرة المتراكمة .

ان الدرس الذي نعلمه المؤلف من آسيا أن المعجزة ، ان تحقيق المعجزة أية معجزة ، ليس أبدا مسألة مستحيلة ، هي على الدوام ممكنة ، أوجد الشعب توجد المعجزة اذا حضر حضرت واذا غاب غابت .
اذا حملته المسئولية أية مسئولية ، ولو كانت قهر امبراطورية ، حملها كالعملاق وأنجزها ، واذا حجبها عنه تحول الى متفرج اللامبالاة شعاعه .

ما أغرب هذه الكائنات الهائلة العملاقة ، الشعوب .

لقد اكتشف المؤلف قارة في هذا الكتاب وسيكتشف فيه القاريء بدوره عوالم جديدة عبر قارات .

فى ذكرى المازنى

حين يرتفع الكاتب الى قمة

منذ ثلاثين عاما فقدت مصر كاتبها المازنى . وكم فقدت مصر فى هذه الثلاثين ، ابراهيم عبد القادر المازنى أحد رواد النهضة الأدبية الحديثة . لا أنكلم بهذه المناسبة عن المازنى كاتباً أو شاعراً فقد أفردت لهذا كتاباً كاملاً تعددت طبعاته دلالة لا تخطئ على مكان المازنى ومكانته فى حياتنا الفنية .

من يرجع الى أعداد جريدة الأساس بدءاً من يناير سنة ١٩٤٩ حتى وفاة المازنى فى أغسطس سنة ١٩٤٩ ، يجد عجباً . فقد كان المازنى فى هذه الفترة بالذات يكتب مقالا يوميا تقريبا . وعلى امتداد ثمانية أشهر حلل موقف مصر فى المنطقه . . . ووقف بالتحليل طويلا عند طبيعة اسرائيل بما لا يزيد عليه المحللون اليوم بعد أن وضحت معالم السياسات والنيات . وهى قيمة عزيزة من قيم الريادة ، وقمة رفيعة لا يبلغ ذراها الا كتاب الآفاق والأعماق .

وللقارىء أن يعود الى مقال المازنى فى ١٦/١/١٩٤٩ ، ١٠/٣/١٩٤٩ ، ٢٩/٣/١٩٤٩ ، ٧/٤/١٩٤٩ ، ١٥/٥/١٩٤٩ ، على سبيل المثال .

والآن أتكلم عن المازنى الفنان وأحد أعمدة مدرسة الديوان التى أعلنت كرامة الكاتب ، وأرست مكانة الأديب . . . مدرسة الديوان التى ثارت على المدائح الكاذبة ، والقصائد الرخيصة التى تراق تزلفاً ونفاقاً بغياً . . . قميئاً وكثيياً .

أن يتفاماً انسان لانسان مثله ، مهانة وادانة للفرد وللشعب معا بما يمثل الكاتب من ضمير الأمة . . . بل انى أرى القمءة ، كفرا بالمعنى الدينى فقد كرم الله الانسان وحمله الأمانة ليكون كريما على نفسه وعلى الحياة . . . وحين سن الله الشرائع ، قصر العبادة عليه ، ورجاء النفع فيه :

(اياك نعبد واياك نستعين) وهنا « قصر » كما يقول البلاغيون وهي غير
(نعبد اياك) التي يجوز معها العطف والاتباع . تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا .

كان المازني أحد بلاثة قامت بهم ، وعليهم مدرسة الديوان هم :
العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري . وكانت مدرسة الديوان انتفاضة
مزلزلة ، وكانت صحيحة مجلجلة ضد أدب المباخر والمواكب .

دعت مدرسة الديوان الى اعلاء الكلمة ، وارساء قيمة الصدق في
الفن وفي التعبير . . . الصدق مع النفس ومع الآخرين . فعلت هذا في
وقت كان فيه الأديب ظل ملك ، أو سميم مجلس ، أو نديم شراب .
فصار الأدب على أيديهم رأيا وفكرا ، وصار الأديب من خلالهم فنانا
وموقفا . خاضوا معارك الحرية : السياسية والأدبية ولقوا من أمرهم
عسرا . . . باع المازني مكتبته وأودع العقاد السجن . . . فأعطى المازني ،
من ذاته مكتبة يتصدرها من كتبه التي تربو على الثلاثين : «حصار الهشيم» ،
و « خيوط العنكبوت » ، و « قبض الريح » ، و « ابراهيم الكاتب » ،
و « ابراهيم الثاني » ، و « صندوق الدنيا » . . . وخرج العقاد من السجن
ليقول :

وكنت جنين السجن تسعة أشهر وهأنذا في ساحة الخلد أولد
عداتي وصحبي لا اختلاف عليهمو سيعهدني كل كما كان يعهد

كانوا رجالا . . . وكانوا مواقف .

نزول المظاهر والزيوف ويظل الأدب العالى هو الباقي .

والشعر من نفس الرحمن مقتبس والشاعر الفد' بين الناس رحمن
المازني الكاتب القصاص الشاعر ، المترجم ، له ديوان كبير من
جزأين وله شعر لم يطبع بعد . . . وليس بين هذا كله قصيدة واحدة في
مدح كاذب ، أو هوان منظوم .

ألح على المازني أهل حيه أن يمنلهم في البرلمان - كان عندنا برلمان -
فقال (لقد خلقت كاتبا وسأظل كاتبا أخدم بلادي عن طريق الصحافة) .

لأنه كان كاتبا بهبة السماء ، لا بالاحتراف ، أو الاستوظاف ،
أو الادعاء ، أو الانتماء ، أثر الكتابة على النياحة بمظاهرها ومزاياها ، مع
أن الكتابة لم تغن عنه ، في دنيا المال ، شيئا . . . حتى ندت عنه هذه

التهتفة (..) وجهت قلبي الى المعرفة . وامتحنت نفسي بالسؤال ، وعلمت
روحى التفتيش . بنيت لى نفسى آمالا ، غرست لى نفسى أوهاما ، عملت
لنى نفسى جنات وفراديس غرست فيها أحلاما من كل نوع ثمر .. وهذا كان
نصيبى من كل تعبى .. قبض الريح) .

أقول :

ليس يقبض الريح عطايا الفن الصادق والعمل النفيس فان الله اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه .

ليس يقبض الريح ما كتب المازنى وأنداده .. انه كشجرة وارفة
الظلال فى وقدة الهجير . تمضى الريح وتظل الشجرة فى وقفها شامخة .
بأذخة بالورق والزهر والتمر .. ولكنه المازنى الكبير فى تواضعه ..
والتواضع قمة الكبرياء ..

الأدب الساخر بين المازنى وعفيفى

كتابنا محمد عفيفى وقبله « ابراهيم عبد القادر المازنى » وقبلهما « عبد العزيز البصرى » أعلام الأدب الساخر فى مصر ٠٠ وهو فن مركب أى يحتاج الى قدرات : قدرة الكتابة ، وقدرة النفاذ الى مواطن الحقيقة وبواطن السلوك ، وقدرة الفكاهة الطبيعية ٠ وليس سهلا أن تكون الفكاهة نهرا عذبا متدفقا حلوا كالنبيل ٠

ويحسب الناس أن الفكاهة هى الحفة ٠٠٠ ويخلط آخرون بينها وبين الضحالة مع أن الفكاهة الراقية لا يرفدها الا ثقافة راقية متنوعة عميقة لتكون الفكاهة فنا رائعا وممتعا ٠٠ ريقا شيقا ٠٠ أو ربيعا دائم الحاضرة ٠٠ وبدون هذا تغدو الفكاهة تسلية أو أقصاها تسرية ، ان لم تهبط الى منحدر التهريج أو العيب ٠

وقد كان اعلامنا الثلاثة أصحاب أقلام تقول ، لا ألسنة تدور ، أقلام تنقد ولا تنقض ٠٠ تمزح ولا تجرح ٠٠ مهتمة بالنقص مهمومة من احساس راق ذكى بالمسئولية ٠

والفكاهة من هذا المستوى الرفيع ، بعيدة الأثر فى النفوس ، بما تمثل من جمال الصورة ، وجمال الفكرة ، وجمال الصدق معا ٠

والانسان المصرى منذ القدم أحب الحياة بعد أن زرع وعرف الشمس والماء والحيوان ٠ اصطلاح مع المكان وتحاب مع كل شئ فيه ٠

وحين اصطلاح المصريون وخاصة الأوائل مع الحياة ، أكسبهم التلاقى انشراح الصدر ، وانفتاح القلب وقراره وقرته فأعطوا بسخاء من معين فياض ٠

وانشراح الصدر ، سر الوسامة النفسية فى التمثال المصرى ٠٠ وفى الروح المصرية التى نسميها خفة دم ٠

ان البشر سر من أسرار الشخصية المصرية فهو يغسل بحرا من الهموم ٠ الشعب المصرى يطرب ويضحك ويتفكه فيحسبه الجاهل به ، سهلا ، وهو صعب يستطيع حين يريد أن يأتى بالمعجزات ويركب الصعب حين لا تدل الدلائل من وجهة نظر المراقبين عليها، ٠

ومن القداسة ، الفرحة ٠٠٠ ومن البشر ، البشرية ٠

ان انشراح الصدر ، عناق للحياة ٠

حتى المرارة والألم يستعلى عليهما المصرى بالضحكة والنكتة ليلطف من حدة الموقف . وحين نقول « النكتة » لا نعنى أمرا سهلا . فالنكتة المصرية وحدها ترعب الأقباء ، حتى حرم الرومان على المحامين المصريين ، وتخدِيم الألفاظ فى براعة وسرعة وفن ولباقة أيضا . لقد كانت النكتة المصرية وحدها ، ترعب الأقباء ، حتى حرم الرومان على المحامين المصريين ، المرافعة فى محاكم الاسكندرية لأنهم كانوا يغضون من هيبه القضاء الرومانى بالمزاح والدعابة فى أثناء الدفاع وشرح القضايا .

لا أتكلم الآن عن ايجابيات وسلبيات النكتة المصرية التى تشكل عامل تعويق فى أوقات عصيبة يقف ويكف فيها الكلام لينطق العمل . ولكنى أقول ان مثل هذا الشعب ، تكون ، فيه ، مهمة الكاتب الساخر والفنان الساخر ، مهمة صعبة .

ومن هنا يقل عدد أعلام الفكاهة بمقياس التاريخ الأدبى مع أن رجل الشارع متفككه ، فكه ، يسمع النكتة ويقولها . . يخف لها مرسلا ، ويهش لها مستقبلا ، ويضحك منها فى الجالين .

و حين يقصد البشرى من السخرية ، النقد أو النقدات اللاذعة للمجتمع فى كتابيه « المختار » و « قطوف » أو صورته الكاريكاتورية فى كتابه : « المرأة » . . . كان المازنى يقصد ، « الاستخفاف » لونا من الاستعلاء أو ترويجا عن النفس . . . سخريته أقرب الى الفكاهة منها الى السخرية كمذهب . ويتجلى هذا خاصة فى كتابه : « رحلة الحجاز » الذى ينحو فيه منحى الكاتب الأمريكى « مارك توين » فى كتابه :

The Innocent Abroad

كان المازنى « قدريا » كتوماس هاردى أى أن الانسان لعبة فى يد القدر . وعلى هذه النظرة تقوم سخرية المازنى .

وهذه القدرية فيها لمسة من طبيعة النفس المصرية عامة حتى لتحد أحيانا من استشرافها الى فوق ، وتطلعها الى امام ، وان كانت ترفدها أحيانا أخرى برصيد كبير من السلوى وتمدها بالظاف من العزاء ، يقويها على المعاناة ويحملها على الصبر ، ويصلها بعد القنوط - برحمة الله .

كتب الأستاذ العقاد عن (السخرية عند برنارد شو) ، فاستوقفه قوله : (انى أتعب غاية التعب فى استنباط ما ينبغى أن يقال ، ثم أقوله بعد ذلك بأدنى العبارات الى الاستخفاف) .

وأحسب هذه المقولة تنطبق على سخرية كاتبنا محمد عفيفى فقد كان واسع الثقافة . . . جادا على الرغم من أسلوبه الساخر وصوره

الضحكة ، لا يسيل دما أو ينكأ جرحا كما فعل كاتبه الاثير « اوسكار وايلد » الذى ترجم له كتابه :
The importance of Being Ernest

• أى (أهمية أن تكون ارنست)

ودون أن تبلغ السخرية عنده ، حد السخط والمرارة كسويفت الذى كان ناقما على جميع الاوضاع فى عصره .

لقد كان محمد عفيفى كالمازنى يسخران ولكهنا فى سخريتهما أقرب الى الكاتب الفرنسى « أناتول فرانس » اى سخرية انسانية عليها مسحة من حزن لا يحجب سماحتها بل ابتسامتها . يقول الأستاذ على أدهم فى كتابه « الوان من أدب الغرب »

(وأناتول فرانس ساخر بارع يتخذ سخره قالب البساطة والتواضع . فهو لا ينكر الأنسياء فى عنف ، ولا ينقص أحدا فى حفا ، وشدة ، وانما ينسم انسامة خفية مهذبة ويتحدث فى رفق ولين ، وهو واسع الاطلاع غزير المعرفة . . وكان لا يمل قراءة التاريخ ولا يكل من الغوص فى أعماقه)

ولا أجد أبلغ من هذه العبارة ، وصفا لكاتبينا : المازنى ومحمد عفيفى .

ارفعوا الوصاية عن الكاتب والكتاب

انتهت لجنة الكتاب المصري من عملها ٠٠٠٠ وأفرغ الناشرون شكواهم التي تتعلق بالاستيراد والتصدير ٠٠٠٠ وطرح الكتاب قضيتهم الفكرية وهي تتعلق بالحرية في الرأي والتعبير . وأشهد ان رئيس اللجنة كان واسع الأفق واسع الصدر ومخلصا لبلده في هذا الوزر الذي أنقض ظهره . والعجيب أننا نتكلم عن الرقابة المالية على حصيلة الكتب المصدرة كأنها معلم من معالم حياتنا وهي وصمة مستحقة فلم تكن مصر في أزهى مصورها الفكرية تعرف عامل هذه الرقابة بل ازدهرت نقافتها لأنها لم تعرفها الى ان وشى ناشر لبناني بناصر آخر مصري من أصل شامي ٠٠٠

وتقرب الواسي الى أحد رجال الادارة في ذلك العهد وطبع له كتابا من الادارة وتم طبع الغريم واتخذ ذريعه لفرض الرقابة المالية على حصيلة الصادرات من الكتب مما يهون النسب ويضرب الكتاب المصري حين أرقه قوه من أهله عمرا واسنيا ورفيبا وحسبيا . ولما لم المواسي ما أراد . انتهى أعماله في مصر ! وعاد الى بيروت ودمال وجمال وجمال وجمال له الساحة العربية فأمعن في الكتاب المصري تصويرا ونزييفا حين يحضر . وترويجا لكساد غيره حين يقبب .

ومن هنا نرى قيود الرقابة المالية المستحدثة فجا وقعت فيه مصر ليمرح تجار لبنان . وتفرح السوق السوداء في بيروت .

هذه قصة الفمسة

والآن انتهى السبب وهذا ايدان بانتهاء المسبب فليس بين المصريين صاحب مصلحة في تهيب النقد لأنه ليس له بلد آخر ولأن دورة رأس المال في الداخل تتطلبه . ومن هنا ناديت في لجنة الكتاب المصري ، برفع الوصاية عن الكاتب المصري والكتاب معا ٠٠٠ على أن نوضع قواعد المحاسب عند تحريف الكلم عن مواضعه أي مناقشة الكتاب بعد صدوره لا قبله . وقال بهذا في صورة أخرى الدكتور الشنيطي والدكتور القمصان فقد طلبا أن تحدد مدة بعد ايداع الكتاب هيئة الكتاب يصبح بعدها حرا في التداول على المستويين المحلي والخارجي .

وخشى أحد ممبلى الرقابة الدينية من فتنة الكتب الواردة ونسى ان مصر من عمق الجذور الحضارية نميز في ذكاء احساس وذكاء عقل معا الخبيث من الطيب ٠٠٠ والمثل عندي من القرن السابع الهجري الذي

كثرت فيه الفرق والنحل واستشرى الخلاف بينهما ٠٠ واذا حزب الأمر تطلع الاسلام والمسلمون الى مصر لتحسم الموقف كدأبها في الأزمات الكبرى فانفق رأى العلماء على رجلنا الشيخ تقي الدين السبكي ليوفق بين المذاهب الأربعة ، ويخرج منها بالنفاذ المصرى واللمح المصرى والوجدان المصرى مذهباً ينفاد الناس له ويرتاحون اليه ويقرون عنده ٠

وطرح فى اللجنة موضوع دعم الكتاب المصرى كما يدعم الكتاب العربى فى اقطار حدينة العهد باصدار الكتب ٠ وأقول :

على الدولة أن تدعم الترجمة فان تكلفها اليوم لا ينهض بنا فرد ناشر ٠ هل نذكرون مشروع الألف كتاب الذى فصح أكثر من نافذة على ثقافات العالم المتحضر ثم انطوى ؟ لتخلو الساحة لانفاسات أخرى ؟

أتعيدوا مشروع الألف كتاب (١) ٠

أعيدوا السلاسل الثقافية الرمزية الثمن لتدخل الثقافة كل بيت ففى احصائية الجهاز المركزى للمعبئة العامة والاحصاء عن حركة النشر بوضع ان عدد الكتب المؤلفة والمرجمة من ١٩٦١ - ١٩٧٧ فى اتحاد انتمائه الأرقام ففى عام ١٩٦١ كان عدد الكتب المؤلفة ٢٤٤٣ والمرجمة ٣٦٦ ظلت تنصاعد حتى عام ١٩٦٧ فبلغت الكتب المؤلفة ٤٥٥١ والمرجمة ٥١٠ وبدأ الاتحاد عام ١٩٧٤ فبلغت الكتب المؤلفة ٣٤٥٧ والمرجمة ٢٣٦ واستمر الخط البياني فى الهبوط ففى عام ١٩٧٧ بلغ عدد الكتب المؤلفة ٢٦٢٧ والمرجمة ١٨١ ٠

فحين أنادى ببحث الجهود فى حقل الترجمة وتشجيعها وحفزها فانى لا أصدر عن فراغ ٠

لقد كانت الترجمة فى عصرها الذهبى بحلق فى كل أفق وغطى كل موضوع ففى (النبت البيلوجرافى للأعمال المترجمة) فى الفترة ما بين ١٩٥٦ - ١٩٦٧ احصاء ملخصه ان الكتب المترجمة فى المعارف العامة (٣٢) ٠٠٠ فلسفة وعلم النفس (٣٥٠) ٠٠٠ ديانات (٢٢٥) ٠٠٠ علم الاجتماع والاحصاء (٩٩) ٠٠٠ العلوم السياسية والاقتصادية (٥٦٠) ٠٠٠ القساوون وعلوم الادارة (٦٤) ٠٠٠ الفنون العسكرية (٢٤) ٠٠٠ تربية وتعليم (١٥٤) ٠٠٠ التجارة والنقل (١٤) ٠٠٠ اللغات (٥) ٠٠٠ الرياضيات والعلوم البحتة (٢٧٤) ٠٠٠ العلوم التطبيقية (٧٣) ٠٠٠ العلوم الطبية (٦٩) الزراعة (١٦) ٠٠٠

(١) استجاب وزارة الثقافة ممثلة فى (هيئة الكتاب) واعاد مشروع (الالف كتاب) اى (الالف الثانية) ٠

الصناعات والتكنولوجيا (٣٢٨) ٠٠٠ العلوم التجارية (٧) ٠٠ علوم
التدبير المنزلى (٦) الفنون (١١٢) الألعاب الرياضية (٧) ٠٠ الجغرافيا
والرحلات (١٧) الناريخ والتراجم (٣٦٤) ٠٠٠ وفى الأدب العسام
(٧٣) الأدب الانجليزى والأمريكى (٨٣٩) الألمانى (٤٨) والفرنسى
(٢٤٥) والايطالى (٣٩) والأسباني (٢٣) والروسى (١١٥) والكلاسيكى
(يونانى ولاتينى) (٢٨) وفى آداب اللغات الأخرى (١١٩) ترى ماذا
عندنا اليوم من التراجم والمترجمين لقد بلغ عطاء محمد بدران وحده من
واقع الاحصائيات ٥٤ كتابا فى اثنى عشر عاما ما بين ترجمة ومراجعة .

والانحدار العدى انسحب على القراءة فى الكتاب الذى أصدرته
وزارة الثقافة مطبوعا على ورق كوشيه ومجلدا تجليدا فخما باسم (الثقافة
فى عهد السادات) ٠٠٠ فى هذا الكتاب احصائية عن عدد القراء من ١٩٧١
الى ١٩٨٠ تشير الى أن دار الكتب أمها عام ١٩٧١/٣٢٠٤٧ أما فى عام
١٩٨٠ فقد انحصر العدد وانحصر فى ١٢٣٩٦ والوضع نفسه فى المكتبات
الفرعية فقرأها عام ١٩٦١/٤٢٢٤٩١ وصلوا سنة ١٩٨٠ الى ١٨٤٢٤٠
ولا أحاج هنا بتصاعد ثمن الكتاب فهذه الاحصائية عن القراءة المجانية
يؤكد هذا ٠٠٠ فالكتب المعارة من دار الكتب فى سنة ١٩٧١ - ٩٠٣٨٢
ومن المكتبات الفرعية ٧٤٤٥٦٩ وصل الرقمان على النوالى فى سنة ١٩٨٠
الى ٢٦٢٣٨ و ٤٠١٢٠١ .

اذن المسألة ليست النقود ولكن الاحباط الذى اصاب المنقف المصرى .

الاكتشاف الذي تحدثت عنه صحافة العالم

طلعت الصحف المصرية يوم ١٩/١٠/٨٠ بنسباً أطلقت عليه « اكتشافا » وقع في موسكو نقلا عن وكالات الأنباء ٠٠ مفصلة القول عن ألبوم كبير يضم صورا فريدة لمصر من القرن التاسع عشر من رسم « دينون » وأن الخبراء قالوا ان هذا الكشف يعد من أهم الاكتشافات الخاصة بالحروب النابوليونية في القرن الحالي .

وقد أحسست بالغبطة مرتين عند قراءتي لهذا الخبر ٠٠ فليس أهنا للقلب المصري من « وجود » مصر في سمع الدنيا مقترنا بالقيمة الباقية : « الحضارة » .

أما السبب الآخر فهو أن هذا الألبوم التاريخي الذي يكاد يكون مفقودا لأنه مطبوع سنة ١٨٠٢ يضمه مكتبتى وبينى مع غيره مما كتبه وصوره عالميون عكفوا على دراسة مصر التاريخ ، ومصر الفن ، ومصر الحضارة . وهذا الكتاب اسمه الكامل (رحلات فى مصر السفلى والعلبا) ويتكون من مجلدين يحويان النصوص ، ومجلد واحد يحوى اللوحات التى رسمها « دينون » الذى أصبح فيما بعد ، المدير الأول - أى الرئيس - لمتحف اللوفر وأنشأ مجموعة المتحف المصرية به .

والكتاب ليس ١٤١ صورة كما ذكرت الصحف ولكن ١٤١ صفحة بحجم ٦٣ × ٤٨ وكل صفحة تضم أكبر من صورة .

وقد جاء «دينون» الى مصر مع الحملة الفرنسية . وعندما أقيم المعهد الفرنسى فى القاهرة وقسم الى أربع شعب من بينها شعبة الآداب والفنون ، كان «دينون» أحد أعضاء هذه الشعبة مع الرسامين دوتيرتر ، و «ريبوتيه» و «رفاييل دومانشيس» وضم الى الشعبة الرسام « ريجو » بعد هذا .

وحدث أن انضم «دينون» الى فرقة الضابط « ديزيه » التى أخذت تتبع مراد بك من أمراء المماليك الذى لاذ بالصعيد ليهاجت الفرنسيين من وقت الى آخر مما جعل ديزيه سريع الحركة - ومع هذا استمرت المطاردة تسعة أشهر - مما أعجل دينون أكثر من مرة - الا أن الجند أمام معبد دندرة ، نسوا مؤقتا مطاردة مراد وأطالوا الوقوف بالمعبد الرائع ٠٠ وكان دينون أشدهم انبهارا .

لن تجد أبسط ولا أحسن حسابا من الخطوط القليلة التى يتألف منها هذا المعمار . فالمصريون الذين لم يستعبروا شيئا من غيرهم من

الأهرام ، لم يضيفوا زخرفا ماديا واحدا ، ولا حشوا واحدا لا لزوم له الى الخطوط التي أمثلتها الضرورة مع النظام والبساطة اللذين سموا بهما الى الذروة .

وقد ترجمت ريشته ما سطره قلمه فجاء الألبوم حافلا .

والألبوم يضم فى مجموعته صورة مفاستها ٩٦ × ١٢٦ على مساحة صمغتين متقابلتين عن معركة الأهرام ٠٠ كما يضم فى ص ١٩ خمسة مناظر لأهرام الجيزة .

وكان « دينون » وصافا بالحروف والخطوط ٠٠ بالقلم والريشة معا فحين رأى الأهرام ، نددت عنه الهتفة [وددت لو استطلعت نصويرها فى تلك الألوان الشفافة المصعقة التى يدين بها لذلك القدر الهائل من الهواء المحيط بها - والبعد الشاسع الذى يمكن أن ترى منه يجعلها تبدو شفافة بلونها زرقاء السماء بلون خفيف وترد إليها ما أفسدته القرون من كمال الزوايا ونقائنها] .

ولم يكن « دينون » فى دهشته ، وحده فإن « كريستوفر هيرولد » مؤلف كتاب « بوابرت فى مصر » يحكى عن « ديفرنوا » أنه رأى نقوشا بديةة فى بعض المقابر القريبة من الهرم الأكبر ، وكانت تمثل ستمى الأعمال الريفية مرسومة بما امتازت به خطوط الفن المصرى القديم من نقاء ودقة ونظام عريب ، فقال متعجبا معجبا : [ان ما يسحق الاعجاب أكبر من كل شىء هو الدقة التامة فى تصوير أصغر التفاصيل ٠٠ لفسد هزت هذه المناظر الرائعة مشاعرى هزا قويا بحيث ما زالت ذكراها عالقة بذهنى بعد خمسين عاما] .

وفى ص ٢٣ من الألبوم منظر للفاخرة القديمة ومقابر الخلفاء ، ومنظر للمقياس ٠٠ حتى شجرة التنور لها صورة فى ص ٢٥ .

وفى ص ٣٥ صورتان للحمام المصرى ، والحمامات المصرية شددت الفرنسيين كما شددت بعدهم ، « ولبن لين » الانجليزى فى كتابه عن المصريين المحدثين ، وشددت قبلهم الرحالة فى العرون الوسطى .

وفى ص ٤٨ منظر لطيبة ومسقط لمعبد الأقصر . وقد حظيت طيبة بعدد من الصور فى هذا الكتاب .

استولى الفرنسيون على مصر ، واستولت طيبة على الفرنسيين . يقول كريستوفر هيرولد (وصل الجود فى الساعة التاسعة من صباح ٢٧ يناير الى منحنى النهر ، فطالعهم على جانبى النهر مشيد طيبة القديمة

كاملاً بما احتوته من معابد في الأقصر والكرنك . . ووقفت الفرقة كلها
من تلقا، نفسها وصفق أفرادها استحساناً .

يقول « ديفرنوا » ودون أن يصدر أمر للرجال ، وقفوا وأدوا
التحية العسكرية على فرع الطبول وعزف الموسيقى . وكانت لحظة
نسبها بتلك التي رأى فيها رجال بالبو ، المحيط الهادي أول مرة ، مع
هذا الفارو ، وهو أن المحيط كان هدف الاسبانيين ، أما طيبة فكانت
منحة خالصة لم يسع اليها الفرنسيون) .

وفى وسط هذه التحية العسكرية لعبقريه الانسان . كان «دينون»
يرسم أول منظر لطيبة ، وعرض عليه الجنود في حماستهم أن يستخدم
ركبهم ، مسندا للوخته ، وأحاط غيرهم به حماية له ، وهو يرسم ، من
أشعة الشمس التي تبهر العيون .

وعلى الرغم من أن « دينون » اسنطاع بألبومه أن يروع مشاهديه
لكنه عجز عن أن يطفىء ظمأه هو . . كان غارفا في كنوز مصر فلم يملك
أن هتف حائراً .

(ظلمت أتقل والقلم في يدي من أثر الى أثر تجذبني طرافة
الواحد فأترك الآخر . . ولم أجد من العيون والأبدى ما يكنى . وكان
رأسى أصغر من أن يرى ويرسم ويصنف كل شيء ، يروعي النظر اليه
. . وشعرت بالحنج من قصور الرسوم التي صورت بها هذه الروائع) .

تعجز الكامات في العربية ، كما عجزت الكلمات في الفرنسية على
غناها اللفظي والسعبرى ، عن وصف روائع مصر .

ان المجمع المصرى الذى شكله نابليون من علماء الحملة الفرنسية
قام خلال سنوات الاحتلال الفرنسى بقدر كبير من الأعمال قدمها
الى العالم فى تسعة مجلدات تحوى النصوص ، وأربعة عشر مجلدا نحوى
الرسوم ومجموعها (٢٣ مجلدا) هو كتاب (وصف مصر) الذى طبع
فى باريس ١٨٠٩ - ١٨٢٨ . وقد أيقظت هذه المجلدات الاهتمام
بمصر وتاريخها وآثارها فى جميع أنحاء أوربا وخاصة الغربية . ونحن
نعرف كتاب وصف مصر ، بل شرعنا فى ترجمته الى العربية ولكن
(جون مارلو) مؤلف كتاب (تاريخ النهب الاستعماري لمصر) يقول ان
ألبوم « دينون » أقوى أثرا فى فتح العيون والأذهان على مصر من كتاب
الحملة الشهير « وصف مصر » .

فعندما صدر فى باريس عام ١٨٠٢ كان الأول من نوعه فطيار
صيته حتى أن انجلترا ترجمته بعد عام واحد من صدوره . وساد

أوروبا على أثره موجه من الاهتمام المحموم بآثار مصر بل ان فواصل الدول
دى أوروبا بدأوا يجمعون مجموعات من الآثار المصرية لأنفسهم ولدولهم •
وسعت الرحلة الى مصر للدراسة ، وللفن ، ولجمع الثروة ،
ولارضاء غريزة حب الاستطلاع •

ونهب مصر كالعادة تحت سجع الحكومة وبصرها ومن سوء
حظ مصر أن ناهبيها ، يصابون بسعار كلما امتلأ يقول كجهم : هل من
مزيد •

كتب ارنست رينان سنة ١٨٦٥ يقول :

[ظلت الآثار المصرية تنهب لمدة تزيد على نصف قرن • وأخذ
متعهدو تزويد المتاحف بالآثار يجتاحون البلاد (كالوندا) المحصول
على بقية رأس أو قطعة من نقش وعمد البعض الى فك بعض الآثار الثمينة
الى أجزاء صغيرة ! وكان هؤلاء المخربون الجشعون الذين كانوا يحصلون
دائما تقريبا على تأييد قناصلهم ، يعاملون مصر كما لو كانت ملكيتهم
الخاصة] •

ما أشبه الليلة بالبارحة •

وبعد قرنين من صدور كتاب « دينون » نقرأ عن نهب الآثار أو
وهب الآثار •

وقد فجر كتاب « دينون » الكتابات عن مصر • فبعد صدوره
بتسع وثلاثين سنة ، صدر فى باريس ١٨٤١ كتاب آخر كبير وهام
باسم : Panorama d'Egypt et de Nubie

بانوراما مصر والنوبة • ألفه أورو Hector Horcau مهندس معمارى
فرنسى • وقد ضمن كتابه أبحاثا عريضة عن المدن المصرية الكبيرة وخاصة
طيبة • وعزز الكتابة بالصور (رسم يد) فى ألوانها الأصلية • ومن
أهم ما فى الكتاب صورة طولها متران عن القاهرة من القلعة فى ذلك
العصر • وفى آخر هذا الكتاب قائمة بأسماء من يملكون نسخة منه فى
جميع أنحاء العالم وعددهم مائة على رأسهم لويس فيليب ملك فرنسا ،
ودون أورليان • • وهو كتاب من حقه أن يفرد له الحديث •

ومن نعم الله أن عندى هذا الكتاب أيضا لتكون مصر فى عمري ،
حياة ونبضا ، وعرقا وحرفا ورسمًا ومعنى ورمزا وحقيقة ووثيقة
وكلا كاملا تاما •

باب الفكر

١ - الرجل والموقف

الإمام الشيخ محمد عبده

وحين تطلق مصر كلمة « الامام » على رجل الدين فذلك يعنى الكثير
•• وبعض هذا وما أكرهه : الريادة والقادة •• وقد كان الشيخ محمد
عبده رائدا •• وكان قائدا فكريا •• وما بالقليل هذا فى وادى النيل
• وادى الدين •

ان رجل الدين حين يرتفع فى عين مصر الى قمة ، يمثل السلطة
الروحية وهى عند الشعب أعلى السلطات وأحب الى نفسه حتى أن مصر
نسمى رجل الدين من شدا الطرار : سلطان العارفين وهذا السلطان هو الذى
يلوذ به الشعب فى الملمات ••

كان الشيخ محمد عبده أحد الأئمة الأعلام فى تاريخنا القومى
فباسمه اقترن فى عصره :

- اصلاح الأزهر
- اصلاح القضاء الشرعى
- اصلاح هيكل النظام القضائى مجابها كروهر بما يردعه •
- رؤيته للنيابة العمومية والقضاء •
- وضع قانون للمعاملات من الشريعة •
- رؤيته للدستور •
- قوله بتحرير المرأة •
- تأسيس الجمعية الخيرية الاسلامية •

وهى جمعية بعيدة مرمى الهدف فهى تستهدف الأخذ بالوسائل
الحقيقية التى تؤدى الى (القوة وكمال السيطرة وتأليف الكلمة وضم
الشمل واتحاد المقصد لنجاح البلاد وتقدمها) •
وقد تبرع أقباط لهذه الجمعية •

• ودن الطريف أن تبرخ لها ، في عصر الاحتلال ، انجليز .

يقول المستنار عبد الحليم الجندي (وما قدر الشيخ على ذلك الا بانتهاره بأنه سلم لكل رجل ، وأنه رجل وحده ، وزعيم أمة) (١) .

لقد رفض الامير حسين كامل أن يرأس الجمعية في حياة الشيخ محمد عبده ، فلما رأسها بعد وفاته ، كان يقول عن الامام : « أستاذي الذي تشرف علينا روحه الآن ولولاه لم أكن أنا مسلما » .

• ولكن النجاح له ضريبة عالية .

انه سفر طويل في المصاعب ، وابحار ضد التيار ، في كبير من الأحيان .

وهنا أقول : ما مبلغ معاناة الاستاذ الامام ؟

يقول الشيخ محمد عبده في مذكراته :

[أصبحت نجاحا كبيرا فيما عنيب به .. أخفقت في كثير مما وجهت عزيمتي اليه .. ولكل ذلك أسباب بعضها مما غرز في طبعي وشئ منها . مما احتف حولي ، وطائفة منها من أصالتي وخطلي] .

• وهي أمانة نفس تحسب له ...

• نصحبه من بداية الرحلة .

استهل حياته بحفظ القرآن الكريم ثم شرع في الجلوس الى شيوخ العلم .. وكان ذلك سنة ١٢٨١ هـ أي في السادسة عشرة من سنه اذ ولد سنة ١٢٦٥ هـ فاذا به يفرغ من جهامة البداية وعيب تعليم العربية في مصر ، الذي يبدأ بنحوها ، بصعوبته فاذا بهذا النحو يحجب عن العين المبتدئة عدوبتها وموسيقاها وخصائصها الجميلة .

وهنا يحق للشيخ محمد عبده أن ينعي رداءة طريقة التعلم ويضرب مثلا لها ، شرح الكفراوي على الأجرومية الذي حدا به الى تركها وترك التعليم في هذه المرحلة ، معا ..

وهنا يبدو منزعه الى الحرية الفكرية والشخصية .. يبدو في قوة الارادة والحسم في اتخاذ القرار .

وحين رسب هذا كله في أعماقه ، صغيرا ، اتجه كبيرا الى اصلاح

(ب) كتاب (الامام محمد عبده) للأستاذ عبد الحليم الجندي .

التعليم ، واصلاح المعلم .. الى التطور الذى رخص به الدين يوم احترم عقل الانسان ، وارادته ، وسعيه .

ومن مؤشرات طفولته ، الى شخصيته ، أنه كان صبغرا ، معروفا **بالفروسية واللعب بالسلاح** ، والسباحة .

يقول الأستاذ عبد الحليم الجندى :

ترى بادىء الرأى أن الرياضة الباكرة ستحفظ عليه العافية طول حياته . . . وأن السباحة ستعلمه الصبر الجميل والسبح الطويل بين التيارات المتدافعة كما تعلمه الفروسية أن يتوازن وينضبط اذ ينطلق ، وأن يركض أو يسبق والناس يمشون أو يتخلفون . . . أما الرياضة فعلمنه البدار بالعمل بده وفكره . . . والتركيز على هدفه ، والاستعداد العصبى والذهنى . . . وكل أولئك من السنة . . . وهنا يستشهد بقول الرسول عليه الصلاة والسلام (علموا أولادكم السباحة والرماية) .

وتفتح صباحاً فبدأ رجال يدخلون حياته أولهم خاله الشيخ درويش ، لقد نفره من تعلم اللغة معلم درس له شرح الكفراوى على الأجرومية ، وحببه فى اللغة والقراءة معلم آخر هو خاله الشيخ درويش بصفات الصبر والبساطة والوضوح فيه .

وفى أواخر سنة ١٢٨٦ هـ جاء السيد جمال الدين الأفغانى مصر . . . وفى سنة ١٢٨٧ هـ - سنة ١٨٧١ م اتصلت أسبابه به .

وكانت هذه الصلة وراء المعانة والغبن اللذين استشعرهما فى امتحان العالمية . . . اذ عاداه شيوخ الامتحان لتطوره ولصلته بجمال الدين الأفغانى وهى قصة درامية رسبت أثرها فى نفسه فكان **اصلاح الأزهر** شغله الشاغل .

وهنا أقف وقفه عند كلمة « تطوره » فى هذه الفقرة .

لقد كان اصلاح الأزهر جزءاً من نزعتة الى التطور الذى أنشئت اليه . فقد كان يرى تدريس التاريخ الاسلامى والعالمى . . . كما كان يرى تدريس العلوم العصرية .

وقد حقق هذا فى دار العلوم ١٢٩٥ - ١٨٧٨ حين عين مدرسا للتاريخ بها فدرس لطلابه (مقدمة ابن خلدون) بل أضاف اليها كتاباً وضعه فى (علم الاجتماع والعمران) فكان بهذا زيادة استنتها الدكتور طه حسين وتابعه فيها بعد أربعين عاماً .

كما عين الشيخ محمد عبده بعد عام أي سنة ١٢٩٦ مدرسا للعلوم العربية في مدرسة الادارة والألسن التي ستصبح مدرسة الحقوق .

وهكذا اجتاز الفجوة بين القديم والجديد .

وأضاف الى هذا الاستغال بالكتابة والسياسة والقيادة فأخذ يكتب في جريدة التجارة بالاسكندرية سنة ١٨٧٩ م كما أسس مع جمال الدين الافغاني حزبا في مصر باسم الحزب الوطني الحر .

هذا كله ولم يجاوز الثلاثين من عمره .

ومن أهدافه عزل الحديوي اسماعيل فاذا بتوفيق الذي كان يدور في فكهما ينقض على كل شيء :

● يعطل الحياة النيابية .

● ينفي جمال الدين الى خارج مصر .

● يعزل « محمد عبده » من وظائفه وينفيه من القاهرة دون أي دسيسة أخرى آخر مرحلا الى قرينته !

وحين عين مصطفي رياض باشا رئيسا للوزارة استصدر عفوا عن محمد عبده وعينه محررا « أول » للوقائع فتوالت مقالاته الكبيرة بها منذ سنة ١٨٨٠ حتى بلغت ٣٥ مقالا (خمسة وتلاثين) تحت عنوان (حكومتنا والجمعيات الخيرية) طوف فيها وطاف بحياة الأمة الاجتماعية والقانونية والشرعية .

ومن عناوينه في هذا الصدد :

« القوة والقانون » - « الشورى والاستبداد » - « حاجة الانسان الى الزواج » - « حجاب النساء من الجهة الدينية » - « الطلاق » - « تعدد الزوجات » - « البدع » - « لجنة اعانة الحجاج » .

وقد كان الشيخ محمد عبده يرى الكتابة والتعلم أنجح في «إزالة الظلم الداخلي ، والاستعمار الخارجي من الثورات والفورات التي يسهل قمعها . . . وقد كان هذا المنحى ، سببا في انفصاله عن جمال الدين الافغاني في باريس .

حقا ان تأثير التعليم يستغرق وقتا أطول ولكنه أعمق وأبقى والدليل على اقتناعه الكامل بهذا ، أنه كان يدعو هذه الدعوة نفسها في تونس . ورايه هذا وراء عدم انفصاله مع « عرابي » في البداية ولكنه حين

أصبحت ثورة عرابي حقيقة مصيرية ، لم يتردد الشيخ محمد عبده في
الالتزام بها .

يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق : [نعم ان الشيخ محمد عبده لم
يكن يدعو الى الاصلاح الاجتماعى عن طريق التورة ولكنه لما رأى التورة
قائمة لنصرة مبادئه هى دبادئه ومبادئه أسناذه « جمال الدين » اتصل
بها وألقى فى نارها قبسا] .

وحين أصدر الخديو سنة ١٨٨٢ أمره الى عرابي بوقف الاستعداد
للحرب ، اجتمع **بوزارة الداخلية** مجلس وطنى حضره **الأمراء والعلماء**
والأعيان . . . وقرروا **الحرب** . . . فأبى الخديو وعزل عرابي فلم **ينعزل**
بل طلب انعقاد جمعية وطنية . . .

واجتمع خمسمائة من الامراء (اى أسرة الخديو) والعلماء والأعيان
فيهم **شيخ الأزهر وقاضى القضاة ، والمفتى ، وبطيريك الأقباط ، وحاجام**
اليهود ومحمود سامى البارودى ثم تليت عليهم الأوامر الصادرة من
الخديو والمنشورات التى أصدرها عرابي .

والذى تولى هذه التلاوة ، هو الشيخ محمد عبده بناء على أمر
حسين باشا الدرمللى و**كبل الداخلية** .

وتليت فتوى شرعية من الشيخ محمد عيش والشيخ حسن العدوى
والشيخ محمد أبو العلا الخلفاوى بهروق الخديو عن الدين لانحيازهم الى
الجيش المحارب لبلاده . . . وقررت (عدم عزل عرابي من نظارة الجهادية
والبحرية . . . ولزوم ابقائه . . . ووجوب توقيف أوامر الخديو ، حيث انه
خرج عن قواعد الشرع الشريف) .

كانوا علماء وكانوا رجالا .

أقطاب الأمة يجتمعون وأين ؟ فى وزارة الداخلية !

ومن المجتمعين ، وكبل الداخلية !

هل نحن ننقدم الى الخلف ؟

سؤال جوابه يطول .

وحين بوغت الجيش المصرى فى التل الكبير بعد أن كان قد انتصر
فى كفر الدوار ، جسر المعركة فأصدر الخديو قرارا بالغاء الجيش بدلا
من تعزيزه ولا غرابة فى هذا فهو منذ البداية كان عوناً عليه .

ومن ملك البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلاد

ولكن الانسان المصرى كان له موقف آخر . . . لعد قال الشيخ محمد عبده فى سجته :

مجدى بمجد بلادى كنت أطلبه وشيمة الحر تأبى خفض أهليه
ونفى الشيخ محمد عبده لمدة ثلاث سنوات الى بيروت ولم تنقطع
رسائله عن مصر اذ ظل يكتب لرققة الكفاح . . بها .

وأكدت تجربة النورة العرابية ، اعتقاده فى أسلوب المقاومة
الدارسة . . المقاومة العلمية أى نشر التعليم وبت الوعي فالنفس
العالة ، القوية ، المؤمنة بهدف ، العارفة أبعاد معرفتها ، هى وحدها
القادرة على التفوق الحربى الذى يملكه الخصم . .
ان صلاح الامة بصلاح دينها .

والدين الاسلامى يدعو الى قوة ترهب الأعداء . . وعلم . . وعمل
. . وكرامه . . واحترام العقل . . واحترام الارادة . . وتماسك لا تنفذ
اليه فرقه أو اختلاف . . أمة أجمعت أمرها فهى كالبنيان المرصوص .
وهذه أسباب المنعة جميعا .

ومثله فى هذا السيد أحمد خان المصلح العظيم فى الهند فقد أثر
الارتفاع بمسلمى الهند اجتماعيا وعقليا قبل مجابهة الانجليز .

وفى بيروت صار بيت الشيخ محمد عبده ناديا ، ومركز اشعاع
بما علم ، وفسر ، وهدى .

فى بيروت ترجم رد جمال الدين على الدهريين من الفارسية الى
العربية .

كما جلس لتفسير القرآن ثلاث ليال فى الأسبوع فى المسجد وكان
يمتلىء بالسامعين . . وكان المسيحيون يقفون جماعات على بابہ ثم
تعودوا الدخول . .

أما فى داره فكان يجتمع فى حضرته كما يعول الأمير شكيب
أرسلان (علماء السنة ومجتهدو الشيعة وعقلاء الدروز والى جانبهم
أساقفة النصارى وكانوا يرون التردد عليه أمرا طبيعيا . . ويجدون فيه
مرجعا عاما) .

وقد درس عليه الأمير شكيب أرسلان نفسه وعبد الباسط فتح الله .
وعرف الجميع سماحته واتساع أفقه فكان قسيس الكنيسة يعرض
عليه مواعظته . يقول الدكتور أخمد أمين عنه فى كتابه : (زعماء الاصلاح

في العصر الحديث) [انه خلق في بيروت حركة علمية راقية استفاد منها كثير من أهلها] .

لقد اشتغل الشيخ محمد عبده في الشام بالحركة الاسلامية وبالدعوة الى التعليم ، والوعى ، وذلك حين نفى بعد الثورة العربية . يقول الدكتور عثمان أمين : (لم تقتصر جهود الشيخ على التعليم هنالك ، فقد أسس ، بمعونة أشخاص آخرين ، جمعية دينية سرية ، من أهدافها ، التقريب بين الأديان الثلاثة الكبرى : اليهودية والمسيحية والاسلام . وكان القس « اسحق تيلر » راعى ، الكنيسة الانجليزية أحد الأعضاء العاملين في تلك الجمعية ، وهو الذي حاول ، فيما يبدو ، نشر أفكارها في إنجلترا . ويقال أنه قد جرت بين هذا القس وبين محمد عبده مراسلات كان من آثارها أن تحدث القس عن الاسلام حديثا ودينا ، ونشر بهذا المعنى مقالات في صحف لندن ولكن يبدو أن نشاط الشيخ المصرى في هذه الجمعية قد فسر - في تركيا - تفسيراً سياسياً يناقض مصالح الخلافة العثمانية مما حدا بالسلطان عبد الحميد الى السعى لدى الحكومة الانجليزية ، لاصدار العفو عن الشيخ المصرى ، ودعوته الى مغادرة سوريا في أقرب وقت ممكن) (١) .

وأخذ يكتب المقالات وخاصة في مجلة (نهرات الفنون) واشتغل بتزكية وتقوية الوحدة بين المسلمين والأقباط في مصر (٢) .

وعندما نزع بطرس باشا غالى وكيل الحاقانية الى التحيز ، وتزغ به الميل ، هساجته الصحف وتوسعت فكتب الشيخ محمد عبده يناصر الجريدتين الذائمتين عن طائفة الأقباط في مصر ، لأن النقد في نظره يقتصر على الفاعل ولا يتجاوزه الى غيره وان كان من دينه أو طائفته . بل رأى في باب الاستعانة أن يستعينوا ببقية الطائفة .

وظل هكذا الى ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٨٣ حين دعاه جمال الدين الأفغانى أن يلحق به في باريس ليؤلفا جمعية (العروة الوثقى) ويصدر صحيفة باسمها فاستجاب له .

وصدرت الصنخيفة وفي العدد الأول مقال عن : (الاستعمار في مصر) وفي العدد الثانى (إنجلترا والمسألة المصرية) يعلن فيه أن الحل

(١) انظر كتاب (والد الفكر المصرى) للدكتور عثمان أمين ط مكتبة النهضة سنة ١٩٢٥ ص ٢٣٩ - ٢٤٣ .

(٢) انظر كتاب (الاسلام دين العلم والمدنية) للشيخ محمد عبده ، عرض وتحقيق وتعليق الأستاذ طاهر الطناحى .

الوحيد للمسألة المصرية (لا يكون الا على يد أهلها) وفى العدد الثالث
مقال (ماضى الأمة وحاضرها) يهيب بها أن تتحد .

أما الخط الرئيسى فى سياسة العروة الوثقى فهو الدفاع عن الاسلام
وكشف الغرب .

وقد حدث فحين كنت قراؤها ، ترصدت لها انجلترا كل مرصد حتى
بلغ الأمر ، أن اللورد كرومر ممتلها فى مصر ، فرض عقوبة الجنبحة (خمسة
جنيهات غرامة كحد أدنى !) على من يقتنيها !! فكانت تصادر فى البريد
أو تهرب ثم نوقفت بعد ثمانية عشر عددا فى ١٧/١٠/١٨٨٤ .

ومن باريس قصد الى لندن .

وفى لندن أعلن تصريحاته الجريئة المناصرة ضد الاحتلال وضد
الخدو وهو المغترب الأهل على أرض دولة تحتل بلاده لم يابه لم أن يؤيد
ثورة المهدي فى السودان ديفيا وسياسيا . . ولم يابه أن يعلن استقاره
للخدو الذى تواطأ مع المستعمر ورماه بالخيانة ورفضه . . وقال قولته
الباقية :

(اننا لا نريد خونة وجوههم مصرية وقلوبهم انجليزية)

وفى لندن دار حوار بينه وبين وزير الحرب البريطانية رفض فيه
منطقه فى تبرير الاحتلال وانتفض انتفاضة الاسد الجريح مسفها رأيه
واسلوبه معا .

وعندما زار مجلس العموم فى ٢٢ يوليو سنة ١٨٨٤ ، وصفته
الصحافة البريطانية حين دخل فى سميت علماء مصر (معمما يرتدى جبة
زرقاء أنيقة فاسترعى بزيه الأنظار . . وتسابق النواب والزوار الى الردهة
لرؤية أحد قادة الثورة المصرية جاء الى انجلترا لأول مرة ليطلب الجلاء
عن مصر) .

ووصفوه مرة أخرى بأنه (ليس عليه أدنى مسحة من التساليد
الأوربية متوسط الطول أسمر اللون ذو لحية سوداء ، حاد البصر له وقار
ومظهر مهيب وابتسامة جذابة . . اذا استنثاره محدثه تكلم كلام الفصيح
المتواضع قوى الحججة)

احترمه الجميع فى قرارة نفوسهم . . وحاربه الجميع — الا قلة نادرة
— فى ظاهر أمرهم فقد كان دليعييا أن يناصبه العدا ، مصريا وطنيا ، ممثل
الاحتلال كرومر ، وأن يناصبه العدا ، اماما للمسلمين ، أوربا مجتمعة . .
وأن يناصبه العدا ، قوة شعبية ، الخديو .

ولكنه كان أعظم منهم جميعا وأبقى .

كان مع الحديوي أعلى رأسا وأشد شموخا حتى ليقول الحديوي
الجالس على عرش الفراعين لحاشيته : (يدخل على وكأنه فرعون) .

وكان في القضاء ملكا وكان مهيبا .

أساء أجنبي الأدب في الجلسة ممتدا على حماية الامتيازات فأمر
بحبسه وسأله مستر « سكوت » فقال :

(ما دمت على كرسى القضاء فلن أقصر في احترامه)

تعلم الفرنسية في القاهرة ورحل لاتقانها الى « جنيف » في
سويسرا . وكان في ذلك الوقت قاضيا في عابدين . ورأى نفسه كما
يقول الدكتور أحمد أمين - (في بيثة من القضاة يدلون بمعرفتهم للقوانين
الفرنسية وشروحها) فعزم على تعلمها ، ليثري نفسه ويجدد نفسه .

وقد ترجم عنها كتاب التربية لسبنسر بعد أن نقل من الانجليزية
الى الفرنسية .

لقد أجمل الشيخ محمد عبده رسالته في ثلاث حين قال :

● ارتفع صوتي بالدعوة الى امرين عظيمين : الأول تحرير الفكر من
قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الحلاف ،
والرجوع في كسب معارفه الى ينباعها الأولى .

● الأمر الثاني اصلاح اللغة العربية في التحرير سواء كان في
المخاطبات الرسمية أو في المراسلات بين الناس .

● وهناك أمر آخر كنت من دعائه والناس جميعا في عدى عنه .
ولكنه الركن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعية . . وما أصابهم الوهن
والضعف والذل الا بخلو مجتمعهم منه . . وذلك هو التمييز بين ما للحكومة
من حق الطاعة على الشعب ، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة .

وايضا منه بدعوته ، بثها في تونس حين نهى اليها مما ينقض حجة
خصوصه وحملهم أسلوبه على مهادنة الانجليز فلم يكن في تونس مستعمر
انجليزى ولم يكن لأحد عليه يد ، يخشاها ولكنها مسألة رأى .

ان الشيخ محمد عبده لم تكن صلته بالانجليز ممالاة للمستعمر ،
أو رضا ، عنه أو تسليدا له ، أو استبقاء لوجوده ، ولكنه استعانة
بمصدر قوة واقعى في تحقيق أهدافه الاصلاحية لا سيما بعد معارضته

للخديوي في استباحة الأوقاف وبعد نقده الجريء لحكم محمد علي وما أوغر صدر الخديوي ضده ، هذا مع احتفاظه بدينه ووطنيته التي شهد لها « كرومر » - والفضل ما شهدت به الأعداء - وهذا الرأي الذي ارتآه ، أمر ، يطحن الأعصاب في ذاته وفيما يجلبه ظاهره من سيوف يقطعها بها خصومه وما أكثر ما فعلوا .

لقد حاسب الانجليز في (العروة الوثقى) وحارب الانجليز في (المنار) وحارب الانجليز في (لندن) نفسها .

لو عشت في عصره لناقشته في هذا دون أن اتهمه في وطنيته التي لا يمارى فيها نزيه الرأي حتى ولو كان يخالفه في الأسلوب .

كان الشيخ محمد عبده مؤمنا بفكرة الاصلاح من خلال التعليم دينيا ومدنيا ، الى الحد الذي حدا به أن يكتب بهذا الى شيخ الاسلام في الأستانة اذ بعث اليه تقريرا في اصلاح التعليم . بل كتب تقريرا الى « كرومر » في مصر .

لقد كان الاستعمار الأوربي في القرن التاسع عشر - وأبرزه الاستعمار الإنجليزي - تقف ضحاياه من الشعوب وقادتها ازاءه موقفين :

أحدهما : النورة الجامعة عليه والتنديد العالي الصوت به كما فعل مصطفى كامل وعبد الله النديم .

الموقف الآخر : الاصلاح الداخلي لتقوية الشعوب فالشعوب القوية التي تبلغ حد النضج السياسي لا تقبل الضيم .

ومن هذا الرأي في الهند غاندي من ناحية ، وأحمد خان من ناحية أخرى

ومن هذا الرأي خير الدين في تونس .

والشيخ محمد عبده ، وخير الدين التونسي يلتقيان في النزعة الروحية وفي الأسلوب الأخلاقي وفي تحكيم العقل .

هذا النحو من السياسة كما يقول الدكتور أحمد أمين ، وهو الاعتماد في النضج السياسي على التعليم والتربية ، (برنامج عقلي لا برنامج شعوري وهو قلما ينجح في الدعوة السياسية ، انما ينجح فيها

من يعتمد على الشعور ، والهباب العواطف ، ولذلك نجح عبد الله المنديم ومصطفى كامل سياسياً أكثر مما نجح محمد عبده (١) .

ومع هذا هزت آراؤه الركود وأشعلت الجذوة تحت الرماد (٢) حتى الخصومات الى هجرتها آراؤه وأورى نارها خصومه على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم . . حتى هذه الخصومات كما يقول الدكتور أحمد أمين (زادت الحركة قوة والحياة نشاطا واستخرجت من الشيخ محمد عبده أقصى قواه وملكانه ، واستخرجت من خصومه أقصى قواهم وملكانهم) .

كان أسلوبه فى الإصلاح عقيدة لديه ، كما كان الدين قدسا عنده حين يفتنى مفتوح العقل فى لبس البرنيطة ، ينور على « هانونو » وفرح أنطون ويكتب المقالات ويكتب كتابه : (الاسلام والنصرانية) .

غير أن أروع ما تتجلى عليه صورة الاستاذ الامام ، كما يقول الدكتور عثمان أمين فى كتابه (رائد الفكر المصرى) [حين نرى الفيلسوف وعالم الدين يتعاونان فى شخصه تعاوناً لم يتهيأ لنا من قبل على مدى قرون عديدة ، وحين يلوح لنا فكره موقفاً بين طرفين جرت العادة أن يراهما المفكرون متعارضين ، وهما المذهب العقلى والمذهب العملى] .

. . . ان الاستاذ الامام قد حقق آخر الأمر ذلك التأليف الذى طال انتظاره فى الفلسفة الاسلامية ، وهو الجسمع بين فلسفتى ابن سينا والغزالي .

. . . واستطاع بعنايته الدائمة ألا يفصل الفكر عن العمل . ولا العلم عن الدين ، وأن يعود بالفلسفة الاسلامية الى أحسن تقاليدها ، وأن يفتح لها فى الشرق والغرب آفاقاً بعيدة [(٣)] .

كلمتى فيه تواضع يكبره أنه لم يكن النصر يبسطره ، ولم تكن الخصومة تطامن منه ، ولكنه فى الحالين كان مترفعاً . . . وينفذ الى هذه الحقبقة جمال الدين الأفغانى ، الذى عرك الحياة ، وخبر معادن الرجال فكان يقول له : [أى ملك فى جلدك ؟]

وأراه أعظم من ملك . فقد كان للمسلمين ، اماما .

(١) انظر كتاب (زعماء الإصلاح) للدكتور أحمد أمين ط مكتبة النهضة سنة ١٩٢٥ ص ٢٣٩ - ٢٤٣ .

(٢) انظر كتاب (موافف تاريخية لعلماء الاسلام) للدكتور محمد رجب البيومى (كتاب الهلال) العدد ٤٠٢ يونيو سنة ١٩٨٤ ص ٢٢٣ .

(٣) اقرأ ص ٢٣٢ - ٢٣٥ من كتاب (رائد الفكر المصرى) للدكتور عثمان أمين .

دعوة الى احياء مكتبة الاسكندرية

وتستحضر ذاكرة مصر أحداث ما قبل (٢٣٠٠ سنة) ألفين وثلاثمائة سنة أى تاريخ انشاء مكتبة الاسكندرية .

رحين يلتمى المنقون المصريون على احياء مكتبة الاسكندرية يتذكر التاريخ تاريخ الاسكندرية وقبلها « منف » و « طيبة » و « عين شمس » وبعدها « أوريجانوس » المصرى الذى لم تعرف المسيحية فى مصر وفى العالم المسيحى كله فيلسوفا مثله ، واثناسيوس السكندرى وكيف أن علماء الغرب والشرق تلقفوا كتابات مصر مترجمين وشارحين .

وكما وقفت مصر وراء المسيحية مما تسجله لها كتب : (بستان الرهبان) و (المعاهد) و (المقابلات) كانت فى الاسلام كما يقول ابن خلدون فى (مقدمته) :

[مصر أم العالم وايوان الاسلام وينبوع العلم]

اقول منذ القرن الثانى للهجرة تصدرت مصر ورحل اليها من الأندلس « الياجى الانببلى » و « ابن لبابه » وغيرهما وقامت مساجد مصر بدور كبير فى الثقافة الاسلامية حتى لقد أحصى المقدسى فى المسجد الجامع بالقاهرة وقت العشاء مائة وعشرين مجلسا من مجالس العلم فكانت مطمح طلاب العلم وأساتذته على السواء . . . وفيها تخرج أعلام وتلقى مشهورون . أدى عن مصر هذا الدور جامع ابن طولون وجامع عمرو ابن العاص بل سوق الوراقين حيث كانت تدار فى دكاكين الكتب المتناثرات ، ثم الجامع الأزهر فيما بعد حيث كانت مصر تشبع العلم ونجى الرزق . وظل الأزهر يحمل المشعل منذ انشائه فحفظ للأمة نراثها من القرآن والسنة واللغة والعلوم حتى ليقول الدكتور أسعد طلس وهو سورى فى حديثه عن العهد العثمانى بالشام [ولولا الأزهر فى مصر لانطفأت شعلة العلم فى الشام] .

كم من الصفحات المشرقة المتألقة تتوارد وتتواتر على ذاكرة التاريخ حين قرر أساتذة جامعة الاسكندرية أن يدعوا الى مشروع احياء مكتبة الاسكندرية احدى عواصم تاريخ مصر أم العلوم والفنون والقيم .

ويستشرف المثقفون الى دورهم القومي في بلدهم العريق الذى عرف القيمة علوما وفنوننا وشرائع .. بلدهم الذى قدس الكتابة والكتب فكان البلد الوحيد الذى جعل للكتابة الهة سماها « سشات » وزوجها من اله الحكمة « تحوت » فى احساس رقيق ودقيق .. عميق ووثيق بما بين الكتابة والحكمة من صلوات وشيات .

بلدهم الذى رفع الحضارات وأقام المكتبات وبنى صروحا للعلم تتحلق حول أهله ، فيها ، الندوة يستارون سيرتهم ويستارون جنانهم .

ويبدو أن المثقفين ملوا حب مضر بالأغاني أو الأمانى أو الهتاف وهو وطنية البسطاء .. والحب الحقيقي عطاء أو كما يقول المصوفة (المحبة بذل المجهود) .

الحب الحقيقى عمل وعلم وبذل وهى المعانى التى نستشرف اليها وننتقرب بها الى مصر حين نحمل أثرا حاضرا أو نبعث الأثر الذى اندثر . وهو المعنى الذى حدا بأساتذة جامعة الاسكندرية الى تكوين فريق عمل لاهياء مكتبة الاسكندرية أشرف بعضويته ، والاحياء المقصود ، المكتبة فى صورتها الأولى .

ومكتبة الاسكندرية لم تكن مجموعة كبيرة من الكتب فحسب بل مركز اشعاع ثقافى فى العالم القديم بل لعل شهرة مكتبة الاسكندرية كما يقول كتاب (تاريخ الاسكندرية) قد فاقت شهرة جامعة الاسكندرية ولا تشاؤها فى نباهة الذكر جامعة أخرى فى عصرها ، فى العالم كله .. ولا يستثنى من هذا مكتبة معهد اللوقيون التى أنشأها أرسطو أو مكتبة أكاديمية أفلاطون ، استنادا الى شهادة مواطنهما ديوبينيس لانريتوس .

لقد بلغ من شهرة مكتبة الاسكندرية أنها كانت تضم من مفكرى العالم فى عصرها ، مائة من أفذاذ العلماء فى شتى نواحي المعرفة .

يقول تاريخ الاسكندرية أن المكتبة [ضمت أكبر عدد من المجلدات أو اللغات المكتوبة Biblia عرفته مكتبة واحدة فى العالم القديم اذ بلغت تسعمائة ألف لفافة تساوى ما يقرب من ١٢٨ ألف مجلد حديث . يزكى هذه الثروة العقلية المكتوبة ، ثروة عقلية حية من العلماء الأمناء فى مختلف الميادين ، وقد ضمت أسماءهم بردية البهنسا التى عنر عليها أو كسيرينخوس ومنهم أبولونيوس شاعر الملاحم السكندرى .

وتجمع البحوث على أن مكان الجامعة والمكتبة كان يقع في المنطقة بين شوارع شريف وسيزوستريس والنبي دانيال وكان ذلك في القرن الثالث قبل الميلاد ما بين ٢٨٨ - ٢٨٠ ق م .

وكان لمكتبة الاسكندرية ، امتدادات نفيسة مثل مكتبة السراييون Serapeion التي حوت خمسين ألف مخطوط من أندر المخطوطات وأُنفسها وكانت تقع في الحي الشعبي « كوم الشقافة » .

حتى أحبار اليهود لاذوا بمكتبة الاسكندرية وفي ظل مصر العلمي ، ترجمت التوراة من العبرية الى اليونانية وكان عددهم اثنين وسبعين حجرا ، تمت على أيديهم القراءة السبعينية للتوراة ، المعتمدة حتى اليوم والتي يفضلها البعض على سائر القراءات العبرية كما يقول « سارتون » .

ويظاهر المكتبة والجامعة ، المتحف الذي أنشأه بطليموس الأول . كان مزاراً للعلماء ومهوى أفئدتهم . وتكثر المدن باللهو والتجارة ، وتشرف الاسكندرية بالجامعة والمكتبة والمتحف والمعامل والحلقات العلمية ونوابغ العلماء .

ان العلم هو مصر وهوايتها . . هدفها ورسالتها منذ القدم .

يقول ول ديورانت، في الجزء الثالث من المجلد الثاني من موسوعته انكبرى (قصة الحضارة) عن متحف الاسكندرية : (بقى الى آخر أيامه معهدا للدراسات الراقية أكثر مما كان جامعة للطلاب . ومبلغ علمنا أنه كان أول مؤسسة أقامتها دولة للعمل على تقدم الآداب والعلوم . وكانت أهم ما أفاده تاريخ الحضارة من الاسكندرية) . ص ٦٣ .

كان لمكتبة الاسكندرية (ثبت) فهرس يضم أسماء الكتب مع التعريف بها . وكان هذا العمل أسلوباً جديداً في العالم القديم .

ويشتد العداء بين المسيحية والقيصرة وتدفع الاسكندرية الثمن غالباً في حصار قيصر لها سنة ٤٨ ق م . والذي انتهى بتدمير معبد السرابيوم وحريق مكتبة الاسكندرية عندما أحرق يوليوس قيصر ، « الأسطول المصري » وامتد اللهب الى رصيف الميناء وما جاوره وذهبت المكتبة فيما ذهب !! ويرى الدكتور ابراهيم نصحي أن اهداء أنطونيوس كليوباترة مائتي مجلد من مكتبة « بروجام » إنما كان تعويضاً عن خسارة مصر الفادحة بحريق مكتبة الاسكندرية .

ومع هذا بقيت من المدينة العريقة ، بقية نقلها عنها العرب الذين بهرتهم فلسفة رجلنا « أفلوطين » الذى يلتبس اسمه على الكثيرين فينسبونه الى اليونان وهو مصرى صعيدى من أسيوط ٠٠ حتى العرب كانوا يسمونه (الشيخ اليونانى) وهو ، الى مصر ، يبدأ وينتهى به الانتماء .

كما نقل العرب عن الاسكندرية فلسفة الاسكندرانيين ونقاوا علم الجغرافية والفلك والكيمياء والرياضة وقام بالنقل لهم النساطرة واليعاقبة ، ومصر مرأهم العلمى ٠٠ والى جامعة الاسكندرية ومكتبتها ومتحفها ينسب (مافى) فى كتابه (امبراطورية البطالمة) نظائرها فى العالم أجمع فى العصر الوسيط .

ونأثرت المسيحية والتصوف الاسلامى بالأفلاطونية الحديثة كما تأثر اخوان الصفا بكتاب « ديونيسيوس » وتأثر بالأفلاطونية الحديثة كتاب (الشفا) لابن سينا بل يظهر أثرها فى كثير من آراء ابن سينا ولهذا ، بعد ، تفصيل كبير .

وبهذه المناسبة أقول أن كثيرا من علماء مصر فى ذلك الحين اتخذوا أسماء يونانية ، نوعا من التقية تلجأ اليها الشعوب فى المحنة فى محاولة مسايرة قشرية حفاظا على الجوهر المكنون ٠٠ ولم تكن مصر بدعا فى هذا فقد نحا هذا النحو ، الفارسى الكبير داعية العباسيين الأكبر ، أبو مسلم الخراسانى ، وكان عمله فى سبيل دولتهم كفيلا ببث العلمانية فى نفسه ولكنه لم يأمن واصطنع اسما عربيا مسايرة للغالب .

ومن ناحية أخرى كان اليونانيون يضيفون الى الأسماء المصرية أداة التعريف عندهم OS الواو والسين .

وإذا كان بعض المصريين قد أغرقوا اسما فان كثيرين من الاغريق قد تمصروا فتعلموا اللغة المصرية وعبدوا الآلهة المصرية بل اتخذوا أسماء مصرية .

وكما كانت مصر بجامعة الاسكندرية ومكتبة الاسكندرية مدرسة للعالم القديم ، كانت بالبقية الباقية منهما مدرسة للعصر الوسيط لا سيما العرب فى ابان دولتهم ٠٠ نقلوا عنها الكبر وتجمع لهم من التلقى والنقل والترجمة مادة على أساسها بنوا حركتهم العلمية حتى الذى أضافوه كان يمت بسبب قريب أو بعيد الى مدرسة الاسكندرية .

وإذا كانت الحضارة الإسلامية التي ازدهرت في العصور الوسطى أساسا نقلت عنها ، أوروبا ، حيث اتخذت الأندلس مرادا وموردا فان مصر بهذا تكون أعطت الحضارات جميعا بما علمت اليونان ونقلوا عنها ، وبما قدمت للعالم القديم كله من خلال جامعة الاسكندرية ومكتبسة الاسكندرية وبما قدمت للعرب من عادة علمية ، وبيئة حضارية كانت وراء عصر النهضة في أوروبا .



قطرة من بحر الاسكندرية جامعة ومكتبة ومدينة أقدمها تعريفا بالهدف الكبير الذي نجتمع اليوم على تحقيقه وهو [احياء مكتبسة الاسكندرية] احياء يرتفع الى سابقتها في الحضارة ، وسالفتها في العلم ، يرتفع الى هذا الصرح مكانا ومكانة .

المراجع

- تاريخ الاسكندرية
قصة الحضارة
موسوعة ول ديورانت

لمحة من تراث الاسكندرية الانساني

فى ٢٨ يونيو ١٧٩٨ أذاع نابليون على جنوده بياناً كان أعده قبل ذلك بستة أيام جاء فيه :

[ان أول مدينة سنشدها ، بناها الاسكندر • وسنجد فى كل خطوة آثار أعمال جديدة بأن ينسج الفرنسيون على منوالها] (١) •

لقد جاء نابليون ، مصر ، غازيا ولكنه كان يعرف أنها أكبر منه حضاريا وأن ما عندها •• ما عند الاسكندرية وحدها ، يقوف فى ميزان القيم كل ما عنده من سلاح • ولا أدل على هذا من منشوره ذلك •

ويفند الدكتور أحمد أمين (٢) المقولة : ان الشرق موطن الروحانية والغرب موطن المادية مستشهدا بقول « بلدوين » فى كتاب « معجم الفاسفة » عند الحديث عن الاسكندرية • يقول بلدوين :

ان الشرق والغرب اختلطا فى الاسكندرية ، وامتزجت آراء روما واليونان والشام فى المدنية والعلوم والدين ، بأراء الشرق الأقصى فى ذلك فنشأت قضية جديدة ، عدل على ايجادها بحث الغرب والهام الشرق ••



ما القضية ؟

أو ما بصمة الاسكندرية فى التراث الانساني فى الشرق والغرب ، أى موضوع بحثى فى المؤتمر الذى انعقد من ٢٥ - ٢٧ مارس سنة ٨٦ وهو الذى أثرت أن أسميه لمحسة من اثر الاسكندرية فى

(١) كتاب (بونايرت فى مصر) تأليف كريستوفر هيولا ترجمته فؤاد أندراوس ص ٨١ •
(٢) (فيض الحاطر) ج ٢ للدكتور أحمد أمين ص ٥٣ •

التراث الانساني لعمق احساسى بدافق من عطاء الاسكندرية لاستتوعبه صفحات فى بحث أو ساعات من زمن • سميته لمحطة وكتبته خطوطا عريضة ، كل منها هو خليق أن يفرد له البحث والتأصيل •

– مكتبة الاسكندرية – مدرسة الاسكندرية – تاريخ الاسكندرية
أما المكتبة فقد نحدثت عنها عقب يقظة الدعوة وبعنها من جديد •••
أما مدرسة الاسكندرية فى عهودها المختلفة فقد كانت منارا مع المنار
يشع النانى النور فى البحر ، وتشسع الأولى النور فى الأرض وفى
الانسان عقله ولسانه أى وجوده النفيس •

فعلى يد مدرسة الاسكندرية الوثنية ورجالها المصريين نخرج فى
المعهد اليونانى والرومانى ، علماء العالم القديم فى الطب والنشریح
والكيمياء والصيدلة والهندسة والفلك •

وعلى يد مدرسة الاسكندرية المسيحية ورجالها المصريين تخرج
علماء العالم المسيحي فى هذه العلوم بما ورنه أقباط مصر من قدما
من دراية فيها وبراعة مشهودة •

وفى العلوم أسست الاسكندرية علم وظائف الأعضاء وعلم التشريح
وهى صاحبة نظرية الذرة وواضعة تذكرة الطب المشهورة
باسم تذكرة كرنيلوس • وظلت الدنيا تستعمل عقاير مصر القديمة الى
القرن الثانى عشر •

ووضعت مصر المسيحية فى الاسكندرية ، غالبية المصطلحات الطبية
وعليها تتلمذ جالينوس ولها شهد (نيتولنسكى) فى كتابه الطب الشعبى
المقارن •

لقد سبقت الاسكندرية بفضل هيروفيلوس ، العالم ، ظل فى
دراسة الأمعاء الدقيقة كما سبقت الى اصطناع البحث العلمى بفضل
« اقليدس » صاحب (المبادئ) •

يقول الدكتور نصحي (١) (لم يعمر كتاب فى العالم – باستثناء
الكتب السماوية – مثل ما عمر هذا الكتاب ، الذى استمر تلاميذ الهندسة
فى مختلف أنحاء العالم ، يستخدمونه منذ العصر الهلينستى حتى عهد
فريب جدا • وأهم ما يمتاز به هذا الكتاب ، ما اختاره فيه اقليدس من
المعلومات المسلم بها كالتعاريف والفروض والبهديات ، ولا سيما النظريات

(١) كتاب (تاريخ الحضارة المصرية) مع آخرين المجلد الثانى •

التي تستحق أن تسمى « عناصر » لأنها أساسية وتفوق غيرها في الأهمية وفي التطبيق) .

ولا يغير الحقيقة ، أغرفه هذه الأسماء في ظاهرها فقد ألف علماء مصر بالآغريقية بل اصطنع المصريون أسماء آغريقية أو أضيف إلى أسمائهم مقاطع آغريقية أشهرها الواو والسين فظنت يونانية .

ان بعض المصريين في العهد البطلمي قد تأغرقوا سطوحيا في محاولة ارتقاء طبقي او صراع طبقي ٠٠ والآغريق أيضا تأقلموا في مصر وتصروا بالفند نفسه فعادوا اللغة المصرية وعبدوا آلهة مصرية بل اتخذوا أسماء مصرية وعادات مصرية (١) كما أسلفت .

وفي مكتبة الاسكندرية ، كما يقول آيدرس بل (وضعت أسس علوم التصنيف ونقد النصوص ، كما وضعت قوائم للمؤلفات الآغريقية الأدبية ، ونقحت مؤلفات هوميروس ثم أخرجت في صورة لا تختلف كثيرا عن التي بين أيدينا الآن ، كذلك ابتكرت العلامات الصوتية التي بضيق بها الآن كثر من طلاب المدارس والجامعات ، ولم تهمل الرياضيات والعلوم البحتة ٠٠ ففي الاسكندرية استطاع اريستاخوس Aristarchus أن يكتشف دوران الأرض حول الشمس قبل كوبر نيكوس Copernicus وفي الاسكندرية استطاع اراتوستينيس Eratosthenès أن يقيس محيط الكرة الأرضية قياسا يمكن أن يوثق بصحته ٠٠ وفيها أيضا ألف اقليدس Euclidis كتاب « الأصول » في عام الهندسة ، واخترع هيرون Hérôn الآلة البخارية ، أو لعله نقلها من غيره ، كما اخترع الآلة الأوتوماتيكية ٠٠ وقد ذاع صيت مدرسة الطب الاسكندرية لا سيما في التشريح والجراحة) (٢) .

فلا غرو أن يقول آيدرس بل : (أصبحت الاسكندرية اعجوبة العالم) (٣) .

وتعتبر الاسكندرية كما يقول الدكتور ابراهيم نصحي ، بحق عاصمة الأدب الآغريقي في العصر الهيلينستي ، حتى أنه يندر أن نسمع أن أحدا من فحول شعراء ذلك العصر لم يزر الاسكندرية أو يعيش فيها ، لينعم برعاية ملوكها وينهل من موارد علمها فلا عجب أن كافة أنواع

(١) كتاب شخصية مصر للدكتورة نعام أحمد فؤاد .

(٢) ، (٣) كتاب (مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربي) تأليف ف . آيدرس

بل ، أستاذ شرف علم البردي بجامعة اكسفورد ، ترجمة عبد اللطيف أحمد علي .

الشعر الأغرقي ، فيما عدا الكوميديا ، قد نأثرت في خلال هذا العصر
بالشعر السكندري (١) .

يقول س.م. باورا عن شاعر الاسكندرية « ثيوكرينوس » انه كان
(أعظم من كل من « كاليماخوس » و « أبولونيوس » وكان له تأثير كبير
على من جاءوا بعده) .

ويقول : (وقد وجد شعراء الاسكندرية - وبخاصة « كاليماخوس »
و « ثيوكرينوس » أتباعا كثيرين ، ساعدت محاكاتهم لهم . الشعر ، على
أن يستمر حيا محتفظا بوجود منصل ، وان كان هادئا) (٢) .

وفي الاسكندرية بدأ زنودوتس ، كما يقول ول ديورانت ،
تهذيب الألياذة والأوديسة . وواصل أرسطوفان عمله ، وأتمه
ارستارخوس ، وكانت نتيجة عملهم هو النص الحال لهاتين الملحمتين ،
وهم الذين شرحوا ما غمض فيهما شرحا يدل على غزارة الاطلاع . ولم
ينقض القرن الثالث حتى أضحت الاسكندرية بفضل متحفها ومكتبتها
وعلمائها العاصمة الذهنية للعالم اليوناني في كل فرع من فروع العلم
والأدب عدا الفلسفة (٣) أو العاصمة الفكرية أو كما يقول لودفيج
العاصمة الثقافية في القرون الثلاثة الأخيرة قبل الميلاد مع أن روحه
كانت أقوى . مدينة الاسكندرية (كانت أول مدينة عصرية في العالم
القديم وتربط بين ثلاث قارات أحسن مما تربط أية مدينة أخرى . وفي
الاسكندرية كانت توجد مكتبة « أشهر » من مكتبات التاريخ وأكمل من
مكتبات العالم الحاضر) (٤) .

**وأضافت الاسكندرية الى اللغة اليونانية علوم النحو وفقه اللغة
فأصبحت قراءتها وفهوها من الأمور اليسرة (٥) .**

(١) كتاب (تاريخ الحضارة المصرية) المجلد الثاني ص ٨٣ .

(٢) كتاب (الأدب اليوناني القديم) تأليف س.م. باورا ترجمة محمد علي زايد
وأحمد سلامة محمد ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٣) (قصة الحضارة) تأليف ول ديورانت ترجمة محمد بدران ج ٣ ص ٩٠ - ٩١

(٤) كتاب (البحر المتوسط) تأليف اميل لودفيج ترجمة عادل زعيتن ص ٢١٢ .

(٥) كتاب (تهديد لتاريخ مدرسة الاسكندرية وفلسفتها) تأليف الدكتور نجيب

بلدي .

يقول الدكتور نجيب : (جميع هذه الأعمال أمور جديدة طريقة في تاريخ الفكر الانساني . ينميين فيها طابع الاسكندرية وطابع متحتها ومدرستها الأولى نعصد طابع المنهج والدراسات العلمية المنهجية .

ولا يمكننا أن ننسى في هذا المشمار المنهجي ، عملا من أهم الأعمال التي سميت في العصر السكندري وفي مدينة الاسكندرية وهو ترجمة التوراه اليهودية من العبرية الى اليونانية . فعد أم اليهود مصر من قبل حضور الاسكندر اليها . . . وزاد عددهم في عهد البطالسة الذين عملوا على احضار أكبر أحبار اليهود الى الاسكندرية وعلى أن يحضروا معهم أسفار التوراة من فلسطين ، وبأشر هؤلاء الأحبار عملهم بالاسكندرية حتى انتهائه فتمت على يدهم - وكان عددهم اثنين وسبعين حبرا - القراءة السبعينية للتوراة ، المعتمدة حتى اليوم ، والتي يفضلها البعض على سائر القراءات العبرية) (١) .

ومن مدرسة الاسكندرية النقاوية طائفة (الآسين) بين اليهود وهي من أقوى الطوائف اليهودية أو هي تزيد عليها في القوة والأثر وان كانت أقل عددا . ويرجح الأستاذ العقاد أنها نشأت بالاسكندرية في القرن الثاني قبل الميلاد واقتبست من مدارس الاسكندرية كثيرا من انظمة العبادات السرية وبعض المذاهب الفلسفية ، كمذهب فيثاغورس الذي يحرم ذبح الحيوان ويدعو الى التقشف والقناعة بالقليل فكانت لا تقدم القرابين من غير النبات .

وطائفة الآسين بما قبسته من الاسكندرية ، تميزت بين طوائف اليهود حتى كادت بأرائها الخاصة أن تستقل عن الهيكل كله في علاقاتها بالدين والقومية .

ويبدو أن أثر الاسكندرية الفني وصل حتى شرق آسيا فان المؤرخ الكبير توينبي يقول : (عندما حطت الماهايانا رحلها في امبراطورية كوشان واستقر المقام بها هناك ، اتخذت هذه الديانة الاسلوب الفني الذي سمي بأسلوب جاندهارا Gandhrara وكانت هذه أولى مقاطعات الامبراطورية ، أداة من أدوات التعبير المرئي لديها . وقد ترك الأساوب الهندي الذي يرجح أنه نشأ عن النقل بطريق البحر ، للتأثيرات الفنية من الاسكندرية . وهكذا حملت عقيدة الماهايانا في زحفها نحو الشرق

(١) راجع سارتون (العالم القديم والمدنية الحديثة) ترجمة عبد الحميد صبرة

بعض سمات الحضارة الهلينية على أقل تقدير ، حتى الأطراف الشرقية
التقصية من العالم القديم) . (١)

ويقول دي لاسي أوليري عن علوم الاسكندرية في الهند أن كتاب
بانس سيد هانليكا Pance-siddhanlika وهو مكون من خمس مقالات
معمدة في الفلك ، أربع منها يظهر فيها (أثر أبحاث مدرسة الاسكندرية
وتحمل اثنتان منها اسمين غير هنديين هما رومانك وباوليا وفي نائيتها
جدول يعتمد على جدول الأوتار الذي وضعه كاوديوس بطليموس) (٢) .

في الدين والفن :

ولعبت الاسكندرية دورا كبيرا بارزا في المسيحية بل
ان كتاب (حياة انطونيوس) وحده الذي وضعه الأب انناسيوس
استجابة للاحاح روما قد أشعل روح الرهبنة والنسك في بلاد
الغرب .

وقد حولت الأفلاطونية الحدينة الهلينية الى لاهوت . ولم تسيطر
مدرسة مسيحية في العالم كما سيطرت مدرسة الاسكندرية التي صارت
العاصمة الثقافية للعالم المسيحي والوثني على السواء بلا تفرقة في الدين
أو الجنس . . بلا تفرقة بين ذكر وإثني . . بلا تفرقة بين سيد وعبده .
كانت الاسكندرية عاصمة ثقافية ديمقراطية بما علمت من طلاب
وأخرجت من أساتذة ، صاروا في شعوبهم أعلاما حتى أن بطريرك
الاسكندرية كان يلقب بـ « قاضي المسيحية في العالم » وهم تخرج على
يد أوريغانوس المصري من أساقفة وبطاركة وقادة للشعوب . ولم تعرف
المسيحية ، فيلسوفا في مصر وفي العالم المسيحي كله طوال عصوره
المتتابعة مثله .

وكما كانت الاسكندرية رائدة في ميادين العلم والدين ،

كانت تعجل جاهدة في ميدان الفن فهي المدينة صاحبة (الطراز) التي
كانت تحدد أسعار الحرير للعالم المتمدن ، في تشكيل المرمر وفن
التصوير وصناعة الزجاج والفسيفساء والسفن والورق مادة الكتب
التي عرفت الاسكندرية منذ القدم تأليفها وزخرفتها وتصويرها ورسمها

(١) (تاريخ الحضارة الهلينية) تأليف ارولد توينبي ترجمة عبده جرجس
ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .
(٢) كتاب (علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب) تأليف دي لاسي أوليري ترجمة
د . وهيب كامل .

ومهرتها باسمها بل انفردت بصناعة الاواني الذهبية والفضية حتى ليعدها « شريبر » Shreiber استاذاً في هذا المضمار . كما اشتهرت الاسكندرية بصناعة الخزف الاسلامي وقد كشفت الابحاث الأثرية (١) في منطقة كوم الدكة عن كشف قطع عديدة من الخزف الفاطمي والخزف المعروف بالاسجرا sgajr المشاع في عصر المماليك . واحششتت البحوث الأوروبية في النصف الأخير من القرن التاسع عشر لدراسة الفن القبطي مسجلة كما جاء في كتاب : (تراث العصور الوسطى) (٢) أن مصر المسيحية أحد المنابع الكبيرة التي سقت الفنون الرومانية بعد جفافها وجمودها .

تقول دائرة المعارف الاسلامية (كانت الاسكندرية مشهورة بنوع خاص بصناعة النسيج ووصفت منسوجاتها بأنها نادرة المثال . ويقال انها كانت تصدر الى جميع الجهات . وكان الكنان الجيد الذي كان يصنع منه في الاسكندرية نوع من المنسوجات الكتانية يباع بما يوازي ثقله فضة . أما ما كان يستخدم منه في التطريز فكان يباع بأضعاف ثقله فضة . وجاء في البيانات الخاصة بالصناعة في عهد الفاطميين من القرن العاشر الى القرن الثاني عشر ، ذكر حرير الاسكندرية . وكان يعتقد أن جزءاً كبيراً من المنسوجات التي كان يقدمها البوابات الى الكنائس الإيطالية في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين قد صنعها صنّاع من الاسكندرية . وكان في الاسكندرية عدد كبير من الصناعات المختلفة) (٣) .

ومن الاسكندرية خرجت نسخة الانجيل المصورة التي تجمع بين فن التصوير وفن التلوين وهي المعروفة بنسخة « كوتون » وهو اسم تروى انجليزى اقتناها . وهذا الكتاب لا يقل عن اليازة ميلان في الجمال ودقة التصوير واختيار الألوان .

والاسكندرية مصدر الأيقونات التي يعود تاريخها الى القرنين الخامس والسادس مما يحفل به دير سانت كاترين . انها الاسكندرية التي احتفظت من ناحية بالتقاليد الكلاسيكية في الفن ، وذلك حتى عصر متأخر ومن ناحية أخرى تأثرت بالفن المصري التقليدي وبالفن القبطي

(١) قام بها الأستاذ الان ركس استاذ الآثار بجامعة الاسكندرية ١٩٤٨ .
 (٢) كتاب (تراث العصور الوسطى) مجموعة بحوث اشرف على تحريرها ج . كرامب
 أ . جاكوب وقام بترجمته مجموعة أيضاً من الأساندة المصريين .
 (٣) دائره المعارف الاسلامية ج ٢ ص ١٣٨ - ١٣٩ .

الناسء بل ان من الغريب أن طريفه رسم هذه الايقونات عن طريق -لمط
الألوان بالشمع ، هي نفس الطريقة التي كانت مستعملة في أقتعة
المومبات وتدلنا على الأصل المصرى لهذا الفرع من الفن (١) .

وفي الاسكندرية حدثت محاولات للتوفيق بين الأديان المتعددة
في حركة عرفت باسم (التوفيق) وقد امتدت هذه الحركة الى اليهود
المقيمين في الاسكندرية . يقول الدكتور مراد كامل :

(وفيلون الفيلسوف اليهودى الاسكندرى الذى عاش في القرن
الأول الميلادى ، حاول هو أيضا التوفيق بين العقل والوحى ، وتأثر
بالأفلاطونية ، وكان له تأثيره على المسيحيين فيما بعد) (٢) .

وتذكرنى هذه الحركة بما حدث في القرن السابع الهجرى حين
اشتد الصراع بين الفرق والنحل الاسلامية . . ولما المسلمون الى مصر
لرأب الصدع كعادتها فاتفق رأى العلماء على رجلا الشيخ تقى الدين
السبكي ليوفق بين المذاهب الأربعة ويخرج منها بالنفاذ المصرى واللمح
المصرى . . والوجدان المصرى مذهبا ينقاد الناس له ، ويرتاحون اليه
ويقرون عنده .

ومرة أخرى تقوم مصر من خلال مصرى آخر بلدى السبكي هو الامام
الشعرانى وقد حاول التوفيق بين المذاهب الأربعة كمحاولة التوفيق بين
أهل الكشف والعيان وأهل النظر والاستدلال ويقول الباحثون الغربيون
انه مصلح يكاد الاسلام لا يعرف له نظيرا .

وعلى يد فيلسوف الاسكندرية فالنتينوس ، ارتفعت الغنوسية حتى
ليقول « شاف » انه (أسس أكبر مدرسة للغنوسية وكانت له فلسفة
خاصة ، ولهذا تمثل طريقته أحسن وضع انتشرت فيه الغنوسية) (٣) .

ويقول عنه الدكتور مراد كامل (هو مؤسس أعرق وأمتع الأنظمة
الغنوسية وأكثرها تأثيرا ورواجا . كان مصرى الجنسية واسكندرى
الثقافة درس الغنوسية ونشرها فى طابع جديد شاعرى ، له جمال
فنى)

ومن الاسكندرية « ديديموس الضرير » الذى ولد فيها سنة ٣١٣م .

-
- (١) افرا كتاب (تاريخ الاسكندرية منذ أقدم العصور) محافظة الاسكندرية ص ٢١٠
بحث (فن الاسكندرية فى العصر البيزنطى) للدكتور داود عبده .
(٢) كتاب (حضارة مصر فى العصر القبطى) تأليف الدكتور مراد كامل .
(٢) المصدر السابق .

فقد بصره وهو في الرابعة من عمره فبدأ يدرّب ذاكرته تدريجاً دقيقاً حتى أصبحت تساعده على حفظ كل ما يسمعه . ولما كبر بدأ يعلم نفسه القراءة بحرف الحروف على قطع خشبية يتحسسها بأصابعه كما شهد المؤرخ سوزمين . بذلك . وهكذا استطاع ديديموس الضرير أن يهسيق طريقة برايل بخمسة عشر قرناً ويمكن من اتقان علوم كثيرة قائم بالشعر والبلاغة والفلك والهندسة والحساب ونظريات الفلسفة على تنوعها كما برع في العلوم اللاهوتية ودراسة الكتاب المقدس حتى استحق أن يعينه القديس اثناسيوس مدرسا للمدرسة اللاهوتية بالاسكندرية .

• وخلف ديديموس جواني ٤٨ مؤلفا فيما في اللاهوت (١) .

وهكذا في كل العصور كما يقول الدكتور جمال حمدان (. كانت فترات النشاط المدني هي فترات الانقراض المدني . . . حتى ليعد المدينة بعامه مدينة للدين بأصولها في كثير من الأحيان وأن الشيوخ والأنبياء وليس فقط الملوك والحكام كانوا من زرة المدن) (٢) .

وكان أشهر المدارس التي صادفها انتجاع العرب للاسكندرية غداة الفتح حوالي منتصف القرن السابع الميلادي ، مدرسة (طيبة) أفاد منها السريان والعرب فائدة كبرى ونقل العرب فيما نقلوا عن الاسكندرية « فلسفة الاسكندرانيين » أو فلسفة « أفلوطين » كما نقلوا الجغرافية والفلك والكيمياء والرياضة وغيرها (٣) .

وكان من أثر هضم العرب لفلسفة أفلوطين الاسكندري الروحانية تقوية التصوف الاسلامي (٤) .

وبعد أن استقر الفتح العربي ، وبعد أن قر بهر العرب ، أكبوا على مدينتنا الاسكندرية اذ بهرتهم فلسفة « الشيخ اليوناني » كما يدعوه الشهرستاني أي أفلوطين المصري الصعيدي ، ينقلون وينقلون .

كانوا يسمون الكيمياء (علم الصنعة) وعكفوا على الرياضة والطب ينقلون عن الاسكندرية حتى لتعد كتب جالينوس في الطب وكتاب المجسطي لبطليموس مما ترجمت مدرسة حنين بن اسحق من دعائم النهضة العلمية في العالم الاسلامي ولكنهم امام « انطونيس » حاروا

-
- (١) كتاب (حضارة مصر في العصر القبطي) للدكتور مراد كامل .
 - (٢) كتاب (جغرافية المدن) للدكتور جمال حمدان . ص ١٧٦ .
 - (٣) و (٤) كتاب (جامعة الاسكندرية) للدكتور ابراهيم جمعة .

وامام ديسكوريدس النباتى المصرى المعروف ، فوجدوا المخرج من حيرتهم
أن يقتنصوا كتاب (خواص العقاقير) ليصوروه فى العراق .

وكم عمريت خزائن بغداد بنفائس الاسكندرية مما نقلته عنهم أوروبا
فيها بعد ، عن طريق الاندلس وفى ابان الحروب الصليبية .

وكانما سخر العرب لنقل طب الاسكندرية (ابن ايجر الكنانى)
و (سرجيوس الرسعنى) ثم حنين بن اسحق العبادى وان كان نستوريا
وقد نقل لهم فيما نقل عنا ، علومنا فى الهندسة والطبيعة .

وكتاب الخوارزمى (السند هند) خلاصة آراء كلوديوس بطليموس
الاسكندرى كما كانت جيود بطليموس و (ارتو) الاسكندريين أساسا
لكل مباحث العرب فى علمى الفلك والهيئة . وعنه ترجم الى اللاتينية
والاغريقية حيث كان ركيزة لعلم الفلك الحديد .

- والنصوف الاسلامى الذى وقفت وراءه الاسكندرية ، منبع
نر من منابع الأدب العربى ، تماما كما كانت وراء (الميتافيزيقا)
المسيحية . كانت نظرية أفلوطين فى قدم الله ، وصدور العالم عنه وراء
نظرية المسلمين المشهورة (العقول العشرة) أو (الوسائط العشرة) كما
كان أسلوبه فى الامتزاج بالله وراء نظريتهم فى الاتصال بالخالق وان
اختلفت الوسيلة .

كما تأثر العرب بالافلاطونية فى زيتها المسيحى ممثلة فى كتاب
« ديونيسيوس » **Dionysius** الذى يتناول أسرار الالهية وعلم الملكوت
مما قبس عنه الكثر (اخوان الصفا) .

- ويلمح بعض الثقات وجه شبه بين كتاب الغزالى (المنقذ من
الضلال) وبين كتاب القديس أوغسطين المعروف « الاعترافات » فان بين
الكتابين (هوازاة تكاد تكون تامة فما يحكيه كل من الرجلين عن تاريخ
حياته ، كما جاء فى كتاب أرنولد نيكلسون .

كما تأثر ابن عربى بأفلوطين تأثرا بعيد المدى يعكس هذا كتاب :
« ابن عربى » حتى ليشك اسين بلاثبوس مترجم حياته فى صدق تجاربه
الدوقية لحرصه على ادراج هذه التجارب فى التعريفات التقليدية
للافلاطونية .

وهكذا قام للنهضة العلمية العربية ببناء على دعاءة من مدينة
الاسكندرية واستارت أوروبا سيرتهم فى العصور الوسطى فكانت

الافلاطونية ركيزة لفلسفة العصور الوسطى وهى الفلسفة المدرسية :
Scholastic philosophy ونرکت طابعها على الفلاسفة المدرسين .

وتاتر العرب بالاسكندرية مرة أخرى بالواسطة أى عن طريق
النساطرة الذين كانت الاسكندرية مرابهم العلمى . وقد نقل العرب
عن هؤلاء منطلق ارسطو الذى كان من اثره فيهم نشوء عذهب
الاعتزال (١) .

لقد علل الأستاذ العقاد فى كتابه « ابن رشد » ، **الحركات الثقافية**
فى الغرب عامة - خلافا للمسنشرقين - بظهور الدعوة الفاطمية فى افريقيا
الشمالية . ورأى أن ظهور هذه الدعوة فى المغرب غيرت فيه كثيرا من
وجهات الثقافة والسياسة . كما كان له الأثر المباشر فيما شغل الأوربيين
بعد ذلك خلال القرون الوسطى من موضوعات الفلسفة الدينية ، وأهمها
موضوعات النفس وخلودها وموضوعات العقل وعلاقته بالخلق
والخالق .

ثم يرى الأستاذ العقاد ان الدعوة الفاطمية هى الدعوة الاسماعيلية
بعينها لما كان الفاطميون ينسبون الى فاطمة الزهراء أو الى اسماعيل
ابن جعفر الصادق تمييزا لهم عن سائر العلويين .

وينتهى من هذا الى أن اولئك الاسماعيليين كانوا يشغفون بالفلسفة
« ويرجعون مذهب الافلاطونية الحديثة » .

ومن أتباع الاسماعيليين الذين نشروا هذا المذهب اخوان الصفا
لصحاب الرسائل المنسوبة اليهم ، ومنهم مسلم بن محمد الاندلسى الذى
نقل مذهبهم الى البلاد الاندلسية .

وقد شاع مذهب الاسماعيلية شرقا وغربا فى العالم المسيحى من
جبل اطلس الى تخوم الهند وآسيا الوسطى ، وكان ابن سينا يقول :
(كان أبى ممن أجاب داعى المصريين ويعده من الاسماعيلية) .

يقول توينبى (فى الفترة القصيرة التى عمر فيها المجتمع العربى ،
كانت مصر هى البلد الذى اشتد فيه نبض هذا المجتمع الذى كان ضعيفا
خافتا فى غيرها من البلاد . وقد قدمت مصر لهذا المجتمع حافزا هو
التربة الجديدة) .

(١) كتاب (شخصية مصر) للدكتورة نعام أحمد فؤاد (فصل مصر والاسلام) .

وحين انحسر الحكم الاسلامى عن الاندلس استقبلت الاسكندرية كثيرا من العلماء الذين تحمل اسماءهم الى اليوم بعض احياء الاسكندرية ومعالمها كالشاطبى « والمرسى أبو العباس » .

وليس في المرة الأولى التي تستقبل الاسكندرية فيها اللاتنيين فان ادوين بيقن يصف مكتبتها بأنها بوصفها أعظم مكتبة في العالم القديم ، كان العلماء والفلاسفة الاغريق يتوافدون عليها من جميع انحاء العالم (١) .

ويراها الدكتور صقر خفاجة (أهم ثغر يطل على قارات ثلاث يفد إليها الناس من كل مكان ويلتقى فيها التجار من كل قطر ، فنشطت تجارتها وازدهرت صناعتها ، وأصبحت بفضل البطالة الأوائل كعبة للعلوم والفنون ومركزا للآداب . . . لجا إليها الأدباء والعلماء الذين ضاقت بهم بلادهم وضاقوا بها فتركوها وانتقلوا الى الاسكندرية واتخذوا منها موطنًا جديدًا) (٢) .

وكانت الاسكندرية مع القاهرة مهجرا للعلماء العرب أيام سقوط بغداد في يد التتار فنزح الى عاصمى مصر ، الرجال العلماء وما استنقذ من تراث العباسيين بل استقدمت مصر الخليفة نفسه اليها وبهذا حفظت الخلافة الاسلامية نفسها .

وصف صاحب كتاب الاستبصار مدينة الاسكندرية وعمرانها في العصر الأيوبي فقال :

(والاسكندرية تعجب كل من رآها لبهجتها وحسن منظرها ، وارتفاع مبانيها وانقان وسعة شوارعها وطرقاتها ، وهى برية وبحرية ، وفيها من النعم والأرزاق والفواكه ما ليس ببلد مع طيب هوائها وتربنتها) .

وقال فى موضع آخر : (ومدينة الاسكندرية أعظم مدن مصر وبلاد مصر كلها فيها من المعائب والغرائب ما يعجز عنه الواصفون) .
ويقول ابن بطوطة :

(وهى النخر المحروس ، والقطر المأنوس ، العجيبة الشان ، والأصيلة البنيان ، بها ما سئت من تحسين وتحسين ، ومآثر دنيا ودين ، كرمت مغانيها ، ولطفت معانيها ، وجمعت بين الضخامة والاحكام ، دبانيها فهى الفريدة تجلى سناها ، والخريدة تجلى فى حلالها ، الزاهية

(١) كتاب (تاريخ العالم) نشره السير جون . ا . هامرتن - المجلد الرابع .

(٢) كتاب (شعر الرعاة) للدكتور محمد صقر خفاجة .

بجمال المغرب ، الجامعة المفترق المحاسن لتوسطها بين المشرق والمغرب
فكل بديعة بها اجتلاؤها وكل طرفه فاليها انتهؤها وقد وصفها الناس
فأطنبوا وفي عجائبها أغربوا) .

فاذا طويينا القرون سريعا ، مجارة لايقاع العصر . وصلنا الى
اسكندرية القرن العشرين النى وقف عندها جمع من اليونانيين المحدثين .
كتبت عنها الشاعرة اليونانية اليزابيث بساراس فى مجموعتها (البحار)
عن منار الاسكندرية وبنات الاسكندرية ، وفى ديوانها (ليالى معطرة)
عن شتاء الاسكندرية . .

وكتب كفافيس عن (المدينة) وأسوار المدينة ، وملوكها ، وبحرها
وليلها ، وأمسياتها ، وشوارعها ، وحوانيتها ، ومعابدها ، وكنائسها .

كانت الاسكندرية حبه ، كما كانت محبوبة مواطنيه الشعراء
« بريسيمرا كيس » ، و « غلافكوس » ، و « لينرسييس » ، و « نيقوس » ،
و « نقولا ئيدس » ، و « قسطنطين قسطنطينيدس » ، و « نقولا فيلاس » ،
و « مارينو سينوروس » ، و « آلرى تروفير » .

ومن الشعارات : مارى ينولى - اوبى بابا ستامو - اماليا نقولا ئيدس
- والشاعرة بترونده باليولوغو التى رقرقت للتغز الجميل قصيدة طويلة
اكتفى منها بقولها : .

اسمك موفق يا وطن روحى

يا عروس الفنون يا اسكندرية

ها أنت تهبين من سبات السنين ذات المرتقيات والمهابط

وتطلين على البحر بعين أكثر من عين منارتك سطوعا .

كم سفينة تهاوت على شواطئك الرملية .

— وبعد :

اسكندرية آن أن تتجهدى	أمس انقضى واليوم مرقة الغد
ردى مكانك فى البرية يردد	يا غرة الوادى وسسدة بابه
وعلى الفنون من الجمال السرمدى	فبضى كأمس على العلوم من النهى
وسمى الصبابة بالعواطف نخلد	وسمى النبالة بالملاحم تتسم
حسرات مضياع ودفع مبدد	لا تجعلى حب القديم وذكره
نبنى المقصر أو تحت المقتدى	ان القديم ذخيرة من صالح

٦ مارس ١٩٨٦

مؤتمر الاسكندرية ١٩٨٦

المراجع حسب ترتيب ورودها

- كتاب بونا بريت فى مصر
- تأليف كرسنوفر هيروld ترجمة فؤاد اندراوس
- فيض المخاطر
- نأليف الدكتور أحمد أمين
- معجم الفلسفة
- نألبف بلدوين
- تاريخ الحضارة المصرية
- مجموعة من الأساتذة
- كتاب شخصية مصر
- للدكتورة نعمات أحمد فؤاد
- كتاب (مصر من الاسكندر الاكبر حتى الفتح العربى)
- هـ . آيدرس بل ترجمة عبد اللطيف أحمد على
- الأدب اليونانى القديم
- س.م . باورا ترجمة محمد على زيد وأحمد سلامة محمد
- قصة الحضارة
- ول ديورانت ترجمة محمد بدران
- البحر المتوسط
- امل لودفج
- د . نجيب بلدى
- تمهيد لتاريخ مدرسة الاسكندرية وفلسفتها
- سارنون ترجمة عبد الحميد صبره
- العالم القديم والمدنية الحديثة
- أرنولد توينبى ترجمة عبده جرجس
- تاريخ الحضارة الهلينية
- دى لاس وليرى ترجمة د. وهيب كامل
- عاوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب
- مجموعة بحوث
- تراث العصور الوسطى
- د . مراد كامل
- د . جمال حمدان
- د . ابراهيم جمعة
- دائرة المعارف الاسلامية
- نشره هامرتين
- د . محمد صقر خفاجة
- تاريخ الاسكندرية منذ اقدم العصور
- حضارة مصر فى العصر القبطى
- جغرافية المدن
- جامعة الاسكندرية
- تاريخ العالم
- شعر الرعاة
- رحلة ابن بطوطة

١ - الأقصر وثقافة الحضارة

هل هذه هي مدينتنا العريقة الأقصر ؟

منذ خمس سنوات لم أر الأقصر . وحين سافرت اليها الأسبوع الماضي لحضور مؤتمر (الذاتية الحضارية) الذى دعت اليه اليونسكو وأشرفت عليه مصرية حميمة الانتماء هي الدكتورة زينب الديب .

فى طريقى الى الأقصر ، استيقظت أشواقى اليها . وكنت فى الطائرة أحس الوقت طويلا وأنا أعلم كم من الساعات تستغرقها الرحلة بالقطار ولكنها لهفتى على الأقصر بلد المجد .

كان الوقت ليلا فسلمت روحى ، واستروحت هدوءها فى ارتفاع العظيم على اللغو ، وامتناع الكريم عن اللهو ، وابداع الأصيل فى القيمة واتراع السخى فى العطاء .

انها مدينة الآلهة « ميريت سيجار » التى تصورها المصريون القدماء تتخذ مجلسها على جبل الشاطيء الغربى ، كما تعلق الشمس فى الصمت ، تستمرى الصمت ، وتستقرى النيل صاحب الأسرار .

واتتظرت النهار - عينى عليها - فماذا رأيت ؟

لم تحظ الأقصر بعناية ٠٠٠٠ . لم تضاف اليها الأيام شيئا محسوبا اذا استثنينا « المتحف » حتى النيل وله فيها شخصية خاصة وحضور مميز ٠٠٠٠ حتى النيل وصلت اليه العشوائية الحجرية فقامت على ضفته المباني تحجبه عن الناس فضلا عن أنها تفتقد الجمال والذوق والسببية .

هل هذه هي الأقصر التى يهوى اليها الناس من جميع أنحاء العالم ليروا روائع العمارة ، وبدائع الآثار ؟

ألم تسمع وزارة السياحة ، أن السياحة علم وفن وصناعة لا يلمس السائح منها ، فى الأقصر ، شيئا ؟

ألم تسمع وزارة الثقافة أن الأثر ، يعنى حرم الأثر أيضا ؟ وهل أكرام التراب أمام معبد الأقصر ومعبد الكرنك ، حرم أم حرام ؟

ألم تسمع وتسمع ميزانية الدولة وهى بالمليارات وان كانت ديونا ندفع ثمنها من عرفنا وإرادتنا معا أن هنا مجلى من مجالى مصر القيمة جلوته محسوبة اذ تدر أضعاف ما يتفق عليه .

هل مصر هي العاصمة ولو كان غيرها يحمل ريادات التاريخ
وابتهالات الأولياء كالأقصر ؟

ان وزارة الثقافة تعيش على النهضة المستحدثة في حقل الآثار فهل
الأقصر بآثارها الشامخة نهمل هذا الاهمال لأنها بعيدة عن أضواء للاعلام
والاعلان ؟

ان وزارتي الثقافة والسياحة حسابهما عسير عن الأقصر . أما
محافظة قنا فهي ثالثة الأثافي ٠٠٠ انى خلال اقامنى القصيرة رأيت تمزق
الأصلاء الطيبين من أهل الأقصر لأن المحافظة تزمع اقامة كوبرى جنوب
الأقصر على مسافة ١١ كيلو ؟ ترى لمصلحة من ؟ هل (لتصحيح) أراضى
ملاك هذه المنطقة حين تتحول بعد الكوبرى الى أراضى بناء ؟ وفات المحافظة
أن مثل هذا الكوبرى يقضى على كنوز الطبيعة والآثار فى المدينة التى لم
يبق لها غيرهما . انك مع الأقصر القديمة النقية تتمتع ببكارة الاحساس
وعصر التاريخ وأصالة العراقة ، عراقة الأصل مع الأقصر ، نرتاح خاصة
اذا كنت قادما منى من القاهرة المركبة التى تملو بعضها بعضها بفضل
مهرجان الكبارى الذى يركب أكتافها . . فهل راقت اللعبة محافظة
قنا ؟ نسيت هذه المحافظة أن الكوبرى وما سوف يتبعه على الأثر من مبان
وصرف ودخان وتلويث البيئة والنيل ، سيكون معول هدم يقضى على
أية محاولة للحفاظ على طابعها وتوريثها فيما يتبع التحديث من ويلات ؟

ليت محافظة قنا تسنوع هذه النذر وليتها قبلا نستوعب
الأقصر حضاريا وثقافيا حتى نستطيع أن نتعامل مع مدينة التاريخ من
منطلق حضارى وثقافى يتغيا وثوق الحضارة وسموق العلم لا حجرية
المشروعات سيئة السمعة لزوم التجارة والشطارة لا الثقافة أو الحضارة .

أكتب عن الأقصر وأنا أحمل هموم القاهرة ونيلها ولكن عزائى
أن حملتى أعقبها حملات وإعية وان كانت متباعدة على تجريف أراضى
النهر ، والاعتداءات الآتمة عليه بالاستقطاع والهدم والبناء .

قضايا ماثلة وقضايا قادمة ليست القاهرة أولها وليست الأقصر
آخرها .

٢ - الأقصر مدينة التاريخ والقيمة

الأقصر مدينة التاريخ والقيمة ، بل مدينة ما قبل التاريخ كما نقول الموسوعة الأثرية ، أولى أن تكون محافظة فأنها لن تأخذ حقها من العناية الحليقة بها الا اذا كانت الادارة الاقليمية العليا فيها ، تلمس حاجتها وتتفقدتها تفقد المقيم لا الزائر أو المتفضل . ان الأقصر سياحيا أخطر شأنًا من قنا .

ان أهل الأقصر الذين يتجرعون المرارة اليوم من الاهمال والاحساس بالغبن ، هم أولئك الذين خرج من بين صفوفهم أوائلنا وأوائل التاريخ الذين وحدوا القطرين .

ان أهل الأقصر وراء « أحمس » هم الذين خرروا مصر ، وظهروا عن الهكسوس . لقد كتبوا أنصع صفحات التاريخ المصرى من خلال ميثا وأحمس وتوحتمس بطل « مجدو » ورمسيس بطل « قادش » .

مثل هؤلاء يكرمون ويؤثرون بالرعاية . . . مثل هؤلاء لا يعيشون تحت رحمة التبعية التي لا تعرف عنهم فيما يبدو ، شيئًا يستحق الذكر ، ولا تفعل لهم شيئًا يستحق الذكر .

« الأقصر » يطلق عليها « المدينة » فقط من اكتفاء وازدهاء . . . المدينة على حد قول أنشودة وضعت في الاشادة بطيبة في أواخر عهد المملكة الحديثة : (انها تدعى « المدينة » وجميع المدن الأخرى تستظل بظلها لتكتسب العظمة بالانتساب اليها) .

ترى هل محافظة قنا ، قرأت مثل هذه الحقيقة التاريخية النابتة ؟ حينما شيد رمسيس الثانى ، عاصمة له فى الدلتا بعد أن باتت الغزاة يتربصون لمصر من الشمال والشرف ، كان خير مدح حظيت به ، قوله (انها تاج جميل . . . على غرار طيبة) .

انها طيبة التي تعيش على آثارها التي بهرت أنظار العالم فى رحلة الربع قرن تحت اسم كنوز توت عنخ آمون والتي عادت بعد أن سقى الصبر فى المطالبة بعودتها . . .

انها طيبة عاصمة مصر من الأسرة السابعة عشرة حتى التاسعة

عشرة ٠٠٠ بل ان حضاريتها ازدهرت كما يقول دكتور إيمانليس في كتابه (الماضى الحى) سنة ٣٥٠٠ ق.م ، أى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد . ترى كم ألف سنة سبقت هذا الازدهار أو صنعته وأدت اليه ؟

انها طيبة مثنوى الملوك أو وادى الملوك ، وحين ألف المهندس الفرنسى أورو Horeau كتابه : (باوراما مصر والنوبة) سنة ١٨٤١ أى منتصف القرن التاسع عشر قال بعد أن أمعن فى وصف طيبة وآثارها . (ان الأجيال جميعا لا تستطيع أن تنساها ، انها فوق النسيان) . ثم ما يلبث الرجل أن تند عنه هتفة : (ألا ما أعظمه مكانا يبعث على التأمل العميق) . ولكن يبدو ان محافظة قبا ، ليست منا فهي كما يبدو للعيان ، لم تسمع عنها ، بل تتأملها ، أو بأسلوب أدق لم نسمع عنها قيمة حضارية استوفت الغرباء فى اجلال .

هذه « طيبة » الطيبة ٠٠٠ ولو أن مصريا كما تقول الكاتبة اليزابيث رايفشتال ، من عهد الأسرة الثامنة عشرة (شاهد طيبة فى ثوبها الرخيص الذى ترتديه اليوم ، لأنكر فيها مدينته الجميلة التى كانت تعج بالنشاط والحركة والتى شهيدت فى وقت ما ، على ضفاف النيل لتصبح على مدى الأيام رمزا للثراء والعظمة والقوة) .

لقد انحدرتنا بطيبة اليوم . أى الأقصر . الى بلدة ريفية كما نقول مؤلفة كتاب (طيبة) ، يخيم عليها الركود تحف بها قرى عفراء وحقول غير مغطاء يكد فيها الفلاح من الفجر حتى الغسق فلا يضمن تحصيل قوته ٠٠٠ تلك هى طيبة اليوم - صدر الكتاب سنة ١٩٦٧ - ومهما كان من سحر تمتعت به قبل سنوات معدودة شأنها شأن العديد من مدن الشرق ، فان ذلك السحر يتلاشى بسرعة بحت وطأة التجديد والتحديث لاجتذاب السواح والزوار . فمن أول الشتاء الى آخره لا يطالعك فى طيبة الا السيارات تنهب الأرض بين نصب أثري وآخر مثقلة بالزوار الذين لا ينقطع سيلهم ، لقد انقضى عهد السير على الأقدام ولم يعد الزائر يخرج فى الأمسيات الباردة فيمشى على ضفة النيل وسط الظلال المتراقصة ليزور الكرنك فى ضوء القمر . فالطريق اختفت فيه ظلال الأشجار لجحل محلها أنوار كهربائية ساطعة . وحتى وادى الملوك فى مدينة الأموات عبر النهر لم يستطع الاحتفاظ بغموضه ورهيبه . فالطريق الصحراوى المؤدى اليه أصبح شارعا معبدا واسعا وارتفعت أعمدة المصابيح الكهربائية على جانبيه) .

وأضيف : ان الأدهى من كل هذا ، الكوبرى ، الذى تزعم محافظة قنا ، اقامته ، ليتم مسحها وتشويبها . لقد اعتدى الاهمال على « المدينة »

وتريد محافظة قنا أن تعتدى على (الطابع) وهو بالنسبة اليها ، رأس مال بلا حدود .

من أجل هذا كله نطالب باستقلال الأقصر في ادارتها ، أي أن تصير محافظة .

وليس بكثير على عاصمة مصر كلها بالأمس . أن تصير محافظة . هذا إذا أردنا اقالة عنرتها ، أو اقامة نهضتها .

١ - نصف مصر الذى لاتعرفه

من الوادى الجديد أتحدث

وهو فى التاريخ الوادى القديم

فمصر بدأت رحلتها الطويلة على أرضه فى العصر المطير حين كان النيل فى النصف الثانى الذى نعيش فيه ، اليوم يشبه منطقة بحر الجبل تغلب عليه مستنقعات وأحراش استأدت الانسان المصرى جهودا جبارة موصولة ليجفف المستنقعات وينظف الأرض من الأحراش ويعدها للزراعة .

سفر طويل فى الحضارة انجازا واعجازا ، قام به الانسان المصرى قبل الزمان بزمان .

ومن هنا نرفض القول بأن مصر (هبة النيل) مع ارتباطى به وارتباط الحى بسر حياته ، ونبع وجوده ، ومجلى تاريخه ، وصانع النهار فى واديه ، ان مصر ، هبة النيل وهبة الانسان المصرى .

ودليل أن هناك دالات أنها كثيرة ولكن واحدا منها لم تقم عليه حضارة كالتى قامت على ضفاف النيل فى مصر .

أعود الى الحديث عن « الوادى الجديد » « القديم » .

نصف مصر الذى لا نعرفه .

نصفها حقيقة لا مجازا .

فمصر مساحتها مليون كيلو متر مربع .

(والوادى الجديد) مساحته ٤٥٨.٠٠٠ كيلو متر مربع أى ٤٥٨٪

من مساحة مصر .

فى هذا النصف يعيش ١١٧ ألف نسمة (مائة وسبعة عشر ألف) .

و ٤٨ مليون فى النصف الآخر (ثمانية وأربعون مليوناً) .

ونحو ربع هؤلاء فى القاهرة وحدها !!

وتزدحم بالطبع القاهرة حتى تكاد نخشى عليها - لا كان - الاختناق .

سلمت للدنيا وسلم تاريخها .

وحين يكرهنا الزحام أو حين يروعنا الزحام فى القاهرة ، نصرف .

الملايين لمحاربة (الانفجار السكاني) المزعوم ٠٠٠ والمشكلة الحقيقية خلل التخطيط السكاني ، والتوزيع السكاني .

فسيناء وهي ٦٪ من مساحة مصر أو ثلاثة أمثال مساحة الدلتا يقطنها نحو ١٥٥ ألفا (مائة وخمسة وخمسون ألفا) .

والوادي الجديد ، نصف مصر ، يقطنه ٥٪ من سكان أى حى شعبي فى القاهرة ٠٠٠ حى واحد فقط .

وقى (الفرافرة) احدى واحات ثلالات بالوادي الجديد ، ألف وخمسمائة فدان خصبة جاهزة تقوم عليها بيوت خالية لا تجد من يعمرها .

ويعمر الفلاحون المصريون ، العراق أى بلادا أخرى !!

مفارقات ومتناقضات تنقل على الوجدان المصرى .

ولا ألوم الفلاح المصرى الذى هاجر لأول مرة فى تاريخه وكان اذا انتقل من قريته الى المدينة المجاورة ، كان كالقصبية حين تنزع من مغرسها ، تصير شياطة ترسل النغم ، شجى (بفتح الجيم) كقطرات الدموع ، فيقول (أنا كل ما أجول التوبة يابوى ترمينى المجادير) .

وتقسم زوجته بغربتها .

ولكن ضغط الحاجة ، وإغراء الحافز أسلمته الى (المجادير) .

والحافز هنا بيت وأرض وامكانات زراعية .

وعلى ذكر الحافز أقول ان البديل فى الوادي الجديد ٣٠٪ بينما هو فى بعض المجتمعات الجديدة ١٠٠٪ .

والوادي الجديد بالطائرة خمسون دقيقة .

أما بالبر فله طريقان مرصوفان .

١ - من الصعيد .

٢ - من الهرم الى الواحات البحرية التابعة للجيزة الى الفرافرة الى الداخلة الى الخارجة .

ولكننا نهجر الى العراق أو نساغر الى ليبيا ٠٠ وبيننا وبينها بحر الرمال الأعظم .

فلو أن الاجتماعات الرسمية التى تنعقد وتنفض بحثا عن حلول اقتصادية وحلول اسكانية وحلول السخ ، دار بخلدها ، الوادي

الجديد ، أو انسعت رؤيتها فاستشرفت الى الوادى الجديد ، وخصصته
تخصيصا علميا ، الكلمة فيه للتخصص ، لضاعت مصر زراعتها وسياحتها ،
وصناعاتها ، ولتفاوت بهذا أو امتصت أزماتها جميعا .

ولكننا لا نعرف الوادى الجديد معرفة الدراسة الا قلة قليلة من
المصريين ولا نعرفه معرفة الرؤية والمساعدة الا نادرة نادرة ٠٠٠ حين كان
المصريون القداما ، لا يغيبون عنه ولهم فيه ٠٠ آثار بين معابد ومصاطب
يزورها السياح لا الأبناء .

وفى قرية (بشندى) بعثة كندية للحفر عن الآثار !!

وفى قرية (دوش) بعثة فرنسية للبحث عن الآثار .

وبعثة أخرى فرنسية أيضا فى قرية « بلاط » .

حتى الرومان ، عرفوه ، فقد كان الوادى الجديد مخزن حبوب
الامبراطورية الرومانية ، أحرام على بلابه الدوح حلال للطير من كل جنس .

هذا الوادى الجديد به ملايين الأفدنة الصالحة لازراعة بل الجاهزة .
مثلا سهل الزيات الذى يمتد ما بين الكيلو ٩٧ والكيلو ٨٣ طولا أما عرضا
فانه يمتد فى كلا الجانبين الى أربعين كيلو متر .

وفى (أبو منقار) .

و (غرب الموهوب) .

أمامى أرض طميية واعدة لا ينقصها لتفجير طاقات الخصب بها
الا دراسة للمياه الجوفية ٠٠٠ وحافز حقيقى للانسان الزراع .

أما الأراضى المزروعة بالفعل فانى أحسبها من فورة النبات ودهن
الأخضر الزهردى أرضا عفبة تتفجر حيوية ونبضا .

أما مجال السياحة فى الوادى الجديد ، عيون معدنية ساخنة وباردة
تشفى عدة أمراض . لهذا يؤمها السياح من أصقاع بعيدة فى الشرق
والغرب .

وفى الوادى الجديد (مدينة الخلود) التى تسمى (البجرات)
عن الاسم العربى (قبوات) . أما اسمها الفرعونى فهو (من آمون) بفتح
الميم أى حب آمون تم « هيشر » أى المحراث فى الهيروغليفية رمزا الى
خصوبة المكان .

وفى حكم الرومان آوى اليها مسيحيو مصر ، وبنوا خلوات بها على شكل القبو ، لبأذا بها من الاضطهاد ، ولوإذا بالعقيدة من بغى الطغاة .
فأطلق وليها فى العصور المتأخرة « القبوات » وحرفت فى اللهجة الصعيدية الى « جبوات » ثم صارت « بجوات » .

هذا المكان يزوره المسيحيون من جميع أنحاء العالم رهزا لتوحد المسيحيين وأملا فى عودة هذا التوحد الذى يباعد بينه ما بين البروتستنت والكاثوليك .

اذن هذا المكان الرائع مركز جذب لسياحة دينية .

آلم أقل ان الوادى الجديد « نصف مصر الذى لا نعرفه » !

وفى الوادى الجديد معبد « هيبس » سمعت حارسه وهو شاب فارغ الجسم ، متواضع الثياب يقول : (اننا ننفذ التراب عنه بخشومنا) بأفواهنا ! وتذكرت فى هذه اللحظة ، المعاول التى تعبت فى مسجد نفيس هو (الحرم المصرى) أى مشهد الامام الحسين .

ان الانتماء الى هذا البلد يدمره سعار المال ندميرا

وينتشر على معبد هيبس « مفتاح الحياة » و « مين روء » اله التناسل كانوا يعرفون هذه الحقيقة : أغلى ثمن الانسان .

والأرض فى واحة (الداخلة) كأنها أهرامات مبنوثة . . أهرامات طبيعية ، شكلتها الرمال السافية التى لها فى الصحراء الغربية قدرة نحتية مخيفة كما يقول الدكتور جمال حمدان حتى ليقارن دورها فى تشكيل الصحراء بدور النيل فى تشكيل الوادى (شخصية مصر ج ١ ص ٢٩٠) . وأهل الوادى الجديد يسمون هذه الرمال (غرود) . ولعل هذا الشكل الهرمى للصحور ، هو الذى أوحى الى الموسوعى الأول فى تاريخ الانسان ، « امحتب » ، هندسة الهرم المدرج بسفارة .

وفى الوادى الجديد ، آثار اسلامية رائعة ، تجتلى فى قرية (القصر) ، بقصرها الكبير الذى ينسبه الأثريون مرة الى العدل ، محكمة المفصل فى قضايا الناس وينسبه آخرون الى العلم ، مدرسة لتنشئة الأجيال .

والعدل والعلم قيمتان عاليتان . . فالتفسيران مقبولان . .

وفى الوادى الجديد مسجد بنى سنة ٥٠ هـ (خمسين هجرية) .
مرة أخرى أقول ان المصريين الأوائل ، والمصريين فى العصر

كتبت يوما - ٢٢٥ .

البيزنطى ، والمصريين المسلمين فى أول عهد مصر بالاسلام ، كلهم عرفوا
الوادى الجديد ٠٠ نصف مصر الذى لا نعرفه نحن المحدثين .

وفى الوادى الجديد الطبيعة بنقائها لم يلوثها ما فى المدينة من قمامة
كربونية أو قمامة صوتية بالضجيج ، أو قمامة ضوئية بالنيون ، ألوانا .
الطبيعية فى الوادى الجديد ، رحبة ، لم يزحمها عشوائية معمارية ٠٠
كم تفوق بيوت (بشندى) و (موط) و (الفصر) ٠٠٠ هذه البيوت
الجميلة المعيرة التى بناها أهلها بأيديهم من الحجر الرملى والطفلة ٠٠٠ كم
تفوق هذه البيوت ، علب الكبريت المتراكمة رأسيا فى ناطحات ، نطج
الذوق والأعصاب ، لا السحاب ٠٠٠ طبيعة تغسل أدران النفس فتعود
طفلة لم تعرف الاثم أو الخطيئة .

طبيعة مشرقة متألقة فيها بكاراة الاحساس وبهجة الزوية .



الوادى الجديد ، نصف مصر ، مساحة .

والوادى الجديد ، نصف مصر ، سياحة .

سياحة صحية ، وسياحة طبيعية ، وسياحة دينية .

ولكنه النصف الذى لا نعرفه ٠٠٠ نصف مصر .

وقد حرصت فى الوادى الجديد على زيارة سجن المحاريق ، حيث كان
الكتاب والسياسيون يعيشون ، قدزهم ، فيه وقد ألغى عام ١٩٦١ .
(ألف وتسعمائة واحد وستين) .

ولما كان نزلاء هذا السجن من المثقفين وأصحاب الراى فقد حولوا
السجن الى دار للفن !! اذ بنوا بأيديهم فى ساحته مسرحا ، ورسم
الرسامون منهم لوحات جميلة على الأبواب ٠٠ أبواب الزنانات ٠٠٠
ومن هؤلاء الفنان حسن فؤاد الذى وقفت طويلا أمام لوحته على باب
زنانته وقتئذ .

نوافذ هذا السجن فتحات طولية قبيل السقف ، فلما ألغى استخدموه
مزرعة دواجن وهنا استخدموها نوافذ منخفضة ليتمتع الدجاج بالشمس
والهواء !! .

على كل حال لقد سخر الانسان المصرى كعادته من الحدث واستعلى
على المحنة فعلا العزلة بالرسم والنحت والكتابة ٠٠٠ لقد علمه النهر .

الأصرار ، حين استمع الى نداء النيل وهو يكون الدلتا عاماً بعد عام متحدياً البحر ٠٠٠ أخذ يرسب فيه فيترجع البحر كل سنة حتى وقف عند موقعه الحالي .

• واستوعب المصرى الدرس ووعاه .

• وأصبح العمل الدعوب علامة عليه .

• وأصبح الصبر الواثق قدرة لديه .

• والايام الراسخ رصيماً فى قلبه وكنزاً مكنوناً .

وهذا سر امتصاصه للمحن ، وقهره للصعب ، واستعلائه على

الأحداث ووثوقه بالله ويقينه فى النصر ٠٠٠ فى النهاية .

انى أقترح أن يقام على أرض هذا السجن مدينة للفنون الجميلة

حيث المنطقة فيها الكثير من فناني الخزف والنحت يكتبون حياتهم بالتشكيل

• وحيث الصمت المشحون الذى يعين على التأمل والخلود الى العمل .

• والعمل الجميل دائماً يولد حيث يبلغ الصمت أعلى ذراه .

والآن ماذا عن ربوة الفوسفات ؟

• ماذا عن تخطيط اسرائيل للتسلل الى الوادئ الجديد .

ماذا نحن صانعون ؟

علامات اسنفهام نجيب عليها بمشيئة الله ، غدا ٠٠ وان غدا

• لناظره قريب .

القاهرة - فبراير ١٩٨٥

٢ - نصف مصر الذى لانعرفه

من الوادى الجديد اوصل التعريف ويتصل الحديث وما انقطع فقد دار فى الحلقة الاولى عن مزاراته الدينية ٠٠ عن امكاناته الزراعية ٠٠٠ عن كنوزه السياحية ٠٠٠ عن حلوله الاقتصادية والقومية .

وقفتى اليوم عند ربوة (أبو طرطور) بعد أن غدت من معالها الواعدة ٠٠٠

هذه الربوة الغنية بالفوسفات تم اكتشاف كتلة بها تحتوى على ٧١٥ مليون طن من الاحتياطى المؤكد من خام الفوسفات المحتوى على ٣٥.٣٪ من خام اكسيد الفوسفور ٢ أ .

وبهذه الربوة تحت الأرض منجم للتعدين واستخراج الخام بالطاقة اللازمة للمصنع التركيز .

كل هذا تم فى المدة من ١٩٦٠ الى اليوم .

والآبار الآلية التى حفرت وعددها ٣٧١ تغطى مساحة تزيد على ١١٠ كيلو مترا مربعا (مائة وعشرة) وهذه المساحة تمثل ١٠٪ فقط من أرض الربوة الحافلة بالفوسفات التى يبلغ سمك الطبقات الفوسفاتية بها ٣٦ متر .

وفى ربوة (أبو طرطور) شاهدت لونا عزيزا من الانتماء الى مصر ٠٠ شاهدت الوجوه السمر النبيلة سعيدة بعملها الذى يعزلها فى الصحراء ٠٠ سعيدة بأنها حلت سريعا بالنفاذ المصرى محل الخبراء الأجانب على أعلى مستوى الشباب الجامعى وحده ٠ بل ان العمال المصريين بذكاء الفطرة التى تقف وراءها ألوف السنين الحضارية استوعبوا الأجهزة التكنولوجية الدقيقة ، وصاروا منجما بشريا أعلى كثيرا من مناجم الثروات .

ربوة (أبو طرطور) لا يملك الوجدان المصرى ، الا الصلاة عندها لله واهب النعم .

ربوة (أبو طرطور) فى عيني ، قسمة جميلة من قسومات مصر التى تنبى فى الصحراء وتتهدى فى الوادى فلا أدري أيهما أجمل .

والآن بعد هذه اللمحة للوادى الجديد ، ما عسانا صانعين به ؟

ليس غريبا أن يفرض هذا السؤال نفسه على الساحة المصرية بعد أن

استطاعت السعوديه بدون مياه جوفية أو أرض طميية أو نيل أو بحيرات
عذبة أن تزرع القمح وتصل به الى الاكتفاء الذاتى ثم تتسلسل المعونة
الغربية الى الوادى الجديد بعد القديم .. لماذا ؟

ان الوادى الجديد يستطيع أن يكفى حاجة مصر الى القمح . ويحفظ
عليها ، « ارادتها » .. وحرية القرار .

وأتذكر مديرية التحرير .. وأتفكر فى الصالحية فلا أشك فى أننا
أصبنا بحول تعميرى فغدونا لا نرى ما أمامنا من كنوز الحُصب فى الوادى
الجديد ..

بعض الحلول أطرحها من موقع السياحة النفسية فيه قبل جولة
المكان .

— وطنوا الشباب المصرى به الذى يرضى بالعمل من أى مستوى
فى الخارج .. والتوطن هنا : أرض وبيت وامكانيات زراعية كما أشرت ..
كما فعلت العراق . رشدوا خطاه قبل أن نضيع من قدمه ، الطريق .

— إعطفوا مسار الدراسات العلمية الى الوادى الجديد نستخرج خيره
كما فعل مخلصون فى ربوة (أبو طرطور) .

ان الوطنية علم بالوطن .. والمحبة كما يقول المتصوفة :
« بذل الجهود » .

أحد طلابى رساله عن الوادى الجديد .

وهذه الرسالة ترجمها مع أهل الواحات صناعات نسجية وفنوننا
شعبية ، وأياما معهم غدت أعواما ..

— خريجو كليات الزراعة فى جامعاتنا ، هذا مجالهم .. مجال
للاستصلاح والاستزراع والاستغناء أجدى كثيرا من مكاتب الحكومة وأغلال
الوظيفة التى تقتل الطموح أو تحبطه .

— الاعلام الذى يبدو أنه اكتفى ببرنامج يثيم عن الوادى الجديد .
هنا مادة للمصورة والكلمة والدعوة والتعريف .

عرفوا المدينة ، بالصحراء ، التى كانت قديما ، للانسان المصرى
مرادا وموردا الاعلام الشامل صحافة وإذاعة مرئية ومسموعة .

— وجهوا الرحلات الجامعية والمدرسية الى الوادى الجديد .

ان لم يعرف أبناؤنا كبارا وصغارا مصر ، ويروها في السهل
والجبل ٠٠٠ في النهر ٠٠٠ في الوادى الجديد والوادى القديم فلن يقدرها
حق قدرها بمجرد التأقن في المدرسة .

دعوهم تكتحل عيونهم من واد ينادى على بنيه .

– السياحة التي غدت اليوم صناعة وعلما وفنا ، تنحصر عندنا في
الفندقة ٠٠ عمد الليالى والأسرة والنزلاء .

انتبهوا أيها السادة في المكاتب المكيفة ٠٠ نصف مصر يحتاج الى
التعريف به ولكن هل نحن نعرفه ؟ لنعرفه أو نعرف به الآخرين ٠٠٠
هل فاقد الشيء يعطيه ؟ أليس كذلك يا وزارة السياحة ؟

الحواجز الحقيقية السخية تشكل عنصر جذب والمثل عندكم :
العراق الذي جذب مليونين من فلاحينا فاينع هناك الماخذ ، وأمصر
القحط ، وأزهر الجديد .

أما هنا فهل من يجيب ؟

وأخيرا أدعو الدكتور الجبلى والدكتور يوسف والى وزير الزراعة أن
يقفوا وراء الوادى الجديد وخاصة أن محافظه أستاذ زراعة الحوار مع يؤتى
الثمار . ولنسجل بهذا الاجتماع وخاصة أن لاسرائيل تحوم حول الوادى
الجديد وتعرض على الحكومة المصرية ، اقامة مركز اسرائيلى لدراسة المياه
الجوفية بزعم تقديم خبرتها في زراعة الصحراء .

ونحن لا نريد تجربتها ٠٠ نحن بعلمائنا فى غنى عن خدماتها ذات
الغرض الخبيء ٠٠٠ اسرائيل لا تعطى خيرا ولكن تعتدى بالاختطاع أو
الانتزاع أو الابتلاع سافرة أو متسللة وراء مشروعات هى الغشاء الذهبى
على الناب ، والغطاء الوردى على المخلب .

لقد بدأت من جديد الزراعة والرعى فى واحة (الخارجة) وفى واحة
(الداخلة) وبدأت الصناعة تركز على فوسفات (أبو طرطور) وبدأ
التعدين يقترون بمنجم الحديد فى الواحات البحرية ولو أنها تابعة اداريا
لمحافظة البحيرة .

يقول عالمنا الدكتور جمال حمدان :

(لكن الانقلاب الفذ هو الفراقة لا شك ٠٠ فهذه الواحة القزمة
« فرفور » الواحات سابقا ، تبصر بأن تقفز الى الصدارة بين الواحات
جميعا فقد انضج من الأبحاث الحديثة الأخيرة أنها تنطوى على أكبر خزان

جوفى بين واحاتنا من ناحية. ، وانها تضم أكبر رقعة صالحة للزراعة على الاطلاق . فاذا أضفنا انها تتمتع بأعدل مناخ واحى ثم الموقع المتوسط بين كوكبة الواحات ، ادركنا ما يمكن أن ينتظرها من مستقبل وافد حتى لقد رشحها البعض عاصمة للوادي الجديد (شخصية مصر ج ١ ص ٢٢٥) .

فلنكف اسرائيل عن التسلسل الأنعوانى الينا تعحت ستار البحث العلمى ٠٠٠ فنحن لم ننس بعد ، عالمنا يحيى المشد ، ولم ننس بعد مشروع الجنيزة وأحابيلها فيه ٠٠٠ ثم أننا عندنا الأبحاث والباحثون والدراسات والدارسون ونحن نعرف أرضنا علميا حتى ان نقاعس التطبيق العملى ، ولكن شيئا البتة لا يسوغ الركون الى اسرائيل أو يبرهن على حسن النية من جانبها وهو بالقطع ، معلوم .

ان كل ما نحوم حوله اسرائيل ، خارج النمن ٠٠٠ له فعيح والتجارب ماثلة ٠٠٠ وقد كابدناها فام تعد العبرة بحاجة الى ذكاء شديد .

القاهرة - فبراير ١٩٨٥

مصر والذهب متعدد الجنسيات !!

هذا الاسم أو الصفة ، فنساع يحمي وراه مركز النقل الحقيقي أو مركز القوة الفعلي . . فهذه الشركات تحرص على أن تسلك في تكوينها عدة أسهم رمزية لأشخاص من جنسيات مختلفة حين تكون حصة الأسد فيها لبلد واحد هو الذى يسيطر وراء التعدد المصنوع للتغطية وهي بهذه الصفة ، سلاح من أسلحة الامبريالية الجديدة .

فصفة « تعدد الجنسية » التى تتمتع بها تلك الشركات (لاتعنى فقط أن هذه الشركات قد تخلصت من بعدها القومي واكتسبت جنسيات عديدة بقدر ما تملك وتسيطر على المشروعات والشركات فى العالم - وخاصة فى البلاد النامية - حيث تثير قضايا هامة فى الواقع الاقتصادى والاجتماعى وأولها مسألة الولاء حيث ينتج عنه ولاء الشركات التابعة للمؤسسات الأجنبية فى أية دولة الى الشركة الأم والدولة التى يقع فيها مركزها الرئيسى . . ومن ثم فإن ما يطلق عليه (الشركات متعددة الجنسية) هى بكل المعانى شركة قومية مكانا أساسيا فى اقتصاد ومجتمع الدولة المتقدمة الأم . . وتحفظ هذه فى يدها بكافة القرارات الأساسية وبهمة التخطيط والحسابات والرقابة .

ولقد كانت هذه الشركات أداة الاستعمار القديم فى القرن التاسع عشر وسراياه اذ انتشرت فى مناطق نفوذه ، قوة ضاربة نستغل المزارع والمناجم وتنشئ البنوك مستندة الى وجوده العسكرى والسامى .

وهى فى القرن العشرين تقوم بالدور نفسه مع التشكل وفقا لمقتضيات العصر والتطورات ولا أقول التغييرات ، التى طرأت على أسلوب الاستعمار فى القرن العشرين .

إنها « العبارة الاستعمارية » بما تتحرك خارج حدودها الاقليمية متغلغلة فى بلاد الآخرين . (فى عام ١٩٣٩ كانت ١٨٧ شركة أمريكية كبيرة قد نجحت فى إقامة ٧١٥ فرعا صناعيا خارج الولايات المتحدة ، منها ٣٢٥ فى أوروبا و ١٦٩ فى كندا و ١١٤ فى أمريكا اللاتينية والباقي ووزع على المناطق الأخرى فى العالم) .

وفى السبعينات ازداد توغل الشركات المتعددة الجنسيات فى البلاد النامية (فقد ارتفع المعدل السنوى للاستثمارات الخارجية الخاصة

والمباشرة في الدول النامية - والتي تقوم الشركات المتعددة الجنسيات بالجزء الأكبر منها - من حوالي ٢٣ مليار دولار خلال عقد الستينات الى حوالي ٦٧ مليار دولار سنويا خلال الفترة ١٩٧٢ - ١٩٧٨ .

هذه الشركات المتعددة الجنسية تتغلغل وتنغول في البلاد النامية حتى أن بعضها أصبح أعظم قدرة من دول فوميه عديدة حتى في أوروبا الغربية حتى آسيا وأفريقيا . . . وحيث ان قواعدها الرئيسية في البلاد الصناعية فتأثيرها الثقافي وأسلوب ادارتها للعمل ، وطابعها الأجنبي المقتحم من المقتحم ان يتناقض مع الانماط المحلية - وفي حالة الحكومات الأقل تحضرا ، كثيرا ماتهيمن هذه الشركات نتيجة لما توافر لها من إمكانات رأسمالية وتكنولوجية وقانونية ، على المجتمع بصفة شاملة .

لقد لاحظ « ستيفن هايمر » ان هذه الشركات قادرة على تحقيق معدلات ربح على استثماراتها في الخارج أعلى بكثير من معدلات الربح في داخل دولها في مجالات استثمارية مماثلة ويرجع هذا الفارق الهام في الربحية الى كون هذه الشركات تتمتع بدرجة عالية من الاحتكار للتكنولوجيا وللمعرفة التكنولوجية والتنظيم والادارة الحديثة وللخبرات والكفاءات المالية المتخصصة وتتمتع بقدرة تمويلية هائلة داخل بلدها الأم وفي الأسواق المالية الداخلية . . . وداخل الدول النامية نفسها .

هذه الشركات المتعددة الجنسية ، المحدودة المسؤولية ، حذرت منها الهيئات العالمية الآتية :

★ منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية في اجتماع باريس الذي عقد في يولييه ١٩٧٦ وضربت مثلا لها شركة لوكهيد .

★ السوق الأوروبية المشتركة :

★ الجمعية العامة للأمم المتحدة .

★ منظمة العمل الدولية .

يقول كتاب (الجوانب القانونية للاستثمارات العربية والاجنبية

في مصر) .

يتعين على فريق المفاوضين المصريين ان يكونوا على دراية تامة باهداف تلك الشركات ومدى تأثير النشاط الذي تقوم به بالنسبة لكل مشروع على حدة ، على الاقتصاد المصرى ككل واستغلال كافة الوسائل الممكنة مع تلك الشركات لوضع شروط نتجنب بهسا مخاطر الانزلاق في فك الاخطبوط المخيف وتخفى من امامنا صورة الوجه القبيح لتلك الشركات .

ونتمتع هذه الشركات أيضا أو قل لانتورع عن استخدام الخدع اللفظية لتغطية تدليسها ونياتها البعيدة المدمرة ٠٠ والمسال قريب ويقوم على أرضنا ٠٠ فمشروع هضبة الأهرام ، بدأ بدخول شركة جنوب الباسفيك من الباب المفتوح الانفناحي ٠٠ وعند التعاقد أضافت في العقد عبارة لم يشعر بها الجانب المصرى ٠٠ عبارة صغيرة الحجم فادحة المضمون عبارة من لفظين هما (الشرق الاوسط) فكانها شركة جديدة اسمها جنوب الباسفيك للشرق الأوسط ولا توجد شركة مسجلة بهذا الاسم ٠٠ وهنا تعاقدت مصر مع شركة وهمية !!

وهنا يفضح التخليط فهى لاتفعل هذا الا اذا كان هناك غرض خبيء مسبق ، يضمن النهب والهرب وعندئذ لاتجد الحكومة المصرية شخصية معنوية أى شركة حقيقية تقاضيتها ٠٠ وهذا ماحدث .

انها شركة استحدثوها ساعة ابرام العقد مع وزارة السياحة دون أن يقدموا - وهذا بدهى - عقد التأسيس لأنه أصلا لا وجود له لختي اذنا عندها طالبناها فى المحكمة بعقد التأسيس لتنين صفة « جيلمور » أحد الشركاء أسقط. فى يدها وقد نص العقد ، على علاته على تنمية السياحة على أحدث الأساليب العلمية المتطورة فى هضبة الأهرام ورأس الحكمة فاذا بها تبدأ بتقسيم الأرض وبيعها قبل ان تنجز التزاما سياحيا واحدا خلال سنة ونمانية أشهر !!

وجملة بيع ٥% (خمسة فى المائة) فقط من حصة أرض الهضبة ، فى الداخل والخارج ، وهو ممنوع - أربعة ملايين من الدولارات قبضتها الشركة مقديما قبل أن تبدأ فى المشروع مخالفة القانون رقم ٥٢٠ لسنة ١٩٤٠ فى البنود ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ اذ باعت الأرض قبل صدور مرسوم التقسيم ، والقانون ١٢٣ لسنة ١٩٥٨ الخاص بتنظيم تملك الأراضى الصحرواية اذ لم تحصل الشركة على الموافقة .

فعلت هذا بدءا مع أن حصتها فى المشروع مليونان دفعت منها نصف مليون ويسدد الباقي على أقساط سنوية على خمس سنوات !! ثم شرعت تقترض بفوائد على حساب المشروع !! الذى حوالتة الى مجمع اسكائى على هضبة الأهرام وليس هذا مهمة سياحية الا اذا كان هربا يتوارى خلف السياحة لتتمتع بالتسهيلات السهلة فى السياحة والاعفاء من الضرائب وتحويل العائد أو استبقائه أصلا بالخارج .

ان أبرز الوالغين فى هذا المشروع « بيتر مونك » هنغارى الأصل ، كندى بالتجنس ، انجلزى بالاقامة ، هونج كونجى بالعمل قالت عنه

المجلة الكندية الاقتصادية (بيترمونك) أول رجل يعطى تفويضا على بياض
لكى يعبت بالأهرام Munk was the first to be given carte blanche
to trifle with the pyramids

لقد أحدث المشروع على حد قول أحد الشركاء فيه « جيلمور » (توترا
فى مجتمع الاستثمار عند سماع أخبار الخبطة المصرية الكبيرة وعانت
أسهم همتلكات جنوب الباسفيك من هبوط مفاجئ) .

وقد كشفت هذه المجلة فضائح « مونك » و « جيلمور » فى كندا
وإستراياليا وفيجي قبل قدومهما الى مصر .

هذه « عينة » منال من الشركات المتعددة الجنسية التى ابتلينا بها .
القصة طويلة مزيرة اكتفى منها بهذا لأننا عشناها يوما وقد ملأت
تفاصيلها كتابا كماهلا غير التقارير المذهلة .

وهكذا تقع الدول النامية فى اخطبوط من التدليس والتبادل
التجارى الابتزازى وغير المتكافئ والمرسوم لصالح دول هذه الشركات
بحيث تستورد خيرات البلاد النامية ، بأبخس الأضعار وتصدنها لها بعد
تصنيعها بأبهظ الأضعار . . اخطبوط من فرض سلع معينة وكماليات
لا حاجة ماسة اليها وتغير عاداتها الاستهلاكية لتصرف الفائض والبائر
أو المن عليها من ثقب قطارة ، بصناعات براقه ، شركا منصوبا لاستيراد
عماله فنية وخبرة فنية بأرقام فلكية مما يورث التدهور فى الوضع
الاقتصادى .

اخطبوط من تسرب الأرباح مع أساسيات رأس المال الى الخارج
بعيدا عن رقابة الدولة .

اخطبوط من التحلل من الضرائب العالية مع المبالغة فى أسعار
استيرادها لصالحها خالصا .

اخطبوط من استدراج الدول النامية فى عملية وجود فى المشروعات ،
بيبع غوالبها من أرض وهبان ومواد أولية تستنزف حتى تنفذ اخطبوط من
اكتساح ونسف صناعات وطنية تقع صرعى على أرضها أمام مناقسة
أجنبية غير متكافئة فتضطر الى البيع الجبرى أو الذوبان أو الاقتراض من
بنوك أجنبية هى فى الواقع شريكة فى المخطط التدهيرى .

هذه الشركات تعمل على اذكاء التفاوت بين الدخول والطبقية
الاجتماعية التى تتحول الى قدرة شرائية استهلاكية تمتصها هذه الشركات
المتعددة الجنسية اذ نجد فيها سواقا لمنتجاتها ومرعى غريض الكلا

للاستهواء والاستهلاك .. وبهذا تصب الدخول الجديدة فى خزائن الشركات المتعددة الجنسية ، وهذه الدخول على قلة نسبة أصحابها البعدية تمثل ٤٠٪ من الدخل القومي .. وهكذا تقع البلاد فريسة غير منظورة للشركات متعددة الجنسية .

حتى العمالة المحدودة والمقصودة والمحسوبة التى تسعين بها الشركات المتعددة الجنسية يتم تخديمها وتوظيفها للاضرار بمصالح البلاد المستهدفة وذلك بحرمان الاستثمار الوطنى من قدراتها العالية فيمنخفض الانتاج المحلى ثم يرتفع معدل البطالة فى المجموع وفى النهاية فان ما تعطيه هذه الشركات باليمين تأخذها بالشمال بعد أن تزيد هوة التخلف عمقا لأنها لا تعيش الا على تخلف الآخرين لتتبعهم اقتصاديا والتجارب التى تؤيد هذا كثيرة فى البلاد التى فتحت أبوابها للشركات الدولية والمتعددة الجنسية كالبرازيل وكينيا .

ويشير تقرير الأمم المتحدة عن الشركات متعددة الجنسية الى أن كثيرا من الدول النامية يبدى قلقه حول نوع التكنولوجيا التى يمكن أن تحولها له هذه الشركات وما اذا كانت ملائمة لظروفها خاصة فى علاقتها بالمشكلة التى يضعها فبض العمالة وندرة رأس المال والحجم المحدود للأسواق القديمة .

وقد لاحظ التقرير أن هذه الشركات تعتمد عدم التجذبات التكنولوجية حتى داخل فروعها فى البلاد النامية الا بالقدر الذى يمكن ايماله .. وعلى هذا فان مستوى التكنولوجيا الوافدة ، أقل كثيرا منها فى البلد الأم .

انها شركات ضاخة ماصة كإبسة تدفع شعوب الدول النامية الى الاستهلاك بتزكيز الاعلان وترسيخ الايهام ثم يباع الوهم مقابل حقيقة هى أموالنا المهذرة فى استهلاك جعله الاعلان عادة مستحدنة وهو ليس ضرورة بل عندنا ما هو خير منه صحيا واقتصاديا .

ان هذه الشركات لا تقدم تكنولوجيا بل تباع علامة تجارية هل الكوكا كولا والشويبس اختراعات أو تكنولوجيا .. انها خداع ! اعلان .

-
- (١) امرا (العرب امام تحديات التكنولوجيا) انطونيوس كرم .
 - (٢) (التطورة الدولية للشركات متعددة الجنسية) د . حسن الجمل .
 - (٣) (تنمية أم تبعية اقتصادية ونعافية) د . جلال أمن .
 - (٤) محمد السيد سعيد من ٢٥٦ .
 - (٥) (أزمة الشباب وعموم مصرية) للدكتورة نemat أحمد فؤاد .

ان شركة « سفن آب » رأسمالها ٢ مليون جنيه جمعت قبيل ان تبدأ ٧ ملايين باسم التامين للصناديق والزجاج الفارغ وممن ؟ من أصحاب الجاليب والاكشاك الصغيرة . يحدث هذا ونحن بلد الليمون والبرتقال والكرديه والخروب . . . الخ .

لقد كانت مصر قبل الاحتلال البريطاني لا تعرف الشاي فأشاعه الانجليز ومن ورائهم الشركة الشرقية ، فى الحياة العصرية . ثم ظهر مكتب الشاي الدول لجميع منتجى الشاي وكل منهم يدفع نصف بنس على كل رطل شاي وبدا مهرجان الاعلان عن الشاي فى بادى الأمر كان يركز على الشاي فى ذاته مثل (الشاي منعش) (الشاي مهضم) حتى حقق الاعلان هدفه فأخذ المنتجون يسفرون عن وجوههم وشرع كل منهم يعلن عن (ماركة) أى الخاصة به .

ومن زاوية مصر أقول انتشر الشاي فى الريف والحضر حتى فدا مشروبا رئيسيا تدعمه الحكومة !!

وعدا تدعم المشروبات التى أتى بها الأمريكان .
وهذه وتلك تمثل نهبا اقتصاديا لمصر . وأستند الى الاحصاء .
عام ١٩٧٢ كنا نستهلك من الشاي ١٤ر٢٠٠ طن وفى عام ١٩٧٨ نقول الاحصائية اننا استهلكنا ٣٦ر٨٠٠ طن أى ضعفين ونصفا .

ولا أحاج هنا بالكليشيه التقليدى - « الانفجار السكانى » فنحن لم ننضاعف ما بين سنة ٧٢ ، وسنة ٧٨ ضعفين أو ضعفا واحدا . ان المسألة هنا الانفجار الاستهلاكى كما قلت سابقا ، ونوعية هذا التغير وسرعته ومداه مؤشرات الى تغيرات حضارية تحدث ببطء لانراه ، أو بسرعة تذهلنا ولكننا فى الحالين لانملك التوقف . . . التوقف عن المواكبة أو التوقف عن التفكير فالمسألة ليست سلعا تباع وتشتري ولكنها أعمق من هذا بكثير . . . انها محاولة تغيير اجتماعى وسياسى مرسوم ومحسوب . . . فلم يعد الغرب الحديث جيوشا ظاهرة تستفز المشاعر ولكنه يتزيا فى أبواب عدة ، وينغيا أهدافا بعيدة فالاستنزاف العقلى ، والتحول الاجتماعى ، والتطوير الشكلى ، والتحديث المظهري ، والتأثير الفكرى . . . كلها عمليات تسير جنبنا الى جنب فى محاولة « تغريب » أمم الحضارة القديمة وبليلتها وذبذبة مسارها بحيث تقف على الأعراف لاتنطلق فتحيا ، ولا تسقط فتموت ، فان الأمم العريقة تجمل قوة فى ذاتيتها تجعلها اذا أريد بها شر ، أو أريد لها الموت ، تنتفض انتفاضة قوية تعود

معها فتية من جديد وهذا ما يحيف أعداءها مهما بلغ قوتهم وبلغ ضعفها
•• فيعرقلون مسيرتها دون ان يميثوها ، ويمسخون سحنتها دون أن
يشعروها •

ان استيراد المشروبات او حتى الآلات والميكنة والمشروعات « تسليم
الامتاح » ليست خدمة أو نفل تكنولوجيا • ان الاضافة الحقيقية ماصنعتة
اليابان أى (صنع الموتور) • وبدون هذا يكون نقل الآلة تعويقا
لا اضافة بما تشكله من بديل عن التعلم واستنامة الى الراحة والتبعية
للدول المصنعة •

ان أفدح الخطر يكمن فى ضعف حكومات البلاد النامية التى توقعها
الشركات المتعددة الجنسية فى عملية تعميم نتجرعه أو تستسيغه بل
تستزيده بفتح صدرها للشركات المتعددة الجنسية والعمل على اجتذابها
كأنها موجبة لا سالبة •

وهنا تتعقد مشكلة المنقذين الذين يكونون عادة أو أغلبيتهم عداؤهم
مستحکم لهذه الشركات يؤرثه قلق دائم على حاضر الوطن ومستقبله •

وهنا نفوم الشركات المتعددة الجنسية ضمن ما تقتطفه من آثام
بتأريث البغضاء واصطناع التعارض والتناقض بين فئات المجتمع الواحد ،
طبعا •• وتطبيقا للقاعدة « فرق سد » فتسود الجميع غالبين ومغلوبين •

ان الشركات المتعددة الجنسية قواعد اقتصادية (وأوفرها عددا هي
الشركات الأمريكية ثم البريطانية والفرنسية والالمانية وهى درجات من
القوة تنفق تقريبا مع الأهمية السياسية لبلادها فى المعترك الدولى) وفى
أمريكا يحاربهها « رالف نادر » بلا هوادة منتصرا للانسان ضد
لا انسانيته •

ولهذا يصل امر حماية هذه الشركات الى حد التدخل العسكرى
الذى فصله « مايكل تانزر » ويمكن رصد أربع فئات من التدخلات
العسكرية لحماية هذه المصالح :

- ١ - التدخل العسكرى بالحرب الباردة مثل كوريا ١٩٥١ -
١٩٥٣ ، لبنان ١٩٥٨ ، جمهورية الدومينكان ١٩٦٥ - ١٩٦٦ ، وفيتنام
١٩٤٦ - ١٩٧٣ ، كمبوديا ١٩٧٠ - ١٩٧٣ ، لاوس ١٩٦٥ - ١٩٧٣ •
- ٢ - الامداد بالمستشارين العسكريين الأمريكيين والتسليح :

الصين ١٩٤٦ - ١٩٤٧ اليونان في الأربعينات ، فيننام ولاوس في
في أوائل الستينات ، بوليفيا ١٩٦٧ ، الكونجو ١٩٦١ ، أنجولا ١٩٧٥ .

٣ - التدخل النفوي في إيران ١٩٥٣ ، جواتيمالا ١٩٥٤ ،
وكوبا ١٩٦١ ، غينيا البريطانية ١٩٦٣ ، ويدخل في هذا الباب أيضا ،
العمل على تحريك الانقلابات العسكرية بالتخطيط الادريكي وثمة تدخلات
لا حصر لها في آسيا وأفريقيا اللاتينية .

٤ - الأحلاف العسكرية : الريو والسيرو والسنتو .

والمعاهدات الثنائية للدفاع المشترك مع كوريا الجنوبية ونايوان
وبرامج التسليح للحلفاء .

يضاف الى هذا تحريك العدوان العسكري من احدى الدول الحليفة
على الدول الأخرى وثمة أمثلة عديدة غير أن أكثرها أهمية هي الحرب
الاسرائيلية المتعددة ضد الشعوب العربية لحماية مصالح عديدة من أهمها
المصالح البترولية في الشرق الأوسط .

على أن التدخلات العسكرية ، لها أسباب أخرى تحكمها في حالات
أخرى ولكن الشركات المتعددة الجنسية أحد أسبابها الرئيسية وفي جميع
هذه الألوان من أساليب الضغط السياسي أو العسكري أو تدبير التدخل
المسلح والانقلابات العسكرية ، تتعاون الشركات المتعددة الجنسية مع
حكوماتها وغالبا ما تعتمد الى توريثها للتدخل ليعظم نفوذها هي .

ولما كانت الأسباب ينضم بعضها الى بعض ، فان هذه الشركات
« القنطرة » التي يعبر عليها عملاء أجهزة المخابرات الأجنبية النابعة
لبلدها الأم ومنظمي الحركات الانقلابية وخبراء النورات المضادة الى
المجتمع المحلي .

والشركات المتعددة الجنسية في عملية انجاح مآربها الوبيلة
(تستقطب عددا كبيرا من العلاقات الاجتماعية والشخصيات السياسية
العامة حولها) لتخديمها وتحريكها في خدمة أغراضها سترا لوجهها الكالج
والمكروه حتى ليسمى بعض الكتاب نشاطاتها المريبة « السياسة الخارجية
الخاصة » ويدخل في هذه السياسة الخاصة ، تهويت العملة المحلية
لتضغط على الحكومات ، والمساعدات المالية للأحزاب السياسية وتخطيط
الدعاية الانتخابية فضلا عن الرشاوى السافرة والمقنعة ، وتنظيم الرحلات
والزيارات وتمويل المدارس والجامعات ، وعضوية مجالس الادارة بها
وجمع المعلومات من خلال الأبحاث المشتركة . . . وخلق فوضى اقتصادية

تؤدي بالقطع والضرورة الى اهتزاز سياسى يودى بالاستقرار ويؤدي الى التفسخ فالانقلاب .

وفى عاصف من هذه البلبلة والزلزلة نلوذ الحكومات الضعيفة بالصمت أو قد تقترب بفتح بابها على معرايه لهذه الشركات الرهيبة وهنا يكون العلاج الأضمن والأمل ، غلى الباب باحكام .

وويل للدول النامية من البسبب المفتوح أو حتى الموارد حيث لاتجدى كثيرا صرخات المخلصين والمتحسين للخطر المحدق . فان هذه الصرخات تضيع فى الغابة فاذا سمعت فان الوحوش المفترسة تسخر منها حيث تعرف قدرتها على الافتراس . يقول «راى فيكر» ساخرا وهتبعها [اننا بحاجة الى اعادة توزيع ليس للنروة بل للتكنولوجيا التى يملكها العالم الصناعى . . . وملتقى التكنولوجيا يجب أن يرحب بتغيير أسلوب حياته وسواء شاء أم أبى سيكون عليه أن يتعاون تعاوننا وثيقا مع مانح تلك التكنولوجيا خلال فترة تدريب انتقالية ، تستغرق سنوات قد يسمى البعض من سكان العالم الثالث ذلك « استعمارا جديدا » فمرحبا بيمعتقداتهم أما غيرهم فقد يسمونه « تعاونا متبادل النفع » [أى شبلنى وأشبلك .

على أن هذه « التكنولوجيا » يشكل التسرع فى نفلها خطرا داهما فقد تتفادم بسرعة أو قد تتضح أخطارها الاقتصادية والمادية والاجتماعية كما أثبتت الدراسات خطر الخيوط الصناعية والتيفال والمبيدات الحشرية وغيرها .

ومع رسوخ هذه الظاهرة (سرعة تغير التكنولوجيا) تزداد تبعية الدول النامية حيث تلهت خلف المستحدث منها . . . فقد أصبح الأمر كله كالدائرة المغلقة : طلب مستمر على أحدث المنتجات (والاستهلاكية منها على وجه الخصوص) وعدم قدرة على تلبية هذا الطلب واللجوء الى الطريق الأسهل والأقصر وهو نقل تكنولوجيا جاهزة .

ان الابتكار المستمر لسلع جديدة مع أساليب الدعايه والاعلان الفعالة على مستوى عالمى تدفع مجتمع النخبة لأن يصبح صاحب مصلحة فى تأجيل التبعية لضمان حصوله على آخر المبتكرات . . . والعلامات التجارية تكرر التبعية لاعتياد المستهلك على اسم معين . لقد بلغت الدول النامية ، على الرغم مما تعانیه اقتصاديا ، حالا متطرفة من الاستهلاكية . . . وفى الواقع فان عصر (الاستهلاك المرتفع) حسب تعبير روستو ، قد حل بيننا جاة دون اكمال الشرط المسبق الواجب استيفاؤه وهو « التنمية رفعة » .

أن العالم الثالث لا يملك إلا عمل أبنائه وما عنده من موارد .
فإذا أراد أن يخرج من قبضة الفك المفترس فعلية الاعتماد على النفس
على المستوى الجماعي ثم على المستوى الإقليمي ثم على مستوى العالم
الثالث . . . الذي يجب أن يترابط أفراده كتلة ذات وزن مؤثر . . .

ان الاعتماد على النفس مع الاختيار والانتقاء في حدود الضرورى مع
الاستيعاب وقدره التعامل ينقذ من التبعية والاستغلال والاستقطاب .
يقول أوزفالد سنكل :

(ان عملية التنمية هي عملية مقلدة وخالقة في الوقت نفسه ،
تبنى على اختيار واع ومعتمد لما هو عالمي ، حقيقة ، في الحضارة والثقافة
الحديثة وعلى قدرة على التخيل واستخدام متميز للامكانيات السياسية ،
والاقتصادية والمؤسسة للمجتمع المعنى) .

تقول فينان محمد طاهر :

(أننا حقا لانملك زاهية الانتظار حتى تذهب الطفرات التكنولوجية
اللانهاية بهويتنا الحضارية تماما) .

ان النخبة المثقفة في البلدان النامية اذا لم تهيب الجماهير لمتطلبات
التنمية وتقدم لها . ولصانعي القرار تشخيصا صحيحا لأهم مشاكلها
الاقتصادية والاجتماعية من أداء مهمتها ، ومظاهر عجزها ، أما أن تنزل
عن مشكلات غالبية الشعب وتمعن في (التخصص والناقاة النظرية) . . .
أو تتقرب إلى النخبة الحاكمة وتصبح من أهل الموافقة .

على العالم الثالث ان يعي جيدا تجربة اليابان . ان العالم الثالث في
مجال نقل التكنولوجيا قلما اختار فقد كان مصدر التمويل يفرض عليه
أنواعا بذاتها من تكنولوجيته . . . أنواعا تضمن شدة الى عجلتها . . .

العالم الثالث ، قلما « التقى » وكلمة الانتقاء تفيد معنى البحث
الدقيق ، والعميق والشامل للأساليب الانتاجية المتاحة وتقدير آثارها
الفنية والاقتصادية ، وكذلك ما يترتب عليها اجتماعيا وحضاريا .

وتجربة اليابان في هذا الشأن مثيرة للتأمل فقد حرصت على الفصل
الكامل بين التكنولوجيا والتمويل . . . وبينما اعتمدوا اعتمادا كبيرا على
نقل التكنولوجيا منذ عشرات السنين ، الا أنهم لم يصرحوا ، بالاستثمار
الأجنبي الا منذ بضع سنوات وتحت ضغط شديد من الولايات المتحدة

وحلفائها وكانوا يجرون عملية الانتقاء من خلال مواجهة مستمرة بين
الخبراء الأجانب وزيادة المصانع في دول مختلفة قبل اتخاذ أى قرار .

ويلتقى دور الشركات متعددة الجنسية بدور المعونة المحددة
الجنسية . . الوجه الآخر للعملة الاستعمارية .

ان المعونات حتى في مجالات التحسين اليومي أو ميادين الخدمات
المباشرة لها غرض خبيء لا يفترق عن مآربها المخططة بحسب دقيق
فلاصلاحات في التعليم أو الزراعة ، إنما يقصد بهما : أما تمشيت
الظروف الثورية الكامنة أو مساندة الأنظمة الحكومية الممالئة أو ضمان
سداد الديون واخراج الفوائد ، أو ازالة القيود على الواردات حتى ينتعش
البلد قليلا ولو بالقدر الذي يلتقط فيه أنفاسه . . أو استقطاب
واستيعاب وامتناع الانفجار المكتوم .

وهذه المعونات تخلق جوا سياسيا واجتماعيا تتمتع فيه بعض
الفئات بامتيازات يتهدد استئصالها ، نظام الحكم ، فيغض عنها ،
أو يتحسس ردود فعلها عند كل قرار

ان وثيقة الأمم المتحدة الداعية الى اقامة نظام اقتصادى جديد ،
تدعو الى زيادة ما تحصل عليه الدول المتخلفة من معونات بحيث تقدم هذه
المعونات على حده نعيم الوثيقة عن طريق (المجتمع الدولى بأسره) وبغير
شروط سياسية أو عسكرية

ولكن يبدو أن الأمم المتحدة في واد ، والتحديات ، الأخرى في واد
آخر

كلمة أخيرة أقولها مصرية : ان الحضنات المصرية قام بنساؤها
الباذخ الشامخ على الجهود المصرية الخاصة والأموال المصرية الخاصة . .
قدماؤنا زرعوا فعرفوا الوفرة والتحرر من سلطان الحاجة . . فلم يجرؤ
مجترىء على المساس بالكرامة المصرية فى عهدهم . . وعرفوا الكرامة ،
فضائل النفس العزيزة على نفسها وعلى الحياة . . فان الجوع يهدد الأخلاق .
والامام الشافعى يقول (لا تستشبروا من ليس فى بيته دقيق فان عقله
غائب)

والمعونة تساعد على ابقاء الجوع باهمال أية محاولة جادة لزيادة
الانتاج وخاصة انتاج الغذاء ، والمثال عندنا (الوادى الجديد) الغنى بالأرض
الطيبة والمياه الجوفية ، وتشترب المعونة الغذائية ان تصرف للملاك الأرض !!

لماذا ؟ حتى لا يزرعوا .. حتى نستجلب غذاءنا .. ومن يستورد خبره
يصدر كرامته وارادته في المقابل ..

ومن هنا نفهم قول « مارشال » (الغذاء عامل حيوى فى سياستنا
الخارجية) ويقول « هيوبرت همفرى » (الغذاء سلاح سياسى قوى)
وهنا . يمكن للمعونة الغذائية أن تتحول بسهولة ، ولكن فى تكتم الى
مساندة مباشرة للجهود العسكرية الخارجية .

لا بد من الاعتماد على النفس اذا أردنا النجاة والحياة .

ادعاء النبوة

كأى مرض له سبب وله علاج . . . وهذا العرض المرضى موجود فى الغرب والشرق على السواء .

السبب هنا : غياب الدين عن الساحة . . الدين الجوعر لا المظهر . .

السبب : ضعف المناعة ، فالجسم الضعيف تهزما الفيروسات . .
وجسم المجتمع هنا تنوشه علل شتى ، وضغوط شتى تضعفه فكان من السهل اصابته .

السبب : غياب القدوة واقتقاد المتل الأعلى .

السبب : ضعف المسلمين وعزو البعض - خطأ وظلما - هذا الضعف الى الاسلام مع أن الاسلام على الجانب الآخر يخيف الاقوياء . لأنهم يحفظون جيدا أن الاسلام فى مبدأ أمره ، أزاح امبراطورية الفرس ، وأطاح بامبراطورية الروم . . ولم يكن أتباعه أو جنوده فى ذلك الوقت . الأعلام او الاغنى أو الاكثر عددا وعدة بل العكس هو الصحيح .

السبب : الكلام المتوسع عن خوارق الأولياء مما يغرى بالولاية وادعاء الخوارق ثم نطور المسألة الى ادعاء النبوة من البعض فضلا عن رسوخ المبالغات التى تبلغ حد الأساطير فى وجدان العامة فتقع فريسة لأدعياء الولاية ثم النبوة . ويكون التصديق واردا من طول ما سمعوا بل شاهدوا على الشاشة فى مواسم الموالد من خوارق فى هالة من البريق .

السبب : أسلوب التعليم فى كافة مراحلها مما يستوجب تغييرا جذريا فى مناهج المدرسة المصرية .

السبب : أسلوب المسجد والكنيسة الذى يحصر نفسه فى الحلال والحرام غافلا قضايا العصر ونبضه الحقيقى الذى تتعطش الجموع الى الوعى به وتستشرف الى ثقة يبصرونها به . . على أن الدين فى جوهره ، إنسانية وارفة الظلال أكبر كثيرا من الحلال والحرام .

لقد نصرف بهرولة امام العادلين عمر بن الخطاب مرتين :

الأولى : فى عام الرمادة حين لم يقم حد السرقة على الجائع .

والأخرى : حين اهنع عن ارضاء المؤلفمة قلوبهم بما ألفوا فى عهد

الرسول عليه السلام وعهد الصديق أبي بكر رضي الله عنه . . . فقد رأى أن الإسلام وقد رسخت قدمه وذاعت دعوته ليس بحاجة إلى تأليف هؤلاء .
ان الدين رحابة أفق ولا يشاد الدين أحد الا غلبة . . . ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى .

السبب : الفساد المستشري مما يقابله على الجانب الآخر ، التزمت الشديد أو التطرف الشديد ، لونا من الدفاع عن الذات أو حماية الذات أو الخوف في صور شتى وفقا للقاعدة (كل فعل له رد فعل مساو في القوة مضاد في الاتجاه) وفي هذا الجو تختلط المعاني والأفكار والتصرفات ، وتفزع الادعاءات في جو مشحون بالرغبة في الخلاص .

السبب : أن الإسلام مستهدف وهصر مستهدفة وهي بهذا ، مستهدفة مرتين : **وطنا . . . وقلعة للإسلام . . .** وهنا يأتي التغريب والتحديث أسلوب الاستعمار الجديد ، يشكك انسان الحضارات القديمة في ذاته واعتقاداته وقيمه وموروثاته جميعا في عملية زلزلة كيانه ، وبلبلة وجدانه وإيقاعه في محنة الاختيار بين حضارته وحضارة الآخرين . . . هذا الانسان الممزق يسهل انقياده وتطويعه للغرب أو للمشرق . . . لأدعياء سيادة الحضارة الحديثة ، أو أدعياء نبوة الدين . . .

والعلاج : صياغة مبسطة ومشرقة للإسلام في نسقته الأعلى بحيث يكون قريب المأخذ شديد الأسر يفعل بالنفوس المكروبة والمحروبة والحائرة ما فعله بأهل الجاهلية الأولى من نقلة حضارية تعد بكل المقاييس نقطة تحول في تاريخ العالم فقد غدت القبائل المتصارعة : أمة ودولة وحضارة وسيادة .

العلاج : غربلة التراث وتنقيته من المدسوسات . . . وفي مقدمتها ، الاسرائيليات وكم عانى الإسلام من « ابن كموه » وغيره مما شقى علماؤه في تفنيد مزاعمهم كرسالة « الشيرازي » وكتاب (الدر المنضود في رد فيلسوف اليهود) لظفر الدين البغدادي المعروف بابن الساعاتي . ومنها كتاب « المارديني » الذي كتبه سنة ٧٥٣ هـ « ومنه نسخة في روما » .

وعند تنقية التراث مما علق به ، تتعامل معه مطمئنين ، في معاصرة وأصالة تقضيان بالاستمداد من الماضي ، والامتداد به إلى الحاضر في استشراف إلى المستقبل فمن لا ماضى له ، يتيم حضاريا ، فقير معنويا وإن كان أغنى الأغنياء .

العلاج : تغيير المدخل الديني إلى الطفل . . . وقد فصلت هذا في لجنة المناهج الدينية بوزارة التربية والتعليم التي تضم صفوة ممثلون الوزارات المختلفة والقطاعات المختلفة ، فقد طرحت بحكم عضويتي ، رؤية موضوعية

كانت موضعا لدرس جامع ركزت فيها على الأخذ بمبدأ (الاختيار) لا التتابع في حفظ القرآن الكريم . في « الاختيار » نبداً بآيات الطبيعة الجميلة حرفاً ووصفاً . . . الجميلة معنى وصورة . . . مثل (والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها ، والنهار اذا جلاها ، والليل اذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها) .

وآيات الدماعة في سورة الضحى « فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر » .

أما أحكام الطلاق . . . أما مشاهد القيامة فليست في هذه المرحلة . . . ليست لبراعم غضة نقية الصفحة .

العلاج : عدم التكفير لفتح باب الأمل والثبوة والعودة الى الجماعة فالامام أحمد بن حنبل الذي أخذوه بتصرفات أنبأه ، ونسبوا اليه التشدد ، كان يرى أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر ولا هو في منزلة بين منزلتي الكفر والايمان وأيضا ليس معفوا عنه وانما عليه أن يتوب . لقد تخرج الامام أحمد بن حنبل رقيقا دمثا من قوله : حرام حلال . . . حرام . . . حلال . . .

كان يتورع من قولها شأن الأئمة العظام ويكتفى بأن يقول :

هذا أكرهه أو هذا أحبه . . .

سئل عن بيع الماء فقال : أكرهه وهو يريد أنه حرام . . .

وكان الامام ابن حزم يرى الفضيلة وسطا بين الافراط والتفريط وكلاهما مذموم . . . وانما الفضيلة بينهما حاشا العقل فانه لا افراط فيه . . .

والتفاصيل هنا كثيرة نرجئها الى مجالها . . .

وأرى أن سنن قانون للردع في موضوعنا الراهن ، منتهى الخطورة . . . ان تخديم القانون في قضايا العقيدة ، أمر شائك لعدة اعتبارات .

ان الاسلام لا يصادر ولا يلغى . . . فهو يأمر بالجدل بالتي هي أحسن وهو الذي ينص في كتابه الكريم : (انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) . ويقول (لست عليهم بمسيطر) اعمانا في احترام الارادة ويقول (وهديناہ النجدین) وهما لغة ، طريق الخير وطريق الشر . . . حتى الكافرين قال في شأنهم (قل يا ايها الكافرون ، لا أعبد ما عبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . . .) في احترام للارادة على الجانبين وانتهى بقوله : (لكم دينكم ولي دين) في ارتفاع وامتناع . . .

ان الحججة تقارع بالحجة ، والرأى يصاول بالرأى . . والقانون العام
ينطلى الردع من زاوية الحكم على الضال المضلل ، ومن زاوية النصب
والاحتياط وهى درجة خفيضة خافضة .

بينما لو حاكمته فكريا ، سلكته فى عداد اصحاب الفكر وهو ليس
منهم وكم بين الثرى والثريا

العلاج مرة أخرى وأخيرة ، **مراجعة حساباتنا كلها** فى شجاعة أدبيه
لا تتنصل من المسئولية فكلنا بشكل أو بآخر ، مسئول عن انحدار القيم ،
واختلال المفاهيم ، واهتزاز المقاييس .

نريد حلولا هادئة فى محاولة اتقاء فتنة لا تصيب الذين ظلموا منا
خاصة . . . ومصر لها سالفة فى هذا ، ففى القرن السابع الهجرى عندما
كثرت فيه الفرق والنحل واستشرى الخلاف بينها واذا حزب الأمر ،
تطلع الاسلام والمسلمون الى مصر لتحسم الموقف كدابها فى الأزمات
الكبرى فاتفق رأى العلماء على رجلا الشيخ تقي الدين السبكي ليوفق
بين المذاهب الأربعة ويخرج منها بالنفاذ المصرى واللمح المصرى والوجدان
المصرى مذهبا ينقاد الناس له ويركنون اليه ويقرون عنده .

ولو لم يكن هذا الميل الى التوفيق مصرى فقط فى هذا الشاهد فانا
لنجد كما يقول الأستاذ الخولى (هذا الميل المصرى للتوفيق بل الدعوة
اليه ، يتجه اليها صوفى مصرى بلدى السبكي هو الشعرائى) وهو أصل
فى الفقه فوق كونه صوفيا من الطراز الأول ، وقد حاول التوفيق بين
المذاهب الأربعة كمحاولة التوفيق بين أهل الكشف والعيان وأهل النظر
والاستدلال . . . ويقول الباحثون الغربيون انه مصلح يكاد الاسلام لا يعرف
له نظيرا (وحسبنا تزكية لميل البيهة المصرية الى هذا التوفيق الفقهى
الذى لا تسمع فيه لهذا العصر صوتا أجهر من هذا الصوت) .

هذا الأسلوب الحضارى هو طابع مصر عندما يحدث الخلاف فيتوب
الضال ، ويثوب الرشاد ، ويفى اليقين .

٨ مارس يوم المرأة العالمي

اعترض على تخصيص ٣٠ مقعداً للمرأة في مجلس الشعب

الحضارة المصرية المعروفة فقط لمن عمرها نحو ثلاثين ألف سنة لا سبعة آلاف فحسب كما يتردد . ان سبعة آلاف انما هي عمر الحضارة المكتوبة أي عمر الكتابة الهيروغليفية التي اخذت عنها الفينيقية اوجدتها ، وتبعها اللغات الأخرى . هذه الحضارة العريقة يعزوها بعض المحللين التاريخيين الى المرأة المصرية . ففي رأيهم انه لولا راحة الرجل المصري في بيته لما أعطى هذا العطاء كما . . وكيف . . خارجه .

على أن المرأة المصرية أعطت بنفسها أيضاً لا من خلال الرجل فحسب فقد شاركت في الحكم ملكة هي حتشبسوت . وشاركت في العلم حيث سجل معبد سننوت الأول أنها كانت ثقيلة للأطباء وهو ما لم تظفر به المرأة الى اليوم حتى في بلاد الذين يسمون أنفسهم العالم الأول والآخرين العالم الثالث .

وشاركت في الكهانة وهي في مصر القديمة تعني قمة الأسرار العلمية ، ومعبد « أبو سمبل » يسجل للمملكة نفرتاري أنها تمسك بآلة السنستروم الموسيقية في سميت الكاهنة

واشتركت المرأة المصرية في تنظيم المقاطعة السلبية ضد العدو بل شرعتها من خلال الملكة تشمري التي جمعت المضربات وقالت :

« نحن على رجالنا حرام حتى يظهروا مصر من الهكسوس » .

أعلنتها في « طيبة » الأقصر اليوم ، حينما كان الهكسوس في « صان الحجر » في الدلتا فلم يجد الرجال بدا من التحضير للمعركة وتقدمهم زوجها الملك سقن رع فلما قتل دفعت الى المعركة بابنها « كامس » فلما استشهد كان ابنها الوحيد الباقي « أحمس » لم يتجاوز السابعة عشرة فأشار القواد بعدم المخاطرة ولكن الملكة المصرية أصرت على مواصلة المعركة قائلة ان صغر سنه أعون على النصر اذا قسم الجيش نفسه خمس فرق تختبئ ثلاثة منها ويتقدم أحمس على رأس فرقتين

«مُحْسِنٌ جَتَى يَسْتَهِينُ الْعَدُوَّ بِقَلَّةِ الْعَدَدِ وَصَفْرُ سِنَّ الْقَائِدِ فِيهِجَمُ عَلَيْهِ ..
وهنا تظهر الفرق الثلاث وتطوق الأعداء ..»

.. وكان

وطهر «أحمس» مصر من الهكسوس ، كما أرادت .. أخرجهم من
مصر ومن التاريخ كله فلم يعد لهم ذكر بعد نصره العظيم ..

وقد سجل هذا النصر على معبد الكرنك قائلا : ان الفضل فيه بعد
الله ، يعود الى الملكة العظيمة تتشرى ..

لا أدل على مكان حضارة من مكانة المرأة فيها ..

وقد أعلنت الحضارة المصرية مقام المرأة المصرية والدليل قائم في
المتحف المصري حيث يتصدره تمثال أمنحتب الثالث ، يسامته بالحجم
نفسه تمثال الملكة « نبي » حين تعمد الفنان ألا يتجاوز الأبناء ارتفاع
الركبة للأبوين . إشارة الى الاحترام و الى النسبة فيه ..

الدليل على مكانة المرأة المصرية ، قائم في معبد الدير البحري ،
للملكة حتشبسوت ..

ومعبد « أبو سمبل » للملكة نفرتارى ..

الدليل قائم في فنون الزينة عند المرأة المصرية فهي لم تكن ممتهنة
أو مبتذلة أو متواضعة القدر .. لم تكن ركيكة تلتمس الضروريات بل
رقيقة تتحلى ، وتتجمل ، وتتعطر ..

الدليل قائم في وصايا الحكيم المصري لابنه أن يرعى زوجته
ويغدق عليها الحب والمال معا ويوفر العطور لمظهرها كالطعام لجسمها ..

الدليل قائم في التشريع المصري الذي كان يخص الزوجة بالمرث
كله حتى لا تحتاج ولو الى أبنائها أنفسهم .. ولم يظلم بهذا الأبناء ..
فخصيهم محفوظ من خلالها حياة .. وبعدها عند تمام الحياة ..

أعلنت الحضارة المصرية المرأة المصرية حتى جعلت منها الالهة كل

معنى جميل ..

فايزيس رمز الأهومة والحنان ..

وهاتور رمز الجمال والحب ..

وسيشات الهة الكتابة . . ولم يجعل بلد آخر غير مصر للكتابة الهة . وزوجت مصر الهة الكتابة من اله الحكمة في احسناس دقيق ورقيق . . وثيق وحقيق بما بين الكتابة والحكمة من صلات وسمات . . ولم تكن ايزيس مجرد أسطورة . . لقد أصلت معانى الأمومة . . والوفاء . . والاصرار . . والاستعلاء على المحنة . . وقهر الصعب وهى صفات الانسان المصرى عند البأس وفى الشدائد .

وقد مست ايزيس بهذه الصفات النسوانغ أعماق الوجدان المصرى . . حتى ان مصر حين اعتنقت المسيحية كانت تتمسك بالأم بحس بعبد من ايزيس حين كان العالم المسيحى ، يرمز للمسيحية بالصليب . . وحين نقيمت مصر على الأيوبيين ، ترجم هذه النعمة القاص الشعبي ، فصور البطل فى قصة (على الزبيق) مدينا لأمه التى رعته ونسجته نسيج الأبطال وقد فعل هذا بحس بعيد من ايزيس وابنها حورس حلم مصر بالمخلص .

وحين خاضت مصر . دفاعا عن المسيحية . معركة الشهداء . . لم تغب المرأة المصرية عن ساحة البطولة فتاريخ الكنيسة القبطية يزخر بالنساء اللاتى نذرن أنفسهن لله واضطلعن بتضميد الجرحى ورعاية اليتامى والعناية بالمسجونين .

تاريخ الكنيسة المصرية يزخر بالقدسات .

وقد أهدت مصر فى المسيحية للمرأة دير سانت كاترين . وجاء الاسلام . . فالتقى مع مصر فى :

● احترام الزوجة التى جعلها سكنا وأمانا وعدل النفس والروح [ومن آياته : أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة] .

وفى قراءة أخرى (من أنفسكم) بفتح الفاء .

وكما كان يقول المصرى عن زوجه : أختى وشقيقة روحى . نلتقى فى القرآن الكريم بالآية « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » .

● احلال الأم مكان الكرامة الى الحد الذى جعل الجنة تحت أقدام الأمهات .

ان الحضارة الاسلامية هى احدى اثنتين كرمتا المرأة :

١ - الحضارة المصرية كما أسلفنا .

٢ - الحضارة الاسلامية .

لقد كرم الاسلام المرأة بما لم ترق اليه القوانين الموضوعه الى اليوم
والتي تتغنى بانصافها .

أعطى الاسلام المرأة المسلمة :

● حق الانتخاب منذ اربعة عشر قرنا ، هذا الحق الذى لم تنله
الا أخيرا . بعد ثلاثة عشر قرنا من سبق الاسلام .

● حرية التصرف فى مالها .

● وجوب تعليمها حتى ليفخر الامام الشافعى أحد الأئمة الأربعة
بأنه تلقى العلم على السيدة نفيسة .

● تولى المناصب حتى أعلاها حيث أنتى على ملكة سبأ وسجل
لها صقل الخطاب .

● حق ولاية القضاء . . زكى هذا كل من الامام أبى حنيفة . .
وابن حزم .

بل سجل الحافظ الذهبى فى تاريخه نمائة وثمانين اسما ممن
نصرون للافتاء .

بل اشتركت المرأة فى واحة اليرموك وكان لها نصيبها فى
الغنائم .

● سوى الاسلام بين المرأة والرجل فى الحقوق والواجبات . .
والثواب والعقاب . . والجلسة فى جنة أعدت للمتقين .

وما يثار عن وضعها فى الميراث والشهادة والتعدد : يرد عليه .

الميراث : جعل الاسلام ، حماية لها وصونا . واعزازا ، نفقتها
على الرجل أبا أو زوجا أو أخا ولو كانت غنية ، حين جعل نفقة الأولاد
على أبيهم كما جعل نفقة الأقارب الفقراء على الرجل دونها . . فهى
بالنصف المعفى من الالتزامات ، أوفر حظا ، منها بالنصيب الكامل المحمل
بالتبعات القرية والبعيدة .

الشهادة :

عرف الاسلام ، للمرأة ، تفانيها فى الأمومة الى الحد الذى يجعل

كل ما عداها في الدرجة الثانية اي في المكان الذي يجوز فيه النسيان
بدليل الآية (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين
فرجل وامرأتان ممن نرضون من الشهداء ان تضل احدهما فتذكر
احدهما الأخرى) .

كما عرف الاسلام طبيعتها العاطفية . . والعاطفه تلون المراثيات
بالوان مشاعرها فتضخم الحدث أو تحججه . . فلكي يبين القاضي
طريق الحق لابد من شهادة اثنتين حتى يعنه الالفاء أو الاختلاف على
كشف الحقيقة .

أما تعدد الزوجات فقد جاء الاسلام في بيئة نفسى فيها النسرى
بالعشرات والتعدد .

والاسلام في قضايا هذه البيئه يبدأ بالواقعه وينتهى الى المالىة
. . فعل هذا في نحریم الخمر خطوة خطوة كذا فعله في قضية الرق
والرقیق . وكانت نظاما اقتصاديا . فلم يمر به في اغضاء — كما فعلت
الأديان الأخرى — بل طرقة فسوى بين الرقيق وسببه في المعاملة .
والطعام والملبس والحقوق والواجبات الا في ولاية الامر .

كما حمل المسلمین على العتق لأوهن الأسباب .

كالحنث في اليمين . . والكفارة . . وغير هذا . بل تجاوز قاعدة
اعتبار الثلث في الوصية اذا كانت تمنا للرقیق ولو كانت المال كله .
وجريا على عادته واجه قضية التعدد باجازته ، رعاية لأزمته الحروب
التي يكثر فيها ، أو حالات المرض العضال أو العقم وفيما عدا هذا حرمه
حين رسخ انتفاء العدل بين الزوجات ولو حرص الأزواج .

نخلص من هذا الى أن المرأة ند للرجل وموضع احترام وثقة ديننا
وحضارتنا ، وهنا لا يجب التفضل عليها بعدد محدد من الكراسى في
المجلس النيابى ولكن يطلق الأمر ، أى تطلق حرية الاختيار للناخبين .
هذه الحرية هي التي نتقبل منها وحدها ، أى عدد تأتي به .

باب الفن

الفن •• ما هو ؟

يسمى الناس المنفاني في الذكر « مجذوبا » ثم أطلقوها بعد هذا في غير موضعها فكل من سخرها منه ، سموه مجذوبا •• مع أن المجذوب هو الذي أعطى بلا نردد في الرجوع •• اختار •

والفنان الحقيقي هو الذي اختار •• اختار أن يضع نفسه في مجال الخلق وأن يجعل من نفسه مرقبا ومنطلقا للتشكيل •• للبناء •• للتشوف الى الرائع والجميل •

البالية أي شعر المسرح •• البالية بالمعنى الانساني معناه رفاهة الحركة ورفاهة الخطوة في عملية تعبير بغير حروف ، وكل فنان تشكيل داخلة راقص مستور يظهر في خطوط التمثال أو المثال •

لقد عرف (جوته) العمارة بأنها موسيقى في الحجر •• الحجر الذي يتشكل صوراً شتى وليس جامدا كما يظن البعض ، وان من الحركة أن يتحرك رأيه فتبدو له زواياه وأبعاده •

والنحت فن تحسيس الكتلة بأعماق الوجدان وكأنها تحت عصف قوى أو موج شديد ولكنه انساني • الوجدان هو ادراك قلبي للمعنى الوجود •

وحين لا يستطيع الانسان قراءة روائع الأدب في لغاته كلها ، يستطيع أن يقرأ الفن التشكيلي في كل مكان من العالم •

وفن الموسيقى كان في مصر القديمة جزءا من طقوس المعبود • ومن مصر القديمة انتقلت الألحان بأسمائها الى الكنيسة المصرية • وأوربا يقرر الدارمسون فيها أن أجمل موسيقى كنسبة في العالم هي موسيقى الكنيسة المصرية وهي نفسها موسيقى المعبود المصري بأسمائها الهيروغليفية الى اليوم كاللحن السنجاري واللحن الاتريبي •

وكان الاغريق (يعنقدون أن للموسيقى قوة سحرية ، شأنهم في ذلك شأن العالم الشرقي ، وقد عبروا عن تلك العقيدة تعبيراً رمزياً في أسطورة أرفيوس الجميلة التي تروي كيف خرق أرفيوس بفنائه الرائع

قوانين الطبيعة ، وروض الأوباد ، وأنقذ زوجته يوربدلس من برائن الموت (١) .

وأرسطو قال بعلاج الموسيقى فى حالات النور العصبى وأفلاطون اوصى بأن « نقام الدولة المتبالية على أساس من الموسيقى . ، وألا يسمح بأى تغيير فى قواعد الموسيقى التقليدية حتى لا يؤدي مثل ذلك الانحراف الى تغيير خطير فى الدولة ذاتها أيضا) .

وقد سبقه الى هذا الرأى ، كونفوشيوس فى الصين : وينضم اليهما المؤلف الموسيقى الكريتنى ثاليتاس و « ليكوجرج » مشرع اسبرطة فى القرن التاسع .

ومن الطريف أن دلفب عراف الاسبرطيين نصحهم سنة ٦٥٠ ق م بحين عمت الفوضى المدينة أن يعينوا « ترباندار » الموسيقى لكى تهديء الحانه الناس .

والموسيقى من خلال شعراء التروبادور الذين تأثروا بالموسيقى الغربية والشعر العربى ببجوره وقوافيه والحضارة الاسلامية فى الأندلس ارتفعت بتقاليد الفروسية فى أخريات القرن الحادى عشر وكانت نقلة كبيرة من فنون القتال ومعاقره الخمر الى فنون الشعر والموسيقى والحلقيات الكريمة من شهامة ورقة الأسلوب ودمانة الأساوب .

وبعض الأمم نعتبر موسيقاها جزءا من وجودها وملمحا من ملامحها لا يجوز تغييره . فالصين تحتفظ بسلمها الموسيقى القائم على اثنى عشر نصف صوت طبيعى (غير معدل) وغير محدد (Lus) ، وهو سلم تعزوه الأساطير الصينية الى ثلاثة آلاف عام .

وكالصين ، الهند فمند أن كتب بهاراتا رسالته بالسنسكريتية عن فنون المسرح والموسيقى من بينها ، وكان ذلك منذ اربعة عشر قرنا ومع هذا ظلت الهند متمسكة بهذا النمط القديم من الموسيقى ذى الأبعاد الصغيرة strutis التى تتكون منها الأصوات الكاملة وأنصاف الأصوات ، ما زالت الهند متمسكة بسلمها الموسيقى وإيقاعاتها اللحنية المميزة .

والموسيقى العربية والقارسية والتركية تجسغ نقل استخدام آلاتها التقليدية : القانون والعود والنأى والدف والربابة والأرغول والمزمار والطبول .

(١) اقرأ كتاب (تراث الموسيقى العالمية) ، ناليف كورت زاكس .

ان الفن الرفيع ، تفسر للدين ومقدمة موسيقية له بما يوقظ الروح
ويفتح القلب لتلقى رقائق المعاني لتطرح فى النفس وردا *



أن تخلق الفن عبادة روحية وتطهر • ان الغنى بما تحتويه لا بما
تشتريه • ان الذوق تجربة مباشرة • والفن الرفيع لا يولد الا حين
تتطهر نفس الفنان من الشوائب •• من الاهتمامات الصغيرة فى حياة
كل يوم •

والفن بهذا المفهوم ، أصبح فى المنفى • هناك كما قلت يوما ، عملية
طرد للفن •• ليس له فى المجتمع المادى وظيفة أساسية • السائد اليوم
هو فن الاعلان وفن الترفيه بينما الحياة الأصلية وثيقة الصلة بالفن تعطيه
ويعطيها بينهما زواج سعيد وانجاب رائع •

فرق بين الدعوة والاعلان ••• الدعوة فن تبصير ، والاعلان فن
تغريب •• فن التسلسل من وراء حدود الوعى البشرى والتمكن من ارادة
الانسان بحيث يريد ما لا تريد •• وبهذا يكون الاعلان عدوانا على
الانسان العصرى •

ان الحضارة الحديثة اعتداء على الانسان بتلويث الجو بالدخان ،
وتلويث الصمت بالاعلان ، وتلويث الاطمئنان بالقنبلة الذرية •

وحالة الفن اليوم يحمل وزرها ثلاثة :

– فرويد القائل بسلطان الغريزة •

– ماركس الذى أخضع كل شئ للمادة حتى التاريخ فسرهم تفسيراً
مادياً •

– نيتشه داعية القوة •

هؤلاء الذين قالوا بالغريزة والمادة والقوة ، بينما الفن روح مجنحة ،
وكرامة النفس الانسانية وتكريم لها • انه للانسان وجوده النفيس •

لقد كان أفلاطون يقول ان الموسيقى ، منطق الخلق حين يتسق مع
الحالق وهذا هو معنى الفن •

و « يونج » يقول (ان النفس كل متكامل وان الواجب العناية
بنواحيها كلها والاقتل الجراء الحشن الاجراء المصقولة •• ومن هنا نفهم
أزمة الانسان المعاصر ، فهذا الانسان عنيت التربية بذهنه دون وجدانه
فعجز عن ايجاد المعادل المعنوى للتقدم العلمى •

كتبت يوماً - ٢٥٧

ان البحث العلمى الحقيقى تجربة وتجرد وعصرنا امتاز فى الأسلحة ومنها التليفون والبرق والتليفزيون ٠٠٠ الخ ، ولكنه يفقد القيمة التى نتركز فى الدين والفن والفضيلة •

وقد تنوعت فنون الانسان لأن روحه لها من الاشعاعات ما لا حدود له ٠٠ ومن هنا التعدد فقد يجسم الشكل ما لا يدركه اللفظ ، وقد يصور النغم ما تضيق عنه القوافى •

وليس التكامل وحده بل فى الطبيعة نتلاقى الأضداد أيضا وتتحدد الاختلافات ٠٠ والفن مقدمة للطبيعة •

فرحة أن ترى النلاقى فى التضاد •

ان الفن يعلمنا هذه الرؤية ٠٠٠ الفن حنين نحو الكمال ٠٠٠ التضاد فصوص البرتقالة ٠٠ تكوين وتكميل ٠٠

ما معنى الآية الكريمة (وعلم آدم الأسماء كلها) ٣١ م • البقرة أى علمه التعاطف مع الوجود كله ٠٠٠

والآية الكريمة (والذين اهتدوا زادهم هدى) إشارة الى اعادة تفسير الدين وعيشه معايشة متجددة أو كما يقول اقبال فيلسوف باكستان : (انك لا تفهم القرآن فهما صحيحا الا اذا استنزله عليك من جديد) •

ان المنظار والتلسكوب مع كل قيمتها العلمية ، وسائل للرؤية البصرية ولكن الرؤية الحقيقية هى الرؤية القلبية • وهذه تتطلب مجهودا ذاتيا معنويا لا تستطيع علوم الدنيا كلها أن تعطيه لفاقده •

ان عالم النبات مهما علم عن الشجرة فان علمه لا يتم الا اذا علم المعنى الوجدانى الكونى للشجرة ٠٠ وهنا تسمع النفس الشفه نداء الآيات :

(ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبت فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) سورة البقرة آية ١٦٤ •

(ان الله فلق الحب والنوى ، يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ، ذلكم الله فأنى تؤفكون • فالى الاصباح وجعل الليل سكنا

والشمس والقمر حسبنا ذلك تقدير العزيز العليم • وهو الذى جعل لكم
النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون •
وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات
لقوم يفقهون • وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء
فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان
دائية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى
آياته اذا أثمر وبنعه فى ذلكم آيات لقوم يؤمنون) •

سورة الأنعام - الآيات ٩٥ - ٩٩

حين تحدث ابن سينا عن أقسام العلوم العقلية عرف الحكمة بأنها
صناعة نظر يستفيد منها الانسان تحصيل ما عليه الوجود كله فى نفس
الانسان وما الواجب عليه عمله مما ينبغى أن يكتسب فعلا لتشرق بذلك
نفسه وتستكمل وتصير عالما معقولا مضاهيا للعالم الأول وتستعد للسعادة
القصى بالآخرة وذلك بحسب الطاقة الانسانية •

ما أصدق « نيوتن » فى قوله :

نحن فى علومنا كأطفال يلعبون بأصداق على شاطئ البحر ••
والبحر فى أعماقه ملآن بالآلىء •
ان الفن أدبا أو موسيقى أو تشكيلا هو اناقة المبنى ولطف المعنى
ونصاعة الكل •

حشد من الذخر والبشر حيث تنبثق الراحة من فرط الدقة ، وتكسو
البساطة ، غزارة التركيب •

والمتسرع فى الحكم على العمل الفنى ظالم لنفسه •• ظالم للفنان
فى وقت واحد • ان الثرثرة والقاء الأحكام بلا تثبيت ، تزحم السكون
بالضوضاء فلا يسمع المشاهد الأصوات الدقيقة الهامسة الآتية من أعماق
النفس ، متلاقية أو متوازية ولكنها متعابة • استماع قلبى صاف الى
كلمات بغير حروف هذه الكلمات مادة لحياتنا فى العلم والفن والدين
نصوغ منها بمختلف المواهب صوراً شتى يستطيع الفنان أن ينفذ اليها ،
لأن الفنان الحقيقى قلب كبير •• وعين نافذة يطل منها على عوالم شتى ••
لهذا يعتبر الوجود الفنى هو الوجود الانسانى الحقيقى •

مصر الدين والفن .. هل نعرفها ؟

هل نعرف مصر ؟

كلامنا عن مصر ما أكثره وما أقله .

- نتشدد كثيرا باسم مصر .. وننفذ قليلا الى ما وراء الحروف
 - والوطنية الرفيعة أكبر كثيرا من الكلام ومن الأغاني والشعارات
- انها علم بالوطن

وعطاء

وانتماء لس من سجلات المواليد ولكنه أسلوب .. وادراك .. وايدان .

وفداء بالنفس .. والمال .. والمنافع الزائلة مهما بلغ اغراؤها .

ان الهتاف وطنية البسطاء .. والشعارات املاء على ارادة الانسان ، الغاء لشخصيته ..

ولكن الوطنية علم بالوطن .. أتحدث عن البعد الأول للوطن .. فالتعصب للمكان يسشعره الطائر مع عشه ، والفار مع جحره ، والأرنب مع وجاره ، والأسد مع عرينه .. ولكن العلم بالمكان هو الرباط الحقيقي .

وقد ارتبط المصريون في عصور زهو الحضارة المصرية بأرضهم ارتباطا في فنونهم ومآثورهم .. ظهر في صناعاتهم وفي علومهم .. ارتباطا طبع حضارتهم كلها .. فلم تكن هجينا أو خلطا أو تخليطا بل كانت من عز التأصيل ، علامة في تاريخ الانسان في كل مكان .

ومن الأصالة ، الطابع والروح وهما أسلوب شخصية .. تتعدد الطرز من عصر الى عصر وتظل الروح واحدة .. فمصر قبل الأديان .. ومن قديم الأزمان ، كانت مؤمنة .. وغدا الايمان لها طابعا ..

الوجدان الديني من مقسومات الشخصية المصرية حتى حين كان الانسان المصري القديم ملكا عظيما فله اله يترضاه بالقرابين والمعابد والعبادة بل كان الملوك يستمدون عظمتهم بنسبة أنفسهم الى الآلهة وأنهم من نسلها .

وليس اعتباطا أو مصادفة ، وقوف مصر وراء الأديان • احتضنت العذراء المسيح ، واحتضنت مصر المسيحية نفسها •

ومكنت الاسلام في الأندلس تسعة قرون ما بين أوج القوة وهواد الضعف ثم خرج - حكما لا حضارة - ولكنه في مصر وقف على أرض صلبة بما فيه ، منها ، أرض قوية عز فيها بناؤه وبقاؤه بما أمده بيئتها الحضارية من مقومات الازدهار بسابقة الحضارة وسالفة التاريخ •

الطابع هو عز الشخصية لأنه التفرد والامتياز •• وبدونه تغدو وحدة عديدة في جمع متكرر متشابه •

حين بنت مصر المعبد والمسلة والهرم ، غدا الشموخ ، والارتفاع ، وأحلام الصعود ، والتوق الى فوف ، لها طابعا واسلوب بناء واسلوب شخصية •

فلما اعتنقت مصر المسيحية ، وآمنت بالاسلام ، وبنت لهما ما بنت ، فعلت هذا بأسلوبها هي •

كان تأكيد الاسلام للمساواة وراء الخط الأفقي في العمارة الاسلامية بما في الأفقية من تواضع وقبول حين يعين الخط الرأسي على ترفع الارتفاع ، ويمد له في المباهاة •• ومضت المساجد الاسلامية في البلاد الاسلامية تقلد مسجد المدينة بأفقيته وبساطته ولكن مصر ما لبثت أن أعملت شخصيتها فارتفعت الأعمدة والايوانات في مسجد السلطان حسن ، رائعة العمارة الاسلامية وقمتها ، حتى عده أساتذة العمارة في الغرب : هرما اسلاميا •

مرة أخرى أقول تتعدد الطرز وتظل الروح واحدة •• بى شوق الى الوقوف طويلا عند مسجد السلطان حسن في مقارنة بينه وبين المعبد المصرى دون أن يحاكي ••

فالمدخل الضيق في المعبد في عملية تحضير للنفس تنفتح بعده على بهو الأعمدة •

يقابله المدخل الضيق في المسجد الذى ينهى بالصحن حيث تتصل الأرض بالسما •

وينشرح الصدر ويتفتح القلب ••

وكان الزائر سلم •

وقدس الأقداس في المعبد ، يقابله القبلة والمحراب في المسجد

غير أن قدس المعبد لا يدخله الا الملك والكهنة حين يؤم القبلة ، الناس •
كل الناس •

تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت لديك ولا الأقدار مختلعات

وبحيرة الاغتسال في المعبد تقابلها الميضة في المسجد وضاعة نفس
في الحالين قبل غسل الجسم أو الوجه والكفين •

وهكذا تتعدد الطرز في مصر والروح واحدة •

فالعمل الفني لا يحدث في لحظة زمنية محددة بل ينشأ ويتكون
ويتجمع من عوامل عدة سابقة عليه ووراثات كثيرة •

ان المتذنة هي الترجمة الاسلامية للمسلة • فالمساجد في عهد الخلفاء
بغير مآذن ولكن مصر تفننت في المآذن وطورت فيها من احساس قديم
بالمسلة •

والمسجد المصرى فيه روح مصر التي مهرت في البناء والانشاء منذ
القدم • فضخامة البناء ، وحجم الأحجار ، والاتساع العمارى • والأعمدة
الكثيرة في المسجد كالمعبد وخاصة العمود المربع بلا قاعدة ولا تاج (وهو
العمود السائد في « معبد الوادى ») كما انتقلت الى المساجد ،
أعمدة البردى (وعمود البردى سائد في معبد أمون بالكرنك ومعبد
الأقصر) •

وانتقلت الى المساجد ، الأعمدة النخيلية (العمود النخيلي سائد في
معبد ساهو رع بأبى صسير ومعبد ادفو) حتى الخط العربى أعملت فيه
مصر ، وجدانها المولع بالنبات فأصبح الخط الكوفى ، فيها ، أيام الفاطميين
مشجرا وهو نوع تنتهى حروفه بتفريعات من المراوح النخيلية •

ان القبة هي الترجمة الاسلامية للهرم بعد ان تشرب الفنان المسلم •
سماحة الدين الجديد فترفق الخط فى يده ، واستدار بعد صلابة
وثبات •

على أن مصر عرفت التسقيف بالقبو والقباب منذ القدم فقد أثبتت
الكشوف الأخرى وخاصة فى الهرم ، هذا •

ان الاكتشافات فى هرم منقرع تكشف عن علمهم بنظرية العقد
وأنهم طبقوها ••• والذي كان معروفا ومشهورا عنهم ، هو القبو المستمر
الذى استعمل فى أسقف بعض المقابر أو أسقف المباني الملحقة بالمعابد •

عرفت مصر العباب منذ عصر ما قبل الأسرات أى ما قبل التاريخ
بل من الأقباء ما كان مزدوجا قبوا فوق قبو بل منها ما كان يتألف من
ثلاثة أو أربعة أقباء .

لقد كان مسجد عمرو بن العاص فى البداية ، بنىء بسيطا
لا يزيد طول قاعدته على خمسين ذراعا ولا يزيد عرضها على ثلاثين ذراعا
• • وكان سقفه منخفضا ولم يكن له صحن ولا محراب مجوف • • فاذا
بمصر تعليه وتوسع فيه ووضِع عليه بصمتها ، كغيره .

ولم يحدث هذا فى البلاد الاسلامية الأخرى أى بنفس القدر
والمقدار .

انه طاقة مصر وتاريخها الطويل فى الحضارة .

وحين أراد صلاح الدين بناء قلعة ، جاءت « قلعة الجبل » نموذجا
وحده • • وكَم بين قلعة الجبل فى ضخامتها وتفردِها فى الموقع • • وبين
« قلعة حلب » بتواضعها النسبى ، ووجودها فى وسط المدينة .

وليس هذا المال بأوحد .

ويقول برستيد فى كتابه « انتصار الحضارة » :

(• • •) وكان لاختراع الكتابة واختراع استعمال البردى أثر عظيم
فى رفع مستوى الجنس الانسانى أكثر من أى شىء آخر • • لأنه أهم من
جميع الحروب التى خاض الانسسان غمارها • • وأهم من جميع النظم
أو الدساتير التى وضعت منذ خلق الله هذا الكون) .

وغير « برستيد » كتب عن مصر « بترى » و « د • هول » و « اميانو »
و « كابات » من الغرب ومنلهم من الشرق •
ماذا نقول نحن عن مصر •

ولا أقصد بالقول الكلام والأصوات العالية ، ولكن القول المترجم
الى عمل أو دراسة • • الى اضافات تحسب لمصر لا سلبيات تحسب عليها •
لقد تطورنا الى أسفل والأمنلة كثيرة •

حين ارتبطت الموسيقى فى مصر القديمة بالمعبد ، كان الفن مقدسا
ومظهرا فخما للحياة بل أساسا من أساسها •

أما حين أصبحت الموسيقى طبلة ورقا فى « وسط العوالم » ،
تدنّت النظرة اليها •

• اليوم يذبحون الأشجار •

• وكانت الشجرة عند مصر ، مقدسة •

فشجرة الجميز تحل فيها الآلهة هاتور وتعطي الميت الذي لا أهل له
القرايين والطعام • وتأخذ أوربا ، الشكوة وترجمها الى شجرة عيد
الميلاد ، وبابا نويل •

وتؤمن مصر بالمسيحية فتقول بشجرة العذراء فى المطرية ، انها
المقولة المسيحية لشجرة هليوبوليس المقدسة •

عندما تسلق الانسان البدائى ، الشجرة ، كان عمله هذا اول خطوة
فى اتساع مجال الرؤية •

• من أعلى الشجرة راي أكبر ، البيئه المحيطة به •

• زادت المساحة التى يمكن النظر اليها •

• انفسحت الرؤية •

• انفتحت النفس على بيئتها •

ومع الانفساح والنفث ، اتسعت الخبرة وتعمقت وقوى الادراك ،
وازداد الوعي ، واشتعلت الرغبة فى رؤية أوسع •

تفتحت فى نفس الانسان غريزة حب الاستطلاع فاكتشف على
الأيام ، المجهر •

واخترع الطائرة لتطوى رؤيته عالمه وأكملها **بالقمر الصناعى** لينتقل
اليه العالم وهو جالس فى بيته • بل اخترع الصاروخ ليرى الكواكب
الأخرى • ولكننا نهوى بأنفسنا على الأرض ونهوى بالفأس على الشجرة •
بعد تراب السطح ، أعود مرة أخرى الى المنجم الماسى • أعود الى مصر
العطاء ألوانا وفنونا •

كانت مصر تعطى الفن وتدل به حتى فى عصور ضعفها السياسى
فيفرح الغزاة بكسب معركة فيحمل الفرح دلالة احساسهم الكبير بمصر
وأن النصر فى حضرة الكبير ، ظفر ثمين بتمين غال •

وتستعلى مصر بالفن والعلم بعد الدين فاذا باليونان يتعلمون عليها ،
وعندها •• واذا بالرومان يعبدون «إيزيس» لا فى مصر وحدها بل وفى روما
نفسها •• واذا بالعرب يدخلون مصر فى حرب ضد الرومان لا ضدها هى

فلم يغيروا بعد الدخول شيئا في فنها فمضت فيه غير عابثة بالمعركة الدائرة،
في احتدامها ، أو بعد النتيجة •

كل ما فعله العرب أن أضافوا الكتابة العربية كعنصر زخرفي في
الزخرفة المصرية السائدة ولا بأس بها عند مصر فقد أحاطت الكتابة العربية
بفروع نباتية كما أشرت تأكيدا لشخصيتها الزارعة والزراعية كما أحاطتها
بالأسماك ولمصر قدرة فائقة في رسم السمك منذ بنت معبد « ميراروكا »
وبه من رسوم الأسماك عجب عجاب •

والسمك بالذات في الزخرفة العربية ادلال بالشخصية فالعرب
أبناء الصحراء ، الأسماك غير واردة عندهم •• ولهذا كان إختيارها
للزخرفة ، بصمة مصرية فيها اعلان عن المكان الذي يضم النيل وشواطئ
البحر الأبيض والبحر الأحمر •

وشاعت **الحمامة** في الزخرفة الاسلامية في العصر الفاطمي تأكيدا
لوجودان مصر الدينى سواء من ظل من المصريين مسيحيا أو من دخل
في الاسلام •

فالمصرى خدم الحمامة في زخرفته •

قبطيا اشارة الى روح القدس ، والحمامة رمز اليها •

ومسلما احياء لذكرى عزيزة هي هجرة الرسول عليه السلام
واحتماؤه بالغار الذى عششت عليه يمامان أو حمامتان •
وحبا في حمام الحمى •

كم أعطت مصر على غير مثال •• ان مصر من كثرة معجزاتها غدت
المعجزة فيها بلا علامة •

وعطاؤها مؤثر الى قيمتين كبيرتين : الوقت •• والعمل

ملأت مصر الوقت ، عملا

وملأت مصر العمل ، قيمة •

والمعروف فقط من ترانها الباقي ، شاهد على الاثنين معا •

ملأت مصر **القديمة** الوقت ، اعجازا لا يحتاج الى الدليل •

وملأت مصر **المسيحية** ، الوقت ، جهادا واستشهادا في معركتها
ضد الرومان ، والاستشهاد هنا ليس عدما بل حياة ، وملأته كتابة وحكمة

بعد أن انتصر رأيها واعتنق قسطنطين امبراطور الرومان ، المسيحية ، حتى قيل ان كتب الأب اناسيوس بلغت سنة آلاف كتاب . وهب ان هذا الرفم ، مبالغة ، بلجأ اليها الشعوب المعنودة بنفسها ، ابان محنتها ، تأكيدا لذاتيتها . فدلالتها الباقية ؛ الكثرة الايجابية لأنها مشغولة بحساب دقيق . لهذا بقيت حين يضيع لغو الكلام .

ان مصر المسيحية هي المصدر الأول لعلم اللاهوت بما خطه فيه اناسيوس الذي تألف في مجامع نيقية سنة ٣٢٥ م .

واننا لنعجب كيف كانت مصر في القرون الأولى للمسيحية تابعة للرومان ثم تستطيع أن تتبع الآخرين لها ومن بينهم روما . فمصر لا روما ولا أثينا هي التي كانت مصدر التشريع الكنسى للعالم المسيحي .

لقد نشرت مصر الرهينة بسماتها المصرية في أنحاء العالم .

وحين تضاربت أقوال علماء المسيحية في تاريخ عيد القيامة سنة ٣٢٥ م اشرأب مجمع نيقية الى مصر فحسنت الموقف وحددت التاريخ بل حددت مصر الأعياد وأوقات الصيام للعالم المسيحي كله .

ومصر هي التي وضعت النظام الرعوى الذى يبدأ من الأسقف وينتهى الى الشماس . وعن مصر أخذت بقية الكراسى الرسولية .

وقدمت مصر أقدم ترجمة قبطية للكتاب المقدس . وموسيقى مصر الكنسية (أقدم مدرسة موسيقية معروفة في العالم) بل تكاد تكون أغناها أيضا بما انبثقت عنه من موسيقى مصر القديمة التي تحمل أسماءها الى اليوم ، ألحانا .

هذا في الدين أما في الفن فحسبى ان أذكر أن القباطى أو الزخرفة القبطية للمنسوجات هي أصل الجولان الفرنسى بعد أن أحييت فرنسا في القرن السابع عشر ، هذه الصناعة المصرية القديمة .

كذلك النسيج الذى عرف بـ « الأبيسون » نسبة الى مدينة أوبيسون بفرنسا وزخارفه منسوجة بطريقة القباطى .

واعتنفت مصر الاسلام ، فغابت مصر في العصر الاسلامى على الصناعة والفن فساد في الزخرفة استعمال الحفر والتلوين والتطعيم وهي مهارات مصرية قديمة . ومهزت مصر بفنها وزخارفها الهندسية والنجمية اشهر

الآثار الإسلامية في العالم مما يشهد به مقام الامام الشافعي بعينه وتابوت
الامام الحسين وقبة مسجد ابن طولون .

ومصر هي التي استعملت لأول مرة الفسيفساء المذهبية . حين زين
بها البناء المصري محراب قبة الملك نجم الدين أيوب . ويطول بي الحديث
لو تحدثت عن الجامع الأحمر والآثار الإسلامية الأخرى .

لقد سارعت مصر على ان دخولها في الاسلام الى الحديث وتسجيله
على ورق البردى الذي عرفت به .

وعن مصر نقل البخارى في تفسيره كثيرا ، وعلى الصحيفة المصرية
في التفسير ، ارتكزت التفسيرات في سائر البلاد الإسلامية .

وفرضت مصر شخصيتها في الفقه حيث كيفت آراء الشافعي وحورت
وبدلت فيها حتى اضطر أن يكتب رسالته من جديد فيها عدولا منه عن
رسالته القديمة التي كتبها بالعراق متأثرا بالبيئة المصرية وآراء امام مصر
الليث بن سعد .

واتخذت مصر دورا ذاتا في علم القراءات .

وكما ابتدعت مصر الرهبانية في المسيحية ، وضعت أسس التصوف
في الاسلام على يد ذى النون المصري الذي تقول عنه المصادر الإسلامية
ومن بينها الرسالة للقشيري ، والطقات للشعراني ، والكواكب الدرية
للمناوي ، وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ، واللمع للسراج الطوسي ،
وكشف الحجب للهجويري ، وكذلك الرازي والترمذي . . انه وحيد دهره
علما وعبادة وحالا ، ومعرفة وأدبا . . وقد كان المشايخ قبله ولكنه أول
من فسر اشارات الصوفية وتكلم في هذا الطريق .

وقامت مساجد مصر بدور كبير في الثقافة الإسلامية وخاصة
الأزهر الذي حفظ علوم اللغة والدين في الهزات السياسية .

وبعد غارات المغول والتتار في الشرق وحركات الافرنج في الغرب
(أسبانيا) تجمعت الحركة الفكرية في القاهرة .

والى اليوم مصر قبلة العرب في اللغة بعلومها وفنونها وقبلة المسلمين
في علوم الدين .

وإذا اعتبرنا المسلمين اليوم عربا وعجما ألف مليون نسمة فان هذا
الألف قبلته مصر اليوم وليس هذا بالهين أو القليل الشأن .

• ان أضبط مصحف كتابة ورسمًا وشكلًا من عمل مصر •

• والمصحف المرتل من عمل مصر •

• والمصحف الموجود صوت مصر •

وفي العصر الحديث أقالت مصر الأدب من عثرته وشرعت الترجمة والاقْتباس ، وكتبت القصة والمسرحية والشعر التمثيلي وكانت في كل هذا رائدة ومنازة اشعاع حتى في العلوم الحدية كالطب والذرة والهندسة تتألق في سماء مصر الأسماء الكبيرة والكثيرة على المستوى العالمى مما شهد لهم به ، الغرب نفسه •

ان تاريخ مصر الدينى والعلمى والفنى أبقى وأعظم من تاريخها

• السياسى لأنه حافل بالريادات وعطاء الخلود •

ان قمة التاريخ السياسى فى أمة من الأمم ، هو عصر الامبراطورية فيها •• ولكن العالم على مسار العصور به امبراطوريات عديدة تتابع موجات •• ولكن الذى لم يتكرر أو يشائيه أحد ، ريادات مصر الحضارية •

•• ليتنا نعرفها ••

الفن المصرى والطبيعة المصرية

- الطبيعة فى أى مكان هى أم الفن الصادق
- حتى الفن البدائى وأصحابه رؤيتهم محدودة فى المكان الذى يعيشون فيه •• ولكنها بلا حدود فى أعمالهم الفنية •
- هذه الأعمال بعيدة بالطبع عن ثقافة العصر الحديث وبالتالى عن التأثير بها ولكنها قريبة دانية من الطبيعة والفطرة والحياة والمشاعر الحميمة والنقية •
- انها غنية بصدق الانسان
- وقديما فى نشأة الانسانية ، كانت الطبيعة وراء أشياء وقيم عزيزة فى تاريخ الانسان •• أول هذه القيم : البيت •
- كان البيت – ولا يزال – لونا من الأمومة منذ التجأ اليه الانسان ليحتمى به من العواصف والخلاء ثم رآه يدافع عنه عوارض الطبيعة • ويدفع عنه البرد والحر فتعلق به أكثر •
- البيت هو الحمى •• هو زغب الطائر •
- كتب الرسام (فلانيك) عندما كان يعيش حياة هادئة فى الريف (السعادة التى أشعر بها وأنا جالس أمام النار ، بينما تهدر العاصفة غاضبة فى الخارج هى هناة حيوانية خالصة ، فالقار فى جحره ، والأرنب فى وجاره ، والأبقار فى الاسطبل تشعر دون شك بالرضا ذاته الذى أشعر به) •
- ولكن اذا تجاوزنا (الهناة الحيوانية) التى يتحدث عنها (فلانيك) فى لحظة دفء ، أقول ان البيت ذاتية • انه خاص بصاحبه وحده •• ومسرح لذوقه وأفكاره •
- والبيت سيادة فهو ملك لصاحبه وحده يفعل به ، وفيه ، ما يشاء •• وهو حرم له لا يقتحمه آخر عليه الا بأذنه فى عصور الأمان •
- وجاءت الأديان فأكدت هذا (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) •

والآية (واتوا البيوت من أبوابها) .

البيت حرم . . وحبيب مهما صغر أو تواضع . . انه كالألم أعز
انسان كما هي ، لا يفارق غيرها .

ومن القيم التي أوحى بها الطبيعة : عقيدة الخلود في مصر القديمة
دورة الشمس . . دورة النيل السنوية . . . دورة النبات . . . دورية
البيئة هذه أو النظام الدوري أوحى الى المصري امكانية التجدد وفكرة
المبعث . . كالنبات . . كالفيضان .

ومن العقيدة عبادة الشمس في مصر القديمة . . تأثر بها المصري
وأحدها فحسب بها ماوكره وأحبابه . . . ان قرص الشمس المجنح في
تماثيل الملوك كانه يقول (بسم الله الرحمن الرحيم) .
لقد امتزجت العقيدة في مصر القديمة بالطبيعة امتزاج نور الشمس
بالخضرة فيها .

وتبع العقيدة ، الفن .

فاتسمت العمارة في مصر بامتزاج الطبيعة والدين فيها . . حتى
سمى العمود المعماري (العمود النباتي) من ولع المصري ببيئته وطبيعة
مصره .

لقد كانت أرض المعبد كأنها جزء من الحقل والأعمدة فيه نخيل من
حجر أو سيقان اللوتس .

حتى الارابيسك في مصر الاسلامية ، منبعه النبات فهو زخرفة من
فروع نباتية وجذوع محورة وأوراق نباتية ذات فصين منتنية ومتشابهة
ومتتابعة .

الارابيسك من وادي النبات غير أن اوروبا رآه لأول مرة في
الاندلس في زهو الحضارة الاسلامية هناك فسمته (ارابيسك) كما سمت
الفروز حين رآته في تركيا « تركواز » وفي سبنا مناجمه .

ان الزخارف النسجية في العصر الفرعوني اقتصرت على العناصر
النباتية والهندسية دون العناصر الآدمية أو الحيوانية على الرغم من كثرة
الأساطير التي وجدت ممثلة في معابدهم ومقابرهم وعلى الأثاث وأدوات
الريثة .

فمثلا نجد في ثوب توت عنخ آمون على كثرة ما بها من زخارف ، أن
قوام الزخرفة « زهرة اللوتس » وأوراق نباتية محصورة في مربعات

أو مستطيلات أو قى دوائر أو منشورة كما فى القطعة رقم ٤٦٥٢٩ بالمتحف
المصرى .

ان الحفر على الخشب والتطعيم والتلييس كان فى مصر القديمة . .
فقد عثر فى احدى دقاير الأسرة الرابعة على أثار فاخر ومن بينه سرير
يعد من التحف الخشبية الرائعة وقد استخدم فى تجميله ، الحفر على
الخشب والتطعيم بالعاج والأبنوس والتلقيم بالأحجار الكريمة
والصباغة بالمعادن النفيسة كما زين هذا السرير بالكتابة الهيروغليفية
المذهبة على أرضية سوداء .

وكرسى العرش الخاص بتوت عنخ آمون صنع ظهره برقائى الذهب
يزينه العقيق والقاشانى والزجاج الأحمر .

ومن آثار توت عنخ آمون ، صندوق مطعم دقيق الصنع يباغ
مجموع أجزاءه المطعمة ما يزيد على الفى قطعة صغيرة من العاج والأبنوس
ويعنى هذا ممارسة طويلة لهذه الصناعة أدت الى هذه المهارة الفذة .

لقد كان التطعيم والتلييس والتلقيم من أهم العناصر الزخرفية
التي استخدمت فى تزيين الأثار المصرى القديم . . فاستخدم الفنان
الفرعونى ، للتطعيم ، العاج المستخرج من سن الفيل ، والأبنوس وكانوا
بأثرون به من الجنوب . . واستخدم فى التلقيم الأحجار الكريمة
كالزمرد الأخضر والعقيق الأحمر ، والفروز الأزرق ، واللأزورد ،
واللايس لأزولى كما كان يستخدم فى التصفيح ، رقائى الذهب .

ان اسلوب الطردى عكسى أو (التقابل والتدابير) فى الفن الاسلامى
المصرى ، أثر من آثار الطبيعة المصرية التى تلتقى فيها الصحراء بالوادى
لقاء فيه معنى التدابير من المقابلة بن الخصب والجذب .

والفنان المصرى ، على مسار العصور ، عمله باق ، ما ارتبط بهذه
الطبيعة ونبع منها ، وصدر عن وحيها . . فاذا ابتعد عنها ، تاه وفقد
نفسه ، شبتا فشبنا فى « التحديث » أو « التغريب » أى المذاهب الفنية
المستوردة .

ان « التكعيبة » مثلا نشأت عن التقاء الانسان الاوروبى من الانتاج
الصناعى الآلى ، وفى المدينة التى يعزلها الأسفلت عن التربة ، وفى جو
يشبه ، أنبوبة الاختبار .

فى هذه البيئة أطل سؤال : أين تكمن فنية الفن ؟

وكان الجواب : فى علاقة الأشياء بالأسكال أى التكميبيية ، كما تعبر
المدرسة التنقيطية عن الطبيعة ، بطريفة : **التنقيط** .

ولكن ما لبث الانسان الأوربى والباريسى خاصة أن حرر الأشياء من
الأشكال . وكانت النتيجة ، ثورة تسمى **السريالية** التى طرحت أسلوب
النسب المحسوبة وحاولت الاهتمام بالمعنى الى حد تجسريده من
الشكل !!

هل مررنا نحن بهذه الملابس والاعتبارات حتى نقلد التكميبيية أو
السريالية ؟

وبعد الحركات النحرورية ، والنورات الاجتماعية ، والحروب ،
اختلف الفن عن الفن القديم المرتبط بالعقائد الدينية التى أعطته نمطا
ثابتا لأزمنة طويلة اتسم الفن فيها بالموضوعية .

وظهرت المدارس الحديثة وأصبح الفن الحديث وليد انفعالات
كثيرة وقوية فى داخل الانسان . لهذا اتجه الى **الذاتية** . وهنا وضحت
شخصية الفنان فى العصر الحديث حتى أصبحت المدارس الفنية تنتسب
اليه فى أحيان كثيرة .

وكانت الأعمال الفنية القديمة وخاصة الكبيرة بلا توقيع . أعمال
يقف وراءها (روح الفريق) كالهرم والمعابد ، أو **الشخصية الجماعية** .

تغير أسلوب الفن الحديث نتيجة الكشوف العلمية . . . حتى أن
أسلوب الكشف ذاته الذى ينبع فى العلم استخدم كذلك فى العمليات
الفنية كتدخل الحاسب الآلى فى توزيع الموسيقى وتأليفها مثلا . . كما
استخدم فى الرسوم المتحركة .

ومنلا آخر ترجمة قصص الانجيل الدينية الى صور مرسومة ملونة
توسلا بقوة الفن التعبيرية فى نقل المعانى الدينية الى الجماهير .

كما أوجدت سرعة المواصلات خطوطا مشتركة وتداخلا بين الفنون
فى الغناء ظهر الفرانكو اراب وأصبح سريع الانتشار فى العالم . .
وفى **الأدب** ظهرت الترجمة وتبادلت اللغات الأخذ والعطاء .
وبعد هذا كله ، بدأ الانسان ، وخاصة فى الغرب ، يتنادى بالعودة
الى الطبيعة .

هذه الطبيعة عندما تكون عمدائية فى نظر الانسان البدائى أى ذات
قوى يخافها ، يتسم الفن بالهروب منها أى تشكيل المخالف لها أو الرمز
اليها ، كفن الكهوف .

ومن هنا نفهم هجرة العنان « جوجان » الى تاهينى حيث الطبيعة
عروس يانعة الصبا فانتعشت روحه وعبت من النور عملا بعد نهل ..
وترشفت الالوان ، وتفتيات الظلال .

واذ ارتوى ، اسنمخ الى نداء نفسه ثم ما لبث أن تدفق النبع فى
داخله ، صورا وأشكالا .

ولكن الفنان المصرى ليس عنده عسذر « جوجان » فطبيعة مصر
كريمة ودود ساطعة البهاء يهوى اليها الفن .

وفى مصر دائما فى عناق معها فنقوشه نباتية ، وألوانه منها ،
درسومه البشرية والحيوانية فيها حب وفرحة ..

ويؤكد هذا ما كتبه « هربرت ريد » فى الفقرة ٣٢ من كتابه « معنى
الفن » .

ومن التصاق الفن المصرى بالطبيعة ، اختيار المصرى موقم معبد
(أبو سمبل) فى حوضن الجبل حتى ليبدو جزءا منه ، كما أن الدير
البحرى يقف أمام الجبل حتى ليبدو الجبل ، خليفة له .

يقول الرسام بول كلى Paul Klee ممثلا الطبيعة والحياة
بجذر الشجرة ، والفنان بالجدع . والأعمال الفنية بالأوراق :

(يدرس الفنان دنياه العامرة بالتنوعات العديدة ويتغلغل فيها
دون عوائق وتدخل النظام على انطلاقات الخيال ومحصلات الخبرة ، وإن
احساسه بالاتجاه الى الطبيعة والحياة يتفرع وينتشر وهو جذر الشجرة
التي تنطلق منه العصارة الى الفنان.ومن خلاله الى الفن) .

وعندنا مثل حى على دور الطبيعة المصرية ...

آمن حبيب جورجى بالطبيعة المصرية فدقم الى حضنها بالأطفال
... أطفال لا يقرءون ولا يكتبون ولكنهم أعطوا الحرية فى التعبير ،
فأعطوا فى الحرية ما لم يعطه تلاميذ الجدران الاربعة .

وطاف بالأطفال وخاصة الموهوبين منهم : الريف والأسواق والأحياء
الشعبية فتأصلت الأصالة فيهم .. وانضم الى الأصالة ، التجديد فعبروا
... وفاق تعبيرهم كل التوقعات .. وأقبل الناس على انتساجهم بل
تهاقت عليه الغرب .

وحاولت فرنسا تقليد التجربة فلم تفلح التجربة عندها . وسألت عن السر فجاءها الجواب من مصر ، ان أطفال مصر لم يفقدوا بكرة الاحساس . . ولم تتدخل في تكوينهم وسائل العصر ومغرياته فكانت رؤيتهم دائمة الخضرة .

وفي معرض الفنان الدكتور طه حسين امتزاج حميم بالطبيعة المصرية يتبدى في الألوان المنسوجة من ضوء الشمس المصرية التي يقسم بها أهلتنا في الريف ولا يزالون . . يقسمون (بالبهية التي تطلع من جنبها) .

ويرد: أولادهم يا شمسن يا شمسوسة في رجاء. أن تعطيهم سمسنة العروسة . . رجاء هو انتماء وحفاظ مصرى تقليدى . .

لقد عرفنا الشمس علميا . .

وعرفنا الأديان السماوية عقائديا . .

ولكن قديما يعيشت في وجداننا غالبا الى حد القسم . .

وقد أقسمت ريشة الفنان الدكتور طه حسين باللون وضدقتها . .

ان خطوطه صديقة القرية المصرية . . وتشكيله فيه تجمع والضمامة القرية وحنانها ودفتها . .

تشكيل يلتصق بالتراب وهو « تبر » في رأى القلب ورؤية العين أيضا . .

وكمسا ارتبط الدكتور طه حسين الفنان ، بالفريية ، ارتبط بها « مختار » في لوجته (حاملات الجرار) وارتبط بها في تمثاله (نهضة مصر) حيث وقفت مصر فلاحه منصوبة القامة والهامة والكرامة . . . فلاحه في الجسم والرسم والأصل والملامح . . فلاحه في العود والوجود واللون والبطل وما أخفه وما أعذبه . .

أعلن مختار بالكتلة انتماءه الى الفراعنة . .

وأعلن بالفلاحه انتساءه الى الريف الدائم الهوية ، المتمد المصرية . .

الريف الذي عبر عنه ، معهم ، محمود سعيد صاحب لمسات الضوء على الاجسام . . فقد عبر عن الفلاح والعامل ، والصياد ، وبنت البلد التي تشبه في ملاءتها شراع المركب في النيل حتى ليهتف بريم : بنت البلد في الملاءة اللف يا ولد يا ولد . .

وكتب محمود سعيد رسائل لونية تصويرية الى الاسكندرية مراه ومهواه وكأنه « فان جوخ » حين استهوته حقول القمح الذهبية وسيال الأشعة على السنابل فسجلت اللوحات دفق مشاعره .

حتى ألوان محمود سعيد ، الداكنة ، حارة ، من وقدة الشبوق الى كل ما هو مصرى .

وارتبط الفنان السجيني بعروسة المولد فخدمها كثيرًا فى فنه .

وخدم الفنان « ندا » الرموز الشعبية .

وبيئتنا الشعبية عبر عنها « ناجى » فى رسوم النقرزان والمحمل ، وعبد الهادى الجزار فى عالم السيرك ، والفنانة اعتماد الطرابلسى والفنانة حنيفة ذهنى فى رسوم الزار والسبوع والحمام العمومى .

كما استوحى الفنان « سعد كامل » الوشم والسيرة الهلالية بعد أن مصرتها مصر ٠٠٠٠

وراغب عياد الأحجية القبطية .

لقد غلبت طبيعة مصر ذات الأسر والأسرار على « سيف وانلى » فأقبل بريشته على الناس فى حياتهم اليومية وسجلت : المقهى ٠٠ والحديقة ٠٠ وسباق الخيل ٠٠ والباليه ٠٠

أما الفنانة (تحية حلیم) فان مصر والنوبة والنيل والسودان والقاهرة كلها شخوص تتحرك فى فن تحية حلیم لا خطوط فحسب من عمق ايمان ودفء عاطفة . أما الانسان المصرى فانه ، هى تحية حلیم تتحسس عذابه بقدر ما تعذبت فى حياتها ، معنويا على الأقل ٠٠ فلم يكن بدعا أن تبدع لوحة (الحنان) وهى اللوحة التى نالت جائزة جوجنهايم Guggenhiem فى عام ١٩٥٨ .

والفنانة (جاذبية سرى) التى ترجمت لوحاتها التراث والمدينة والصحراء والطبيعة المصرية بنصاعة شمسها وتدق نيلها وسماحتها وبكارتها ، وكان الخط واللون عندها كلاهما ، عارما بالتعبير كما يقول الأستاذ فاروق بسيونى (ساخنا بحيوية الأداء حاملا لقدر من النضج والبساطة البليغة التى يعكسها انصهار المعنى فى الشكل ، والشكل فى المعنى وكانما هى عملية توقيف قسرية للزمان لبذوب فى المكان أو تحويل للمكان ليصبح زمنا مستمرا لا ينقطع) .

• دنيا

• هذه أمثلة فحسب تشير ولا تحيط •

- ان أحد وجوه أزمة الشباب اليوم ، الانفصام بينهم وبين طبيعتهم
••••• طبيعتهم الداخلية والخارجية •• الانفصام بينهم وبين تراثهم ••
• الانفصام بينهم وبين تاريخهم الصحيح •
• ولهذا الانفصام حديث عريض بمشيئة الله •

الطبيعة المصرية والانسان

كان المصري القديم يتطلع الى النيل والحقول ، ولما جاء الاسلام
أصبح المصري المسلم يتطلع الى :

• الكوتر •• والجنة •

دستما الى نداء الآية الكريمة « مثل الجنة التي وعد المتقون فيها
أنهار ، من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من
خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات
ومغفرة من ربهم » •

النهر والوادي

النيل والنبات مرة أخرى

• لقد شكلت الزراعة فلسفة مصر •

ليست نظريات ولكن :

اسلوب تصرف

وروح تصوف

وفن حياة

• وذكاء شخصية •

ان الايمان هو الصفة الأولى لمصر فحضارتها منذ البداية دينية ولهذا ،
حق وواجب أن يفرد له الحديث •

ما هي فلسفة مصر ؟

النور/السماء/الماء/الحجر

هذه الأربعة هي عناصر الحضارة المصرية وهي في الوقت نفسه
عناصر الشخصية المصرية والفلسفة المصرية •

تعلمت مصر من الحجر الصبر ، ومن النور البهجة • ومن المساء
الرقة والعدوية ، ومن السماء الرحمة والسعة •

• روح الوجدان المصري : البناء •

البناء الذى يتمثل فى :

الإناء : انه بناء جدار واحد يلف ليلتقى أوله بآخره . انه بيت
الرهى .

النسيج : فيه روح البناء . . . خيط له طول ويكاد لا يكون له عرض
فتأتى اليد الناصجة أى البناءة وتعمل من هذا الخيط بناء له طول
وعرض .

الخيط رمز الفرد .

فمن مجموع الأفراد يتكون النسيج الاجتماعى .

النيل : يبني التربة طبقة فوق طبقة .

النبات : يبني نفسه بالنمو يوما بعد يوم .

تجفيف المستنقعات : بناء أو تمهيد له .

العقد : صفوف صفوف من الخرزة . . . بناء مرصوص .

وأدرك الانسان المصرى معنى (الكيف) .

ان من المشربيات الذى ابتدعه العصر القبطى كان سببه قلة الخشب
فى مصر فأحال الانسان المصرى فقر (الكم) الى غنى (الكيف) .

لقد شكلت مصر الخشب . وهو قليل عندها ، أروع مما يكون
التشكيل فى مثال ابن البلد .

وقد عرفت مصر (الكاويلا) وهو مسمار الخشب وهو أحدث ما
يعرف الآن فى صناعة الأثاث .

وتوسع مصر فى العمل من سعة الصدر ، ورحابة الصبر ، وطاقه
الخالى والتشكيل ، والايامن بالجزاء فى النفس والمال يتبدى فى لغتنا
الشعبية فى قولنا للمجود : الله يبارك لك .

ليس أسلوب بعبير فحسب ولكنه أيضا أسلوب تفكير من حس
بعيد بالنواب والعقاب يحكم الحياة المصرية اذا تكلمت أو عملت .

ففى مصر العبد والكنيسة والمسجد يخفت الضوء فى المدخل لتتنبه
مشاعر الرهبة والحساب ويشتد الصمت لترتفع عقود البناء ، وترتفع
معها النفس الى قمة .

ان نداء هذا المكان يرد على رجاء الزمان ليشفيه من داء العصر وهو
جذب الروح .

دء لا يداويه الا البلد الذى عرف الزراعة تحضيرا للأرض وزراعة
للنفس . . . زراعة للأثر والحجر ، زراعة للمعنى فى الفكر ، وزراعة
للحب فى القلب ، وزراعة للرحمة لئف الانسان والحيوان والنبات
والحياة فى وحدة .

من أثر الزراعة فى مصر أن فلسفتها غير منفصلة وغير مكتوبة لأنها
ليست جزئية . ليست من عمل الذهن وحده . بل هى من عمل
الانسان الكبار كاملا ومجتما بحواسه وعقله وقلبه ودمه وأعصابه على
سهال من عالم الزراعة الذى لا تنفصل فيه البكرة عن الأرض أو عن
الساق أو الفرع أو الورق أو السمر . . . الكل متكامل .

لهذا وبه تألف من عطايا العقل وهدايا القلب ومضات الشعور
ويقظات الضمير .

• أنها اسلوب حياة وروح انسان

• عرفت مصر القيم . . . وكانت مصر القديمة تسمى المدرسة (بيت
الحياة) فى ارتفاع على اسلوب التلقين الذى تسبر عليه كبير من المدارس
فى عصرنا هذا بعد آلاف السنين .

ومن ماثورات الأدب المصرى القديم : (ان كنايا واحدا لأكبر نفعا
من بيت مؤثت ومقبرة فى الغرب وأجمل منظرا من قصر منيف) .
ومن حكم امينوبى (لا تقولن لا أحمل خطيئة فليس بين يدي الله ،
انسان كامل) .

(فل الصدق وافعل ما يقتضيه فهو العظيم القوى) .

ومن أدبهم النفسى كانوا يسمون أوزوريس أمير السلام وهم
بعلمون أنه ضحية سيئ الذى لم يكتف بقتله بل قطعه اربا .

وفى المعبد المصرى حورس يشترك مع سبت قاتل أبيه فى رفع رمز
الوحدة !!

انه شعور الشعب المصرى بالأسرية وهو شعور يتسع فيصبح
وحدة أمام المللما . وتغدو مصر كلها أسرة .

ولعل هذا سر افتقاد أدب الدراما عندنا . لم تتفوق القصة عندنا
كاوروبا على الرغم من أننا نحب الحكايات . . . لأن طبيعة تفكيرنا التكامل
لا التنصارع الذى هو أساس الدراما .

الملاحمة ، بجلى بطولات يبرزها الصراع السائى ولكن مصر حتى حين
تتصارع تفىء الى الوحدة . فحروب الشمال والجنوب انتهت بوحدة
الوادى ولبس مينا ناج الوجهين .

وصراع أوزوريس وسيت انتهى الى نحكيم القضاء ونصب ميزان
العدل .

وهذا الادراك العميق للأمور هو فى صميمه بطولة فكرية .

التكامل والوحدة سمة من سمات الشخصية المصرية ذلك التكامل
الذى تفتقده الشخصية الأوربية ولهذا تهوى التقسيم والتصنيف .

حتى عصور تاريخها وحركاتها الفنية تنراوح من النقيض الى
النقيض كالواقعية والسريالية .

ليس فى أوربا تكامل . . عندها الصراع .

وعند مصر التكامل الذى نسميه اللمة . . العزوة ومنهاسا الشعبى
يقول : (البركة فى كتر الأيادى) أى فى التجمع .

تاريخ مصر يروى هذا التكامل .

كان فرعون أى الببت العظيم رحل سيف أى دولة

+ رجل قانون أى حضارة

ا رجل بناء أى ثقافة

ومجموع الثلاثة معناه أمة .

وهذا هو الفرق بين الأمة والدولة . فالسيف يصنع دولة ، ولكن
القانون والحق والخير أى (معات) التى رمزت بها مصر القديمة الى
الحق والخير والعدل يصنع أمة .

وشعور الشعب المصرى بالأسرية ، تنبع منه أخلاقياته وتصرفاته
ونظراته فى الحياة والناس ، وينعكس هذا على آدابه وفنونه .

إذا عمل سعى أسناذ الصنعه (معلما) والصبى يناديه (يا عمى)
ان العمل قرابة ونسب . كل شىء فى مصر أسرة .

والأب المصرى يقول لابنه الذى يحمل الكتاب (حافظ عليه كأمك)
فى ادراك عال نبيل للأم والكتاب معا .

مصر والموسيقى

سمعت الفنان المبدع رهزى يسي عازف البيانو المصرى الذى مثلنا
فى المحافل العالمية الموسيقية وسعدت بساعات هائلة مع النغم الرفيع . .
وسمعت المصرية الموهوبة مشيرة عيسى .

وكل صاحب عطاء ، اضافة الى مصر نعتز بها . . ولكس الاعتزاز
بفنان جدير بالاعزاز لا يعنى تجاهل أعزاء آخرين واحباطهم . . رمزى يسي
مصريا ، وفنانا يؤنسه ولا يئسسه أن يكون معه على الدرب رفقة النغم ،
واخوة الفن الغالى ، والفن صفاء ونقاء ومحبة . كان فولتير يقول : (من
لى بصحبة أربعة يتناقشون فى الأدب والفن معا . . من لى بهاء الجنة)
وكان جيته يقول : (كلما رأيت عملا عظيما ، أفرح لأننى انسان) .

ما أحرانا أن نقتصد قليلا فى صيغة « أفل » ومن نوابعها
« أوجد » - الفنان الأوجد - العالم الأوجد والمؤمن الأوجد الخ . ان الفن
مى ذروته ، دقة ورقة وثراء يتمثل فى الموضوعية والانصاف لا الاجحاف
وان مصر ولود ، ودود ، معطاء ولدت فى العزف رهزى يسي كما ولدت
مشيرة عيسى أو زهرة اللونس التى نخطر الى البيانو فى سفافية قطرة
ندى . وتعزف عليه فى امتزاج ، كعاسق هشبوب .

وهناك « ناجى حبشى » فى تشيللو ، وعلى الطريق « بسمة
عبد الرحيم » فى « الكمان » .

لمصلحة من نغمت أبناءنا وهم جميعا منا ، ونغمت معهم معهد
الكونسرفتوار والقائمين عليه اذا لم يخرج الا فنانا واحدا أوجد ! ولو كان
فى منزلة رهزى يسي ؟ الذى لا أشك أن مصر أعز عليه من نفسه . مثلنا
جميعا .

لا تجعلوا منا شيئا حتى فى الفنون . . ان حبنا لمصر ، خليك أن
يجعلنا نبارك أعزاءنا جميعا وترش الضوء على طريقهم يحدو خطاهم ويزكى
جهودا من حقها ، التقدير .

ان مصر على مسار تاريخها كله ، ولوع بالموسيقى ولود للموسيقين
والاسان المصرى يحب الطرب والسماع من النغم الطويل فى الحضارة
فهو فنان خالق . . وهو فنان متذوق .

انسان ابن طبيعته يسرى فيه لطف الطبيعة المصرية ورفقها ،

فيتبدى هذا الحديد رقة ، وفي الإنممة الإسلامية دقة وفي الموسيقى المصرية عنوبة وسلاسة وملاسة وبهجة .

لقد نهلت مزامير داوود من تسابيح « اخناتون » (المزمور ١٠٤ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - والمزمور ٥٤١) .

فالانسان المصرى طروب من يومه . . والمعبد المصرى يضج بالفرح والاله يغنون له ويرقصون فى توقيع جميل .

حتى المقابر ، رنموا عليها حلقات الرقص وعصير العنب والطيور الشهية ليست للحزن اذن . انها ترد الروح .

ومن هنا كانت موسيقى مصر الكنسية (أقدم مدرسه موسيقية معروفة فى العالم) بل نكاد نكون أغناها أيضا بما اثبتت عنه من موسيقى مصر القديمة التى تحمل أسماءها الى اليوم ، ألعانا .

يقول الفيلسوف الاسكندرى « فيلو » : (ان بعض الألحان الشائعة الى الآن فى الكنيسة المصرية تحمل أسماء بلاد قد اندثرت منذ عهد بعيد . فاللحن السنجارى نسبة الى بلدة سنجار التى تقع شمال محافظة الغربية . وعرفت منذ أيام رمسيس الثانى وكانت تحوطها الأديرة فى العصر القبطى ، وكذلك « اللحن الأتريسى » نسبة الى « أتريب » القديمة بالقرب من الديرين الأحمر والأبيض بمنطقة اخميم) .

ان آلة « الهارب » التى كان يظن الى عهد قريب أنها آلة غربية ، آلة مصرية قديمة ومعها آلة السننروم .

فاذا بلغنا مصر الاسلامية ، وجدنا مصر ، فى القراءات ، قد موسقت الدين بطبعها الفنان .

وكما اتخذت مصر الاسلامية دورا هاما فى علم الحديث ، اتخذت دورا ذائعا فى علم القراءات . فعن « ورس » المصرى أخذ علماء المغرب عن تلميذه « أبى يعقوب » الأزرق بن عمرو بن يسار المصرى . . وأخذ الأندلس عن عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم المصرى .

كتب الشيخ البشرى مقالا عن « تقاليد مصر فى الفن » جاء فيه أن متقدمى القراء فى مصر (لا يبدأون قراءتهم الا من « البياتى » ، وبه ، دائما يختمون) .

وفى يقينى أن ترتيل القرآن يسهم فى نحو الأمية الغنية بتركيب الموسيقى القرآنية فى شعور الانسان السامع .

وبعد القرآن يأتي الأذان . . . وعمل مصر ، فيه ، يحدث عن التناسق والهارموني في ذوقها .

فالأذان على ماأذن القاهرة دون غيرها يجعل بنعمة الرصد ، أو البياتي أو الحجاز أو السيكاه وهو دليل على أن أهل مصر عشاق موسيقى وأهل ذوق وهواة تطريب .

ومن تقاليد مصر في الفن أو عمل مصر في موسقة الدين ، مااستنت من تقاليد في حلقات الذكر التي كانت تسمى تجعل له قائلها هو بمثابة ضابط الايقاع .

وقد فصل الشيخ البشري ، في كتابه (فطوف) الكلام في هذا المجال تفصيلا يعذب ويروق . . .

لقد موسقت مصر الدين حين رددت آياته ، ورتلتها لأنها تعرف بالحس الحضاري أن القلب البشري يحن إلى النغم والتناغم فإذا اقترن المعنى الشريف بالنغم الجميل تلتفت النفس سيالا من الخنان . . .

حتى الفنان المصري التشكيلي كان موسيقيا في داخله - فحين تلقى اللغة العربية ، استخدم موسيقاها في فنه فان من يتأمل الألوان في رخام أرضية السلطان حسن يجد لونا (بديعيا) فيه تقابل الألوان وتجانسها على مثال الطباق والجناس في الأدب وأحيانا يسجع الفنان المصري المسلم بالخط والتشكيلات .

واستلم الفنان المصري في العصر الإسلامي نظام الأجرار المتداخلة في البناء ولكنه زاد عليه « التقسيم » بالألوان . كان مأخوذا بالنظام والموسيقى من أثر التاريخ الطويل ، فخلق من « التقاسيم » في الفن الاسلامي أفراحا تغنى .

وتأتى القبلية (فتنشد) بالألوان وتقاسيم الخطوط في (الحنية) تواسيح .

ولقد عرف العراق التصوف - فاذا هو في العراق ينقلب الى شيع وفرق ونحل متعددة ومتعسدية ولكن النصف في مصر ، علم ومعرفة على يد ذى النون . وقصيد ونشيد على يد ابن الفارض .

وابن الفارض فيه من مصر . رفة الاحساس وسفاوته ، وهو بهذه الصورة سلطان العاشقين . ومصر بهذه الصفة فيه ، صاحبة فن في النصف ورفه حضاري . . . ولم يعرف عن غير ابن الفارض أن احتشد للغناء وألوان الفن حتى لئنشد أشعاره انشادا من ولعه بالنغم والتطريب .

وكان ابن الفارض كالنموذج العام المصرى ، مطبوعا على الجمال ذواقة له ، فقد ذكر المناوى فيما ذكر عنه أنه كان يخرج وقت الأصيل الى الروضة يتأمل انعكاسات الأشعة على صفحة النيل الجميل الذى كان يهوى الغلود اليه فى المساء .

حتى أسلوبه نابع من مصر ٠٠ من مدرسة البهاء زهير ثم مدرسة الشعب بأزجاله ولغته الجارية وهى مهموسة رحية ندية ناعمة موسيقية .

وحين تكلمت مصر العربية ونظمت الشعر ، استخرجت من البحر البسيط بقدرتها على اللعب الفنى ، صورا عدة للموال من حيث النسبيق والثقافية ، فالموال النعمانى من تخريج أهل الصعيد ٠٠ ومواويل (الفرنس والقطا) التى ينشدها المغنون على طريقة الموال النعمانى بل بلغ الصعادية بفن الموال صاغها ينظمون معه المواويل ارتجالا على البديهة نى سرعة ولماحية وشفافية أيضا . وهم يسمون عملهم هذا أو فنههم هذا : « الرمي » .

وأحب المصريون « الموال » حتى كادوا يوقعون أحاديث نفوسهم على « أرغول » ولا تزال ممر الى اليوم ، فيها ، ومنها ، تسرى أقوى الألحان وأبقاها ٠٠ وأعذب الأغاني وأرقها ، واليوم كالأمس نغنى أصوات كثيرة ولكن القلوب فى أنحاء العالم العربى ، تهفو الى المصرية الدائمة الحضور ٠٠ حضور دائم الخضرة بموهبة السماء لا بصنم أحد : أم كلثوم التى لا تغيب لأنها نسيج أمة .

ألوان من الموسيقى قديمة وحديثة كانت مصر . رائدة . وأعلام من صناع النغم ومبدعيه فى الكلمة ، والنغمة ، مصر بهيم خالدة ٠٠ وفبوض من العطاء تتعدد وتتجدد بتعدد أصصحابها وتعاقبهم على مر السنين وكر الأجيال لم يخل منهم عصر .

علامات مضيئة هى سمات لحر ، غالبية ، ليس منها ندرة الفلوات ، انها مصر ٠٠٠

(النجمة) المصرية فى الفن والتاريخ

النجمة السادسة مصرية

- مفاهيم كثيرة خاطئة فى نرائنا ٠٠ من هذا الكثير (نجمة داود)
- وجود اليهود زمانيا بدأ فى أيام الهكسوس فى الأسرة السادسة عشرة الفرعونية ٠٠٠ ومنذ ظهورهم كانت مصر بالنسبة اليهم ، بلدا مبهرا يعيشون الى ضوئه ٠٠٠ و « فرويد » نفسه الذى يعدونه من أكبر علماءهم يقول فى كتابه عن موسى (ان عقدة اليهود سبق مصر فى الحضارة) .
- يوسف يقول لاختوته (وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو) وموسى تربى فى قصرنا ، وتعلم السحر فى مدينتنا « أهناسيا » كما تعلم فيها من قبل « يوسف » تأويل الأحلام .
- يقول جارسنانج Garstang فى حديثه عن الهكسوس (١٧٥٠ ق.م ألف وسبعمائة وخمسين قبل الميلاد) [ان العبريين الذين يسمون أنفسهم بأبناء اسرائيل لم يكن لهم رأى وأثر بين القبائل التى فى طريق مصر ، ولم يذكر لهم اسم فى أثر من الآثار التاريخية قبل سنة ١٢٢٠ (ألف ومائتين وعشرين قبل الميلاد) .
- وجاء فى الجزء الثانى من قاموس الكتاب المقدس : [قامت فى مصر فى عصور ما قبل التاريخ عدة ثقافات متنوعة من عام ٥٠٠٠ ق.م تقريبا الى زمن قيام الأسرة الأولى أو حوالى سنة ٣٢٠٠ ق.م (ثلاثة آلاف ومائتين)] .
- ويقول د. هول Dr. Hall ان اليهودية استعارت من مصر كثيرا من الشعائر والمعبودات (ولا ريب فى أن نفوذ مصر على اسرائيل كان كبيرا وقت طرد الهكسوس) .
- والوثائق العلمية فى هذا الباب كثيرة يفرد لها الحديث .
- أقول لا وجه للمقارنة الحضارية التاريخية بين مصر واسرائيل !
- اسرائيل الى الآن دولة عمرها أربعون عاما ولكن مصر أمة قبل التاريخ بآلاف السنين .

واليهود في كتبهم ومنها (الفكر اليهودي) الذي ألفه د. هرش حاخام انجلترا يقول (ان تاريخ اليهود أربعة آلاف سنة - ولم يقل أمة اليهود) على أن هذا التاريخ الرقمى ضعف الحقيقة بما عرف عنهم من وضع وتحريف وتزويد واسقاط وانحلال . في عملية لوى مسار الوقائع لسالحهم .

• وكتاب (برات لسراييل) الذى أخرجه اكسفورد فى سلسلة التراث (ومنها ترات مصر وتراث الإسلام) يجمعون على أن مخترعهم الكبرى « التوراة » وهذه التوراة يصقونها ، هم أنفسهم بأنها « صرح أدبى بحت » وضع خطين تحت كلمة (بحت) بينما تراث مصر منذ أقدم عصورها عمارة ونحت • ونقش وأدب وموسيقى وهندسة وطب وكيمياء يشهد بهذا آثارها الماثلة للعيان .

وبعض هذا معبد «دندره» وبه مسارات النجوم ، ومدارات الأفلاك . بل قبل هذا بكثير هرم « ونبس » الذى يشيع نطقه « أوناس » تجل سقف حجرة الدفن كله مزخرفا بالنجوم رمزا إلى السماء بظله وأنه يعيش فى عالم النجوم .

ويقول كتاب (مصر) تأليف اثين دزيوتون و جاك فاندييه (أن ملوك الأسرة الخامسة كانوا يعتبرون أنفسهم تابعين مباشرة لاله رع) أى أن ديانتهم شمسية .

• ويقول قبل الأسرة الخامسة : سقف هرم الملك « زوسر » بسقارة من الأسرة الثالثة ، مزين بالنجوم النحاسية . وسقف مقبرة الملك « سنفر » من الأسرة الرابعة مزين بالنجوم السداسية • والنجمة السداسية نقلها اليهود فيما نقلوا عن مصر • وفى كتاب (أساطير وعادات المصريين القدماء) - تأليف صمويل بيرش ، النجمة السداسية .

فى المتحف المصرى الدور الاول شمال الاله « نوت » مغطى بالنجوم وهى فى مصر القديمة كما يقول كتاب (آلهة المصريين) تأليف E. A. Wallis Budge . ابنة شو وتفينيت وزوجه (سب) اله الأرض وأم أوزوريس وإيزيس وست وفتيس وهى تجسيد للجينات والسماء والمدارات المثنى تطلع منها الشمس وتنتقل فى رحلتها من الشرق إلى الغرب) • ج ٢ ص ١٥٥ .

والنجوم موضوع دراسة في كتاب (المصريون القدماء) ص ٣٧٢
وفي كتاب (تاريخ الزخرفة) تأليف توفيق جاد - واسيل حبيب .

كما وردت النجمة (الثمانية) في قلادة الأميرة « خنوميت » في
كتاب (الحياة اليومية في مصر القديمة) تأليف Barbara Mertz Red
Land, Black Land. Haily Life in ancient Egypt.

هذه النجمة الثمانية اصطفاها الفن الاسلافي المصري وأساعها في
زخارفه ومنها الطبق النجسي المشهور .

وقد جمع P. Fortova-Samalova في كتابها (الزخرفة المصرية)
نماذج من النجوم الخماسية والسداسية من معبد دير المدينة بطيبة عن
الأسرة ١٩ والأسرة العشرين (النجمة السدسة المؤنثة) شكل ١٣ .
ومن معبد بيان الملوك سيتي الأول الأسرة ١٩ شكل ١٤ .
ومن وادي الملكات الأسرة ١٨ تيتي شكل ١٢٦ .

وهكذا يتضح أن اليهود أو نجمة داود مأخوذة عن مصر التي نقل
عنها في مواضع كثيرة سفر الأمتال كما نقلت عنها مزامير داود مما فصله
برستيد في كتابه (فجر الضمير) . بل ان هيكل سليمان يحاكي المعبد
المصري حرفيا كما يقول الأستاذ محمد شفيق غربال في كتابه (تكوين
مصر) [فشكل المعبد ذاته بأبهاؤه ومدخله ، وعمودان البارزان القائمات
كالمسلتين أمام المدخل وكذلك الأسدان القائمات على عرش سليمان . .
كل ذلك يحمل الطابع المصري] .

بقيت كلمة عن الديانة المصرية ورمزها بالشمس والنجوم .

يقول برستيد : (من الواضح أن ما كان يقدهه الملك هو القوة
التي بمقتضاها تجعل الشمس نفسها محسوسة في الأرض) .

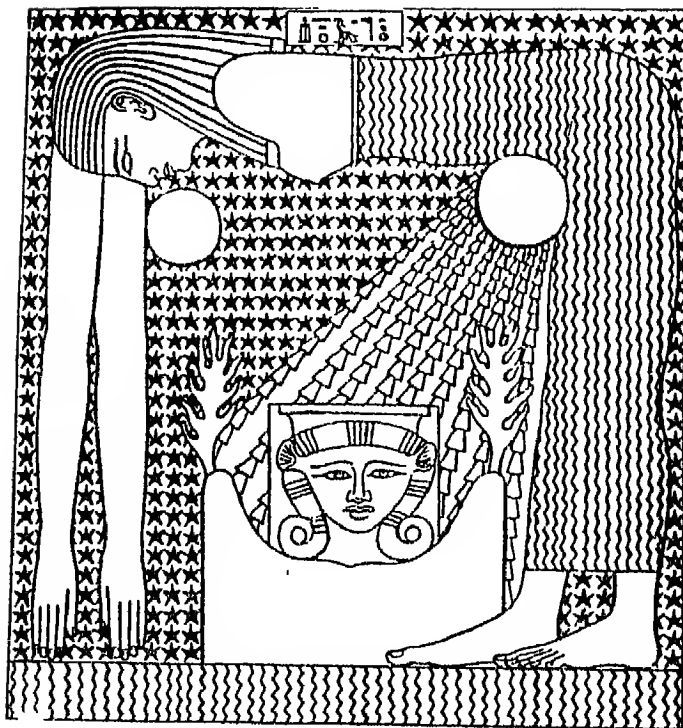
ويقول أدولف ارمان في كتابه (ديانة مصر القديمة) [هناك كلمات
يقصد بها التعبير بشكل مجرد عن حقيقة أن النجم نفسه ليس محل العبادة
بل الذات الالهية التي تتجلى فيه] .

ان الفن المصري بلغ ذروة لا يشاؤها أحد من واقع المجلدات التي
الفها الغرباء ، قبلنا ، مثل G. Maspero في كتابه :
(Essais sur L'art Egyptien)

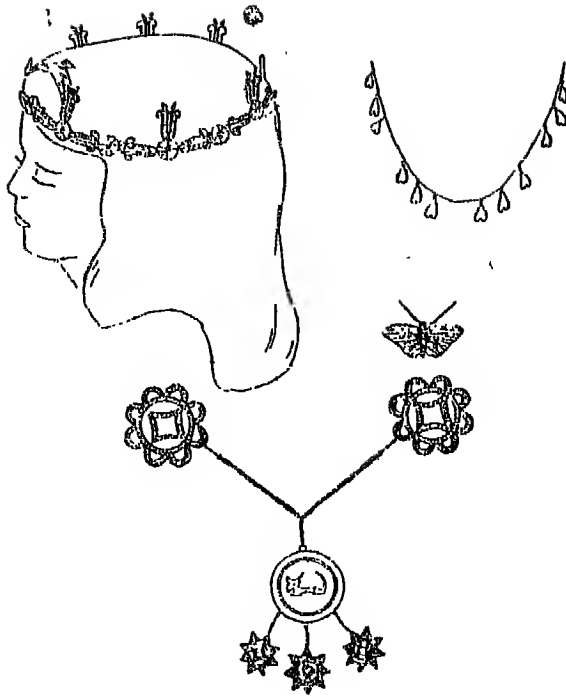
وهو مطبوع سنة ١٩١٢ وارمان في كتابه Life in ancient Egypt
وآلن جاردنر في كتابه (مصر الفراعنة) و Capart في كتابه
Lectures on Egyptian art وقد زود المقال بصورة هي خبر شاهد .

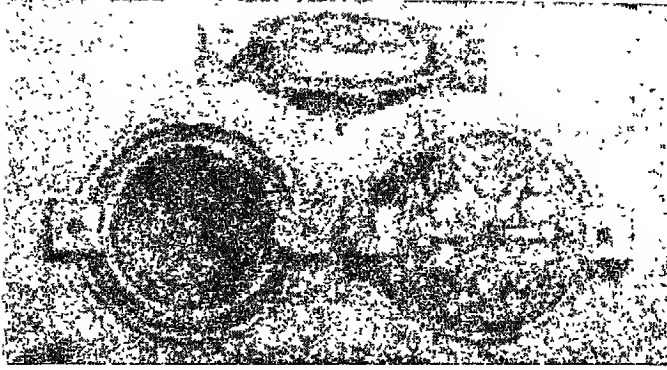
كلما درسنا الفن المصرى مرة ومرات ، لفنا الدهول ٠٠ كلما أوغلنا فيه قالت آناره ، أكثر ٠٠٠ وأعطتنا احساسا أكبر بالارتقان ٠٠ وهنا استشهد كإبارت بهتفة Nestor L'Hôté أحد رفقاء شامبليون حين صاح (عن الفن المصرى نحن نعرف فقط ، القشور) .

فما بال الذين لا يدرسون وبالتالي لا يعرفون ثم يتحدثون عن نجمة (داود) وعندهم المتبع دفاقا ، سباقا ، بفتح السين وتشديد الباء - رائدا ؟



کنیت یونا - ۲۸۹





النجمة السداسية مرسومة على صندوق (علبة) للزينة
من مصر القديمة (محفوظ بالمتحف المصرى)
ويتكرر هذا فى أدوات أخرى مع النجمة الخماسية والنجمة الثمانية.



الإسلام والفنون في البلاد الإسلامية

العمارة عمار واستقرار • والإسلام يحب العمار (فامشوا في
مناكبها وكالوا من رزقه) •

والإسلام يحب البناء حتى ليشبه به تماسك المجتمع الإسلامي
(المؤمن لادوم كالبنيان يشد بعضه بعضا) • وإذا كان المسرح أبا الفنون
فإن العمارة أمها • وكما يعانق المسرح فنون الأدب والموسيقى والتمثيل
والغناء ، فإن العمارة تحتضن فنون النقش والزخرفة والتلوين •

وقد اهتم الإسلام ببناء المساجد وجعل عمارة البيت الحرام مرفى من
مراقى القربى الى الله تعالى •

(انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر)

ومسجد المدينة كان الرسول يعمل بيده فى بنائه مع الصحابة
والمسلمين تكريما للدين ، وتكريما للعمل ، وتكريما للبناء الذى يضيف
ويرفع ، حين يحطم الهدم ، ماديا ونفسيا •

وقد كيف الإسلام ، عمارة المسجد من حيث :

★ الفراغ المعماري •

★ الارتساع •

★ الزخرفة •

وفى المعبد القرعوني ينتج الفراغ الى نقطة محددة من بهر
الأعمدة • الى قدس الأقداس •

وفى الكنيسة المسيحية ينتج المصلون الى الهيكل •

وفى المسجد الفراغ رأسى يربطه بالسماة كما فى المئذنة وأفقى
يربطه بمكة •

ان ايتار الإسلام للساواة واحتفاله بها ، وتأكيد عليها ، انعكس
على العمارة الإسلامية فمالت الى الأفقية التى تحمل معنى المساواة حين تعين
« الرأسية » على التفاوت و « ترفع » الارتفاع وشموخه • ولهذا يقوم
نظام النسب فى الإسلام كما يقول العالم الأثرى الأسباني « دون مانوير
جوهت مورينو » على أساس الوضع الأفقى وكأنه تحية لروعة الخلق

الالهى فى البحر والسهل ٠٠ وكأنه تأكيد لصعوف المؤمنين فى المسجد حين الصلاة ٠ ولا يستثنى من الأفقية الاسلامية المحببة الى الفنان المسلم ، الا المنذنة لحاجة الدين الى انتشار دعوة الأذان على مساحة واسعة لاقامة الصلاة أحد أركان الدين الخمسة ولا يتحقق الانتشار المنشود الا اذا انطلق الصوت طليفا من ارتفاع ٠

حتى ما يخرج عن « الأفقية » من الأشكال ، يطوعه إيمان المسلم لها ٠

يقول الدكتور عبد العزيز سالم (١) ان الفنان المسلم (حين يخطط زوايا ، يؤثر المنفرجة لأن الزاوية القائمة شكل من أشكال الارتفاع ، وحين يبرز استدارات فانه يطوقها باطار مربع ، وحين يقيم قبابا ، فانه يهتم بتصغير نسبها حتى لا تفسد أفقية البناء ، بل يوزع تكورها على فصوص ، أو يقضى عليه بأن يستبدل به تقاطع العقود ، أو يهبط به إلى مستوى القبوات) ٠

وينعكس مبدأ المساواة فى الاسلام ، مرة أخرى ، على العمارة الاسلامية ، فى ميل المعبارى المسلم الى السقوف المنخفضة المتمثلة فى المساجد الأولى كجامع المدينة والجامع العتيق الذى يحكى المقرئى انه كان منخفضا حتى عهد الوليد بن عبد الملك حين قام عبد الله بن عبد الملك برفعه سنة ٨٩ هـ ٠ بل ان المقرئى فى « نفع الطيب » (٢) يحكى ان جامع قرطبة الذى أقيم بعد الفتح الاسلامى سنة ٩١ هـ ، كان يضعبه على المصلين به القيام على اعتدال لتقارب هذه الأسقف من الأرض وظل هذا طابع المسجد فى دولة الاسلام حتى القرن الثالث الهجرى فان جامع ابن طولون فى القطائع الذى أقيم سنة ٢٦٥ هـ كان ارتفاع مسطحه لا يزيد على عشرة أمتار عن أرضية المسجد ٠

وما لبنت مصر أن عملت على تصعيد الارتفاع فى المسجد بؤراناتها القديمة التى رفعت المسلة والهرم ٠٠ ويتجلى ميل مصر الى السموق فى الأعمدة والأسقف فى جامع السلطان حسن حتى ليسميه أساتذة العمارة من المستشرقين هرما اسلاميا ٠

لقد قاربت المساواة فى الاسلام بين المسلمين ، وقربت بين الفنون الاسلامية ٠ فى مؤتمر الفن الاسلامى بلندن فى عام ١٩٧٦ ، قال النقاد

(١) كتاب (القيم الجمالية فى فن العمارة الاسلامية) للدكتور عبد العزيز سالم ٠

(٢) نفع الطيب للمقرئى ج ٢ ص ٩٦ ٠

الفنيون في سببه اجماع ، ان الفن الاسلامي على اختلاف أوطانه ، متشابه ، وعزوا هذا التشابه الى الخط العربي .

الفن الاسلامي يشده بعضه الى بعض ، رباط بلا شك . ان العنصر الرائع الذي يربط عطاءات الفن الاسلامي في أوطان عدة ، انما هو **الفكر الاسلامي** . . انما هو روح الاسلام من مساواة وحرية وسماحة وتوحيد . . ثم تجيء الكتابة العربية فتستوعبه .

وقمة العمران في مجتمع ، المساواة بين أفراده .

وقد أعلى الاسلام قيم المساواة من تكافؤ في الحقوق والواجبات . . من عدل ورحمة . حتى الرقيق سمى الاسلام بينه وبين مولاه في الطعام والشراب واللباس والتعليم والتهذيب وفي معظم الحقوق المدنية اللهم الا في الولاية .

يقول صاحب كتاب « النظم الاسلامية » (كان من اختصاص المحكمة أن تحكم بتحرير الرقيق اذا ثبت أن سيده يعامله معاملة قاسية) .

كان منطلق الاسلام (ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهدينا له النجدين فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة) وقدم هذا العنق على سائر أعمال الخير التي حض عليها في هذه الآية .

هذا بينما يرى الرومان ، أرقاء :

أبناء الأرقاء ، حين ينص الاسلام على ألا تزر وازرة وزر أخرى .
والمدينين . **والعجز عن الوفاء بالدين** يستوجب الرق في شرعهم .

واليهود يرون أرقاء :

المدينين . . كالرومان سواء بسواء .
والمعاصين الشرع .

من يقعون في يدهم من أبناء الآخرين .

وجاء المسيح ومضى - في وقت قصير - والرق باق لم ينله تعديل .

ومجتمع يشيع التراحم بين أفراده من كل لون وصفة كالمجتمع الاسلامي ، مجتمع مستقر وقرير يرتفع به الانسان وبناء المكان .



كيف الاسلام بروحه وتعاليمه العمارة الاسلامية . يقول الدكتور فريد سافعي (الدين قد يستخدم العمارة والفنون للتأثير على الناس أو يستخدمها هؤلاء للتعبير عن شعورهم نحو دينهم) .

وقد عدد الدكتور فريد المؤثرات التي تكيف العمارة فى أى مكان .
من نك العوامل : النظم السياسية - الحالة الاقتصادية - البيئة المناخية -
الطبيعة الجغرافية - التكوينات الجيولوجية .

وقد خضعت العمارة الاسلامية لهذه العوامل فى نشأتها وتطوراتها
وخاصة فى مصر حلقة الوصل بين الشرق والغرب . . . ويؤكد الدكتور
فريد ان العمارة الاسلامية فى المسجد نمت نموا محليا جعلها تختلف
فى وحدتها ، وفى نسبها ، وأحجامها ، عما يقابلها فى البلاد الاسلامية .

اننا نلاحظ فى المسجد المصرى ، كالمعبد المصرى : الممر الضيق
الطويل يخرج منه السائر الى الرحابة الرحبة فى البناء ، وفى المكان .
هل يوفر الفنان للمكان ، عنصر المفاجأة ؟ عنصر الدهشة الجمالية ؟

هل هو درس نفسى أن الضيق بعده فرج ؟ هل هو ترديد للآية :
(ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) . هل هو تحضير للدخول ؟

تحضير للنفس وتحضير للصمت يفتح بعدها المكان قلبه وذراعاه ؟
وينشرح الصدر وكأن الزائر مسلم .

وبعد الممر يهتج المسجد على الصحن كما كان يفتتح المعبد على بهو
الأمم . ونقابل الميضة فى المسجد ، بحيرة الاغتسال فى المعبد ويقابل
المحراب والمنبر فى المسجد قدس الأقداس فى المعبد ، ان القبة هى الترجمة
الاسلامية للهرم . . . ترفق الخط فى يد الفنان المسلم ، من سماحة الدين
الجديد ، فاستدار الخط بعد صلابة وثبات .

القبة فى المسجد الاسلامى مظلة رضوان . . . وهى نميل فى فارس
الى التشمين متأثرة بالآية (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) .
القبة فى العمارة الاسلامية تنتهى الى نقطة يعلوها هلال هو رمز
الميلاد الجديد فى عملية اختزال رائع للحياة . . . ميلاد وعمل باق ثم موت
تعيد بعده الحياة نفسها كرة أخرى .



**والحرية فى الاسلام واحترامه للانسان ، انعكس على العمارة
الاسلامية . فى الفن الاغريقى أمر order أى مقاييس ثابتة ومحددة
وهى بهذا محدودة .**

الفن الاسلامى له رؤية ثم يتنوع بتعدد الانسان الخلاق الذى يجترم
الاسلام حرته .

كرم الاسلام الأم والأب فارنقع فيه معنى الأسرة وكرم الانسان
فارنقع فيه معنى السر والستر .

ومن هنا احتفل الفن الاسلامي بالباب ونقشه وبمنه بما يفقل على
أسرار مصونة ، ويفتح على عالم سعيد . أسرة . . . أب وأم وأبناء .
الباب الاسلامي معمور . . . انه يستبان ثباتي ملنف الأغبصان تجففة
به النجوم اشارة الى وحدة الكون واستضاءته بفضيل الأصل الواحد .

حبب الاسلام الحجاب بما فيه من ذاتية وخصوصية وانعكس هذا
على طراز عمارة البيت الاسلامي الذي يفتح على الداخل لا الخارج . . .
والذي تشكل توافذه مشريبات حاجبة . . حتى حديقته ونافورته تقوم
في الداخل حتى يستقل أصحابه بما حوى .

هذا حين يدخل الجميع من باب المسجد لأنه بيت الله اله الناس . .
تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت لديك ولا الأقدار مختلفات

المسجد للجميع لأنه بيت الله ، اللائدون به كنيرون وعو لا يصيد
أجدا . . . فلهذا تعددت الاتجاهات المفضية اليه بل تعددت الأبواب في
المسجد الحرام . وكان المسجد في البداية يبنى في وسط المدينة تيسيرا
للجميع ، ليس بالمسجد حجاب أو أماكن متفاوتة مخصصة انه مكان واحد
رحيب كالقلب المفتوح . من يحضر أولا ، ينقدم في الصفوف ، على سواء ،
بين الناس .

الترتيل في القرآن (ورتل القرآن ترتيلا) انعكس على العمارة
الاسلامية ، ظاهرة العقود المتوالية .

توالي العقود ، لون من التردد .

لون من التطريب الهندسي ، ونشر النجوم في الزخرفة الاسلامية
في أحجام مختلفة ، نوع من التردد والتوليد . انه تحية لسورة النجم . .
تحبة للآية : (والسماء والطارق . . . والنجم الناقب) . ونظام الوحدات
في الزخرفة الاسلامية ، لون من التردد . ويحيى الطبقة النجمي المشهور
في الفن الاسلامي تحبة أخرى لسورة النجم .

- وفى المسجد ، دكة المرددين وهذا غير التكرار الذى يوقع فى الملل
- أن يكون التكرار محسوباً فى هدف أعلى ، فن

• بل الإسلام وراء فن الموسيقى فإن تجويد القرآن وترتيل الأذان وراء حفظ الموسيقى العربية •

وهبدأ التكافل الشاهل فى الإسلام كان وراء العمارة الإسلامية والجامعة الإسلامية ويمثل هذا : الأزهر ، انها روح الإسلام وراء نظام الأروقة فيه •

(المسلمون أمة) و (خير أمة أخرجت للناس) لهذا لم يكن الأزهر مسجداً محلياً بل مسجداً أمةً تلتقى فيه عدة جنسيات فى ٣٦ رواقاً •

وتأكيد الإسلام لقيمة العمل ، جعل العمارة الإسلامية لا تنوقف حتى فى عصور ضعف الدولة الإسلامية • • وقيم الإسلام هذه تجذب الآخرين اليه ونهيتهم للدخول فيه حتى فى عصور الضعف السياسى أيضاً • دنيل قوته الذاتية وقوة قيمه الانسانية •

• الإسلام وراء تاج محل فى الهند بناء مسلم لمسلمة •

الإسلام والبناء :

لقد حالت روح الإسلام دون الهدم حتى فى الحروب فحرم هدم المنازل أو بيوت العبادة أو قتل النساء والشيوخ والأطفال •

لقد خرج هولاءكو والنتار فى صحراء فخربروا وألقوا بمكتبة بغداد فى النهر لتكون موطناً لخيولهم ! وخرج العرب من صحراء فعمروا فى الشرق والمغرب • • •

وليس معنى هذا أنه لم يحدث هدم فى دولة العرب ودولة الإسلام فالملوك كما يقول الجاحظ (١) من شأنهم (أن يطمسوا آثار من قبلهم والعمل على اماتة ذكر أعدائهم فقد هدموا لهذا السبب ، المدن والحصون) •

لقد أجرى الخليفة المأمون عمارة (٢١٦ هـ - ٨٣١ م) بقبة الصخرة المطلة على القدس ، فاتخذها سبباً أو مناسية لحو اسم منشئها عبد الملك ابن مروان ووضع اسمه مكانه • • وفات أنصاره تغيير التاريخ الأول وهو ٧٢ هـ - ٦٩١ م فانكشف أمرهم • •

• ولكن الحقيقة بعد هذا تضنيع معالمها كالآثر •

(١) الحيوان للجاحظ ج ١ ص ٣٦ - ٣٧ •

وتحق كلمة المقريرى صاحب المواعظ والاعتبار (اذا تأملت البقاع
وجدتها ، تشقى كما تشقى الرجال وتسعد) (١) .

حتى صلاح الدين هدم سور مدينة أنصنا بالصعيد وشحن أحجاراً
ليبنى بها مع أحجار الأهرامات التى هدمها وزيره بهاء الدين قراقوش ،
سورا يحيط بالقاهرة والقسطاط . كما انه خرب كما يقول الأثرى حسن
عبد الوهاب ، القصور الفاطمية وكانت من عجائب الدنيا . فتبعثت
أجزاؤها فى منشآت المنصور قلاوون وغيره .

حتى المساجد لم نسلم من يد الهدم والتخريب ! فقد هدم الملك
(الصالح) ! نجم الدين أيوب كثيرا من المساجد والقصور ليبنى قلعة
الروضة .

ولكن مؤلاء غلبت بشريتهم الأرضية ، سماوية العقيدة ، ومثالية
الدين .

وكما يتجاوز الخير والشر فى الحياة بل فى الطبيعة الواحدة أى فى
الانسان الواحد ، فان هؤلاء يقف الى جانبيهم ، أختيار عمروا . أقاموا المدن
والمكتبات وشجعوا العلوم والفنون فازدهرت وأزهرت . ومما بنوه مدينة
(اللد) فى فلسطين ، و (بغداد) فى العراق فى مكان بابل القديمة ،
والقطناع والعسكر والقاهرة المعزية فى مصر الاسلامية . ولو أن التلات ،
امتدادات لمنف العظيمة التى تتجدد ولا تتبدد . تتغير ولا تغيب . . .
شاعدا المنصور . . . عزيمة الوجود . . . لها ، بعد كل الأسماء ، فى
الوجدان المصرى بل الانسانى ، مكان لا يشائيه الا طيبة الطبيعة أقدم
مدينة فى الدنيا .

وتضم مصر المدينتين . . . ويتوج اسمها المدينتين . . . مركزين
حضاريين مصريين .

ويفتح العرب المسلمون الأندلس ، فينقلون اليها كل ما فى بغداد من
علوم وفنون وينشئون فى قرطبة كثيرا من المباني الفخمة . والمكتبات
العظيمة العامة والخاصة .

ومن أشهر المكتبات العامة ، مكتبة قرطبة - بلغ عدد المكتبات العامة
سنتين مكتبة - وقد بلغ عدد الكتب فى مكتبة قرطبة أو مكتبة الحكم المستنصر
(٣٥٠ - ٣٦٦) مائتى ألف مجلد جمعها من افريقية وفارس وسائر
البلدان . . . وكانه يستمع الى الحديث (اطلبوا العلم ولو فى الصين) . . .

(١) المواعظ والاعتبار للمقريرى ج ١ ص ٣٤٨ .

وكانه يصغى بقلب مفتوح الى نداء الآيات التي تردد فيها اسم العلم
١١٦ مرة .

وكرت رحلة العلماء بين المشرق والمغرب للاستزادة وليست
كرحلة أخرى مدعورة حين دهم هولاء بغداد ففرت العقول وتركها العلماء
ولولا مصر التي احتضنتهم بل استقبلتهم الخليفة نفسه احياء للخلافة
الاسلامية ، وكان هدف التتار القضاء عليها ، باسقاط الخليفة وتدمير
بغداد عاصمة الدولة .

لقد جعل الرسول فدية الأسير تعليم عشرة من صبيان المسلمين
في دعوة الى العلم كالدين .

ان الذين بكوا على الاسلام في الأندلس انما بكوا في الحقيقة على
زائل من الحكم أما الاسلام فهو باق في الأندلس بل ان أسبانيا تعيش
عليه اليوم بما تقصد اليه السياحة والرواد .

الاسلام اليوم مائل في مسجد قرطبة وقصر الحمراء بغرناطة وآياته
الباقية في اشبيلية ومرسيه ومدريد العاصمة نفسها وغيرها .
الاسلام بناء .

(انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) .

وقد جعل المسألة ليست البناء فحسب بل .

★ المحافظة عليه .

★ الاضافة اليه .

لقد بدا جامع قرطبة بفدان وانتهى بشمانية .

لقد كتب الاسلام تاريخ العمارة الاسلامية :

وتاريخ الأزهر خاصة . فواحد يضيف اليه ، وآخر يوقف عليه ،
وثالث يجعل منه مدارس لتعليم القرآن وهو الجامعة الكبرى . انها روح
التكافل الاجتماعي في الاسلام وانه تطبيق وقفة الاسلام الطويلة عند
(العلم) .

تخطيط المدن في الاسلام :

وقد عنيت الشريعة الاسلامية بتخطيط المدن . . ففي سنن أبي
داود : أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بأن ينادى في معسكره بأن
من ضيق منزلا أو قطع طريقا فلا جهاد له ، وذلك حينما لاحظ نضيق
صفوف الأخبية في ميادين القتال (١) .

(١) كتاب (التراثيب الاداريه) ج ١ ص ٢٨٢ .

انظر كتاب (توثيق الصناعات على آثار مصر الاسلامية) للاستاذ حسن عبد الوهاب

وقد وضع عمر بن الخطاب دستوراً لإنشاء المدن ، أذاعه على ناصحى
الأمصار ومنتشئتها فى صدر الإسلام ، فجعل المسجد محور المدينة أو
مركز الدائرة بحيث تنفرع الشوارع حوله ٠٠٠ وأن تكون المناهج أربعين
ذراعاً وما يليها ثلاثين ، وما بين ذلك عشرين ، والأزقة سبعة أذرع
والقطائع ستين (١) .

وكذلك تناول المشرع الإسلامى قوانين سعة الشوارع والطرق ،
وتناولها فى أحكامه . واتفقوا على أن الطريق النافذ مباح المرور فيه لكل
إنسان لأنه حق للمسلمين ، فليس لأحد أن يبنى فيه أو يخالف خط جاره
(خط التنظيم) (٢) فلا يبرز عنه ، كما وضعوا لاقامة الأسطة (٣)
وأشترطوا أن تكون مرتفعة بحيث يمر المحمل ، أو الفارس على جواده ورمحه
قائم ، وحرموا بناء المصاطب وغرس الأشجار أمام الدور ، ما دام يترتب
على غرسها تضيق الطريق) .

ووضعوا فى حكم المنافع العامة الشوارع الخاصة التى أيسح
استعمالها ، ومثلها الشوارع التى اصطلح الملاك على تركها من أملاكهم ،
والطرق التى تشقها الدولة ، فلا يجوز شغلها ، ولا تضيقها صونا لنقوش
الجدران فى واجهات المساجد والدور ، وتيسير المرور ، ولتوفر الهواء
والنور . شددوا على سعة الشوارع .

وبمناسبة التخطيط وصف الكتاتيون القاهرة وصفا لا أدرى هل
نسر به أو نحزن ٠٠٠

خرج إليها يوماً موسى بن عيسى فهتف بمن حوله فى بهر الإعجاب ،
قائلاً أو سائلاً :

أنتاملون الذى أرى ؟ قالوا : وما الذى يرى الأمير ؟ قال أرى ميدان
زهان ، وجنان نخل ، وبستان شجر ، ومنازل سكنى ، وذروة جبل ،
وجبانة أموات ، ونهرا عمججا ، وأرض زرع ، ومرعى ماشية ، ومرع
خيل ، وساحل بحر ، وصائد نهر ، وقانص وحش ، وملاح سفينة ،
وحادى ابل ، ومفازة رمل ، وسهلا وجبلا فهذه ثمانية عشر متنزها فى أقل
من ميل فى ميل .

ماذا نقول الآن ؟

(١) المرجع السابق .

(٢) كتاب (الفوائد الباهرة فى حكم شوارع القاهرة) .

(٣) السباط . يمر بين منزلين من أعلى .

وقد استحدثت العمارة الإسلامية عناصر تبعه كل منها موضوعا هاما
في تاريخ هذه العمارة مثل **المتدنة المصرية** بمراحل تطورها ٠٠٠ مثل
القباب .

واحتفل البلاد بالآثار الإسلامية ، مصر ٠٠ حتى ليقول الأثرى حسن
عبد الوهاب : (ان مجموعة القباب والمنارات في مصر لا نظير لها في أى
قطر آخر من الأقطار من حيث الكثرة والتنوع في مادة البناء ما بين آجر
وحجر ، أو الجمع بينهما ، وما بين أنواع في الطرز والزخرف ، ومباراة في
الرشاقة ، حتى أصبحت المنارة والقبة المصرية ، جديرتين بلقب عرائس
القباب والمنارات في العالم الإسلامى) (١) .

وقد مهرت مصر الآثار الإسلامية على أرضها وخارجها . فمى أنحاء
العالم الإسلامى مآثر لمصر وآثار حفر اسمها عليها ، عمالها الذين كانوا
يقصدون للبناء والتعمير والنجميل . ان من يراجع (توقعات الصناع
على آثار مصر الإسلامية) وقد أفرد لها الأثرى حسن عبد الوهاب ، كتابا ،
يزدهيه ويرضيه أن (أكثر العمارات التى أجريت بالجرمين الشريفين نفذها
مهندسون وعمال مصريون) (٢) .

وقبل الأثرى المصرى ، أشماد بصناع مصر ، الرحالة عبد الغنى
النابلسى ، وابن فضل الله العمري ، والرحالة البشماسارى المقدسى ،
والبلادزى ، والهروى ، وابن بطوطة .

لقد استرعت الحضارة الإسلامية أنظار الباس من غير العرب وغير
المسلمين منذ ما يقرب من ألف سنة ، وبخاصة أولئك الغربيين الذين خضعوا
لتأثيرها كما يقول الدكتور فريد شافعى فى كتابه (العمارة العربية فى مصر
الإسلامية) عندما أخذت أفواجهم تتابع على بلاد العرب والمسلمين أثناء
الحروب الصليبية واستمرت تشد أبصارهم ونستهوى أفئدتهم طوال
تلك الحقبة الى وقتنا هذا . وقد أنصفها الكثيرون وفى مقدمتهم الدكتور
سيجرىد هونكه فى كتابها (سمس الله تشرق على الغرب) .

غير أن فئة من هؤلاء العلماء لم تلتزم المنهج العلمى الخالص فحاولت
حجب الفضل عن أصحابه من شدة احساسها به وهو نوع من التقدير
المعكوف كما يقول الأستاذ العقاد . فقد اشتد نفوذ الحضارة الإسلامية
فى العصور الوسطى فلما لم يملك الجاحدون فكأكا من أسرها سموها
المسلمين نقلة فى اشارة الى مرحلة الترجمة التى سبقت مرحلة الابداع .

-
- (١) كتاب (الرسومات الهندسية للعمارة الإسلامية) للاستاذ حسن عبد الوهاب
(٢) كتاب (توقعات الصناع على آثار مصر الإسلامية) للاستاذ حسن عبد الوهاب .

يكفى أن العرب وفروا على الحضارة الأوروبية والحضارة الحديثة اليوم ،
• زينا طويلا يعد بعشرات القرون .

لقد لبثت أوروبا في طسور التخرج والنقل حين أخذوا عن العرب
والمسلمين أكثر مما لبث العرب في هذا الطور حينما أخذوا عن اليونان •

ومهما يكن من أمر فإن أشده الناس تعصبا لا يمكنه الاقلال من شأن
النتائج الحضارية الخطيرة التي حدثت في تاريخ البشرية ، وترتب على
ظهور محمد النبي العربي وعلى قيامه ببث الدعوة الى الدين الاسلامي وعلى
انتشار هذا الدين في منطقة كبيرة من العالم ، فان ما أحدثه محمد بما
أتى به من عقيدة وتعاليم يدعو بها الناس الى عبادة رب واحد عظيم ،
والى خلق قويم ، وترشداهم الى ما فيه صلاحهم وصلاح البشرية ، والى العلم
والعدل والشورى •• كل ذلك لا شك يعد نقطة تحول هامة في مجرى
حضارات العالم ولا يمكن مقارنة هذا الحدث بأى حدث آخر في تاريخ
البشرية •

كانت صفات وأسماء الله المخالق المبدع أمام عمل الفنانين ووجداناتهم
وأحاسيسهم فانتاجاتهم القيمة محملة بهذا الاحساس القدسي والعبادة
والتوحيد والثناء حتى وقف العالم الفرنسي Bourgoin مرجوان
طويلا عنده الفن الاسلامي •

وقيل عن ليونارد دافنشي أنه كان يقضى وقتا طويلا في رسم هذه
الزخارف الهندسية الاسلامية •

ان الخاصية الرئيسية التي يوصف بها العالم الاسلامي من حيث
الحضارة بعامة ، هي أنه حقبة ثقافية في تطور جماعات متعددة ومتميزة
من حيث الجنس والظروف الجغرافية ، وليس تعبيرا عن شعب واحد من
الشعوب أو منطقة من المناطق (١) •

ومن هذا المنطلق نجد العمارة الاسلامية ذات اثر بعيد في العمائر
المسيحية واليهودية خلال العصر الاسلامي في الأندلس وبعده (٢) •

-
- (١) افرا (تراث الاسلام) ج ٢ لمجموعة من المستشرقين (الدرجة العربية) •
 - (٢) افرا (تراث الاسلام) ج ٢ :
 - بحث : أجرويه (عناصر اسلامية في عمارة البندقية في العصور الوسطى) •
 - بحث : ج • مايلز (الدولة البيزنطية والعرب) •
 - بحث : د • أ • جيرايز بهري في (التأثيرات الشرقية في الفن الغربي) •

وقد عرفت الحضارة الاسلامية . للعمارة ، حقها فألفت الكتب في العلوم الهندسية والرياضية والخيال الميكانيكية وجر الأثقال مما أفاض في ذكره (الفهرست) لابن النديم و (مفاتيح العلوم) للخوارزمي ، و (ارشاد القاصد) و (كشف الظنون) .

كما وضعت المؤلفات في علم عقود الأبنية .

ويروي الأثرى حسن عبد الوهاب أن في مكتبة أيا صوفيا نسخة من كتاب أبي الوفاء اليزجاني (ت ٣٨٨ هـ - ٩٩٨ م) يتناول ما يحتاج اليه الصناع من أعمال الهندسة ، ولأحمد بن عمر الكرابيسي ، كتاب : حسن الدرر ، وكتاب : مساحة الحلقة .

والقلقشندي في (صبح الأعشى) له وقفة عند هندسة العمائر ومهندسيها .

ولم يقتصر المهندس المسلم كما يقول الأستاذ حسن عبد الوهاب على رسم منشآته المعمارية بل وضع لها أحيانا نموذجاً مجسماً (ماكيت) وأقدم نموذج إسلامي هو قبة السلسلة بجوار قبة الصخرة بالقدس الشريف .

ويروي قصتها بأنه (في أول انشائها وقبل تجديدها كانت شكلاً بنيت على مثاله قبة الصخرة سنة ٧٢ هـ - ٦٦١ م لأن عبد الملك بن مروان حينما أراد بناء قبة الصخرة ، وصف ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للمهندسين والصناع فصنعوا له قبة السلسلة فأعجبه تكوينها وأمر ببناء قبة الصخرة طبقاً لهذا النموذج) (١) .

وقد أكد هذه الرواية مؤرخون ثقة ، منهم صاحب (الجامع المستقصى في فضائل الأقصى) وغيره .

إن العمارة الإسلامية تنتهي إلى الإسلام فنا لا اسماً فحسب فلم تكن لموطن الإسلام الأصلي هذه الطرز من العمارة ، ولكن يحسب للعرب السرعة والتجاح اللذان تم بهما ظهور طراز معماري إسلامي من شعورهم بالحاجة إليه (وهو شعور يدعو إلى العجب حقاً) . . . إلى اظهار حقيقة الوجود الإسلامي في صورة مادية تختلف عما يحيط بها .

وتتميز مع ذلك بهيئة إسلامية مفهومة وتعتبر هذه النقطة كما يقول أوليج جرابار على جانب كبير من الأهمية عندما نحاول ان نقدر تراث الإسلام المعماري .

(١) اراء كتاب (الأس الجليل بتاريخ القدس والخليل) ج ١ ص ٢٤١ .

لقد انبثق هذا الشعور من طموح حضارى الى مواكبة ما يحيط بهم من طرز معمارية فى البلاد المفتوحة فنشأت العمارة الاسلاميه رداً على مجموع كبير معقد من الأشكال السابقة عليها أو المعاصرة لها دون أن تكونها جملة وتفصيلاً .

بل مما يسترعى الانتباه كما يقول أوليج جرابار (ان التوليفات المعمارية التى تكونت خلال القرنين أو الثلاثة الأولى النى نشأت عنها كل التطورات المعمارية اللاحقة . انما كانت فى ذاتها مجرد مثل واحد لقدرة فريدة لدى المسلمين على تحويل عناصر شكلية أو وظيفية عديدة أخرى الى شىء اسلامى مع الاعتراف بأن هذه التوليفات كانت أول أمثلة هذه القدرة الفريدة وأقواها تأثيراً) .

لقد نشأت المسيحية فى منطقة الشرق العربى الا أن الإسلام كان أكثر انتفاعاً بما ورثه من حضارات وأكثر تفنناً فقد (أعطى معانى جديدة لأشكال كانت معروفة وشائعة ، كما أعطى معانى قديمة لمبتكرات جديدة فى الأشكال) .

ومع العمارة ، تراث اسلامى فى فن الزخرفة الى حد الولوج . ولعل السر فى هذا هو طول عهد العرب بالصحراء والرمال والتشابه والرتابة الشاملة والطويلة فما ان وقعت عيونهم فى البلاد المفتوحة على الفنون والألوان حتى ابتهجوا بها . . . وخدمتهم وخاصة التعليم عندهم فوصلوا الى المشاركة ثم المهارة . . .

وهنا لم يتركوا شيئاً الا زخرفوه ولونوه . وكان يصنعهم رداً مادياً على اللون الواحد (الصحراء) حتى الجدران غطوها بالألوان رخاما وقسيفساء ودرجات قيشانية ملونة ، حتى المعادن كفتوا النحاس بالفضة ، وموهوه بالذهب ، ولونوه بالميثاق . . . حتى الكتب جلدوها بالألوان . . . حتى ملابسهم غرقوها بالأصباغ مما استلقت نظر سولومون دوف جويتين ، فى تحابله للألوان والأصباغ التى كان يستعملها الرجال والنساء فى ملابسهم ، والتي وزد ذكرها فى وثائق الجنيزة فى مصر القديمة (الفسطاط) فى القرنين الخامس والسادس لهجرة ، الحادى عشر والثانى عشر للميلاد .

وبخاصة عندما يتحدث عن السجود الهائل فى الألوان التى كانت تستخدم فى تلك العصور ، والتي كانت تجعل الأنسان فى البصير الوسطى يبدو كالطيور الاستوائية وهى تصمدح بين الأشجار بألوان متداخلة ، وأشكال لامعة براقه ، ذات أطراف متغيرة وخطوط وتموجات .



نظام الاسلام المجتمع العربي بالحكم النظامي ، مثلًا في الخلافة بعد النظام القبلي . وكم بين الانبين فيما يتعلق بالانسان من حقوق وواجبات تعمل عملها في مجتمعه الجديد كرامة واعتدادا . . علما وفنا وصناعة . . عمارة وعمارة . . أنسا وایناسا يعطى الانسان في ظلها عطاءه ويؤتى خيره لم يظلم منه شيئا .

ويقارن توماس أرنولد في كتابه (الخلافة) بين الخلافة في الشرق والامبراطورية الرومانية المقدسة في الغرب فيقول ان كليهما تستند الى قوة الدين غير أن الامبراطورية المقدسة مستحدنة أو هي استمرار للامبراطورية الرومانية في الوثنية وحتى بعد المسيحية لم تكن الامبراطورية نظاما جامعا فقد كان الامبراطور الحاكم الزمى ، حين يعتبر البابا الحاكم الروحي . أما الخلافة (فانها لم تقم على نظام سياسى سابق ، بل هي نظام مستحدث وليد الظروف والأحوال التى نشأت على أثر ظهور الاسلام وبسط سيادة العرب على بلاد الفرس ومعظم بلاد الدولة الرومانية الشرقية . والخليفة حاكم سياسى يجمع بين السلطتين الزمنية والروحية) .

انه أسلوب الاسلام الذى حد كثيرا من بطش الطغاة فأمن المجتمع الاسلامى واستقر . ومع الاستقرار انتشر العمران في صور سنتي .

لا أريد أن أتكلم عن الخلافة نظاما سياسيا ودينيا فقد تناولها فقها ، ومؤرخون منهم أبو الريحان البيروني (٤٤٠ / ١٤٠٨) وأبو الحسن علي الماوردي (٤٥٠ / ١٠٥٨) وابن حزم (٤٥٦ / ١٠٦٤) والشهرستاني (٥٤٨ / ١١٥٣) وابن خلدون (٨٠٨ / ١٣٨٢) .

كما تناولها مستخون بالفلسفة منهم أبو نصر الفارابي في كتابه عن أهل المدينة الفاضلة ، واخوان الصفا ، وشهاب الدين السهروردي في كتابه (حكمة الاسراق) .

وتناولها مستشرقون منهم (متز) و (جولد تزيهر) و (توماس أرنولد) .

ما أريد أن أقوله هو أن الاسلام وراء كل صغيرة وكبيرة في عمران المجتمع الاسلامى حيب استندت السياسة والقضاء . . في الاسلام الى روحه وتعاليمه ثم بعد هذا الى مذاهبه الأربعة . . وعندما كانت السياسة ، خاصة ، تنغيا ما أمر به الاسلام أن يتبع ، كان يشيع في المجتمع العدل والخير . يعزز هذا ويرسى قواعد القضاء الاسلامى . فالاسلام منذ وجد كان عقيدة وشريعة . . وكان المسجد جامعا وجامعة وقبلة للرأى كالأصلادة ومكانا للعبادة ، والشورى ، و الأحكام في وقت واحد .

يقول توماس أرنولد (لم يكن المسجد ، مكانا للعبادة فحسب ، بل كان أيضا مركز الحياة السياسية والاجتماعية . فكان النبي يستقبل في المسجد السفراء ويدير شئون الدولة ، ويخطب جماعة المسلمين على المنبر في الأمور السياسية والدينية . فمن فوق منبر المدينة أعلن عمر عن بتهقر جيوش المسلمين في العراق ، واستحث قومه على السير الى هذه البلاد . ومن على المنبر أيضا وقف عثمان يدافع عن نفسه ، كما كان الخليفة عند استخلافه يلقي من فوق المنبر على الجمهور خطبته الأولى التي دعى بمنابة بيان عن سياسته في الحكم) . أى خطبة العرش بالاصطلاح الحديث .

• وفي المسجد كانت تتعلق حول العلماء الندوة يفسرون ويشرحون .

• وفي المسجد تلقى أطفال المسلمين العلم وحفظوا القرآن .

• وفي المسجد تصدر القضاة للحكم بين الناس ونصبوا موازين العدل .

وحين أخذ المسجد هذه الأهمية في حياة المسلمين ومدتهم صار منها عذرا نيا علميا وفنيا . . هندسيا ودينيا ، ومساجد العصور الوسطى من أهم آثار الحضارة الاسلامية في ذلك العهد .

إذا كان المسرح أبا الفنون فان العمارة أمها . وكما يعاني المسرح فنون الأدب والموسيقى ، والتمثيل والغناء ، فان العمارة تحتضن فنون النقش والزخرفة والتلوين .

فن التلوين في الاسلام :

ان اللون والزخرفة في الفن الاسلامي قصد :

★ لقيمته الجمالية .

★ للرمز عن الأشياء .

★ لمحاكاة النماذج .

★ للراحة النفسية بالتغيير .

ويعتمد الايقاع في الفن الاسلامي على :

التماثل والتناظر والتبادل على الخط اللين والهندسي .

كان الاسلام وراء تشكيل الفراغ في الفن الاسلامي . فحين كره الفنان المسلم ، الفراغ ، أراد ملء المساحات الكبيرة . وهنا رأى اعتماده على الخطوط والتوريقات النباتية الدقيقة تتطلب وقتا وجهدا مضاعفا فرسم

الحيوان والطيير ليعينه الحجم على ملء المساحات ٠٠٠ ولكنه تفاديا لرسم الكائنات الحية كما هي ، لجأ الى تحرير الشكل .

كان الاسلام وراء الخليسات المعمارية التي تشبه خلايا النحل
والتي استنعمت فى المساجد فى طبقات مرصوفة وتشمعل فى الزخرفة المعمارية .

وقد أشاد القرآن بالعسل : فيه شفاء للناس ، وأشار الى بيوت النحل . والسورة ١٦ من القرآن الكريم بحمل اسم : النحل (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . نم كلى من كل النمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .

وقد نفكر الفنان المسلم فاستهدى بيوت النحل واستوحى خطوطها .

وسورة النحل فيها ذكر لنعم كثيرة مما خلق الله ومما استوحى الفن الاسلامى فيما بعد على هدى من نوره ٠٠٠ فيها ذكر للسماء والأرض وما ذرا فيها مختلفا ألوانه ٠٠ فيها ذكر للانسان والأنعام والماء والزرع وكل السموات ٠٠ والليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والبحر والجبال (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) .

وهذا التراء ، أمتع الفنان المسام وأترع فنه برؤية روية من الأشكال والألوان ٠٠٠٠ والخطوط حتى **الأعداد** .

ان القبة الثمانية فى فارس تقف وراءها الآية (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) . كما ذكرت .

الاسلام والجمال فى الحياة :

(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالفيه الا بشق الأنفس ان ربكم لرؤوف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها ، وؤينة ويخلق ما لا تعلمون) .

الزهد يضعف الجسم .

ولما كان العقل السليم فى الجسم السليم .

فقد أحل الاسلام الزينة والمتعة فى غير حرام لبناء مجتمع صحيح

قوى .

الزخرفة والفن الاسلامى :

والخيل والبغال والحمير لتركبوها ولكم فيها ماع ٠٠ اتخذها الفنان المسلم عناصر لـزخرفته ٠

وفى المتحف الاسلامى القطعة المنسوجة سجل رقم ٩٠٦١ وبها شريط من الكتابة العربية مرسومة بأسلوب زخرفى ٠ وفى أعلى هسة الكتابة شريط أحمر اللون به صف من الجمال البيضاء والخضراء مرسومة بأسلوب هندسى محور جدا ٠

أكده التوازى الشريطى فى الطبيعة المصرية فالوادي الأخضر شرائط هندسية جميلة دائمة الخضرة تشقه قنوات هى شرائط كالخير فالماء حياة ونعمة ٠٠٠ ويتوج هذا كله النيل وله ضفتان يليهما سهلان يليهما صحراوان ٠٠٠ طبيعة منطومة من بحر النيل ٠

ان تعلق القلب المسلم بالمطلق كان وراء حب الفنان المسلم للتجريد حتى فى رسمه للأشكال يغطيها بالزخارف ويوشىها بالنمنمة أو يحيل الأجزاء الى وحدة زخرفية فى تحوير يكاد يبلغ مرتبة التصوير ٠

ونظر السحائب بعد كلمة الرشيد بغزارة ويتدفق المال كالسيل ويظهر ميل النفس الطبيعى الى الاستمتاع بل تشتهه الرغبة فيه بعد حرمان طويل ويجد العربى المسلم حلا سعيدا للمعادلة الصعبة ٠٠ بين حض العقيدة على القسط والقوام بين الاسراف والتقتير ، وبين حب الفخخة وجنون العظمة فيعرض الفنان المسلم عن التماثيل الضخمة الى النمنمات والوشى والتذهيب والترصيع حتى الجدران والأرض غطاها بالفسيفساء ٠٠ حتى الفخار أصبح خزفا له بريق معدنى ٠



ان الفن التشكيلى له قدرة على الاقناع والامتناع عبر حواجز الجنس والمسافة واللغة والقرآن الكريم فيه توجيه للتشكيل (هو الله الخالق البارىء المصور) ٠ وفيه توجيه للنور والظلال (والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها ، والنهار اذا جلاها ، والليل اذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها) ٠

الكون فى الاسلام صور ٠٠٠ الزهرة صورة ، والقمر ، والضحى ، الليل ، صور ٠٠ صور حتى الكلمة الطيبة ، صورة من القرآن فهى

كشجرة طيبة ، صور أقسم بها القرآن اشارة اليها واسبادة بها ، واعلاء
اها ، ودعوة الى اجتلائها في سجدة قلبية ، هي هدف الاسلام من السجود .

السجود الحقيقي في الاسلام ايمان القلب بالقدرة ، وشهادة للخالق
بالتفرد ، حين ينبهر الانسان المحدود ، بالكون الشامل فيقول بالحركة
(ولم يكن له كفوا أحد) . حتى التماثيل اجازها الاسلام بل أوردها وفي
الآية ١١ من سورة سبأ (ولسليمان الريح ٠٠٠٠ يعملون له ما يشاء من
مخاريب وتمائيل وجفان كالجواب وقدرور راسيات) . وكان الرسول عليه
السلام يتعامل بنقود عليها صور (١) .

ومع هذا تطوحت الآراء في فن التصوير ما بين حلال وحرام . وقد
لعب اختلاف الرأي في هذا الموضوع من موضوعات الفن دورا كبيرا في
الزخرفة الاسلامية التي ابتعدت عن رسم الانسان اينارا للسلامة واتجهت
الى التجريد خطوطا ، والى النبات أغصانا وأوراقا .

ولكن الزخرفة الاسلامية أعتقت من الواقعية الهللمينية والصلابة
الفارسية فانطلقت بلا نهاية لأنها تتطلع كالمسلم الى الله الذي (هو الأول
والآخر) . الحديده ٣ .

الخطوط في الزخرفة الاسلامية دوارة طوافه ٠٠٠ ويذكرها البهر
فتتوتر ، ولكنها نمضى بلا ملل من يعرف الصبر . فاذا قابلها حاجز
من اطار ، أو حافة من جدار ، أفاقت كمن يصطدم بالواقع ثم ما تلبث
أن تستأنف نشاطها من جديد ، في ساحة أخرى ٠٠ بالروح نفسها ٠٠٠
والتصور نفسه ، مما يحسبه النقصاد ، تشابهسا وهو وحدة مع تنوع
الأنباط .



الزخرفة الاسلامية مؤمنة بأن الغيب سر من أسرار الله فهي دائما
تواقة الى المجهول ، مشتاقا الى المكتون والمضمر .

وفي نشوة الخلق الجميل ينطلق الفن الاسلامي فيتمتع في كل
شيء حتى طيات الكساء ونساياه فاذا حقق غايته نعزى واروتت روحه
الظمأى ، بعض الشيء الى عالم المجهول .

(١) اورا كتاب (الشارات المسيحية والرموز النسطية) للدكتور عبد الرحمن هومي .
كتاب - المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية سنة ١٩٥٩) .
كتاب (التصوير الاسلامي في العصور الوسطى) للدكتور حسن الباشا .

وحين تروى الزخرفة الاسلامية بوجودان حساس تشيع فيها رائحة عجيبة مستنقرة وقريرة لأنها نابعة من ابتهاج ضميرى ، فلا غرو أن ينزلها الفارابى منزلة « الألحان الكاملة » .



والزخرفة الاسلامية نحتفل باللون حتى لتقييمه مقام الضوء محاكيا للطبيعة مرة أو مخالفا ولكنها فى الحالين لا يشوبه تكبر أو تجبر لأن الفنان يقرأ فى قرآنه الآية (ومن أحسن من الله صيغة) البقرة ١٣٨ . ويعرف اللون مكانه عند الفنان المسلم ويمضى يكتشف له الأنبياء حين تكتنفه ويندمج معها . . . ويعطيها وتعطيه فيغدو الاحساس ملونا ، واللون حساسا قبل « سيزان » رائد التصوير الحديث الذى تجاوز أسلوب عصر النهضة الاتباعى .

وكنبرا ما غمس الفنان المسلم ألوانه فى ماء المعادن يلامس بها السطح ، ويؤنس بها الشكل فتلمع أو تنطوس وهى فى الحاليتين ما يكاد الفنان يسكبها على السطح حتى تؤدى فى غناء . . . وكأنها افضاء نفس الى نفس ورجاء روح الى روح .

هذا اذا كان الفنان واجدا سعيدا عنده ما يقوله . أما اذا كان الفنان لم تلمسه بعد الشرارة المقدسة ، فان ألوانه تكون صارخة كأنها تعبير عن ضيقه المكتوم .



ويبدو أثر الاسلام فى أثر آخر وهو تركيز الفنان المسلم ، الزخرفة وتكثيفها فى مواضع معينة كالمنبر والقبلة والمحراب والمئذنة وكأنها تحمة خاصة للاسلام .



ومن الظواهر الزخرفية التى انتشرت فى العمارة الاسلامية وصارت من مميزاتنا (الشمسيات) أى الشبائيك المفرغة المحشوة بالزجاج الملون التى نغنت فيها مصر فى آخر العصر الفاطمى .



ان الاسلام رسالة ثقافية فنية على أعلى مستوى . يوم حجب الينا الجمال والزينة (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) . (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) .

وتشرب الفسان المسلم روح دينه فمضى يزرکش المربع ويحزن
المستطيل ويعشق الحشب ويستنطق السطح الصامت بالنقش والنمنمة .
وفى القرآن الكريم (سورة الزخرف) . وفى سورة الحجر (ولقد جعلنا
فى السماء بروجا وزيناها للناظرين) آية ١٦ وفى سورة فصلت (وزينا
السماء الدنيا بمصابيح وحفظا) آية ١٢ وغيرهما من السور الكريمة .

حتى الحشب أرواح نحاب وتعشق . يقول ديورانت فى قصة الحضارة
ان « المسيحية فى متاليتها المجردة ، قد وضعت لتسير عليها أقلية ورعة ،
ولكن الاسلام احتفل بالدين والدنيا »

الاسلام ميزته أنه أسلوب حياة . . . نمط سلوك من أبسط
الأشياء الى أعلى الأشياء .

الاسلام يحب المنعة فى غير انم ، والفن نعيم روح ، ان الترف المادى
عبء ، ولكن الترف المعنوى جناح .

أن تجعل من الحياة فنا جميلا . وأن تجعل من الفس حياة جميلة ،
نعمة كبرى .



ولما كانت العربية جزءا من الاسلام لنزول القرآن بها ، فقد تمثلت ،
هذا ، الزخرفة الاسلامية فى محبة للاسلام ، فغدا الخط العربى عنصرا
بارزا من عناصر الزخرفة الاسلامية حتى وصلت به تسعين نهرا (أى
طريقة) .

وانتقل حب ترنيل القرآن الى ترتيل الخط أى تحسبته فقال الامام
بلى (الخط الحسن يزيد الحق وضوحا) .

وحين أقسم الله بأداة الكتابة وهى القلم . ارتفع شأن العلم وارتفع
شأن الخط باعتباره حامل المضمون وعنوانه . وهكذا انبعثت قواعد الخط
محاذاة لأصول مخارج الحروف فى جميع البلدان الاسلامية كما لاحظ
هذا وسجله الدكتور بشر فارس فى سماحة تجمع المسيحية والاسلام
عند العارفين .

وهكذا أصبح الخط العربى فنا جميلا ، وجليلا .

والرحمة فى الاسلام ترجمتها العمارة الاسلامية فى عدة صور :
البيمارستان والأسبلة والأبسطة والحانقات والأوقاف والأحباس .

والجنة فى الاسلام شكلت كثيرا من العمارة الحجرية .

وقف وراء الفنون فى البلاد الاسلامية :

سماحة الاسلام وشموليته الذى سعى نفسه دين الفطرة اشارة الى
انه دين الانسان السوى أينما وجد وفى أى مكان (بعثت الى الناس كافة)
لقد طبق الاسلام هذا المعنى عمليا وتلقائيا حين صارت له دولة وصوله
وخلافة فلم يتمسك بمكة أو بالمدينة عاصمة له .

ان الامبراطورية الاسلامية هى الامبراطورية الوحيدة التى تتمسك
بعاصمة واحدة تقليدية .

كانت العاصمة فى الاسلام ، دمشق ثم بغداد ، ثم القاهرة ، هذا غير
المدن الأندلسية وكان من أثر هذا أن ازدهرت فى الاسلام العواصم
معماريا وفنيا وعلميا لأن كل عاصمة يوفر لها أهلها رصيدهم من
الحضارة ، وطاقتهم الانشائية والفنية فكسب الاسلام هذه العواصم
الزاهرة الزاخرة التى أعطته وأعطاها ٠٠٠ وهى فى النهاية محسوبة له
اذ بها يميل الميزان الحضارى الى الرجحان حاملة اسمه آخذة مكانها فى
التاريخ ، فى مصاف الحضارات ، حضارة اسلامية .

المؤتمر الرابع للمعماريين المصريين

العمارة المصرية

العمارة أحد أركان فلسفة مصر النني ترتكز على أربعة :

الماء النور السماء الحجر

هذه الأربعة هي عناصر الحضارة المصرية وهي في الوقت نفسه ، عناصر الشخصية المصرية والفلسفة المصرية مع ولع بالرائع ، وتعلق بالأعلى واستمراء للعمل الجميل يمرى عليها فترتفع الشوامخ من أعمالها ، معابد ومساجد وفنونا وعلوها وحكمة

تعلمت مصر من الحجر ، الصبر ، ومن النور ، البهجة ومن الماء ، الرقة والعدوبة ، ومن السماء ، الرحمة والسعة .

تقطع مصر ، الحجر فينتفى عنها الضعف ، ويتأكد العزم ، ويستعلن الحسم . وتولد القيمة .

وحين المولد ، ينبثق الحنان .

وتحتضن مصر العمل الفني ، بالزينة والتحلية ، والتنمية في لمس يقارب الهمس ، وهو على رفته ، توثيق وتحقيق . . . وتترعه بالراح والراحة فيفيض الرى على الحنايا والمنحنيات تبدو معه الأعمدة في البنيان كأنها سيقان حية مملوءة بالعصارة النباتية . . . ويخضر كل شيء في وادى النبات حتى الحجر كأنه نوع جديد من الشجر .

ثم تدخل مصر في الاسلام وتشرع في بناء المساجد له وتأخذ بالتقسيم فيسرى التنعيم وتعنى القباب والايوانات بالنقوش والنمنمة ويحلو الشدو على التريدي والتجويد . . . ويتسع الصحن في المسجد كالهبو في المعبد . . . في دعوة للنور الخارجى أن يغير المكان ، ونداء للذور الداخلى أن يعمر النفس فيشف الحس وتتوهج الروح .

روح الوجدان المصرى : البناء • ولهذا نجد أن ابن الباء عندما يرضى ، يقول : الله يعمر بيتك ••• وعندما يغضب ••• احنا عارفين •

روح الوجدان المصرى : البناء الذى يمثّل فى :

الاناء : انه بناء له جدار واحد لياقى أوله بآخره • انه بيت الزهر •
النسيج : فيه روح البناء ••• خيط له طول ويكاد لا يكون له عرض فتأتى اليد النساجة أى البناءة وتعمل من هذا الخيط بناء له طول وعرض •

الخيط رمز الفرد فمن مجموع الأفراد يتكون النسيج الاجتماعى •
الحصير : قبل التاريخ ، بناء ، حين شكل منه الانسان المصرى جدارا ودثارا وفنا •

التيل : يبنى التربة طبقة فوق طبقة •

النبات : يبنى نفسه بالنمو يوما بعد يوم •

تجفيف المستنقعات : بناء أو تمهيد له •••

الحكومة : المفروض أنها بناء للقانون • ان العدالة اذا وجدت بناء كبير •

العقد : صفوف صفوف من الحرر بناء مرصوص •

ونشئد الألفة فى مصر بين فنون العمارة والنحت والتصوير والحرف من بناء ونجارة وسبك وتزجيج كما تتواصل فى الحضارة المصرية ، العصور ••• ويتواد فى المجتمع المصرى الجبران ويلتقى الاحباب •

وتتوسع مصر فى العمل من سعة الصدر ، ورعاية الصبر وطاعة الخلق والتشكيل ، والايمان بالجزاء فى النفس ، والمال من حس بعيد بالدواب والعقاب يحكم الحياة المصرية اذا تكلمت أو عملت ففى المعبد والمسجد يخفت الضوء فى المدخل لتنبئه مشاعر الرهبة والحساب ويشئد الصمت لترتفع عهود البناء وترتفع معها النفس الى قمة •

والآن مع سيال من القوائن منيت الحياة المصرية باللامبالاة ، وابتليت بالتسطيح والنقص من جذب الروح لاننا نسينا قيمنا الدينية والوطنية والفنية بأبعادها فى النفس والروح فأسانا الله أنفسنا •

مصر بنيت الانسان على طريفتها فى بناء الهرم الأكبر • ان اكتشاف الحجرة اكتشاف عظيم فما أصنعه يصنعى وما أبنيه يبنيى ، ان دخول التجربة ، خبرة وقدرة ونشكيل للنفس •

ان الهرم يرفعنا من الأرض الى الأفق ، وينتقنا من الوهاد الى اشراف
واسرافة القمة .

وحين بنت مصر الهرم ، كانت رائدة في اتجاهات كثيرة فهناك مدونة
طبية التي تعود الى عصر الأهرام يتحدث عنها الطبيب الدكتور كامل حسين
وكيف أنها تصف الجسم من قمة الرأس الى اخمص القدم تشرح كل جزء
داه ودواه .

ولكن الذين لا ينفذون الى روح مصر يقفون عند مظاهر خارجية
يعدونها وثنية . ولو كانوا كابن الفارض لعرفوا أنها :

جلت بنجليها الوجود لناظري ففى كل موجود أراها بصورة
ان مصر بروائع التشكيل رمزت الى وحدة الوجود .

وجاء الاسلام فحقق أمل مصر حين وثق بالتنزيل العطاءات الايجابية
لحضارتها القديمة .

حتى العصر الحديث وهو طابق فى البناء الذى تشكل مصر أساسه
العريض ، يلوحها فى موسيقى باخ وفن رهبرانت الذى يستقطب معبد
الكرنك لا فى الشكل ولكن فى جوهر الخلق .

ان الهرم مثال لتماسك الذات المصرية مثل البنيان المرصوص يشد
بعضه بعضا .

فى العمارة المصرية ، من الذات المصرية ، روح الايمان ، السحاب
يمر من فوق المسلة والمثذنة وكلتاها ثابتة . . . يمثل السحاب
الأحداث ، وتمثل المثذنة الايمان التابت وقلب المؤمن المستقر . . . ثبات
عرفته مصر يوم رفعت المسلة فى مصر القديمة ، وعلى نمطها بنت مصر
الاسلامية المثذنة حوارا بين التكعيب والاستدارة فى حب مستقيم متسامق
لتمثل ضمير الاسلام ورؤيته :

حتى الشموع شكلتها مصر فى العصر الاسلامى على هيئة المثذنة اذا
قلبت الشمعة ، سقطت منها دمعة ولكن اللهب يتجه الى أعلى لا الى
أسفل .

تماسك وتمسك بالشمعة . . . بالوهج .

وحين عذب الرومان مصر المسيحية لم تنس العمارة ولكنها نقلها
الى داخل الراهب المصرى ففى قلب الراهب المصرى معبد مصرى بمعانيه
لا بأجاره .

ان ولع مصر بالبناء ، لون من البناء النفسى ولعل البناء أكسبها
النضج النفسى . هل الحجر أوحى اليها القوة ؟ أم أن قوتها اختارت الحجر
للبناء ؟

وهذا يفسر أن مصر أول عهدتها بالاسلام بنت بالطوب فى مرحلة
التحفظ لتبين الجديد ٠٠٠ حتى جامع ابن طولون على ضخامته مبنى
بالطوب ٠٠٠ واذا اتخذت مصر ، فى الاسلام ، دورا قويا ، بنت بالحجر ،
وبالروح القديمة نفسها - الروح غير الطراز - وخير شاهد على هذا جامع
السلطان حسن الذى يعده مستشرقو العمارة ، هرما اسلاميا .

ورؤية الاسلام للايمان أنه بنيان مرصوص فى عملية ربط بين النفس
والبناء ٠٠٠ بين العمارة والعمار ٠٠٠ ولكن المدرسة المصرية تتكلم عن
وحدة الشمال والجنوب فى عهد مينا ولم تتكلم عن وحدة الفن المصرى
والنفس المصرية ٠٠٠ لم تتكلم عن أن العمارة ، انصاف فى بدقتها
الدقيقة فى وزن وتوازن المربع والمستطيل والزاوية عدل وتقنين ينعكس
على النفس .

لقد وجد الاسلام فى مصر بيئة حضارية استلهمها طويلا ، استلهمها
المسلمون نظام الأحجار المتداخلة فى البناء ولكنهم زادوا عليه (التقسيم)
بالألوان ٠٠٠ كان الفنان المصرى المسلم مأخوذا بالنظام الموسيقى فخلق
من (التقاسيم) أفراحا تغنى .

ان الايقاع فى الفن الاسلامى يعتمد على النماثل والتناظر والتبادل
على الخط اللين والهندسى .

ان روعة الصحن فى المسجد بعد المدخل الضيق حيث تلتقى السماء
بالأرض فى تواصل يشتماق اليه كل حجر ، موقف للتجريد ترتفع به ،
وفيه ، النفس وتطوف ٠٠٠ وتبصر بعد أن كانت ترى .

ان أفعال الحجر فى مداخل المدارس الأربعة بجامع السلطان حسن ،
أجنحة طائرة .

فى العمارة الاسلامية انتشاء بالسماء يفسر معنى ديانة سماوية ،
أى أنها تنشئ المثل الأعلى .

ان المثانة بانطلاقها نحو السماء ٠٠٠ نحو اللامحدود ، تقول :

لا اله الا الله ، حين تقول القبة بما هى مظلة الرضوان : أنه رحمن
رحيم ، وهكذا نرى فى العمارة الاسلامية تجمعا يهوى الترابط أو انبثاقا
يهوى الاشعاع .

ان عمارة السلطان حسن بمدارسها الأربعة أو ايواناتها الأربعة والنوافذ الخمس يعلو بعضها بعضا فى عملية تنظيم للرؤية وجمع النفس وصعود بالقلب عن طريق العين ، الى أعلى فى سباحة علنا ، حيث تكون العمارة ، هندسة ادراك ٠٠٠ وحيث تكون العقود المتوالية فى الايوانات لونا من التريديد هو تطريب هندسى .

لقد بنت مصر المساجد على طريقتها فى بناء المعابد ٠٠٠ ومصر فى الحالى كتبت تاريخها بالفن عمارة وتشكيلا ٠٠

اذا كان المسرح أبا الفنون فان العمارة أمها . والهندسة المعمارية هى فن تشكيل الفراغ والفن المصرى من وراثتها يعبر عن الحركة والسكون ويستقيم الخط ويستدير ويتأفق ويترأس ، وينساب ويتحفظ وهو فى هذا كله يعبر عن أصحابه صناع النهار كما عبرت عنهم القصة والأسطورة والقصيدة والترتيلة ويمد نراث مصر رواقه ، ويوسع آفاقه حتى تغدو الحضارة له طبعا وطابعا .

وبعد الحضارة المصرية يرفع الغرب ناطحات السحاب فاذا بالكلم فيها وله تأثيره لا يحظى بسحر الدقة الدقيقة فى الترتيب المصرى وحساسية الانجاه فى الهرم (وأبو الهول) وأنس العمارة فى معابد امحتب ومساجد مصر الاسلامية بقدر محسوب لانه أسلوب حياة طويلة روية بالدين والتقنين والمعنى .

هذه لمحة من العمارة المصرية فى العصر الفرعونى ونفحة من العمارة المصرية فى العصر الاسلامى . أما العمارة الحديثة فقد فقد الكثير منها النض حتى أصبحت مكعبات حجرية ومربعات واسطوانات ، ومن الطريف قول المهندس حسن فحى أن وسائل البناء الحديثة كالمسلك حررت المهندس المعمارى لسوء الحظ فضاع الوعي الدينى ٠٠٠ يقصد غابت القبة فى المباني .

ويذكرنا هذا بكلام ديهاىل عن الثقافة فعنده الثقافة اختيار + مجهود فاذا اختزلت هذا : الاذاعة والسينما كانت جنباية العصر على الثقافة : السهولة والضحالة والسطحية .

ويأتى الغزو الثقافى وتغير النمط الاجتماعى والنمط الاستهلاكى الذى شمل فيما شمل العمارة ، فتعددت فى مصر بلد الشمس المشرقة ناطحات السحاب التى يقول وزير الكهرباء عن احداها انها تستهلك من الكهرباء بسبب أجهزة التكييف والمضاعد والاضاءة بحكم الواجهات الزجاجية الحاجبة ، مقدار ما كانت تستهلكه القاهرة مجمعة سنة ١٩٥٢ .

انه البهر بمانهانن ونيويورك ومادروا أن نيويورك محتاجة الى التجميع لأنها جزيرة صغيرة أطرافها مناطق مخيفة يصعب الامتداد الأفقي فيها فضلا عن العامل التجارى وتعمدت الامتداد الرأسى .

على أن التوجه الجديد فى نيويورك كما رأيتها فى العام الماضى يتطلع الى طابعا فبدأت العمارات ذات الطوابق المحدودة والشرفات والنافورات والحدائق الداخلية .

كأننا موكلون بنشويه القاهرة الجميلة العريقة أعظم مدينة فى الدنيا معماريا بخطى التاريخ على أرضها ٠٠٠ يكفى ميدان القلعة الذى يطل عليه ثلاثة عشر قرنا ،،، ولكن القاهرة الآن غدت برج بابل حين تحمل مراكش طابعا خاصا بها مستمدا من لون جبالها . ولا يشذ عن هذا اللون بناء واحد ، فيها ٠٠ كما استعزت مدينة الدار البيضاء اللون الأبيض وحين لا تخطيء العين طابع الريف الانجليزى ٠٠ وحين تنسق مباني باريس كأنها مرسومة على الورق . لقد ثار الفرنسيون على ناطحات السحاب فانزوت فى طريق المطار لا تتعداه ، بعيدا عن المدينة وقد خصصت لسكن العمال .

وخرج العرب من الأندلس ولكن اسبانيا تحافظ على الأندلس كما هى وهذا الحفاظ على الطابع العربى ينسحب على ما يستجد من البيوت . وثمره هذا هى ازدهار السياحة فى اسبانيا من أجل الأندلس بالدرجة الأولى وان انضمت أسباب أخرى تتصل باتقان صناعة السياحة التى غدت علما وفنا وصناعة .

اننا فى عملية تقليد مندفة أعرضنا عن نداء البيئة ٠٠ التى تتطلب فى العمارة القباب التى تنكسر عليها الأشعة العمودية وقد عرفت مصر القباب من الأسرة الثالثة بل من عصر ما قبل الأسرات .

يضاف الى هذا ويزيده تفاهما سوء التخطيط العام على مستوى البلد كله لا جزءا من مدينة أو مدينة من القطر . فالتركيز على العاصمة واهمال الأقاليم ٠٠٠ فالأقاليم زحفت على المدينة وبدلا من تحضير الريف حدث تريف القاهرة وانتشار البتور المعمارية على وجهها الجميل الذى علته غبرة ترهقها قفرة .

ومن سوء التخطيط أن غدت القاهرة مثقلة بأربعة عشر مليوناً حين يمثل الوادى الجديد ٤٥٨٠٠٠ ك م مربع ، نصف مساحة مصر كلها ويقتصر سكانه على (١١٧) مائة وسبعة عشر ألف نسمة .

والنتيجة أننا أندفعنا رأسيا بلا ضابط وأفقيا بلا تخطيط لتستوعب

القاهرة ما يستجد بدلا من التخفيف عنها ٠٠٠ وجعلها عاصمة حضارية
واتخاذ مدينة أخرى عاصمة ادارية ٠٠٠ والأمنلة كثيرة .

لماذا لم نمتد في الصحراء ؟ ان حيا من أرفى أحياء القاهرة أنشىء
في قلب الصحراء (مصر الجديدة) أنشأها غريب ونحن الآن لم ننشىء
حيا مثله ٠٠٠ لأننا مشغولون بتجديب الأرض أو تجريفها وكلاهما قتل
ثم نتنادى بتخضير الصحراء بالأغاني (يا صحرا المهندس جاى) .

ان المدن الجديدة فى غيبة الوعي المعمارى والفنى غابات من الأسمنت
بلا طابع ٠٠ بلا هوية وعندنا طرز تاريخية متعددة .

سبب آخر يقول به الدكتور سامح العلابي فى مجلة المهندسين
العدد الثانى سنة ١٩٨٦ المجلد الخامس والعشرون من أن (الفنون نعبيرات
حرة عن أحاسيس الفنان تجاه أهوور دنيوية وروحية بالكتلة واللون والملمس
وينحصر أنر هذه التعبيرات فى نطاق مجتمع خاص ومحدود مهن لديهم .
والقدرة على التدوق الفنى .

أما بالنسبة الى فن العمارة بالذات فإنه يختلف عن سائر الفنون
التشكيلية الأخرى من حيث مجال عرض نتائجها ، فهذا المجال مفتوح على
الملا بجميله وقبيحه وبالتالي فالتفاعل مباشر بينه وبين قاعدة عريضة من
الأفراد .

ومع تعقد واتساع متطلبات الحياة ، اندمج ذلك الفن الجميل
(بالتدرج) ليس فقط فى علوم البناء المتطورة ، بل أيضا بعلوم أخرى
كالتخطيط والاقتصاد والبيئة والاجتماع ٠٠٠ ثم حل الإنتاج الجماعى
محل الابداع الفردى ، وأصبح الأسلوب النمطى التقليدى هو الغالب) .

أقول ان الحدين الكثير عن الأزمة الاقتصادية ينسى أنها نتيجة
وليس سببا فالأزمة فى حقيقتها أخلاقية دينية فنية تاريخية . أزمة تراث
أى اعتداد بالذات وتمسك بها فى عملية تماسك فى وجه التغريب
والتحديث والاختراق الى الأعماق .

على المعماريين تدارك القاهرة اليوم بعد أن عدا عليها كل شىء حتى
النيل لم يسلم من الاعتداء فانتشرت الشاليهات الفئوية على شاطئه .
ان جسم اوزوريس مقطع مرة أخرى . انه واقعا اليوم ونحن بحاجة الى
جمع أشلائه واعادة الحياة اليه ، نريد عمارة تكون بمثابة تراث للمستقبل
أى اضافة منا للأجيال القادمة كما يقول المهندس الكبير على نصار فى
كلمته الجامعة .

نادى اتحاد المعماريين بمسح شامل للعاصمة لا ينتظر اللجان الحكومية . ثم وضع تخطيط لها يشمل ازالة العشوائيات وانشاء ما يستحق أن يكون تراثا جيدا للأجيال القادمة كما قال المهندس الكبير على نصار .

★ عدم الترخيس بأى بناء الا بعد عرضه على اتحاد المعماريين .

★ تشكيل وتجميل المبادين والشوارع الرئيسية يكون بمسابقات .

وبما أننا بلد حضارة وتراث أقترح أن يضم اتحاد المعماريين ممثلا للآثار الفرعونية وممثلا للآثار الاسلامية والمسيحية حتى لا يمحى بالبناء فى المناطق الأثرية علما بأن الأثر يساوى الأثر زائدا حرم الأثر .

وهنا أقول أن على اتحاد المعماريين مسئولية أو رسالة احياء القاهرة القديمة والحفاظ على طابعها الناريخى . وليكن للقاهرة الجديدة طابعها العصرى .

أما أن تقوم مساكن شعبية فى مواجهة مدرسة السلطان حسن وهى أروع عمارة اسلامية فى العالم الاسلامى قاطبة لا مصر وحدها ، فأمر مرفوض .

وحين أتكلم عن القاهرة فانى أرجو أن تمتد رؤية اتحاد المعماريين الى عواصم الحضارة فى مصر وفى مقدمتها الأقصر .
نريد رؤية شاملة .

لكى تقوم لهذا البلد الحبيب قائمه من جديد يجب أن يشكّل المثقفون المتحررون من الوظائف بذيولها وقيودها ، رأيا له قوة يعمل حسابها . أى يدرسون المشاكل الفنية والعلمية ويضعون لها حلولاً يدفعون اليها فى اصرار فلا يتمزقون بين الجدران الأربعة من أعمال المناولات التى تحركها أشياء، غير الحضارة والتراث والعلم والفن والحاسة الجمالية .

أنسانى حديث العمارة شكر المعماريين المصريين لتقديرهم الذى أضاف الى وأضفى على . وهل حديثى عن العمارة الاتحجية للمعماريين ؟ ويقدر التحية طال الحديث . وفى المنيا نقول : والحمام الى يعيش الغية لا يشبع كلام ولا مناغية .

الفنان مختار

الفنون أسرة واحدة تنبع من الشعور الذى يشكله الفنان ، كلمة أو نغمة أو رسما ، أو نحتا . . . ولهذا يقول الفرنسيون بالنفس العاقلة واليد المفكرة . . . ولم لا تكون اليد مفكرة وهى تعزف وترسم ، وتلون وتسوى الحجر تمنا لا بعد تحسيس الكتلة ، مشاعر الوجدان .

• من هذا المنطلق أكتب عن « مختار » الفنان .

كان مختار فى وقته ، تعبيرا فنيا عن الوطنية المصرية يواكب التعبير الاقتصادى ممثلا فى طلعت حرب ، والتعبير الفنى ممثلا فى نهضة الأدب المصرى ورياداته ، وتطور الموسيقى المصرية والغناء المصرى والمسرح المصرى . . . يواكب التعبير السياسى ممثلا فى الثورات الشعبية ابتداء من ثورة ١٩١٩ بل اشترك مختار فنيا فى الجنازات القومية فحمل الشباب فيها تماثيل لمصطفى كامل ومحمد فريد ، من صنع مختار كما عبر عن مقاومتها فى تمثال (الحماسين) .

وهكذا أرانى كاتبة ، أتبع فى هذا الموقف عن اساتذتى من الرواد : « العقاد » الذى ارتفع صوته سنة ١٩٣٤ عند قيام معرض الفن التشكيلى ينادى باعطاء المصريين حقهم من التقدير وعدم ايثار الأجانب على الفنان المصرى حتى لا تختنق المواهب المصرية ولا يجبط الفن المصرى .

العقاد الذى كتب عن الفنون بل ان قصيدته « ترجمة شيطان » عمل خالد يجمع بين الأدب والفن .

أتبع عن « المازنى » و « طه حسين » الذى كان عضوا عاملا فى جمعية محبى الفنون الجميلة حتى وافته .

أتبع عن لطفى السيد وتوفيق الحكيم ومحمد حسين هيكل . ويحيى حقى وكلهم أعضاء فى هذه الجمعية .

« مختار » من مصر . . . تعامل مثلها مع البيئة مكانا وانسانا . . . لباتا ونهرا وشمسا . . . مصر الزراعة التى هى مصر الفن .

زرعت مصر الحجر ، بعد الأرض فشكلته فنونا وأشكالا مختلفة . من الحجر بنت البيت وشيدت المعبد ، وسوت أتمثال ورفعت الهرم . وعلى الحجر ، كتبت مصر .

حولت مصر الصخر الى حجر كزيم الحين روته بالمعنى وشحنه بالرؤى ووشوشته ، وحملته من أسرار الفن والأدب والحكمة والدين ماجعله مصدر تاريخ ومظهر حضارة .

والتصوير المصري: تصوير بالنور على الحجر ولهذا هو مليء بالرؤى وبين النور والحجر تتسلل المياه رمزا لانسياب الفكر .

ان التكعيبية والسريالية القائمة على التجريد ونجاوز الشكل بل تجاوز المنطق ، والتطويع الى ما وراء العقل ، يتفوق عليها الفن المصري القائم على نقاء الشكل مع الاحتفاظ باللمسات الانسانية فهو بسمة ايمان على صفحة الوادي .

انه كالطبيعة المصرية نور وحجر وضياء تشيع فيه الوداعة من البسمات الرقيقة اللطيفة حتى لتبدو التماثيل كأنها من لحم ودم .
وقد تشرب فن مختار هذا كله ونبع عنه وأسقى منه .

وحين تتحول الكتلة الى مرآة لقلب بشري ، يولد فن النحت . يقول « هنرى مور » وهو رائد فن النحت الحديث :

[أعطى كل شيء اذا اتيت الى أن اكتسب الانسانية الماثلة في التمثال المصري القديم هذا السكون والجلال]

هذه الانسانية اكتسبها « مختار » بالوراثة الحضارية . لم تشغل ثورة ١٩١٩ مصر عن الفن هواها وهوايتها منذ القدم فقد أثبتت الوجود المصري على مختلف الساحات حتى ليسمىها: توفيق الحكيم « عودة الروح »

وحين ركز المحتل على اضعاف الجيش وقتل التعليم بقصره على المرحلة الابتدائية وتخرج مجند موظفين للادارة البزيطانية ، وواد الصناعة ، وبت الفرقة السياسية ، أفلتت القبول لانشغال العدو عنها بل أفلتت التعليم والصناعة التي اقام لها طلعت حرب صرحا : بنك مصر وشركاته أما التعليم فقد اكتتب الشعب ١٩٠٨ لانشاء الجامعة الاهلية التي صارت سنة ١٩٢٥ : الجامعة المصرية الجامعة الرسنمية والكليات قامت مصرية الفنون ، الجميلة والجمعية المصرية للفنون والمعرض الأدبي من كتبهم وولدت القصصية المصرية أما الموسيقى والغناء فقد ظهرت كوكبة من الموهوبين ماحنين وعازفين ومطربين وينحدر الدكتور حسين فوزي في كتابه (اسناد باد مصري) حديثا ممتعا عن الموسيقى في تلك الفترة وظهرت أم كلثوم وفي العشرينات عرفت مصر ، المسرح الغنائي بل قامت نهضة مسرحية باركها

طلعت حرب الذى أنشأ شركة التمنيل العربى وتياترو الحديدية الذى
 منلت نايه اوبرات كاماله . واستخدمت مصر روائع الفن العالمى وكان
 معرض رودان ومعاصريه الذى أقيم فيها سنة ١٩٢٩ حدثا ثقافيا هاما .
 وقبله المعرض الفارسى سنة ١٩٣٥ احتفالا بذكرى الفردوسى . . . وكان
 المعرض الاسبانى بسرأى اسماعيل سنة ١٩٥٠ من الأحداث الباقية فى
 ذاكرة القاهرة .

فى هذا المناخ الصحى والنفسى فنيا على الرغم من المعاناة السياسية ،
 أعطى مخار أربعين سالا من الرخام والبرونز وأقام تمال سعده زغول
 فى القاهرة والاسكندرية .

أما تمثال نهضة مصر فناريخ فى تاريخ مخار فهذا التمثال عمل
 نموذجا له حين كان يتلقى دراسة الفن فى مدرسة باريس ونال عليه
 جائزة تقدير سنة ١٩٢٠ فى أكبر معارض باريس وهو أول مصرى تقبل
 أعماله فى باريس ويستدعى للعمل فى متاحفها .

كان غائبا عن مصر ولكنها كانت تعيش فى كيانه وحين أراد تشكيل
 التمثال وصادف من المعوقات ما ألمه حتى كتب الى رئيس الحكومة فى
 وقته خطابا لا يقوى على كتابته فى ذلك الوقت غير الفنان المستعز بفته
 كمختار . يقول فى خطابه :

[لقد كنت أرى على الدوام أن تدخل الحكومة فى شئون الفن
 بالوضع القائم ليس فقط عديم الفائدة ولكن بالغ الضرر أليس من
 المضحك والمؤلم فى الوقت نفسه ، وصاية وزارة الأشغال على الفنون
 الجميلة ؟ الى أى طريق يستطيع أن يوجه الفنون جهاز تشغله دائما أمور
 بعيدة عن الفن ؟

لو كان كل الفنانين فى العالم يلقون مثل هذه المعاملة من حكوماتهم
 لهجر أغلبهم الفن واشتغل بالبقالة] .

ولكن الشعب المصرى اكتسب من أجل إقامة تمثال مختار « نهضة
 مصر » . . . ومختار بدوره أعطى فيما أعطى جماعية (الجيال) وجعلها مركزا
 للثقافة والفن ضمن أجمل قاعة للفنون ، قري ، الى مصر وحدها كما
 أسهم فى انشاء المدرسة الرسمية للفنون الجميلة .

كان « مختار » يصرف ما لديه من مال قليل على المسابك ودور
 العرض . لم يكن له سند من سلطة أو رفد من مال ولكنه وصل بالاصرار
 واقتحام العقبة والارتفاع على المحنة وهو درس للشباب .

لقد صاغ مخنار آلامه فى تمثال (الأسى) وتمثال (الحزن) وان
كان صاغ تمثالاً للفرح وتمثالاً للحب بالنقاء الدائم فى قلب الفنان .
وصاغ مختار أحلامه فى تمثال (العدالة) وتمثال (الدستور)
ورقرق مختار حبه لمصر فى تماثيل .

رمز الى مصر بالسيدة التاريخية المعطاء بلا حدود : الفلاحة المصرية
صنع لها مختار تماثيل لا تمثالا واحدا . فلمختار : تمثال (الفلاحة
المرحة) وتمثال (العودة من النهر) أى الفلاحة حاملة الجرة . . وتمثال
الفلاحة (العائدة من السوق) وتمثال الفلاحة (تجر الماء) وتمثال الفلاحة
(بائعة الجبن) وتمثال الفلاحة ، حبيبة ، (مناجاة الحب) .

• وتمثال الفلاحة (عروس النيل)

• وتمثال الفلاحة الملكة دائما على مر العصور أى ايزيس .

أما الفلاح المصرى فقد عبر عنه مختار فى ايجاز وبلاغ فى تمثال
(حارس الحقول) .

ولمختار تمثال (القيلولة) وتمثال (ابن البلد) وتمثال (بنت
الشعب) وتمثال الدكتور على ابراهيم . . . وتمثال (الزراعة) وتمثال
(شيخ البشارين) لمحة من الصعيد .

دائما أعرف ، المعاصرة ، بأنها استمداد من الماضى ، وامتداد به ،
الى الحاضر فى استشراف الى المستقبل .

وفن مختار يمثل عندى هذا المعنى وبهذا استحق مختار أن يقول
عنه الفنان حامد سعيد فى العام الماضى : [انه فنان رائد فى الفن المعاصر
فى مصر يتسم بصفة المصرية التى لا يخطئها أحد من العارفين بمختلف
ملاحح الفنون . كما يمتاز فن هذا الرائد فى مصر بأنه فن معاصر على
المستوى العالمى] .

أقول مختار دعوة مصرية ، ودقيقة نيلية وهو بهذا باق ما تواصلت
الأحيال على هذا التراب الطهور وجرى بيننا هذا النهر المرتبطة به الحياة .

الفنان شادى عبد السلام

مع الربيع أهل على الدنيا ، فنان ٠٠ وأطل على مصر فى النصف
الأول من القرن العشرين ، انسان كبير ٠

من المنيا أرومته ، وفى الاسكندرية مولده فى ١٥ مارس ١٩٣٠ انه
الفنان شادى عبد السلام ٠

وكما ربت ايزيس ، حورس ، للمجد ٠٠ ربتة أمه فأحبها حبا جما ٠

نسب شادى عبد السلام فى مدرسة فيكتوريا بالاسكندرية حتى اذا
كان فى الثالثة عشرة من عمره ، شهدت الاسكندرية فى الحرب العالمية
الثانية ، غارة ، هاجر على اثرها الكنيون ٠٠

وحفرت هذه الهجرة خطأ لاينسى فى ذاكرته ٠٠ رأى أمه لاتقوى
على زحام المسافرين ٠

ويتألم الصغير الحساس لأمه وللطيبين الذين فرضت عليهم ،
الهجرة ، خربا ليسوا من جناتها ٠

وفى القاهرة مكثت الأسرة يومين ، أزمعت بعدهما العودة الى المنيا ٠
رفى المنيا فتح الغلام عينه على دنيا أخرى لها مذاق خاص ٠٠ فيه من
عطر التاريخ وعراقة تل العمارنة ، وأصالة أهل الحضارة ٠

رأى الطفل ، الرجال ، فى المنيا لهم سمت خاص وأقدار ٠٠ رأى
المجنس يتهيبه الأطفال فاذا وجد طفل فانه يتصرف ، فى نضارة العمر ،
تصرف الرجال ٠

رأى النساء لهن مكان ومكانة ٠٠ رأى جدته لأمه تعامل كملكة ٠٠
ان المنيا هى المحافظة الوحيدة التى اتخذت شعارا لها : « نفرتينى » أى
المرأة المصرية ٠٠ والمنيا هى المحافظة التى أنجبت العظيم اخناتون ولكنها
بحس بعيد من ايزيس ، اتخذت « نفرتينى » شعارا ٠

وصحبه أخواله الى بنى حسن وراعه ما رأى ٠٠ التقى بالتاريخ فى
دمبله وأحبه حب العباداة واختزن هذا كله واعتز به ٠ وجن بالتعبير عنه
رسما وكتابة وإخراجا ٠٠ عاش عمره له ٠٠ حتى فى أيامه الأخيرة ، كان
حين يفيق من غيبوبته ، بين الحين والحين ، يحكى عنه بذهن صاف ٠

شب الغلام في بيت كزيم الأيوين • عرفنا لمحة من أسرته لوالدته
أما أبوه فكان محاميا ثم مديرا بالاسكندرية وقتا •

وعملت هذه النشأة عملها فكان متعففا مترفعا على الدنيا يا كريما دمنا •
ولما بلغ سن التجنيد انتظم في الجندية وهنساك تعامل مع الفطرة
المصرية •• مع البساطة والطيبة والتلقائية ••

وفي القاهرة ، بعد الحرب ، دخل شادى عبد السلام كلية الفنون
الجميلة قسم عمارة وتخرج منها ١٩٥٥

وفي كلية الفنون الجميلة ، اكتشف باقى الفنون •
واستهواه المسرح فدرس المسرح ، عامين •

وحين كان شادى عبد السلام يدرس ، العمارة ، فى كلية الفنون
الجميلة ، قرر ترك العمل بها حزنا على العمارة الحديثة بعشوائيتها
وتبعيتها للأساليب الغربية بعد أن كان لنا أسلوب وطابع مميز مرموق •

قرر شادى عبد السلام دخول السينما •• عمل فى البداية مساعدا
لصلاح « أبو سيف » ورمقته عين المخرج ولى الدين سامح فأسند اليه
تصميمات ملابس فيلم صلاح الدين الذى أخرجه يوسف شاهين •

وشادى عبد السلام مغرم بالرسم ورسم الأزياء خاصة •
واشتغل بتصميم الملابس فى الأفلام الى سنة ١٩٦٦ •

صمم ملابس وديكور فيلم (وا اسلاماء) ولكن كيانه النحيل كان أكبر
من هذا كله •• كان صاحب فكر •

كان يقلقه ويمضه أن تنسب العمارة والدراما الى اليونان وكم بين
مصر واليونان فى العمارة والدراما •• مصر صاحبة مسرحية منف التى
كتبت قبل الدراما اليونانية بنحو ثلاثة آلاف سنة (كتبت سنة
٣٤٠٠ ق م) ••

كان شادى عبد السلام ، رساما ، لوجوه عنده نبيلة فى مثل نبلة •
الكتابة فى مصر القديمة التى عشقها ، كانت رسما •• والرسم
عند شادى عبد السلام كان كتابة من فرط ولعه ، به •

• كان قلمها لا يسبب تعمل بمحاة (أسبتيكة) أو يتردد في لون
كان يكتب السيناريو كأنه يترنم ، ويرسم الشخصية فيرسم نفسه من
خلالها من طول اطلاعته وقراءته حول الشخصية المرسومة .

• كان في كل فيلم له يخرج أكثر ثراء ونضارة روح
كانت الأحداث تغدو عنده ، حوارا ، والكلمات أوتارا .
• كان يغوص في موضوعه حتى يدخل في نسججه العقلي والروحي
والبدني .

• كان في عمله ، ملكا ، سلوك تصرف ، وأسلوب تصوف ، ووضاعة
تفكير ، وعمق تعبير .

• كان يدرس اللقطة والسكبات . • كان في فيلم « اخناتون » يطوف
بالمعابد ، ويطوف في الكتب (ليجمع الحركة) حتى يستطيع احكام
حركة الممثل .

• كانت مصر في عيونه
والعين الواجدة ، حين تبصر بعد ان ترى فهي عيون كثيرة
الخط من ريشته يقول :
والحدث من رؤيته يقول

• ولهذا خلت أفلامه من الفضول

• لان عندها اما تروية وتوجيه

أكتب عن شادي الأنسان

وأكتب عن شادي الفنان

أفلامه ماذا تقول ؟

كلمة مصرية حية في [المومياء]

وكلمة مصرية روية من النيل في [آفاق]

وكلمة مصرية مؤمنة في [الفلاح الفصيح]

• وكلمة مصرية حاسمة في [جيوش الشمس]

وكلمة مصرية مضممة في [الحصن]

وكلمة مصرية ملونة في [كرسي توت عنخ آمون]

وكلمة مصرية عالمة في [الأهرامات وما قبلها]

وكلمة مصرية قادرة في [رمسيس الثالى]

وكلمة مصرية مرنة في [اخناتون]

وكلمة مصرية منمنمة في هؤلاء جميعا .

اكتشف شادى عبد السلام ، نفسه فى الدنيا . . وعاش للاكتشاف
يجمع المشاعر من الأفراح . . والدموع من الأتراح . . ويجمع الروح من
الأثر والبشر . . من العادات والكلمات والسكنات والضحكات
والآهات . . من الصمت والكلام .

خلقه دماثة . . وثقافته رؤى . . ورؤيته وسامة روح التى نسميها
خفة دم .

كل شئ عنده له طقوس فهو عميق الاصغاء للأشياء . . ان عندها
ماتوحيه . . وفيها كثير ترتجيه العين الناقبة صاحبة الرؤية وهى شئ
أكبر من البصر . . انها البصيرة .

كان شادى عبد السلام ، مخرجا ، لا يلوى مسار الحدث ولكنه
يتعايش معه ويسايره فيتحرك الحدث من تلقاء نفسه . . وفى أثناء هذا
يناقش شادى عبد السلام دون أن تحس خطاييسه ومن هنا جاء فيلم
« اخناتون » الذى توقف بسبب المال . . وما أكثر المال المنزوف
بلا أثر ولا خبر .

فيلم « اخناتون » الذى لم ير النور . . سينما وتاريخ ، وسياسة
ودين وحضارة وانسانيات ومصريات . . ان الحيرة على وجه العجوز
الذى يتساءل بعد حركة اخناتون الروحية ، كيف يدفن موتاه وفقا للعبادة
الجديدة أو تطبيقا للطقوس القديمة ؟ هنا يرسم شادى عبد السلام
علامات استفهام غير منظورة . .

هل التغيير يأتى من أعلى ؟

هذا على الرغم من ولوعه باخناتون .

فيلم يقول . .

وأخر مشهد فى الفيلم بعد أن مر بـ « حوز محب » الذى صنعت
نوحانه الامبراطورية . . آخر مشهد بعد هذا ، غبار كثيف . . ليس من
نراب ولكن من أحداث ومعارك وقلق وعذاب وانتصار . . نعم ولكن
يبدأ هذا كله أو يخف ويشف وينجل عن فلاح يزرع الأرض . . فى اشارة
غنية الى حقيقة خالدة مضمونها .

بدأت مصر بالزراعة ٠٠ وإلى الزراعة تعود ٠٠ خلود! إلى خلود
يتجدد ولا يتبدد ٠٠ دائم الحضور لا يتبدل ٠٠ ولا يبديد ٠

• هذا سرها

فحين زرعت مصر ، علمتها الزراعة بالملاحظة بدءاً من الحبة ، وانتهاء
بالثمرة ، أن الحياة الخصبة خط صاعد وصاعد ٠٠ عميق وموجب ٠٠
نشيط ومتفاعل ٠٠ حي ودهوب ٠٠ مترابط وأصيل ٠٠ آخذ ومعتاد ٠٠
ودود وولود ٠٠ عامل بنفسه ومتحد مع الكل في ايقاع متناسق متكامل
وبديع ٠٠

ان المجاعة الحديثة مؤشر الى أن الزراعة هي موضوع المستقبل
كما كانت موضوع الماضي ٠

لقد ظمى الانسان منذ بدء الخليقة الى اثنين : الحب والرئ
(أى الماء والطعام)

وعلى هذا الظماً ولد الفن خطوطاً فى الكهوف وتعاويداً للسحر ونما
الفن بنمو الزراعة فتألق فى الاناء ، وتأنق فى الحلى ثم فى وسائل
الحياة اليومية ٠

اختزل شادى عبد السلام هذه المعانى كلها فى صوره ٠٠ كما اختزل
القدر ، حياته ، فى هذه الأعمال ٠

● الموميا ١٩٦٨

● الفلاح الفصيح ١٩٧٠

وهو فيلم تسجيلى مدته عشرون دقيقة مشحونة بالصمت العارف
والكلام البليغ وما فى عالم مصر القديمة من ايمان بالجزاء والثواب
والعقاب والقسط والميزان ٠

لقد سجل البردية والتزم بها مع حذف المكرر وتنميق الحدث ٠

● آفاق ١٩٧٢

فيلم تسجيلى مدته أربعون دقيقة عن النشاط الثقافى فى القاهرة
١٩٧٢ سيمفونية فنون ٠٠ موسيقى ٠٠ فن تشكيلى ٠٠ عوالم ستى
تسجلها كاميرا ذواقة تواقه ، فى طوافها بالحمامية والحرانة والمراسم ٠
كاميرا تثقل بين روائع يوسف كامل وبدائع آدم حنين ٠٠ كاميرا تتخطر

فى منف وتتعطر بدار الكتب .: لم يفتها من مفاتن مصر ، لمحة ، حتى الصحراء .: وللصحراء المصرية فى نفس عشاق مصر ، مكانة وعلامة بما أعانت على التوحيد وبما وفرت من خلوة للتأمل .: الصحراء المصرية فى فيلم « آفاق » أتبعث منها صوت الصمت فرددته الرياح بصوت أعلى نبرة .

فيلم « آفاق » فيه الجب الغالى العالى لمصر .: فيه الانتماء الى الطبيعة فيها .: الى الحرف الشعبية .: الى العمارة المصرية على مسار عصورها الى الفن المصرى .: الى الفنان المصرى .

● فيلم جيوش الشمس : ٧٣ - ٧٤ (فيلم تسجيلى مدته ساعة)

جيوشنا فى الأرض والبحر والجو التى عبرت القهر والهزيمة وكان انتصارها مادة للدرس فى الأكاديميات العسكرية ومادة للتاريخ فى ملاحم البطولة .:

واضافة شادى عبد السلام المصرى الفنان فى هذا الفيلم أنه قال بالتدريب بعد المعركة واختيار نهاية الفيلم ، جنديا ينظر الى الحدود مشدود البصر والبصيرة .:

وسرى الى سمع مصر ما يريد أن يقول شاديا :

[كونى مستعدة]

وفوقك عين الله التى لا تنام يا كنانته فى أرضه .

● فيلم الحصن : (لم يعرض بعد)

فيلم تسجيلى عن معبد ادفو يحكى قصة ايزيس .: وقد شد أشواقه أن الفنان المصرى الذى بنى المعبد ترك الخراطيش به خالية .: لونا من التعبير عن الحلم بالمخلص .: لونا من رفض الأجنبي حتى ولو تمسز .: ان معبد ادفو بنى فى عصر البطالة .: وعلى الرغم من انتمائهم الى مصر مولدا ومربى ووجودا إلا أن الفنان المصرى لا يحبهم فعز عليه أن يملأ الخراطيش بأسماء بطلمية وتركها خالية تنتظر فرعوننا مصريا يجدد المعبد ويشعل الوجد .: انه عرش حورس فحسب .:

● كرسى توت عنخ آمون الذهبى : ٨٢ - ٨٣

وهو فيلم تسجيلى مدته أربعون دقيقة ناقش فيه شادى عبد السلام اساعة تقول ان الملكة تى زوجة امنحتب الثالث وأم اخناتون من أجبيل

أجنبي • وينفى هذا عنده وعندى أنها الملكة الأم التي تورث العرش وأنها الزوجة الملكية وهي مقدمات مصرية لانتمتع بها زوجة من أصل أجنبي •

● الأهرامات وما قبلها : ٨٣ - ٨٤

يقول هذا الفيلم كيف وصلت مصر الى بناء الهرم • وقد وقف شادى عبد السلام طويلا أمام مدينة « نخن » في ادفو حيث ولد « مينا » وكانت « نخن » عاصمة الصعيد • كما وقف عند الطرق التي شقها الملك سنفر ووالد خوفو للمناجم في سيناء •

وفي هذا الفيلم ناقش شادى عبد السلام مقولة (السخرة فى بناء الهرم) • • كيف ؟ ان الأرض الزراعية كانت فى مصر القديمة ستة ملايين من الأفدنة عالية الخصوبة يعيش عليها بضعة ملايين بينما انخفضت هذه النسبة اليوم لغامل التجريف والتجديب للبناء ويعيش عليها ٤٨ مليوناً • وهو مؤشر الى أن الخير كان موفورا غداً فى مصر القديمة فما حاجتهم الى السخرة •

هذا سبب من أسباب عديدة استغرقت جزءا كبيرا من كتابى عن مصر لا يتسع له المقام هنا •

● رمسيس الثانى ٨٤ - ٨٦

بطل قادش الذى نسمى باسمه عدد ممن جاءوا بعده من فراعنة مصر تيمنا به • وقد وقف شادى عبد السلام طويلا فى هذا الفيلم عند اكبر المعابد قاطبة : معبد الكرنك • ومن هذا المعبد بعث شادى عبد السلام رسالة بالصوت والصورة الى وزارة السياحة • ان لهذا الفيلم قصة طريفة فقد سمع شادى مرشدة تقول لفوج من السياح ان رمسيس كان يمشى أسماء الملوك وينتحل أعمالهم فام يستطع معها صبرا ونهرها قائلا :

ومادام هو كذلك فما حاجتك الى الوقوف أمامه ؟ ولكنها لم ترتدع فمشكاها فى قسم البوليس •

وكان هذا الفيلم بعد هذه الواقعة كأنه رد عليها حيث انتقلت الكاميرا الى معبد ابيدوس وفيه لوحة تسجل أسماء الملوك وعت ٧٦ ستة وسبعين ملكا فى حفاظ. على الأسلاف واعتزاز بهم .

ومكندا كانت أفلامه ، رسالة حضارية

ومكندا كانت أعماله فكرا خالصا واضسافة ثرية الى فن الكلمة .

والصورة ، واللون والتشكيل والموسيقى الى فن السينما .

كان فنانا أصبلا . . . وكان مسريا عظيما .

الفنان أنور عبد المولى

قطعة من مصر عادت الى حضن الارض السمراء ، ذهبت لتجيا ،
 وحين ترجع سيكون العود أحلى ٠٠ فسوف تمتزج بذرات النراب وعبير
 الأرض ، سوف تخصب التربة فتنبث (الفنان) من جديد ٠٠ سوف
 تبعث في نبتة مصرية جديدة تشكل الفن ونبذع الأثر ٠ لقد كانت هي
 ٠٠ هذه البضعة الغالية ، بذرة كامنة انبثقت عنها الأرض الطيبة الموعودة
 بالنماء ٠٠ بذرة غذتها جذور بعيدة ضاربة في أعماق القدم فلما أينعت
 كان عطاؤها طيبا كالأرض المصرية ضافيا كالخير ، صافيا كالطهر ، عذبا
 كالنهر ، غنيا كالخمائل ، رقيقا كالشمائل ٠

كان صورة من مصر - كنت معه في سقارة كائى فى بيت السنارى
 بين تماثيله ٠٠ وكنت أراه فى بيت السنارى فتتقلنى هذه التماثيل عينها
 الى سقارة بآياتها المنتشرة على الرمال وفى قدس المعابد ٠٠ هنا وهناك
 نفحة من مصر وقبس من روحها تجذب كالشعاع وينبسط كالشراع يتحدث
 حديث النبات فيه الورق والزهر والشمر ٠٠ الشمس والنيل والأرض ٠٠
 المعالم الرئيسية التى استوحتها حضارتنا بفنونها وآدابها وعقائدها
 وحكمتها ٠٠ غلى طول التاريخ ٠

كان مثالا للمصرى الصابر الصامد الذى يستعلى على الالم بالعمل
 ويسخر من الزيوف بالخلق الفنى ٠٠ انه هو وحده بعد الله ، الباقي ٠٠
 وانه كذلك ٠

قلما سمعته يتكلم وان كان حديثه فى آثاره يملأ على جوانب
 نفسى ، فانا اسمعه من تمثال نغمة ، وأراه على تمثال آخر ، بسمة فيه
 نور وأمل وطيبة وإيمان وحنان كبسمة « موت » زوجة آمون أو بسمة
 الفاتنة « نفرتارى » فى (أبو سمبل) ٠

كان وديعا متواضعا وكان منجم عطاء ٠٠ أنه كسنايل القمح فى
 حقولنا الخضراء تبدو للعين صغيرة نحيلة وفى كل سنبله مائة حبة ٠

زرتة بعد وفاته لاحت يوجد الجسم منه بل حيث توجد الروح ٠٠
 لم أزره فى قبره فالقبور تملأ الرحاب كما يقول أبو العلاء ولكنى زرتة فى
 محياه ٠٠ عشت بين تماثيله بعض يوم ٠٠ هناك حيث تجتمع أعماله
 الفنية فى بيت السنارى ٠٠ فى قبالة الباب تمثال من القيم المصرية

الأصيلة : العطاء والنبات والديمومة . العطاء السلامى الذى يتمثل فى الزهور التى حماها الفنان تمثالا آخر لمصرية تقف بأول المر الخارجى لبنت السنارى . عطاء يستند فى كل تماثيله الى الصدر . وعلى موضع القلب كأنه يؤكد عمق النفس المصرية وإخلاصها فى البذل والسماح .

هذا المر أو القبو يمثل الفترات الحالكة التى مرت بها مصر والتى خرجت منها أشد قدرة على صنع الحياة المشرقة البسامة بما أضافت إليها التجربة القاسية ، وأضفت من صفات الصلابة والمقاومة والاصرار .

هذه الفترات الحالكة يمثلها الفنان أنور أو يمثلها تمثاله القائم عند نهاية القبو بأخطبوط وتنين يقابلهما من الجانب الآخر فى نفس التمثال المصرية مجنحة تبغى الخلاص وتعقد العزم عليه . . انه استشراف مصر الى الخلاص ثم العمل الذى يرمز لبه حورس يمتطى جوادا . . بداية الانطلاق .

بداية الانطلاق فى التمثال وبداية الانطلاق فى المكان نفسه فبعد القبو فناء واسع عليه سماء زراعية وشمس ساطعة ونخيل أخضر . . صفاء وضياء وخضرة تخصص النفس وتعمرها بالأمل .

يحمل فن أنور معانى عميقة موحية . معانى انسانية تتجلى فى تمثال الأمهات المحتجات على الغارات ، الضارعات الى السماء بيد والجانيات على الصغار باليد الأخرى تجتمعهم الى الصدر حيث يستشعرون الأمان والدفء على الرغم من قصف الرعود .

معانى انسانية غامرة يعكسها تمثال ايزيس المطاردة تحمل حوريس ، والاعتزاز بالذات تفسره الرأس المرفوعة أبدا ، فى فنه .

معانى انسانية وصل إليها الانسان المصري الذى جعله الفنان أنور فى أحد تماثيله يستبطن داخله ويعرف نفسه .

معانى انسانية غامرة يعكسها تمثال ايزيس المطاردة تحمل حوريس ، هذا التمثال الذى حشد له أنور أبوته كلها فأنبشكبت العواطف الجياشة والمشاعر البهيفة . فى وجه ايزيس : الواثق الخائف معا انها آلهة فى عين مصر القديمة ولكنها أم فلم لا نخاف ؟ مهما بلغت قوتها . انه خوف المحنان لا الضعف . خوف الرحمة التى تطل من عينيها اللتين تفتشها الفضاء ، ويدها المترفة . فى لفتتها . فى كيانها المزلزل العايب معنا . أحاسيس لا يعرفها الأب متحنن . ولا يبزلها إلا فنان قادر يصل إلى تكيف التمثال وتطويع الأنحناءات واللفائف بحيث ترى ايزيس فى

أتمثلها في: «مباطنة» الطريق من كل ناحية. . . اتسمت نظرنا لتجمع
بالوجود كله في نظرة تؤمنها على كنهها النفيس . . . واذ بسط الفنان
ذراع حورس على صدرها وجعل كفه تداخل في كتفها أسلمه بكل الدفء
المنبعب من الصدر الرخام الى نوم عميق . . .

• انام حورس وظلت ايزيس ساهزة . أمومة . . .

• والأب الفنان في أنور صور الأمومة ضورا شتى في تماثيل متنوعة
• . . . حورها تحتى في الحيوان فالنطرة المفترسة رقت ولانت عندما تداخل
فيها صغارها فجفضت جسدها كله للضغار تتسلقه وتلصق وجوها فيه . . .

• صور أنور الأمومة في كل بهائها وروعتها وعزها حين جعل من
جلثسة الأم وحجرها شبه كرسى مكين، وأجلس عليه الطفل في رضا
وسعادة وتمكن . . . انه عرش كبير، يجلس عليه ملك صغير . . .

• . . . صور الأمومة في إحناءة تجمع فيها أم كيانه كله ليطل في لهفة
على الصغير السعيد الذي أغراه الحب الخالد بالعبث والدلال فتشبث بأمه
في وثوق المعشوق الذي لا يرد له رجاء . . .

صور الأم على أعتاب الستين وقد فرغ الزمن من حفر أخايدته على
الوجه الناضر أو الذي كان ناضرا وتسامت رأسها ، ابنتها البكر ، في
وجهها الصبيح وعد بمشاركتها المسئولية الضخمة . . .

لقد طوف أنور بالقصص القديم في تمثال « آدم وحواء » وفي تمثال
يوسف يفرغ من الخطيئة ويرتفع عليها . . .

في فن أنور كالفن الفرعوني : الأجسام المشرعة ، والتقاء الفكر
والقوة والقدرة على التحليق بالتقاء الرأس الانساني بجسم الأسد وجناح
النسر . . . في فن أنور كالفن الفرعوني مولد الشروق وأفراح الحياة . . .

• فن أنور كالفن الفرعوني الحجر فيه يتحول الى نور ورفيف . . .

انه كالفن الفرعوني ، الخطوط فيه بسيطة مناسبة في رقة ودماثة
معاً ، الرخام في يده لدن رخص فيه ليونه ونعومة ويشع الدفء والابتسام
• . . . والحجر في يده قادر - من قدرته . . . على التلنى واعطاء الظل والنور . . .

فن أنور كالفن الفرعوني فيه الاتصال الحميم بالأشياء والتعاطف
معها فأنت تحس احساسا غريبا عميقا بتعاطفه مع المحارة في دائرية
الخطوط وانسكابها . . . حتى السمكة من صنعه تحس تعاطفها مع الطبق
الذى تحل فيه . . .

انه كالفن الفرعوني ، فيه حلم مصر بالسما والنجوم والشفافية
التي تتخلص من كثافة المادة وثقل التراب .. هل كان هو نفسه يحلم
بهذا كله في آخر تمثيله الذي سماه « الخلاص » .

لشد ما ياسرني هذا التمثال . لقد تخلص أنور كما أراد من رق
المادة وغدا روحا تحوم في بيت السنارى الذى شهد كفاحه مع الصخر
وانتصاره عليه .. روحا وهاجة تؤنس المكان وتضيف اليه قيمة جديدة .

لو قيسست الأعمار بالعرض فقد ناهز الثمانين .. ان كل تمثال من
خلفه يعدل حيوات كاملة تعبر الدنيا عبورا ولو عمرت فيها .

لقد عاش أنور في الحياة .. وبعد الحياة ، فالالدون أربعة : شاعر
سار بيته ، ورسام ضحك زيته ، وموسيقى بكى وتره ، ومثال نطق
حجره . وقد نطق حجره وضحك وبكى ..

.. سلام على روحه الوادعة في محراب الفن . وسلام عليه في
الخالدين .

من جديد . . . « الشاطر حسن »

حين يتحول الانسان الى قطع شطرنج
يجرح الفن ويحس الفنان شرجيا في داخله
من البداية ابدا .
كان صغيرا يحلم بالتشكيل والتلوين
وشب وكبر الحلم أو تجدد .
كان هدفه أن ينزوج كلية الفنون . . . كانت الجميلة عروس خياله .
وحين انتهى من دراسته الثانوية سنة ٦٧ وقف في الطابور وكم من
طوابير في حياتنا .
وقف واجفا امام مكتب التنسيق . . . ثم ارتطم سمعه بكلمة
« لا » . ان مجموعه يفضى به الى معهد التعاون .
ومكتب التنسيق كالقدر لا يزيد له قول أو عمل حتى ولو كان الطالب
« المجلي » في امتحان القدرات .
دخل معهد التعاون بجسمه وظل الفن بوكليته حلمه وهواه .
كان جرح وطنه في ذلك العام تسرب الى قلبه فنزف بدوره .
ولم ينس .
لقد أصبح فنانا . . . وله عطاء . . . وله معرض .
ولكن ما تكاد تسأله : هيبته . . . متى يستيقظ جزته القديم .
- ان لوحاتك تقول . . . فف امامها . . . اسمعها . . . اليس فيها
عزاء .
تقول ولكنى وضلت من طريق أطول . . . الدراسة تكثف القواعد
التي يصل اليها الفنان بجهد الفردى بغناء شكيدته يجعل البلوغ عندي
بالعرق بعد طول لغوب وكروب .
- ولكن قد يكون الذ مذاقا . . . مذاق فيه طعم الاصرار وطاقة
الاستمرار ونحن شعب الطموح طبع فيه . . . اذا أراد لا تعجزه الوسيلة .
لقد صنعنا أكبر الحضارات بأبسط الوسائل . . . وجاءت اليابان ومن
دورائها تكنولوجيا العصر لتبني الهرم على مثال الهرم الأكبر فلم تصل

الى هرم يشائيه أو حتى يداليه • ان هرما « عمارة » عامرة بعلوم شتى
وفنون عدة لا بناء فحسب •

ونظرت دولة العلم الحديث الى قمة من الحجر الى جوار صرح الخلود
فمخجلت ونقضت غزلها أنكاثا •

- هدمت الهرم المقلد وعادت القهقري
- وايتسم الزمن
- أبدا من جديده

عن الفنان حسن غنيم أتحدث •• واليه أتحدث :

– هل تعرف قصتنا الشعبية ؟ قصة الشاطر حسن ؟ لقد جعل
القاص « الحبيبة » دونها بحور وجيال وأهوال فأخذ الشاطر حسن يتخطى
العقبات ويتحدى المعوقات حتى وصل الى ست الحسن والجمال •••
أتراك ، الشاطر حسن ، الجديد ؟

– ولكنى لم أدخل كلية الفنون •

– ولكنها هي دخلتك موهبة خالقة •

مررت بمعرضه ••• خطوطه شفافة مجنحة فيها تخليق وفيها أبعاد
متراامية وحدة الخط هي الخط البارز ••• ولهذا لا ينطلق الخط خالصا
فان تقسيمات الخط المتقاربة تجعل الخط يحمل معاناة ••• بينما الخط
المصرى كما نهمده فى المسلة ثم المثذنة هو الخط الصاعد الصاعد حتى حين
استدار فى القباب ، انما كان فى طريقه الى قمة من جديد •

صورة حافلة بالرؤى الاسلامية من مآذن وقباب وحشوات فن المشربية
الذى يغدو فيه الخشب ارواحا متحابة عاشقة • وابن البلد يقول عن صانع
المشربية يعشق الخشب يعبر بهذا عن التداخل التشكيلى بلطف فيه حروف
المشق ومعناه •

ولكن المآذن ، أيضا ، فى سموها خطوطها ليست مناسبة ولكنها
ادوار متقاربة من التشكيلى فيها مجاهدة •• هل يترجم عن نفسه •
يبدو أنه تعب كثيرا •

وفى المعرض ، صورة ، لو رأيتها فى أى مكان من الأرض ذات
الطول والعرض لقلت أن صاحب هذه اللوحة «مصرى» ففى اللوحة روح
الشجرة •• أو روح النخلة على التأكيد ••• نخلة تفتح شواشيها على
هيئة زهرة اللوتس والى اليمين « هلال » وفصر منذ القلم تعشق الهلال
من أجل سيناء واسمها هلال استدار بدرا كاملا ••• فسيناء من سين.

إنه القبر ولهذا عشقت مصر الخط الدائرى فى الزى والحلى • وجاء الاسلام
هل لباله فوجد فى مصر محاب كثيرة ولقاءات لروحه ••• وجد الهلال
والقمر • والمصرى المسلم يحب الهلال مرنين مرة بحس بعيد من مصر
القديمة ومرة بحس قريب من الاسلام •

الفنان حسن غنيم يهوى التعشيق بالخط والمادة هوى به فى الخشب •
اللوحات عنده متنصوفة تفرد عليها القباب السابحة فى الألوان
الفضبة مظلة من الرضوان •

انى الى فن « الأدب » أنتمى ولكنى أكتب عن معرضه التشكيلى لانى
أحب الطموح الحقيقى ••• الطموح الذى يقتحم العقبة لا طموح الأزار
الذى يطمع أصحابه فيما ليس لهم فيحضر على نغمة « سبيك لبيك »
ثم يتغنى الأتباع بالطموح اللبلايى الذى يتسلق « الجدران » •
وبعد •••

ليس معرض الفنان حسن غنيم وحده •

فقد لحقت بمعرض الفنان الصعيدي « مبروك » فى آخر لحظة ولحقت
الأعمال الباقية قبل رفعها ، وتعرفت الى القسمات والوجوه •• فى الحقيقة
انى أعرفها فعلى هذه الأرض ولدت فى صعيد مصر ••• والفنان مبروك •
قال كلمة الفن فيه ، « أستاذ » ••• أعنى الفنان حسين بيكار فأوفى •

وزرت معرض الفنان عبد السلام عياد فحضرت حفل زواج بين المادة
واللون •• بين القديم والجديد ••• بين الخيال والواقع ••• بين التقابل
والتضاد ••• بين الأشياء الصغيرة والأشياء الكبيرة بين الفنان والحياة •

يتحدثون عن اختناقات كثيرة فى الحياة اليومية المصرية ومع هذا
يبدع الانسان المصرى الفن ، ويكتب الأدب ، و « ينظر » العلم ، ويصنع
الحياة •

انها مصر •

السجيني الفنان

نفاسة الفن انه موهبة .

وقيمة الموهبة انها لا تنتحل ولا تزيف ولا يختلف عليها اثنان من حيث هي موهبة . قد تختلف مع الفنان في الاسلوب أو الفكرة ولكنه ، فنانا ، لا يتغير في عينك أو ضميرك .

وهنا ترتفع الموهبة درجات فوق المناصب من أي حجم وطبقة . وهنا أيضا ترتفع الموهبة فوق الشهادات وفوق الألقاب لأن هذه كلها يجوز فيها المنع والادعاء والاستجداء بل البيع والشراء أما الموهبة فهي عطية الله وحده يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا .

السجيني الآن الى جوار ربه ، ويسعى الناس من تلقاء أنفسهم الى معرضه تكريما له لأنه كرمهم يوم أضاف الى تراثهم عملا يبقى بل تبرع نفر منهم لتخليد ذكراه تعبيرا عن مكان الفنان من نفوس مواطنيه ولا يفعل الناس هذا جبا وكرامة ، مع غير الفنان الصادق المعطاء .

طلفت بمعرض السجيني أكثر من مرة . ويختزن وجداني أشياء وأشياء .

زهرة اللوتس ، عين خورزس ، أشعة الشمس ، القرنية بناء متكامل متضام في وحدة صنعها الحب قبل الطوب .

الفلاح يسحق الشر كما طعن خورزس التتئين .

الحمامة في مختلف التشكيلات والأحجام .

المنخلة المصرية كيان صاعد يشرب الى الأفق .

الموج - الهرم - أم كلثوم - النجوم - الهلال - الزهور - تمثال العبور ورغبة مصر الدائمة والبدائية في الفكك من الأسر ثم الانطلاق . . . حلم مصر بالمخلص .

احساس مصر منذ القدم بالكون الشامل فالناء له وجه . والمرأة شجرة .

دخل وجداني من معرض السجيني هذا كله وأحسست أن نسيج شخصيته ذاتها من كيان هذا البلد أرضه وسماؤه وتاريخه وعطائه موصولا وواصل . . . مذخورا ونائلا .

فيه ذو أعماق لأنه يستقى من معين فياض دافق . وهو في فنه مشغول بهوم هذا البلد ففي سنة ١٩٦٧ رسم الجميلة الحبيبة عروسا في حفل زينها غير انها نمشى على عكازين في اشارة الى الشرخ الذي حدث في نفس الانسان المصرى .٠٠ الى الكسر حين تصدع القلب المصرى في أعقاب الهزيمة فمال الشموخ وتحايل الرضوخ على عكازين .

عالم ثرى سرى عالم السجيني فيه الخط واللون والحفر والنحت والصورة تؤلف بينها وتتألف أصابع خبرتها موروثه ومنتطورة منذ العصر الحجري الحديث الى اليوم .

خبرة متنوعة وجامعة .٠٠ عميقة ومبدعة .٠٠ رافية ومترعة .٠٠٠ ما أبدعه عالم السجيني ما أبدعه .

فى فن السجيني حب مصر التقليدى للولد والأسرة يلف الحياة بالبركة ويجعلها خلقة لا أن تعاش فقط بل أن نحياها .٠٠ وليس من عاش كمن يحيا .

الأمومة والأنتشى فى فن السجيني دليل صدق فالفنان الحقيقي فى احتضانه للفكرة أو الرؤية الفنية ، أم رءوم .

وفى فن السجيني الايمان عريقا جامعا .٠٠٠ فالكتلة هيكل مصغرة .٠٠ وبرج الكنيسة والمثذنة مسلات مسيحية واسلامية يصعد فيها الخط الطموح الى فوق فى شوق وتوق .

ايمان عزفته مصر قبل الأديان .

وسيظل يعمر قلبها الى آخر الزمان .

والكتلة عند السجيني حية نابضة تنوع فى وحدة من خلال الامتلاء والفراغ . ويتنافى المشاهد منها ما تمليه .٠٠٠ ويسمع منها ما توحيه نداءات رقائق المعانى من كيان صلب متماسك ومكين .

والصخر اذا خلج الفنان عليه رؤاه خف وشف وكاد يبين .

والشجرة عند السجيني كلمة طيبة تمد على الجسم والروح وارفا من طلال ، وتعلن بالورق والزهر والثمر ، انتماءها المصرى الى وادى النبات .

وتتخاطر فى فن السجيني حاملات القرايين بتهادى من مصر القديمة لتتجسد عنده فى فتاة الحزف .

عطاء موصول تتوارثه مصر الحديثة عن مصر القديمة فى هيئات شتى .

السجيني متمسك بالجذراع ويميرائه الحضاري بأبعاده وأعماقه حتى حين يور الخط في يده ويفضب فإذا بالغضب قمة الحب حين يتجسد غرة ولهفة على المحبوب .

ودن الألم آيات حتى العلبن حين تمسه النار يتحول الى خزف جميل .
ولا ينسى السجيني المركب طفلة النيل المدللة منذ القدم رمز الانسياب والعذوبة في الشخصية المصرية .

فن السجيني فيه نقاء هندسي محسوب .

ويخفق اللون حيث ينتقل من درجة الى درجة وهو في حالاته كلها يوصل ما يريد الفنان أن يقول . . . ففي زهوه فرحة النور وهو في دكنته كالسحاب في السماء المدرية لا يحجب صفاءها ، بل يؤكد .

فن منملى، كالشفاه المصرية . وفيه أيضا من نجل العيون المصرية برين اخاذ نفاذ .

يزاوج السجيني بين الماضي والحاضر فيعكس التوافق في الربط ،
الوفاق في اللوحات بين الفرح والشجي في نعمة أسرة .

مشاعر يسكبها الفنان في لمحة البصر أو رفة العطر ، أو خفة الجناح
وكان العمل الفني حدقة ملؤها الحب والحنان .

وأحيانا يسيطر السجيني على الفراغ بالكتابة أشكالاً .

وعشق مصر للكتابة تشهد به الالهة سشات التي زوجها من اله الحكمة في احساس كبير وقرير بما بين الكتابة والحكمة من رباط ووافق ونلاق .

وكالفن المصرى يلوح السجيني أحيانا بالنور والظلال . . ويحرك
الكلمة في مكانها بالتلاتي والائناء في الحطوط صاعدة طوافه أو مستديرة
ضبابية . وفي الحط المستدير احتضان وحنان .

حب لمصر يعبر عنه بالخط والشكل واللون ، وحين يعمق الصمت
اللوحات سنتين المعاني بأبلغ من الكلام .

كم في الفن من روعة وورع . ومن الورع الدقة والرقعة والتشكيل
اب دقيق وعسبي .

ومن الورع مشاعر الوجدان نقية صافية كدعاء أم او ابنهالات عابد .

هذا هو السجيني الحر الاداء في وفاء بالمعاني والقيم .

كلمة تحية من مصرية لا تمسك الريشة الملونة ولكن تعانق
القلم ٠٠٠ تحية لهنان رمى يوما ، تماثيله في النيل ، وهي بضعة منه
من ألم واحساس بالغبن ولعله كان يقول مع شوقي :
ما يحملنا الهوى لك أفرخ سنطير عنها وهي عندك ترزق
فاحفظ ودائعك التي استودعتها أنت الوفي اذا أوتمنت الأصدق
ولعل كلية الفنون التطبيقية التي أقامت له معرضا ، كانت وفا ،
حاضرا بعد غياب وعتاب .

حين تغلو الخطوط وتغدو رأيا وفكرا وموقفا

• هذه الوقفة لي في معرض الفنان غالب خاطر

حيث يلتقي المشاهد برؤية فنية فكرية غير مألوفة في المعارض التي يهيمها في المقام الأول أن توفر الجمال لرائيه مبتعدة ، في الغالب ، عن دنيا الواقع بصراعاته الى عالم مفوف يغذى فيه الخيال ، أسواق الانسان الى الأفضل .

في معرض الفنان غالب خاطر فكرة صريحة أسقطت النفاق . . فكرة فيها وضوح وفيها قسوة معا .

فيها وهز شفاف ولو أن الشفافية درجات ولكنها في أقصى حالانها غير ضبابية وغير معتمة .

صور فيها التوازن البادى في توزيع المربعات والمثلثات التي تحتضن التشكيل الفني كما في صورة (الكورال) وفي صورة (الاجتماع) .

• صور فيها تلوين بالنور والظلال

وفيها عمل مشغول صعب لأن صاحبه احتشد له وسكب فيه من ذاته . فهو لا يستسهل ولا يتخفف من صعوبة ومعاناة . له رغبة حميمة في أن يقول . . وعنده ما يقول لأنه صاحب مبدأ يستهدف صالح أمته التي تحس ريشته فبعضها في الفرح والجرح .

وليس في الصور شموثرة بالألوان للاستهواء ، بل هدوء حزين . . ذلك الحزن النبيل الذي لا يندرف الدموع من كبرياء . . انه ليس في اللوحات خروم . فالفنان فيها يلغى الفراغ ويجعله جزءا من المساحة حتى لا تنتشت العين بل تتجمع الرؤية اذ تقابل العمل الفني « كلا متكاملا » .

وفي اللوحات « ترديد » تهيم به الروح المصرية من أثر التوازي والتلاقي في الطبيعة المصرية ونيلها ذى الشاطئين والسهلين والصحراوين ونشرع مصر في التقسيم ويسرى التنعيم فتغنى القسبات والايوانات بالنقوش والبنمة ويحلو المشدو على التردد والتجويد . وتدخل مصر موسيقى المعبد الى الكنيسة المصرية وتعتنق الاسلام فتجود القرآن وتلحن الأذان .

وحين يعيش الفنان المصرى التردد فهو ابن بيئته . فقط . يرفض اختهان الانسان . . انه مشغول بمصر التي تكيف أفسكاره ولوحانه . .

فمن وجى مصر اللون البنى الغالب على الصور . . . البنى الأسمر مع الفاتح منه . . . المستوحى من لون طمى النيل : ولعل الفنان مشحون بحساس القصد لهذا الطمى . . . من يدري .

ومن مصر السخرية الممرورة الميثوثة فى صوره . . والفكاهة المنداة بالدموع لا تريد أن تظهر ولا هى قادرة على الاحتباس أكثر من هذا .

ومن مصر فى اللوحات الذكاء العارف وهو يتغابى . . وفيه من مصر الضحك التنفيسى ، وفيه منها الصديق المنعكس فى الاحساس بالناس وطرح بشاكلهم من مواصلات وتموين ؛ وجمعيات تراق على أبوابها آدمية الانسان ، وضغوط بكل المقاييس .

هذه صورة عامة للمعرض أقف بعدها عند بعض اللوحات بتفصيل .
ومن هذه اللوحات :

لوحة الحمير أو « سمها ما شئت » كما يطلق عليها الفنان . فيها خطوط بارزة وخطوط مختلفة .

فالحمير تقود الرجل السائر على يديه ولكن الفنان جعل الرجل يقطع فى الصورة خط الحمير فجأة وكأنه تمرد عليها .

هل يعنى الفنان أن الانسان حتى فى أسوأ حالاته ، أهم من الحمير ؟
هل يعنى أن الحمير الى زوال ؟

علامات استفهام كثيرة ، تكثف الفكرة ولكنها لا تطمسها بل تشغل الذهن بها .

ولهذا تستمر الرؤية حتى بعد أن ينتهى العرض بخروج المشاهد لأن شيئاً غير قليل دخل (جواه) .

لوحة الجماجم الصامتة :

الجماجم الغرقى فى الدم بعد أن عاشت فى سواد .

ومع أن الجماجم لا تتكلم الا ان الفنان اعاننا فى المرارة رسم الجمجمة الكبيرة تحكمتها (قمطة حديد) خوفاً من أن ينطق الأموات .

ان الطغاة يخافون الكلام ويخافون الصمت أيضاً ولو كان صمت القبور .

ولكن الجمجمة الكبيرة فى الصورة على شكل صخرة ، انه عناد

الانسان المصرى حين يغضب ٠٠٠ فى هذه الحال يشكل صخرة على الأعداء
ولو زهقت روحه بعد أن زهق هو ٠

- ان مصر قد تشقى ولكن تشفى
- قد تمرض ولكن لا تموت

لوحة الروح الرياضية :

فى هذه اللوحة الكرات تشغل $\frac{3}{4}$ ثلاثة أرباع مساحة الصورة فى
خضرة ونور ٠٠ كما يجب ان تكون الرياضة بينما رسم المتعصبين فى
أسفل الصورة أى تحت الأرض حيث القتام والرغام ٠ رسم وجوههم
معروقة متجممة متحفة متنافرة يتطاير منها الشرر ٠ ورسم فى الرؤوس
شباكا معقدة تلقى ظلالات على الكرات القريبة ٠ أما الكرات البعيدة عن هذه
الوجوه فهى طليقة فى الحضرة والنور ٠ ليت هؤلاء المتعصبين يلعبون
رياضة حقيقية تفيد أجسامهم - التى بالغ الفنان فى تحولها عن عمد -
وأرواحهم ٠٠ فتصح الأجسام وتسمو الأفكار بدلا من التعصب الأحمق ٠

لوحة الاجتماع :

وفيهما رسم الفنان خروفا واثنتى عشرة دجاجة ٠٠٠ لم يحدد الفنان
جسم الحروف الا الخط الأملئ منه مما يلى الرأس ٠ وبعد هذا انساح الحروف
فى اللوحة بلا حدود ، وانذاح الخط بغير تحديد ٠٠ رمزا لهيئته الكاملة
على الدجاج القابع لا يتحرك ٠٠ لا يبطق ٠٠ لا يفكر ٠٠ لقد رسم الفنان
الدجاج السمين (ذكاء المرء محسوب عليه) ٠

واذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

الدجاج السمين كل دجاجة محدة الجسم والمكان أيضا ٠٠
لا حراك ٠٠ لا كلام ٠٠ انها فى الاجتماع ديكور فقط ٠

ويلاحظ المشاهد اتجاه نظرات الدجاج الى اليمين لأن نظرة الحروف
اليمنى ٠

أحيانا يتفوق الدجاج على القروء فى التقليد المضحك ٠

ة الرفق بالانسان :

وقد كتبت مقالا بهذا العنوان لم ينشر ٠

وفى المعرض رأيت مقال فى صورة تشكيلية بالاسم نفسه ٠

تصور هذه اللوحة الشباب الذى يجب أن نعنى به • الشباب
المصرى الأسمر تدوسه أقدام ملوثة غاصت فى الطين والوحل •

وفى الجانب الأعلى فى يمين الصورة ، صورة طابع تذكارى
للحصان •• انه رمز الى ترقق القساة حين يتظاهرون بتكريم الحيوان وهم
يستبيحون الانسان •

الفنان فى هذه الصورة ينادى وهو يتمزق : الرفق بالانسان يا من
تدللون الحصان والكلب « والثمناس » •• الخ •
« الشيوعية » :

صور الفنان ، الشيوعية ، فى هذه الصورة ، مكبسا وحشبا
بضغط على الجموع •

الصورة من فوق زرقاء ، رمرا الى ادعاء الشيوعية ، « الرومانىكية »
و « السماوية » ••• بينما الصورة فى الجزء الأسفل منها ، فيها الجموع
مرسومة باللون البنى ، والمكبس الوحشى فى طريقه اليها • كما رسم
الفنان ، الخطباء ، فى هذه الصورة فى هيئة حمر تنهق ولا تطرب •

لوحة « معادلة جبرية » :

لوحة فيها الانسان مطبق الفم •• وجهه كله بين فكى (قمطه
حديده) ، بينما الحمير تفتح أفواهها ملء سمعتها وتغنى ••• أو تقول
دا تريد •

لوحة « المواصلات » :

يتوسط هذه اللوحة ، زجاج شباك أنوبيس قد ارتسمت عليه
أطراف أصابع المعذبين من وقوف ، أو الكف كاملة ، أو وجه التصق
بالزجاج من التدافع •

الزجاج بحر متلاطم •

وفى أعلى اللوحة ، تلاطم آخر من أيدي المسكين بعلاقات سقف
الأوتوبيس يمسك بعضهم من الذعر بعضا كما يقول شوقى فى أعمدة أنس
الوجود •

فى الصورة الأيدي والأصابع متشابكة متداخلة يكاد يبريها
الاحتكاك •

- أسفل اللوحة الأقدام يطحن بعضها بعضا
- وفي الصورة فتحة علبة سردين
- ان الأتوبيس المصرى علبة سردين كبيرة :

لوحة « الكورال » :

- ليس كورالا واحدا
- فى هذه اللوحة مجموعة حمبر مننظمة أى تفتح أفواها فى رف واحد تقول شيئا واحدا
- ومجموعة من الايدي نستعد للتصفيق معا
- ومجموعة من الأذان ٠٠٠ آذان فقط ، فعد ألغى الفنان الوجه بجوارحه جميعا لأنها ليس لها مكان أو وظيفة فى الكورال • اكنفى بالأذان المفروض عليها السماع رضيت أم أبت
- وكما ألغى أرجل الدجاج حتى لا تتحرك فى لوحة الاجتماع ألغى باقى الجوارح وقصرها على فتحة الأذن فى لوحة الكورال
- فى هذه اللوحة الحمبر وحدها تتمتع بمساحة كبيرة
- بينما السمعية والهيئفة آلات تدبيح وتهريج • صغيرة الحجم لأنها صغيرة الدور

لوحة « الروتين الحكومى » :

- نحلة بيضاء تكز على يد تعبت بها
- النحلة ترمز الى الانسان الذى يعصف به دوار الدوران
- وفى اللوحة حمار يتربع اللوحة
- وفى شمال اللوحة عقد انتشرت وألقت ثقلها على كل شئ حتى على اليد العابثة ، وعلى الحمار
- وفى الصورة أيد أخرى صغيرة تعطى أوامر الروتين بحركة الأصابع كما يحدث فى الحياة
- وفى الصورة ورق الدمغة يشكل جدارا سميكا وقد تداخلت بينها العقد اياها
- وفى الصورة أختام مصالح الدولة

ويشكل خلفية الصورة اللون الأسود على شكل صليب وكان أمنية
الفنان أن يصلب الروتين .

لوحة « لماذا الحروب » :

- فى النصف الأعلى من الصورة .
- أقدام من يمين ويسار .
- أقدام بيضاء بريئة .
- نلتقى فى وسط الصورة أو معترك الحياة .
- وتجرى الدماء .
- وتتلوث الأقدام .
- وتترك بصماتها الحمراء .

وفى وسط الصورة تتخلف الجماجم . . . جماجم كثيرة تجمعها الفنان

فى تشكيل على شكل علامة استفهام تعكس سؤال أصحابها لماذا القتل ؟
لماذا قتلتمونا ؟ لماذا أهدرتم الحياة ؟

ويأتى الجواب فى أعلى الصورة . . . أيد مضمومة وكأنها مدافع
بعضها الى بعض كل منها يقول للآخر : « أنت السبب »

ليس فى الصورة علامة استفهام واحدة .

ان كل كف وكل جمجمة تقول أين العبدل ؟ أين العقبيل ؟ أين
الانسانية ؟ أين الانسان ؟ .

وأخيرا وقفت طويلا عند تشكيل فنى من نوع آخر

• ديك من حديد المسلح .

هيكل

• داخل فى التشكيل نجمة وشمس وهلال .

انه يودع القمر ويستقبل الشمس .

• ان الديك ليس للأكل يا أصحاب البطون .

ان الديك صديق القمر

رفيق القمر

بشرب الصباح

ومن البشر أصدقاء للشر

يزيفون الارادة
يذبحون الحضرة
يطوحون الانسان
يطيحون بالامان
يسفحون الأيام
ثم يصلون

لوحة « العناوين » :

تردد هذه اللوحة بالحروف والخطوط ما تنشره الصحف من شعارات،
مثل (علقوا الأجراس فى رقاب القطط السمان) ، (القنبلة الذرية
والقنبلة النووية) ، (وجبة شعبية بأسعار رخيصة) ، (الرغيف الى
أين) ٠٠٠ الخ .

فى اللوحة خطافات لحم خالية ٠٠ وأيدي تتلهب وتتلقف من خطاب
جانبي ، لا اللحم بل عظمة بها بقايا .

• الصحف فى اللوحة ، جبل حجارة لا ينتهى .

• الشعارات ترديد باللون .

• غالية الخطوط والألوان حين « تقول » .

• غالية الخطوط والألوان حين « تتنول » .



حين يرتفع الفنان إلى قيمة وقمة

حين يكتب الكاتب عن الفنان صاحب العطاء تكون الكتابة تحية
لشعبه بقيمه هو ... بقدرته على الابداع ... بطاقته في الامتاع ...
بترائه من خلال الخالدين ... والخالدون أربعة كما يقول شوقي - أكرها
لحضورها الدائم .

شاعر سار بيته ، ورسام ضسحك زيته ، ونحات نطق حجره ،
وموسيقي بكى وتره .

والسنباطى فنان بكى وتره ، وضحك ، وشدا ، وحلق وخلق ،
ووفى وأوفى ...

ولا يكون الفنان هذا كله من فراغ ... لقد كان السنباطى يفرض
على نفسه تهجد الفنان الأصيل فى محراب الفن .

كان يعلم نفسه .. ويكمل نفسه .. كان يقرأ كثيرا ... وكان
يسمع كثيرا .. وكان يتأمل كثيرا ... وكان ينصت كثيرا وطويلا .

كان السنباطى اذا لحن ، يتوقف طويلا أمام المعنى واللفظ ثم يقف
طويلا أمام القواميس ليتحرى الدقة فى الفهم ، البعد الحقيقى للحرف ثم
بعد هذا كله يسأل الشاعر صاحب الكلمات يستوثق ويحقق ويدقق
من فرط احساسه بالمسئولية ، وفرط احساسه بكرامة الفنان ، وحرمة
الفن .

لقد تعودنا حين نعدد الفنون أن نقول انها : فن الأدب والرسم
والنحت والتصوير والموسيقى ... ونسى فنا دقيقا ورقيقا ... نسى
فن الرؤية ... فن التذوق ... فن البصيرة ... فن استماع قلبى صاف
هو أبلغ من الكلمات ... وحين يتم اللقاء بين المتلقى والعمل الفنى ...
هنا تسقط الحواجز وتنسكب سيالات النفس فى وجدان الرائي الفنان
فتشرق الصورة ويستعلن المضمير .

التذوق بهذا المعنى هو تلقى رقائق المعانى ومصاحبيتها الى أن تطرح
فى النفس ، وردا ... كما وصفت فى الرؤية .

وهذا ما كان يفعله رياض السنباطى مع فن الكلمة وفن الموسيقى .

التذوق بهذا المعنى ذوق وشوق وتوق يزكى النفس وقه أفلح من
زكاها .

وقد زكى السنباطى نفسه واثراها وارتفع بها وارتفعت به
 • كان متذوقا ... وكان خالقا للفن غير مقتبس أو ملتبس
 ان الرؤية الى اعماق الامايق تفتح الطريق الى النور والجلوة • وقد
 كان السنباطى يملك هذه الرؤية •

كان يلوذ بالصمت وفى خلاله يتذوق الفن أو يخلق الفن فى سكون
 واستغراق يسمع فيه نداء الكلمة ، وصوت اللون ، ونهض الحركة بل
 يسمع فيه صوت نفسه الآتى من داخله والذى يغطيه صخب الكلام وضجيج
 الحياة •

وحسبوه بهذه الصفة متكبرا • وفات هؤلاء الخيط الدقيق بين
 التكبر والكبرياء •

كان السنباطى جميل الصوت ولكنه لم يغن الا قليلا لأنه كان يركز
 نفسه فى التلحين ويكتف عطاءه فيه فلا يخرج عن هذه القاعدة الا عندما
 يضع لحنا ثم يكتشف أنه أكبر من الصوت الذى وضع له كما حدث قبيل
 غام وفاته مع احدهم • وليت الاذاعة تذيب هذه القصيدة بصوت السنباطى
 لتكون اضافة اليه • واطافة الينا •

ان الكلمات تحار حين يرتفع الفنان الى قيمه • • • وقمة كما كتبت
 فى ذكراه الأولى •

كان السنباطى كريما على نفسه • • • كريما على الحياة والناس لم
 يتهاقت على الظهور • • ولم يتقاهم رثاء الناس أو رياء النفوذ • • أو ابتغاء
 المنفعة • • أو اشتهاء المال ، بل كان متوحدا منصوتا عزيزا معتزا • •

من الناس موتى فى خيانتهم • • ومن الموتى احياء بصفات فيهم صنعت
 من حياتهم ملحمة • • ومن سيرتهم مكرمة • • ومن ذكرهم مشاهد بطولية •
 « سلوا قلبى » و « النيل » و « مصر تتحدث عن نفسها » • • هذه
 الوطنيات التى هزت الجموع فى احتدام المقاومة للاستعمار البريطانى
 كانت قد سبقتها فى الأربعينات من القصائد العاطفية « اذكرينى » •
 « سلوا كثوس الظلا » ورائعته التى كان يحن اليها كلما اشتاق الى عودته
 « رباعيات الخيام » التى وضع لحن المطلع فيها من الراسم الميثاغورى
 و « ميثاغور » مسقط رأس عمر الخيام • •

ولعل الرباعيات هى البداية الحقيقية لعهد القصائد الكلتومية
 السنباطية •

وقد بلغ السنباطى فى تلحين الأغنية الوطنية بعامه ، والقصيدة
بخاصة ، غاية النجاح فى الملاءمة بين الحماسة والتطريب دون تزايل أو
ترقيص حتى دموع الهجر أو هتفة الجند .

وقد استطاعت أم كلثوم بأدائها العميق للمعنى والللحن أن تجعل
من الأغنية الوطنية ، نشيدا قوميا .

ويعد صنيع السنباطى فى هذا المجال ، ولعامل الاستمرار ، حدثا
جديدا فى تاريخ الغناء المصرى .

لقد لحننت قبل ذلك قصائد لحنها ملحنون وغناها مغنون ، ولكن
الأمر هنا يختلف من حيث : **العدد والموضوع ، والطول** ، **والتواصل** .

لقد تطورت طريقة أداء الأغنية الوطنية على يدى السنباطى وأم كلثوم .

ان السنباطى أسناذ النشيد والوطنيات . انه صاحب « نشيد
الجماعة » و « نشيد الشباب » .

كان أكثر الأغاني قبل السنباطى وأم كلثوم – اذا اسننينا أغاني
سيد درويش – يقوم على ترديد جمل موسيقية بقصد التطريب وحده –
وهكذا يقف الصوت فى ناحية ويقف المعنى بعيدا عنه فى ناحية أخرى .

ثم جاء السنباطى ومزج بين الصوت والمعنى ، وعبرت أم كلثوم بغير
جهد أو مشقة فى تدفق النهر عن أعماق أحلام الشاعر صاحب الكلمات .
والملحن صاحب النغم .

ان مجموعة « السنباطى – أم كلثوم » على اختلاف ألوانها ظاهرة
أدبية موسيقية وهى جزء كبير من تراث هذين العظمين .

أما مجموعة « شوقى – السنباطى – أم كلثوم » الدينية : « سلاوا
قلبى – نهج البردة » – « الهمزية – عرفات » يضاف اليها « حديث
الروح » لاقبال و « القلب يعشق كل جميل » ليرم التونسى فانها سبحات
فى سماء الروح .

سبحات طويلة مستغرقة لها نفحة تضوع من الموضوع واللحن معا .

لم يقترب لحن ولم يلتق لحن لقاء حميما بصوت العظيمة أم كلثوم
كما النقت الحان السنباطى وزكريا حتى حين تعالت الضجة للحن جديد
فى حينه كتبت يوما ان أغنية اللحن لم تعطنى شعور « التفرد » فى
بابها كما أعطته أغنية « جددت حبك ليه » بل أكاد أقول فى كل كلمة
منها ، نعم فريد ، ومعنى عجيب ، وندية فذة بين المعنى واللحن ، وفرة

كتبت يوما – ٢٥٣

فى الانتقال بين أجزاء الأغنية تزيدها جمالا وتكاملا . . وعمقا فى فهم الملحن لدوره من استيعاب المعنى « وتمنله وخلق النغم المتكافىء من حيث القدرة والاحساس والصدق والتوهج » .

ولم تخدعنى الزفة يومئذ بل كنب كلما دقت الطبول ، واختلطت الأصوات ، تردد فى سمعى لحن « هجرتك » - « أنا لن أعود اليك » - « هات ليالى القمر » - « فإكر » - « غلبت أصالح فى روجى » - « عودت عيني » - « دلبل اختار » - وخل عنك - قصيدة « النيل » بلحنها الغنى السرى الزاخر العظيم وقصيدة « ولد الهدى » أى الهمزية .

وبعد أن أفاق الناس من السكره ، أدركوا أن المسألة « الطرافة » ولقاء الطرافة يبهر الجموع وينير الفضول والحماسة معا سواء آكان لقاء تعاون أو تصادق كما حدث بين تاليران ونابليون ، وبين تاليران وفوشيه وبين فولنبر وفرديريك الأكبر أم حتى لقاء تصادم كالذى يحفظه التاريخ من لقاء أبى جعفر المنصور وأبى مسلم الخراسانى .

ولا أدل على صدق ما ذهبت اليه ، من تلاحق النقد فيما تلا من أعوام لغبر السنباطى حين سعى التقدير اليه فى الداخل والخارج الى أن رحل ، وبعد أن رحل .

لقد كان أعلامنا سيد ذرويش ومحمده عثمان وأبو العلا ، أصواتا قيمتها ليست فى الجمال ولكن فى « الروح » والاحساس الصادق المشحون، والتعبير الأصيل ، ولكن السنباطى كان صوتا ولحنا وأداء وفهما ونعبيرا . وقد تأثر به من جاءوا بعده حتى ذوى الأصالة والعذوبة المصرية كسيد مكاوى .

عندما لحن السنباطى قصيدة « الأطلال » وترنمت بها أم كلثوم فارتفع الشعر والصوت واللحن معا الى قمة ، كتبت للسنباطى رسالة استهلته بهذه الجملة :

(لحنك جعل من الأطلال قصرا منيفا على أرض الألحان العربية)
ومضيت أحال اللحن .

واهتز السنباطى للرسالة وزارنى فى بيتى وهو الذى لم يسع الى أحد .

وكانت تحيتى له ان أدت شريط الأطلال مع لحظة دخوله دارى . . وتهلل السنباطى ثم لم يلبث أن انطلق يغنى بصوت جميل مع أم كلثوم . « الأطلال » ونحن لا تطرف لينا عين نرشف النغم العالى الغالى من الاثنين معا .

ويفرح عباد المال بالملايين واعتز ببيت مصرى صغير يضم مكتبة
كبيرة فيها عسارة آلاف العقول ، وذوب ألوف القلوب فى كل علم وفن ٠٠
ومكتبة أخرى صوتية فيها تراث أم كلثوم وتراث السنباطى وفيها تراث
مصر مختلفا ألوانه ٠

ثروة بلا حدود فى ميزان القيم ٠٠ وعندى

وبعد هذا تجرى أدمعى ٠٠ وهم معى

عيون الليالى الذهبية

أم كلثوم ويبرم وزكريا

أم كلثوم ورامى والسنباطى ،

ولهذا فرحت عندما فاز الصدق ٠٠ فاز السنباطى بجائزة الدولة
التقديرية ٠٠ أحسست بالوفاء ٠٠ شعرت بقيمة معنوية ، لقد شربنا على
ألحان السنباطى يجلوها ويرصعها صوت أم كلثوم وزين الليالى ٠٠ ليالى
القاهرة والعالم العربى كله ٠

عندما أعلنت النتيجة كانت لحظة عمرها هذه الليالى الغالية ٠٠ لحظة
عمرها حشد من السنين ٠

وهكذا يعيش الفنان الأصيل فى وجدان شعبه بالعتاء الصسادق
بالموهبة الحقيقية الطبيعية التى يهبها الله السعداء فليس لأحد عندهم من
نعمة تجزى ٠

ودرس آخر يلقنه السنباطى لأدعياء الفن ومنتحل الكلمة والنعمة
كأن الموهبة مما يباع ويشترى أو يخضع للطلب والعرض ٠

ويبتسم العارفون كلما رأوا غرابا يقلد عصفورا وما أبعد الفرق
بين الحجلة والرفيف ٠

ودرس ثالث يلقنه فوز السنباطى ٠٠ فالرجل الفنان كما نعرف
قليل الكلام ٠٠ قليل الظهور بشخصه ٠٠ وان كانت أعماله تعيش معنا
كأبنائنا ٠٠ لأن الحب الحقيقى يسكن القلب لا يفرض أو يقحم اقحاما ٠٠
ولهذا فاز السنباطى لأن موهبته أكبر من الجمععة ٠٠ والصبمت ،
بالكبرياء ٠ أعلى صوتا من الكلام ٠٠

فاز السنباطى الذى صعد الى القمة مرتقى بعد مرتقى ومرقبا بعد
مرقب ٠٠ واعتلاها بالكفاح والعرق والأصالة الفنية الغنية عن الاقتباس
أو الانتحال ٠

فاز السنيماطي الذي لم يترخص يوماً ولم ينافق يوماً ولم يتصاغر يوماً
٠٠ احترم فنه واحترم نفسه فاحترمته الحياة الفنية واحترمه
الناس ٠٠ وسوف يحترمه التاريخ يوم يكتب التاريخ كتابة صادقة
صحيحة .

وتمضى الحياة ويولد الناس ٠٠ ويرحلون حتى الدول والعروش
تذهب وتجيء كأن لم تكن ويبقى بعد الله ، علم العالم وفن الفنان .

مسرحية الشعراء حين يعشقون •• وحين يرفضون

غريب حقا وسط وابل النفاق الذى استفحل واستشرى فى ربع القرن الأخير ، والذى استحصده فى السبعينات حتى بات أذى يجرح النفوس ، وقذى يرمد العيون وان خمدت أنفاسه فى أوائل الثمانينات حتى يأتيه الجواب من قرون الاستشعار ، فما لبث الا قليلا حتى رفع عقيرته من جديد يردد الكلام نفسه والكليشيات نفسها •

• وسط هذا الغثيان يرتفع صوت الانسان الشاعر رافضا الزيوف

وقبل أن تنطلق رؤيتي من زاوية الفن الأدبى أحيى فنون التمثيل والخراج والصوت المصرى الجديد فى الغناء ومؤلف مسرحية (الوزير العاشق) شاعر ، ولكنه جعل البطل يرمى أكياس النقود للشعراء على الأرض فينكبون على الأكياس ••• على الأرض ••• ينقضون على المال ••• وهى مهانة ولكن أمثال هؤلاء ليسوا شعراء ••• ليسوا كهنة الكلمة المقدسة وليسوا سدنة المحراب ••• ليسوا أهلا للاحترام •

ان الذى يستحق الاحترام هو الذى يرتفع على الكذب المنمق والتبعية الذلول - والذليلة •• هو الذى يربأ بنفسه على البوقية المهينة ••• هو الذى يعرف أمانة القلم الذى أقسم به الله •

انها كما يقول ابن زيدون أى كما يقول الشاعر فاروق جويده ،
مأساة الشعوب •••

• حكمانا اعتادت على هذا المديح

• وشعوبنا اعتادت على هذا النفاق •

• ليست مأساة الشعوب وحدها •

ولكنها ضعف الانسان أيضا حتى فى الفنان الذى يعلو قدره المناصب كلها بلا استثناء ••• ومع هذا يصرح ابن زيدون الشاعر أن حلمه أن يرى طيف الوزارة !! فلما أتته ، ازدهته فطار فرحا بها صبا •

وعبثا تحاول « ولادة » التى كانت « الحقيقة » تنطق من خلالها فى هذا الموقف ، أن تثنيه عن التيه بالزائل أى الوزارة ••• لم ينفذ الى أعماقه ، قولها :

أحبك شاعرا
ولو يوما ، ملكت الأرض
سوف أحب أشعارك
ويتصارع في كيان (البطل) ، الشاعر ٠٠ والوزير ٠
ماذا يجدى صوت الشاعر
لا يجدى وسط الطلقات
ما أثقل أن يصبح سيف ، فوق الكلمات
أقول هنا تهتز القيم ، وتبتز الوصولية ، وتعتل الأحكام ، وتختل
المقاييس ٠

٠ فالعدل بخور نحره عند الحكام
والحاكم فرق القانون
يقتل نحميه
يسرق نفديه
يسجن فنكون القضبان
يجلد فنكون السجنان
والحاكم هدى ونقاء
وشباع أمان وسلام
يسكرنا المنصب لا ندرى
معنى لنقاء ٠٠ لوفاء

لطهارة القلب ٠٠ لحلال فينا ٠٠ لحرام
المنصب قد يصنع بطلا بين الأقرام
ويضيع المنصب في يوم
وتدوس عليه الأقدام

الشاعر : رادار لا يخطيء ٠٠٠ لقد كتب فاروق جويده هذه
المسرحية في سنة ١٩٧٩ ٠

وتومض حكمة الشيوخ بين أبيات شاعر المسرحية ، الشاب ، فالبطل
يسأل حزينا وهو شاعر بدوره :

لو قطعوا رأسي
هل يجدى صوت الكلمات
هل يوما نطق الأموات ؟

وهنا تزداد ولادة شموخا ورسوخا وتطول قامتها حين ترد عليه
فى وثوق :

حين يموت الناس وقوفا

ذلك يعنى

ان الأرض ستنجب يوما

بعد الحلم ٠٠ بعض الأمن ٠٠ بعض الناس

حين يموت الناس نياما

ذلك يعنى

أن العمر سقط سهوا بين الحاكم والحراس

وفى المسرحية سخريه قديمة جديدة •

فالحاكم الدجال الغارق فى مناعمه يهتف « تحيا الأمجاد الشعبية »

نفاق من فوق لتحت هذه المرة بعد أن بدأت المسرحية بالنفاق

التقليدى من تحت لفوق •

التشدد بالشعب كمن يسمى وهو يذبح ٠٠٠ والبطانة فى كل

زمان من وراء ساداتها ، تردد الكلمات ولو كانت كذبا ، الكلمات ولو

كانت خبلا ودجلا الكلمات ٠٠٠

ولكن الحاكم فى عرف الأبواق لا يخطئ واذا أخطأ خطأ لا يجدى

معه الرياء ، فانهم يبررونه كما يقول ربيع فى المسرحية أنهم لا يعرفون

معنى أن يجهل الحاكم أقدار الناس ٠٠٠

أن يبنى فى قلبك سجنا

أن تخشى نفسك

أن يصبح ظلك كالحراس

وفى المسرحية صور

صور ملوك الطوائف واقتتالهم على الزعامة ٠٠٠ وكان الأولى أن

يقاتلوا فى سبيل الله صفا ٠٠ ولكنهم بأسهم بينهم شديد وقلوبهم شتى

٠٠ فلقوا حنقا انسحب بكل أسف على « دولة » الاسلام الذى طالما

تمسحوا به دون أن يعرفوا قدره أو يدركوا مسئوليته ٠٠ ماذا نقول •

فى المسرحية صورة الفتن والحروب الداخلية التى يقاس فيها

النصر بعدد القتلى ٠٠٠ والقيل والقاتل من أرومة واحدة أو قبيلة

واحدة على الأقل •

ما وجه البطولة هنا الا أن تكون جرحا للعشيرة ، وذبحا لكرائم
الانسان .

صورة الحاكم المستريح الى الصمت واهما متوهما أنه صممت
العروس وليس هناك راض واحد عنه .

يدخل النور (بضم الياء) . . . في الظاهر ليزين كل شيء .

وفي الواقع ليرى ويسمع كل شيء . . حتى لا يخطيء في عهد
الأنفاس وهكذا (الملوك) لا يعملون . . وإذا عملوا فعملهم ظاهره
الرحمة ، وفي باطنه العذاب .

في المسرحية سخيرية من المال

سخيرية من الغباء . . غباء الأذكياء . . وغباء العارفين .

سخيرية من حيرة الكلمة بين هؤلاء وهؤلاء .

سخيرية من البطل الذي تعلق بالوزارة فمات الحب ، ومات في
النهاية . . حين فطن تابعه الى أن الحب فوق المال فالفقر ألا نحب . .
وقد تزوج البسطاء - وأنجبوا . . عاشوا لأنهم صفوا نفوسهم من
الهللح والطمع .

وفي لعلنة الخطائيات ، وقعقة السيوف ، ترف بين ثنايا الآيات
رقة رقيقة :

الريح تخنق أغنيات الورد

تعبت كيفما شاءت بفصن الياسمين .

وأنا أخاف من السنين

والحوار في المسرحية ، محطات يقف عندها المرء . . محطات للتأمل
. . للفكر . . وخاصة في هذا العصر الذي يشبه من وجوه كثيرة . .
عصر ابن زيدون . . ولأمر ما اختار الشاعر فاروق جويدة ، موضوعه .

الناس تخضع للقرار

والسيوف في يده القرار

وهنا . . يكون الاختيار

منطق القوة . . أليس كذلك ؟

ولكن منطقاً آخر أشد وأوفر حكمة يقول :

لا يسأل الانسان عن أقداره

يأتى الحياة فلا يشار

ويعيش فيها كالسجين

وتقول فى يدنا القرار

منذ البداية ليس للمرء اختيار

عند النهاية ليس فى يده القرار

• بين البداية « والنهائة »

أين كان الاختيار

ويكفر ابن زيدون بالكلمة !! وتزداد ولادة ، بما تمسكا .. وانى

أؤيدهما فالكلمة فوق السيف .. الكلمة فوق الزيف .. الكلمة فوق

القوة لأنها حق .. الكلمة فوق الخداع لأنها صدق .

ومع جمال الحوار الا أنه تكبر .. هل هو الحاح المعنى على الشاعر

فاروق جويدة من مرارة الواقع أم هو الحاح العاطفة على المرأة فى ولادة

التي لا تعدل بالحب شيئاً ؟

• الأمران و اردان

فى المسرحية نسيت أكثر من مرة ، ابن زيدون ، ورأيت شاعرنا

فاروق جويدة فى مثل هذه المعانى :

قد يستباح الحق

فى زمن الجهالة والغباء

قد تحتفى بالظلم أطيف الضياء

• لكن صوت الحق أكبر من أهازيح الدجل

(ليته قال « تهازيح الدجل »)

لنته أنى بأجزاء حقيقية من شعر ابن زيدون لتكتمل الصورة .

صورت المسرحية افك وبهتان وزور المخابرات « الخصوصية »

الضائح الجاهزة للتوزيع على الناس .. والشهود الجاهزة .. ألوان

العذاب والشقاء .. السم .. الكلاب .. الخ .

زمن عجيب
زمن تبدلت المواقع فيه
واختلقت موازين الرجال
ويصير فيه القزم عملاقا
ويغدو الخائن الافاق دهاقا
ولكن الشعب فى المسرحية - وفى واقع الزمان - هو الباقي
الحاكم يقتل بعض الناس
لا يقتل شعبا
قد يسجن فردا
قد يسرق أرضا
قد يسلب عرضا
قد يفعل كل الأسياء
لن يقتل شعبا
فالشعب لهيب يتوارى خلف البركان
قد يهدأ يوما
قد يسجن عمرا فى القضبان
قد يصمت تحت سياط الظلم ويخرسه صوت السجنان
الحاكم قد يخطيء يوما
يأتمن عميلا
قد يسجن كل الشرفاء
ويتوج كل العملاء

لكن الشعب سيسحقه وسيسحقهم بالأقدام

- ثم لخص الشاعر ، الموقف •• كل موقف •
مأساتنا ليست سيونا خادعتنا وانحنت
مأساتنا ليست زمانا بيعت الكلمات فيه
• مأساتنا الإنسان •

• وتنتهى المسرحية بضحوة الانسان ولو مات البطل •

قد يلبس العملاء أثواب النضال
لكننى أقسمت ألا أنحنى
مازال حلمى أن يعود لأرضنا المجد القديم
وتراب (قرطبة) سيبقى فى جوانحنا صلاة
فدموع قرطبة بقايا مئذنة
وصلاة فجر أو دعاء

وأقول للشاعر : حنانيك .. لم يضع فى الأندلس من العرب
الا (الدولة) ولكن بقبت حضارة الاسلام يعيش عليها الى اليوم الأندلس
وأسبانيا .

وعلى الشاطئ الشرقى من البحر الأبيض المتوسط ، لاذ هنا المد
الذى انحسر - هناك وارتفعت للاسلام فى القاهرة أربعون ألف مئذنة
لا ألف واحدة كما يتردد ، تجلجل فوق سامقات رءوسها ، كلمة :
(الله أكبر) .

وتحمى مصر الأديان .. وتعطى الانسان حتى فى محنها ، لأن
العطاء الحضارى هواها وهوايتها منذ القدم .

من أدب الشباب

المشربية :

تمنيلية (مسلسلة) تقول كلمة • ولهذا أراها وأسمعها ••
شحانه العايق الذى يفرض حمايته على درب السنجق وهم يمقتونه
ولا يطبقونه •• ويكرهون معه عصابته ، يفرض عليهم الاتاوات حتى
على (فردوس) الفتاة الكادحة الفارقة فى الشقاء ، وعلى عوضين الخائف
المروع • وباسم حمايته للدرب ولم يكلفه أحد بهذه الحماية البغيضة ،
بل نصب نفسه نصبا •• ثم تطرق من هذا الى نهب تراث الدرب
وميراث عباس مستمرا فهو يبيع منه مالا يملك ويتفق مع الخواجات على
أطباق فسقية بيت الحلوانى الثلاثة دون ادراك لقيمتها الفنية والأثرية •
المهم أن يحصل على (الفلوس) ليتعاقب على جنة درب السنجق وعلى
أنقاض بيت (الحلوانى) •

ومن يدري هل هذا الحلوانى هو الذى بنى مصر ؟

• مجرد سؤال •

سؤال أوحاه الى عبيط الدرب أو ناصحه ، الذى يلذ له الاستعباط
سخرية أو وثوقا فى الله وثقة فى نفسه • لقد منع يوما عبيط الدرب
من دخول بيت الحلوانى الذى يغص بالوافدين أشكالا وألوانا فقوال
قولته المؤثرة النى نقيض ألما لحرمانه دون الغرباء • ولو كان يعرف
الشعر لقال كشوقى :

أحرام على بلبله الدو ح حلال للطير من كل جنس

وفى (المشربية) ، أيوب المبتلى خفير بيت الحلوانى وحارسه
الأمين • الى متى يصبر ؟ الى متى يتحمل شحاته العايق ، الكريه المكروه ؟
الى متى ؟ انه يعرف أن شحاته كل همه نهب بيت الحلوانى • لماذا يبقيه
وهو قادر عليه ؟

لقد حاول مرة أن يوقفه •• أن يرفع يده عن أطباق الفسقية الثلاثة
بل عن المساس ببيت الحلوانى •• فاذا بالعالم الذى يعرف حرمة هذا
البيت ونفاسته ، يا للأسى ، يسمح لشحاته العايق بالعمل فى بيت
الحلوانى وهو الجاهل الذى لا يفرق بين التراث وبين ما يباع •

وكانت النتيجة أن شحاته العايق وعصابتة خرب بيت الحلواني
تخريبا حتى كتب العالم ولوحات الفنان كانوا يطوحون بها على الأرض
فى امتهان وتصغير وتحقير !!

- وهو جزء العالم الذى يملى للجاهل ويفتح له بابا
- انه درس لكل عالم فى أى موقع

ان الجاهل يخشى العام والفكر ما استعصيا عليه واستعزا بنفسبهما،
نلى أن يدينا له •• هنا ينفسح ، أمام الطغيان الطريق •

وفى (المشربية) الفنان الذى يقصر فنه على رسم الوجوه : بدرية
ثم فردوس •• كل وجه يفضى له بريشته جميلا أم قبيحا فترخص
الأغاني وتمل بالترار • تفقد معناها وتهون لأنها كاذبة • وليست هذه
غاية الفنان • الفنان هو الذى يعيش بين الجموع يعكس آلامها ومطامحها
•• يعبر عنها ويطلب لها ويدافع عن قضيتها •

الفنان لا ينظر من ثقب مشربية بل تنفذ رؤيته الى دنيا الناس ••
الدنيا العريضة التى تموج بالبشر •

ان الفنان كما يقول هربرت ريد فى كتابه (التربية عن طريق
الفن) ، أخذ الأشياء الموجودة حولنا فى كل مكان مثل الهواء والثرى
تماما ، ولكن قلما توقف أحد منا لتأمله وذلك لأن الفن ليس مجرد شيء
تجده فى المتاحف ومعارض الصور ، أو فى المدن القديمة مثل
فلورنسا وروما •

ان الفنان يستوعب رؤى عصره ويعرضها مصفاة منمأة لأنه أضاف
اليها من ذاته وروحه •

وتنفذ الى هذا كله الفنانة المصرية رشا ، بوراثة بعيدة من ايزيس
وهاثور •

الفنانة المصرية التى تصدت وحدها لشحاتة العايق دون أهل الدرب
جميعا بموهبة الشخصية القائدة بوراثة بعيدة من تتشرى والدة أحمس •

وبوراثة مصرية استعلت (نبويه) على المحنة ، ولكنها فى النهاية
مطحونة أصابها الدوار مما يدور حولها ولا تعرف له تعليلا ولا تملك
له دفعا •

ولكنها بأصالة درب السنجق أبت الا أن يأتي الدكتور القادم من
الخارج ، الى بيتها ليخطب اليها ابنتها في دارها هي ٠٠ في دربها ٠٠
اذا أراد ٠

لن نخذل البسطاء الطيبين من أعلننا ، نخوتهم واعتزازهم بأنفسهم
الا أن يغلبهم غالب على أمرهم فطالما أحمد صوت المدفع صوت الكلمات
والمعاني وكرائم الانسان ٠

لقد قتلت القوة العاشمة أرشميدس بخبطة عصا وكذلك العالم
الفرنسي « لافوازيه » في لهيب الثورة الفرنسية ٠

وفي (المشرببة) أكثر من علامة استفهام ٠ لماذا سلم عباس الحلواني
نفسه ؟ هل هو القاتل وحده ؟ أليس شحاته العايق سفاحا ؟ قتل في
درب السنجق الأمن والحب والكرامة وهو يتحفز لقتل بيت الحلواني
ونهب مافيه ؟

حتى عباس الحلواني يغفل عن هذا ؟ الى متى يتهم أصحاب البيت
أنفسهم ويتركون الجاني الحقيقي ؟

ولكن المؤلف لم يترك شحاته العايق بدون عقاب فسقط صريع
البغي عندما سقط خوف الضحايا منه ٠

ان ما تضمرة حلقات هذه المسلسلة أكثر كثيرا مما تفصح عنه ٠
وكاتبها عنده (فكرة) عرف كيف يعرضها ويعمق خطوطها باقتدار ٠

وصف أوسكار وايلد في قصته (صورة دورين جراي) أحد
شخص قصته بالبراعة والتمكن في عرض فكرته فقال « أنه يلعب بها ٠٠
يقذف بها في الهواء ويلقفها ثانية » ٠

ان حل مشكلة درب السنجق ليس بسيطا فرديا ينتهي بالخروج
من الدرب طلبا للغنى ونزوعا الى الهدوء ، ولكن الحل كما نفذت اليه
(فردوس) يكون جماعيا وعلى أرض الدرب نفسه والا ظلت المشكلة
قائمة وان خرج من الدرب آحاد وعشرات ٠

ان مشكلة درب السنجق ليست الفقر وحده بل الضياع ٠٠ ضياع
الانسان وسحقه بتسلط شحاته العايق عليه ٠٠

والحياة بدون (القيمة) لا تطاق ٠

والحضيض حيث تهدر القيمة وتستباح ٠

ملف قضية حب :

بحر من الهموم تسبح فيه الكاتبة سكيئة فؤاد أو يسبح فيها قلمها .
معاناة كل يوم تغص بها قصصها . القصة عندها كأنها مقاطع الكورنيش
بشارع فؤاد عند مدخل كوبرى أبو العلا زحام وخليط من البشر والقوضى
والضجيج ، زحام مرهق ولكنه يحدث فهو حقيقى والمعاناة فيه ومنه
حقيقة . . . وحية نابضة نبضا سريعا ولكنه نبض حقيقى كل نىء فى هذا
المكان أحببته أم كرهته ، حقيقى ، ضقت به أو تقبلته ، حقيقى . .

هكذا قصصها . . . تلال من الأشياء والسلوك والتصرف والمشاعر
والأفكار والأحداث والناس و . . . زحام أشفق عليها منه . أحسها من
خلال السطور تلهت وقارئها بالطبع يلهت وراءها أو معها .

والمرأة . . المرأة فى قصصها مطحونة تحت الأعباء والأبناء وعقدة
تفوق الرجل تلك العقدة التى صنعها المجتمع ثم صدقها وبالطبع صدقها
الرجل وتصرف من منطلقها . . . والكاتبة بالطبع ترفضها حين تصورها
بغیظ مكبوت متمرّد .

الكاتبة ترفض هذه العقدة لأنها قوية الشخصية ولأنها تحس
بتفوقها هى لا الرجل ولها مبرراتها بلا شك .

انى سعيدة . لقد ولدت كاتبة مصرية .

باركوا المولد فانه عطاء جديد . ان مصر لا ينضب لها معين .

لقد ذكرتنى بيت شاعر النيل

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدقاتى

بارقتان أو نبتتان فى حقلنا الأدبى . . يرف مثلهما فى حقلنا العلمى
ثمرات طيبة .

الفن والعلم هما التعويض فى المحن تلجأ اليه مصر بورائة بعيدة
فيها تستعلى على الأحداث بعطاء لا يخيب ، وترتفع على المساة بخالد
لا يبيد من الخلق والابداع فى الفن والعلم بمفهومهما الصادق .

الفن تعبير عن النفس والعلم حوار بين الانسان وبيئته ونفسه .
والفن فى تعبيره رؤية رائدة وصورة وحركة وصوت ولون . والفن
حوار بين الواقع وبين المثال .

والعلم حوار موفق مع الطبيعة لا بغية الانتصار عليها فأسرارها
بلا حدود ، ولكن التفاهم معها في محاولة مصالحة مع الأشياء لتتطوع
وتنتطع ولا أقول تنصاع .

والتحريض في العلم مشاهدة وملاحظة وتجربة ليصل الى معاومة ،
ويصل عن طريق ملاحظة التناسق الى الجمال .

وليست الشعارات اسلوبا علميا أو انسانيا . انها فوضى وتسلسل
واعتداءات (مكتوبة) على تفكير الانسان .

الاسلوب العلمى احترام للعقل وتفاهم مع فطر الناس وطبيعة
الأشياء فى تواد وتحاب وتواصل ووصال .

حين تصف شخصا بالغيباء تقول انه عديم الحيلة . العلم هو
الحيلة . والعرب كانوا يسمون علم الكيمياء علم الحيل .

العلم بحث عن كيفية الحدوث .

العلم تعاطف ذهنى مع المقدمات لنصل الى النتائج . ومع النتائج
لنصل الى المقدمات .

العلم استطلاع دقائق الخلق بتوفيق من الخالق ، وتأليف من
المخلوقات .

العلم فى ذاته خير وجمال بجانب أنه حق .

وهكذا نرى الفن طريقه الابداع . . والفن من الرقة والدقة بحيث
يؤمن بالنسب الشريفة . . بالنسبة الذهبية . . ليس المسطرة ولكن نقاء
النفوس .

والعام طريقه التجربة .

والفاسفة طريقها الفكر .

والدين طريقه الالهام والتفكر .

والتفكر سراج القلب .

وجوهر الانسان ، القدرة على الاستشفاف . يشرح الغزالي فى
(مشكاة الأنوار) الآية الكريمة (الله نور السموات والأرض) أى به ترى
السموات والأرض . وهذا يكشف عن لفظة : ان المدرك العلمى للألفاظ.

جانب واحد من استعمال اللغة • ويبقى المدرك الفنى والمدرك النفسى •
ولا بد لها جمعا من صفاء النفس •

لقد كان (فيثاغورس) الذى مكث فى مصر ٢٢ سنة ، يحتم صفاء
النفس ليسمع المرء صوت الأفلاك التى يراها فيثاغورس ، كرات بلورية
لها موسيقى •

لقد ورث فيثاغورس ، الفكر المصرى فى نزوعه الرياضى • وورث
اخوان الصفا « فيثاغورس » فى نزوعه النفسى •

ان الفن والعلم والفكر ، تجمعها « المعرفة » أى الحكمة ومن يؤت
الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا •

وتعرف مصر هذا بالحس الحضارى فلا تفسح فى تاريخها مكانا
الا لأهل الفن والعلم والفكر لأنهم ضميرها الأبقى وعقلها الذكى ووعيتها
الحى ، ولسانها المعبر •

انهم صناع الحضارة •

انهم صانعو الحياة •

العلاق الذي لم يرق اليه مسلسل التليفزيون

- صعب وسهل أن يكون الانسان عالماً
- صعب وسهل أن يكون الانسان مشهوراً
- ولكن أصعب الصعب أن يكون الانسان ، **موقفاً** •
- فالموقف ساوك وأساوب حياة ، وأساوب شخصية •
- والموقف ارتفاع وامتناع لا يطيقه الا الأقلون •
- والموقف ثراء في داخل النفس ، دونه بكثير ثروات المتكثرين بالأموال والعروض •
- والموقف قيمة وقيمة •• والموقف علامة وبصمة وهمية •

يقول ويليام جيمس في كتابه أو حديثه الى المعلمين : [ان وعاء الهمة اذا امتلأ لا تحركه الرياح والعواصف] •

ويقول عبد الكريم الجيلي في كتابه « الانسان الكامل » : [ان الهمة تأتي من يقين وعاش • فانها اذا قصدت شيئاً ثم استقامت على ساقها ، زالت حسب وفاقها] •

ومن هنا ريادات العقاد أو مواقفه •

كان العقاد **موقفاً** في ثورته على الشعر العربي وكثير منه مدح بل جائزة الدولة التقديرية في الآداب فقال أمامه [ان الأمة قرأت فقدرت فقررت •• وان دولة الفكر تسبق دولة الحكم بل هي التي تقودها] • هذا حين كان الحرص يذل أعناق الرجال •

كان العقاد **موقفاً** في ثورته على الشعر العربي وكثير منه مدح بل عراق في المديح أي التبعية •• أن يتقناً انسان بله شاعر ، لآخر ، سعة وضباع ياباه الكريم على نفسه ، وعلى الناس •

كان العقاد **موقفاً** في حربه للمذاهب الحشدية التي تسحق شخصية الفرد • والشخصية في فكر العقاد وأديه ، قمة الوجود الانساني •

كان العقاد **موقفاً** في تمجيده للديمقراطية الحقيقية التي تكفل حرية الفرد واحترامه •

كان العقاد موقفا يوم لوح القصر بالباشوية لرجال الصحافة من أعضاء مجلس الشيوخ . ولما كان القانون يحرم الانعام برتب أو نياشين على أعضاء المجلس فقد طلب القصر أن يستفيلوا من المجلس ليظفروا بالانعام السامى ثم يعاد تعيينهم من جديد فى المجلس !

وأقبل الأعضاء الموعودون على الاستقالة •

عضو واحد فقط ، رفض الباشوية هو العقاد •

كان العقاد موقفا يوم جاءه المرحوم أحمد حسنين باشا متوددا يقول : ان الملك فاروق يقدر العقاد ويرى أنه كاتب كبير لاينبغى اغفاله ••

وتتعلق عين أحمد حسنين باشا بقم العقاد متشوقا ومستشرفا الى جواب العقاد على هذا التقدير الملكى •• ويأتى الجواب عملاقا كصاحبه بكل احترام الكاتب الأصيل لنفسه ، قال العقاد :

ان قول فاروق ان عباس العقاد كاتب كبير شئ •• أما أن يقول العقاد ان فاروق ملك كبير فشىء آخر وهو ما لم أقله حتى الآن •

ويذكرنى هذا بموقف شبيهه مع الثورة وفى أزهى أيامها حين تهاقت عليها المداحون فلوح أحد أتباعها للعقاد أنه لم يكتب عن الثورة ورجالها فجاءه رده درسا • قال العقاد :

يكفيهم منى السكوت •• أنا لا أقبل ديكتاتورية ولو كانت ديكتاتورية أنبياء •

ووعت الثورة منه الدرس بل شاءت المصادفات أن سير جنازة العقاد بعد عشر سنوات من هذه الوقفة ، كان مرسوما لها طريق واذا بموكب جمال عبد الناصر ينتظم مروره هذا الشارع فأهر جمال عبد الناصر أن يغير الموكب سيره ليخلو الطريق لجنازة العقاد •

كان العقاد تاريخا من المواقف •• ويمثل هذه المواقف عاش العقاد فى موته ، ومات فى حياتهم أغوات السلطان •

أن يملأ العقاد الحبة الفكرية والسياسية والوطنية ، نصف قرن بالمواقف الكبيرة التى يعز وقوفها ، شموخ جعل منه عملاقا فى تاريخنا يتحتم على الآخرين ، اذا أرادوه موضوعا للدراسة بالقلم أو الصورة ، أن يرقوا الى هذه الذروة بالدرس المتصل ، والإحاطة الشاملة ، والنفاد

الواعى ، والعمق البعيد .. ليس من أجل العقاد وحده ، ولكن من أجل أمة يمثل العقاد كبريائها ، ورأيها ، واصرارها وقيمها وكرامتها .

والعقاد هنا ليس فردا بنفسه ، ولكنه عصر زاخر بأحداثه ، وأشخاصه ، وشخصياته ، ودوره ، وإنجازاته مما تفاعل مع العقاد بالأخذ والعطاء .

فالعقاد العظيم اذا صادق ، فصديقه قمة تسامته وهكذا كان المازنى ، أحد رواد النهضة الأدبية الحديثة ، وأحد ثلاثة كانوا عمداء مدرسة الديوان التي دعت الى التطور والنجديد . وقد تركت هذه المدرسة بصماتها على الحياة الأدبية ، بل امتد أثرها الى « المهجر » حيث تأثر بها شعراؤه وكتابه .

كان المازنى ساخرا ولكن ليست سخريته ، كلمة (ياعمنا) التي تسلق عليها المسلسل ، ولكنها سخرية الملاحظة المنتخبة الذكية حتى لقد ارتفع المازنى بالفكاهة الى مرتبة الأدب وخاصة في كتابه (صندوق الدنيا) بما حواه من صور ممتعة باقية .

المازنى فى الأدب الحديث ، كالجاحظ فى الأدب القديم ، كاتب ساخر بما يشيعه فى أدبه من الفكاهة الحلوة ، والسخرية الناعمة ، والحزن الدفين ، والابتسام الواعى ، ومعرفة الطبيعة الانسانية بمزاياها وعيوبها والعطف عليها .. سخرية تنطوى على سماحة كسخرية اناتول فرانس وان كان تأثره الواضح ، انما كان بالكاتب الأمريكى : « مارك توين » .

فأين هذا من هزل وهزال المسلسل فى رسم هذه الشخصية العملاقة بدورها ؟

كان العقاد فى صدق نفسى وفنى ، يرفع شعاره على المدح الاتحوية لصديق ، مدحه حب لا نفاق ، أو رثاء لعزيز عليه ، رثاؤه وفاء وانصاف .
رثى العقاد « ميا » وبعض قوله ، فيها :

الحديث الحلو واللحن الشجي
والجبين الحر والوجه السنى
أين ولى كوكباه ؟ أين غاب ؟
شيم غر رضيات عذاب
وحجى ينفذ بالرأى الصواب

وذكاء ألمعى كالشهاب
وجمال قدسى لايعاب
كل هذا فى التراب ٠٠ آه من هذا التراب

هذه « مى » كما يراها العقاد ٠٠ مى الراسخة عقلا وكيانا وبيانا ،
لا التى يراها المسلسل مراهقة فارغة مهتزة •
ثم أين آراء العقاد الأدبية ؟ أين ثورته على الشعر العربى ؟ وشعر
المدبح والنفاق خاصة ؟
أين ثورة العقاد على الديكتاتورية من كل نوع وطبقة الى أن رحل ؟
أين انتصاره للديمقراطية الحقيقية والحقة ؟
أين صدق العقاد الذى لايقبل الكذب ؟ أين جدية العقاد التى تنفر
من التهريج الرخيص ؟
أين موسوعية العقاد ؟ الذى كتب فى الأدب ، والعلم ، والفنون ،
والفلسفة ، والدين ، والتاريخ ؟
أين عصر العقاد ورجاله من الأدباء والعلماء والسياسيين ؟
أين بيت العقاد الذى أفرد له كتابا ؟
أين ندوة العقاد فى القاهرة وأسوان التى كانت مدرسة وجامعة ؟
أين خلصائه ومنهم أعلام مثل « على أدهم » و « الدكتور زكى
نجيب محمود » ؟ و « عبد الرحمن صدقى » ؟
أين شعبية العقاد التى لايمناها الشعب الا للأفذاذ دون غيرهم ؟
أين عالمية العقاد التى ترجمت معها كتب له الى عدة لغات فى الشرق
والغرب ؟
كيف غاب هذا كله عن المسلسل ؟ وغاب قبله عن ذهن كاتبه
ومخرجه ؟
المسلسل الذى لم يتورع ولم يخجل أن يضرب العقاد وهو مالم
يحدث أبدا للعلاق الذى كان قلمه يصفع الحاكم اذا تناول على هذا
الشعب أو تهدد الدستور •
العقاد يضرب !! من قال لهم هذا ؟ كبرت كلمة تخرج من أفواههم
ان يقولون الا كذبا •
ولو كان هذا حدث فرضا وهو أشهد استحالة من المستحيل ،

هل كان أولى جوانب العملاق بالتقديم ؟ هل غطى المسلسل من أبعاد الشخصية ماهو أكرم وأليق ؟

هل فرغ المسلسل من تغطية الزخر الزاخر فى حياة العقاد حتى يستندبر الى الاهانات ؟

لاتقربوا العقاد ان لم تملكوا مقومات الكتابة عنه !

.. ان الرغبة المحمومة فى ملء شاشة التلفزيون للامتصاص الى حد الاغراق والاستغراق ، تصلح لها موضوعات أخرى دون العقاد بكثير ..

أسماؤهم الى « ايزيس » والى تراثنا

الأسناد الكبير توفيق الحكيم والده المسرح المصرى بلا شك حقيقة نوهت بها فى أكثر من كتاب فى اعتزاز المصرى بعطاء وطنه على الساحة العربية كلها . . . وله من المسرحيات ما يرقى الى مصاف أرقى المسرحيات فى الأدب العالمى ولا ينقص من قدره ألا تكتمل الرؤية فى مسرحية أو مسرحيتين فالكمال لله وحده ولكن اللوم يقع على اختيار مسرحية ايزيس من دون مسرحياته جميعا وليست بأقواها . . . حتى أنها لم تترجم كمسرحياته الأخرى الى اللغات الأجنبية وهى لمصريتها الخاصة أحق بالترجمة لو توفر لها أسبابها .

فرق بين « أهل الكهف » وبين مسرحية ايزيس يسوءنى أن أبدية ويمضى أن أخفيه لأن ايزيس بالذات جزء من نسج شخصيتى بوصفى دصرية .

أقول فى ألم ، مسرحية ايزيس مبتورة فى النص وعلى المسرح . . . مسرحية غاب منها ، وعننا أجمل ما فيها . . . فالتاريخ يقول أن أوزوريس فى المرة الثانية ، قطع اربا الى أربع عشرة قطعة (رمزا الى أقاليم مصر الأربعة عشر فى ذلك الحين) . وأن ايزيس جابت البلاد تجمع أسلاءه حتى عسرت عليها جميعا . . . وأن الشعب بكاه أحر بكاء ولم يتندر ، ولم يتنكر له أو لها كما تقول المسرحية . . . لم ينكر الا حاشية السلطان المرتزقة والمنافقون ويبدو أنهم من لوازم ولازمات الحكم فى كل عصر . . . وأن دموع ايزيس بدفئها ووفائها وصدقها وغزارتها ، ردت اليه الروح حتى قال المصريون فى عصرها أن النيل فى تلك السنة فاض من الدمع المسكوب . . . ومضوا بعد هذا يقولون بليلة النقطة أى دمة ايزيس على أوزوريس ولا أنزال الى اليوم نقول بليلة النقطة والفلاح المصرى لا يبيع محصوله الا بعد ليلة النقطة وان كان لا تحضره قصتها . وليلة النقطة توافق ١٦ يونيو أى يونيه .

والرمز هنا فى التوحيد . . . فعز مصر ممثلا فى أوزوريس الذى يرمز بدوره الى النيل لا يتم الا بالتوحيد :

- توحيد أقاليمها ولممة شتاتها .
- وتوحيد الذات فلا انفصام ولا تشقق .

● وتوحيد الشعب الذي رأى نفسه أمام مصدر واحد للماء الكليل يشرب منه هو النيل ، ومائدة واحدة الكليل يطعم منها هي : الوادي .

● وتوحيد العقيدة الذي وصلت اليه مصر مبكرا . وفي متحف لندن رأيت حجرا نقش عليه انان من رجال العمارة في عهد امنحتب الثالث :

انك موجد دون أن توجد
مصور دون أن تصور
هادي الملايين الى السبل
سبحانك رب البشرية
سبحانك سبحانك

بهذه السبجات ارتفعت مصر في حياة التدين ووجدان الدين ،
درجات .

لم تنفذ المسرحية الى هذا الهدف من قصة ايزيس في التاريخ المصري وهو أهم ما فيها . كيف غاب عن كاتبنا توفيق الحكيم ما لم يخطئه بلوتارك اليوناني وقد تأثر به في هذه المسرحية الى حد الاقتباس .

ورجعت الى نص الكاتب فام أجد فيه شيئا عن تقطيع أوزوريس وتجميع أشلائه بعد هذا والمعاني التي يرمز اليها . فالمرحج هنا ، ينطبق عليه القول (فاقد الشيء لا يعطيه) .

ان « ايزيس » لم تولول على طول الخط بل ارتفعت بسرعة على حزنها الكبير ومضت تذرع كل شبر بحثا عن ايزيس . . لم تعرف مصر ممثلة فيها ، حائط المبكي بل مضت تربي ابنها حورس ليأخذ مكان أبيه ومضت تبصر الناس بحقيقة « سيت » الذي استبدل به الأستاذ توفيق الحكيم اسم « طيفون » وفعلته النكراء . . ومضت الى المحكمة في ايمان بالعدل وليس كما تقول المسرحية محكمة صورية عقدها « طيفون » ليقتن الظالم كفاتون العيب الشهير بالأمس .

ومن أجل ايزيس ، رفعت مصر ، المرأة ، درجات فوق درجات فأمنت بطولية الأم . . وحين اعتنقت مصر المسيحية قال العالم المسيحي بالصليب ، وتعلقت مصر بالعذراء بحس بعيد من ايزيس .

حين سسخرت مصر من الدولة الأيوبية ، وكتبت قصة : « على الزبيق » عقدت البطولة فيها للأم بحس بعيد من ايزيس •

و حين أعادت مصر ، صياغة قصة الهلالية فى الأدب الشعبى كتبت عن (الجازية) بحس بعيد عن ايزيس •

ان « ايزيس » عند مصر رمز كبير ومعنى كريم وقيم رفيعة استمد منها تاريخها ، المواقف والبطولات • بل ان ايزيس أنرت فى أوروبا تأثيرا قويا • لقد عبدتها روما فى وقت تبعية مصر للامبراطورية الرومانية •

نأتى الى « حورس » حورس فى عين مصر الحق والعدل حتى أنها سمت عرشها ، عرش حورس فلم يكن حورس (ذى الثمانية عشر ربيعا فى المسرحية الحديثة) مشغولا بالغرام والهيام و بنت ملك ببلوس • • لقد تربى حورس فى مصر وأعد اعدادا خاصا لهدف كبير لا يسمح بشطحات المراهقين حتى لو بلغ سن المراهقة • • فالأفذاذ تختزل مراحل اللهو فى حياتهم ، أحلام طموح لا أحلام اليقظة •

حورس قضية : كيف يتزوج حورس حلم مصر بالمخلص ، أجنبية ؟ وكيف تجلس ايزيس بيدها ، أجنبية على عرش مصر ؟ ايزيس بالذات حتى لو فعلها غيرها فى قديم أو حديث ؟ فمن أين أنى المخرج بهذا ؟ • • لقد أتى شيئا ادا ، من فعل هذا • • ان مصر غالية فلا ترخصوها • انها رائدة بطبيعتها لا بافتعال أحداث فى مسرحية •

وأشارت المسرحية الى المعلم فى اوزوريس ، اشارة قاصرة • لقد علم أوزوريس الذى يرمز الى النيل ، مصر ، كل شىء لا الزراعة وحدها •

علمها « الموسيقى » بل كانت الموسيقى وسيلته الراقية والعالية لأنها رسالة صنع الحضارة • حتى استلهمه موزارت فى افتتاحية « الناي السحرى » •

زرعت مصر فنعلمت من الزراعة ، النضج المشغول على مهل من البذر والسقى وانتظار الثمرة •

تعلمت الرسم والتلوين • • تعلمت العزف • • و « الهارب » فى الموسيقى الحديثة ، انما هى آلة مصرية قديمة •

تعلمت العمارة فعندما زرعوا بفضل أوزوريس ، استقروا ، وعندما

شعروا بالاستقرار ، عبروا عنه معماريا فى الأعمدة الضخمة السابتة فى الأرض الممتدة فى السماء ، كالنخيل حولهم .

ان الفن المصرى فيه رؤية نباتية . فالغنان يجعل أعلى العمود حزاما ، وكأنه يحزم ادراك المشاهد فى عمليه تركيز للتأمل وكأنه يحزم سعف النخلة لتفسح للرؤية رحابة السماء . أما السقف العريض للعمود فهو يمثل شواشى البوص .

زرع أوزوريس وزرعوا فتعلموا فنون التشكيل . الاناء المصرى من باكورة معطيات الزراعة المصرية . زرعوا فتعلموا النسيج .

ان الاعجاز فى شخصية أوزوريس الذى هو النيل . ان الاعجاز معجزته جمع النفس حول مركز .

أحب المصريون كل شىء حولهم : النيل والمركب والأرض والسماء فعاشوا أى عرفوا كيف الحياة لاكمها وأبدعوا الفن وأعطوا بدورهم الحضارة .

وعلم أوزوريس مصر مع الزراعة ، الفضيلة فبدون الوفرة يتهدد الجوع ، الأخلاق .

لقد ظمى الانسان منذ بدء الخليقة الى اثنين : الحب . والرى . (والرى يعنى الماء والطعام معا) .

وعلى هذا الظمأ ولد الفن خطوطا فى الكهوف ، وتعاوينا للسكر .
.. ونما الفن ينمو الزراعة فتألق فى الاناء ، وتألق فى الحلى ثم فى وسائل الحياة اليومية مما تشهد به قاعة العصر الحجرى فى المتحف .
.. ناهيك بالقاعات الأخرى .

لقد أثبتت الزراعة فى النفس المصرية من المعانى أضعاف ما أثبتت من حبوب . وطرحها بعد هذا فى الصناعة والعلم والفن والأدب والدين انما هو فيوض من عالم النبات وعطاء . وهو موضوع كبير تفرد له الكتب لا المقالات .

لقد ألف « الفريد لوكاس » كتابا عن (المواد والصناعات عند قدماء المصريين) فخرجت ترجمته العربية فى ٨٣٦ صفحة كبيرة .

كانت زراعة مصر ، صناعة عصرها .

وكانت صناعة مصر ، انبثاقه من عالم الزراعة .

كان اشاعة هذه المعانى فى المسرحية أولى من المط فى بعض
المواقف .

ويتبقى بعد هذا أن نسجل كلمة نناء للفنانة المصرية سهير المرشدى
فقد كانت عميقة الاحساس بدورها فى الحدود المرسومة له .

أما المسرح القومى الذى أخذ ، فيه ، « المقاولون » أربعة ملايين من
الجنيهات فقد كان بهرجا من الخارج وقبحا من الداخل وقشعا من
الداخل حتى أن رخة مطر ضعف أمامها السقف فخر . .

أما خشبة المسرح فى واجهتها النى يطالها المشاهدون فمن خشب
أبلكاس تنتشر فيه البقع . . منظر تنفر العين منه والمسرح خال من
« الكمبوشة » التقليدية . . والموكيت فى الأرض قطع غير متساوية وغير
منبئة تحرف أطرافها ويتعثر السائر فوقها . . والكراسى قمبئة تكاد
تنهاوى تحت الجالسين ، والستارة قديمة . . وعندما أدى الممثلون حركة
توفعية تصاعد الغبار كثيفا مخيفا انعقدت منه سحابة من التراب
وتساءلنا لو ان الممثلين استنشقوا هذا التراب كل ليلة مدة عرض
المسرحية فانهم بلا شك سيقعون صرعى مرض صدرى على حسب أعمارهم
واستعدادهم (١) .

ولكن هذا موضوع آخر وله حديث آخر . . فالذى يفعل بقبة الإمام
الحسين ما فعل لا يستغرب منه شىء فى غيره مهما كان فادحا وفاضحا
وجسيما . . وبعد هذا يتحدثون عن ديون مصر ويستقطعون من مرتبات
الموظفين وهم أشد الفئات بؤسا ، نسبة لسداد ديون مصر ويتركون
ناهى مصر من أصحاب المقاولات وأصحاب المخصصات !!
اتقوا الله فى مصر فانها كنانة الله فى أرضه من أرادها بسوء
قصمه الله .

تاريخها كله يقول هذا . . ولكن من يقرأ التاريخ ؟

(١) بعد نشر هذا المال سنة ١٩٨٦ تم اصلاح هذه العيوب .

١٢٧	• • • • •	باب النقد	●
١٢٩	• • • • •	أزمة النقد	
١٤٠	• • • • •	النقد والابداع الفنى	
١٤٤	• • • • •	فن الرؤية	
١٤٧	• • • • •	محنة الأدب	
١٥١	• • • • •	١ - الاخراج والأدب	
١٥٥	• • • • •	٢ - الاخراج والأدب	
١٥٩	• • • • •	القصة عند الدكتور يوسف ادريس	
١٦٨	• • • • •	كتاب (اكتشاف قارة)	
١٧٢	• • • • •	فى ذكرى المازنى (حين يرتفع الكاتب الى قمة)	
١٧٥	• • • • •	الأدب الساخر بين المازنى وعفيفى	
١٧٨	• • • • •	ارفعوا الوصاية عن الكاتب والكتاب	
١٨١	• • • • •	الاكتشاف الذى تحدثت عنه صحافة العالم	
١٨٥	• • • • •	باب الفكر	●
١٨٧	• • • • •	الامام الشيخ محمد عبده	
١٩٨	• • • • •	دعوة الى احياء مكتبة الاسكندرية	
٢٠٣	• • • • •	لمحة من تراث الاسكندرية الانسانى	
٢١٧	• • • • •	الأفصر وثقافة الحضارة	
٢١٩	• • • • •	الأفصر ومدينة التاريخ والقيمة	
٢٢٢	• • • • •	نصف مصر الذى لا نعرفه (١)	
٢٢٨	• • • • •	نصف مصر الذى لا نعرفه (٢)	
٢٣٢	• • • • •	مصر والنهب متعدد الجنسيات	
٢٤٤	• • • • •	ادعاء النبوة	
٢٤٨	• • • • •	اعرض على تخصيص ٣٠ مفعدا للمرأة	
٢٥٣	• • • • •	باب الفن	●
٢٥٥	• • • • •	الفن ما هو	
٢٦٠	• • • • •	مصر الدين والفن .. هل نعرفها ؟	
٢٦٩	• • • • •	الفن المصرى والطبيعة المصرى	

٢٧٧	• • • • •	الطبعة المصرية والانسان
٢٨١	• • • • •	مصر والموسيقى
		(النجمة) المصرية فى الفن والتاريخ - النجمة السادسة
٢٨٥	• • • • •	مصرية
٢٩٢	• • • • •	الاسلام والفنون فى البلاد الاسلاميه
٣١٣	• • • • •	العمارة المصرية
٣٢١	• • • • •	الفنان مختار
٣٢٥	• • • • •	الفنان شادى عيد السلام
٣٣٣	• • • • •	الفنان أنور عبد المولى
٣٣٧	• • • • •	من جديد الشاطر حسن
٣٤٠	• • • • •	السجينى الفنان
٣٤٤	• • • • •	حين تغلو الخطوط وتغدو رأيا وفكرا وموقفا
٣٥١	• • • • •	حين يرتفع الفنان الى قيمة رقمة (السنباطى)
٣٥٧	• • • • •	مسرحية الشعراء : حين يعيشون-٠٠ وحين يرقصون
٣٦٤	• • • • •	من أدب الشباب
٣٧٠	• • • • •	العلاق الذى لم يرق اليه مسلسل التلفزيون
٣٧٥	• • • • •	أسأتم الى ايزيس والى ترانتنا

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٨/٧٠٠١

ISBN - ٩٧٧ - ٠١ - ١٩٣٣ - ٤

هذا الكتاب

أدب .. نقد .. فكر .. فن
أربعة كتب في كتاب واحد ... في إيقاع واحد ...
في أسلوب مميّز دافق وصادق .
في رؤية لما حولنا مستشفة نافذة .
في فكري المعاصرة استمداداً من الماضي وامتداداً
به إلى الحاضر في استشراف نحو المستقبل .
في اقتراب شفاف رفاف من الفن التشكيلي بروضه ذى الألوان .
هذا الكتاب انتماء حميم لهذا الثراب بكل ما يعنى من دالات ومضامين .
وليس انتماء أعمق وأصدق من الغوص في أعماق تراثه والسفر
في عمر أمته ثم التعبير عنها وكأن الكاتب ينطق بلسانها
ويخفق بقلبيها فإذا الحروف إيقاع .. وإبداع .. وإمتاع ..
واقناع أيضاً .

رحلة طويلة في آفاق مصر ، هذا الكتاب .